

الإسلام والمسلمون في أمريكا

المشروع القومي للترجمة

تأليف: جين سميث
ترجمة: محمد الخولى

861





يستمد هذا الكتاب قيمته من واقع صدوره ضمن سلسلة التعريف بالأديان الكبرى فى أمريكا المعاصرة التى تتولى أمرها مطبعة جامعة كولومبيا المرموقة بالولايات المتحدة. وفى تصدير الكتاب يصف الناشر الإسلام بأنه عقيدة تدين بها واحدة من أسرع الجماعات الدينية نموا فى أمريكا، حيث ظلت وتيرة التحول؛ إلى الإسلام تتسارع على مستوى الولايات المتحدة - قبل أحداث ١١ سبتمبر/أيلول ٢٠٠١ وبعدها - سواء بين صفوف المجتمع الملون للأفرو - أمريكيين، أو مجتمع اللاتينو من الأمريكيين المنحدرين من، أو المنتمين إلى، الثقافة الإسبانية (ويعرفون فى أمريكا باسم الهسبان أو المتأسبنون) وترجع أصولهم إلى قارة أمريكا الجنوبية أو منطقة البحر الكاريبى، هذا فضلاً عن الإسلام الوافد على متن موجات الهجرة من ربوع الشرق الأوسط ومن جنوب وشرقى آسيا حيث يرجع تاريخ هذه الموجات إلى القرن التاسع عشر وأحيانًا إلى أواخر القرن الثامن عشر للميلاد.

الغلاف: محمود مراد

المشروع القومى للترجمة

الإسلام والمسلمون في أمريكا

تأليف: جين سميث

ترجمة: محمد الخولي



٢٠٠٥

المشروع القومى للترجمة
إشراف: جابر عصفور

- العدد: ٨٦١
- الإسلام والمسلمون فى أمريكا
- جين سميث
- محمد الخولى
- الطبعة الأولى ٢٠٠٥

هذه ترجمة كتاب

Islam in America

By: Jane I. Smith

شارع الجبلاية بالأوبرا ــ الجزيرة ــ القاهرة ت: ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس: ٧٣٥٨٠٨٤

EL Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo

TEL: 7352396 Fax: 7358084

تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلس الأعلى للثقافة.

المحتويات

تقديم المترجم

يستمد هذا الكتاب قيمته من واقع صدوره ضمن سلسلة التعريف بالأديان الكبرى فى أمريكا المعاصرة التى تتولى أمرها مطبعة جامعة كولومبيا المرموقة بالولايات المتحدة. وفى تصدير الكتاب يصف الناشر الإسلام بأنه عقيدة تدين بها واحدة من أسرع الجماعات الدينية نموًا فى أمريكا، حيث ظلت وتيرة «التحول» إلى الإسلام تتسارع على مستوى الولايات المتحدة ـ قبل أحداث ١١ سبتمبر/أيلول ٢٠٠١ وبعدها ـ سواء بين صفوف المجتمع الملون للأفرو ـ أمريكيين، أو مجتمع اللاتينو من الأمريكيين المنحدرين من، أو المنتمين إلى، الثقافة الإسبانية (ويُعرفون فى أمريكا باسم الهسبان أو المتأسبنون) وترجع أصولهم إلى قارة أمريكا الجنوبية أو منطقة البحر الكاريبى، هذا فضلاً عن الإسلام الوافد على متن موجات الهجرة من ربوع الشرق الأوسط ومن جنوب وشرقى آسيا حيث يرجع تاريخ هذه الموجات إلى القرن التاسع عشر وأحيانًا إلى أواخر القرن الثامن عشر للميلاد.

كل هذه الأطياف الإثنية والتباينات الثقافية والقومية أفضت إلى صورة أقرب إلى الموزاييك يجسدها المشهد الإسلامى المعاصر بالولايات المتحدة، وهى بالطبع صورة تثريها حقيقة التنوع فى إطار التعدد كما أنها صورة يشعر القارئ إزاءها أن مؤلفة الكتاب قد شغفت بها سواء فى جانبها العقيدى أو الطقسى ـ الشعائرى، دع عنك الجوانب المتعلقة بأصول الوجود الإسلامى فى القارة الأمريكية الشمالية التى حاولت البروفيسور «جين سميث» أن تتقصى جذورها ربما منذ رحلة كولومبس الاكتشافية عام ١٤٩٢، إضافة إلى المراحل الأولى من تاريخ حركة الاسترقاق التى قامت فى غمارها قوى أوروبية (إنجليزية أساساً) بممارسة اصطياد وتجارة العبيد فكان أن نقلت آلافًا من أبناء شعوب الجنوب ـ من غرب أفريقيا بالذات إلى أرض العالم الجديد حيث تلقفتهم جموع المستوطنين من أجل تشغيلهم عسفًا واستغلالاً فى مزارع الشقاء وخاصة فى الأصقاع الجنوبية مما يعرف اليوم باسم الولايات المتحدة، حيث المناخ القائظ المشبع بالرطوبة، وحيث الحياة تنقسم حكمًا إلى سادة متجبرين وعبيد مسترقين، وحيث لم يكن الأمر ليقتصر على

استغلال الكدح البشرى لحساب رفاهية مجتمع ملاك العبيد، بل تعداه ـ كما توضح مؤلفة الكتاب ـ إلى عمليات تحويل العبيد قصدًا إلى المسيحية فيما كان بين صفوفهم عدد كبير من مسلمى غرب أفريقيا.

وكم أحسنت المؤلفة حين رجعت إلى المظان الأولية من تاريخ تلك المرحلة سواء كانت وثائق مرجعية محفوظة فى الأرشيف القومى الأمريكى أو كانت مقتنيات دالة على وقائع تلك الفترات الكئيبة من تاريخ الولايات المتحدة وهى مودعة بدورها فى متاحف الولايات الجنوبية من الكيان السياسى الأمريكى المعاصر.

وفى كل حال، فالكتاب موجه أساسًا إلى قارئ الإنجليزية فى أمريكا وفى غيرها. ولأنه كتاب تعريفى فى جوهره، فقد جهدت الفصول الأولى فى إلقاء لمحات كاشفة من الضوء المعرفى أو الضوء التعريفى، ومن وجهة نظر المؤلفة فى حدود اجتهاداتها، على أسس العقيدة الإسلامية وجوهر شعائرها وأطوار نشأتها ويفاعتها ونضوجها. وربما كان فى هذا المبحث الذى استهلت به المؤلفة كتابها أمورًا تبدو بديهية للذين يدينون بالإسلام ويستخدمون اللغة العربية، ويعرفون أو يعرف معظمهم أسس الديانة فى جانب العقيدة والشريعة. لكن أهميتها ـ فى تصورنا – هو أنها تتيح أن نطل على رؤية «الآخر» لنا من الجانب المقابل أو من الضفة الأخرى خاصة إذا كان هذا «الآخر» كما هو الحال مع مؤلفة الكتاب يمتلك أدوات البحث الأكاديمى ويتحلى من ثمَّ بقدرٍ واضح من موضوعية التناول ومحاولة الإنصاف ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

وفى هذا السياق تتطرق سطور الكتاب إلى نشأة وتطور جماعات «الإسلام الأسود» التى بدأت من أرضية الخرافة مع بدايات القرن العشرين ثم تطورت إلى سفوح التعصب العرقى أو ما يسمى فى الأدبيات السياسية باسم الزنوجة النبيلة وهى نوع من الاستعلاء المضاد ـ هذا بالإضافة إلى متابعة الكتاب لجولات الصراع التى نشبت داخل مجتمع الأفرو ـ أمريكيين المسلمين ثم نضالات قادتها المعاصرين (الإمام وارث دين محمد بالذات) للتخلص من أوشاب الخرافات العقيدية والارتقاء من غياهب التعصب العرقى (الأسود) إلى حيث التسامى بعقيدة الملونين فى أمريكا إلى مراقى الإسلام الحنيف والدين القويم الحق فى سلامة

فطرته وسماحته وإنسانيته التى تتعامل مع البشر جميعًا من موقع الفهم والتعاطف والإنصاف.

لا يفوت المؤلفة كذلك أن تعرض لمجتمعات الإسلام الوافد الذى جاء إلى القارة الأمريكية بين جوانح المهاجرين وأفئدة الوافدين وهنا تتوقف المؤلفة بقدر من البحث التأملى عند المشاكل التى يصادفها مسلمو المجتمعات الوافدة بالهجرة من أجل التوفيق بين دياناتهم وثقافتهم القومية وبين مقتضيات ومستجدات بل وتحديات تصادف الفرد المهاجر فى مجتمع فريد فى أعرافه وأوضاعه الاقتصادية وأنماطه السلوكية وأساليب ممارسته لحياته على مستوى الفرد وصعيد الجماعة على السواء.

فى هذا السياق أيضًا نلمح مساهمات لها أهميتها أسداها الأزهر الشريف فى مصر إلى الجماعة المسلمة فى أمريكا وبالذات فى مجال تخريج كوادر (غير مصرية) ما لبث بعضها أن تولى زمام القيادة العقائدية أو التنظيمية فى المجتمع المسلم بالولايات المتحدة. على أننا نؤكد مع المؤلفة فى هذا الصدد على أن الأمر لا يحتاج إلى «أئمة» بمعنى دعاة أو وعاظ على نحو ما قد يتبادر إلى الذهن أو كما جرت عليه الأعراف المتبعة: إن مفهوم «إمام» فى أمريكا المعاصرة يتسع. كما أوضحت المؤلفة، ليشمل طائفة واسعة ومتعددة من المهام التى تتجاوز مجرد الخطابة المنبرية أو إقامة الشعائر أو تولى إمامة الصلوات الجامعة: إنه مفهوم «رعوى» إن أجزنا استخدام المصطلح المسيحى حيث الإمام على صعيد المجتمع المحلى فى أمريكا يجمع بين وظائف المرجعية الدينية فى الفتوى وفى المشورة الاجتماعية والخصوصية وفى قيادة المؤسسات الدينية إداريا وماليا وفى المشاركة فى حوارات ما بين الأديان، كل هذا فضلاً عن مهمة الريادة والتوجيه إزاء ما يطرحه المجتمع الأمريكى من مستجدات وخاصة فى مجال وضعية المرأة وتنشئة الطفل ورعاية المسنين والعلاقات العامة والخاصة مع أبناء الديانات الأخرى.

وبديهى أن كل هذه القضايا والتحديات تتطلب كوادر مزودة بمواهب خاصة وإعداد متخصص، بل يمكن القول إن هذه المتطلبات زادت تشابكًا وتعمقًا وتعقيدًا بعد أحداث أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ بكل ما أضافته إلى المشهد الأمريكى العام من ظواهر، جاء معظمها سلبيا فى مواجهة المجتمع الإسلامى فى أمريكا، وفى مقدمتها

مشكلة تعميق الصورة النمطية الجامدة والمقولبة التى صدرت بدورها عن ظاهرة رهاب الإسلام (إسلاموفوبيا) وكانت بمثابة رد فعل طبيعى وتلقائى لكارثة المركز التجارى من جهة، فيما عمدت إلى تعميقها وتزويدها بشحنات من الكراهية والتحريض والتربص والترصد من جهة أخرى كل العناصر الكارهة لمطلق «عربي» ومطلق «مسلم» وخاصة العناصر اليهودية المتصهينة أو المتأسرلة فى الولايات المتحدة بكل ما تملكه من قدرات وموارد ــ إعلامية بالذات ــ إضافة إلى قدرتها على الاختراق السياسى لصفوف النواب والشيوخ فى مجلسى الكونجرس على وجه الخصوص.

لم يفت مؤلفة الكتاب أيضا ــ وبحكم تكوينها الأكاديمي ــ أن توافى قارئها الناطق بالإنجليزية بمعجم موجز تعريفى لأهم المصطلحات الإسلامية من قبيل: أركان: أذان، دعوة، فقه، حديث، أهل الكتاب، طريقة، توحيد، شرك، شورى... إلى آخر حروف الهجاء فى الإنجليزية بطبيعة الحال (يضم هذا الثبت ٦٥ مصطلحًا تبدأ بكلمة «عبد» التى تفسرها المؤلفة على أنه خادم أولاً وعلى أنه ثانيًا المؤمن فى إطار علاقته بالله (سبحانه) كما ينتهى المعجم بلفظة «زكاة» التى تقول عنها الدكتورة سميث إنها أموال البر المدفوعة أو الضريبة المفروض جبايتها من أجل خير ورفاه المجتمع).

ولما كانت مثل هذه التعريفات تدخل فى حكم البديهى بالنسبة للقارئ المسلم فقد صرفنا عنها النظر ومعها أيضًا القائمة الببليوغرافية التى أشارت فيها المؤلفة إلى أهم الموارد المرجعية التى تفيد فى دراسة ما تصفه بأنه «الإسلام الأمريكي».

وربما كان من المهم الإشارة إلى أن البروفيسور جين سميث لا تقصد بمصطلح «الإسلام الأمريكي» ما قد تذهب إليه حاليًا بعض الكتابات أو الاجتهادات فى العالم العربى والإسلامى وفى خارجه حيث الخشية من أن يعنى «الإسلام الأمريكي» نوعًا من إخضاع الديانة المحمدية فى عقيدتها وشريعتها لأوامر ونواهي وأعراف وأنماط الحياة الأمريكية.

إن هذا الكتاب بعيد تمامًا عن تلك العملية التى تقصد إلى تفكيك الإسلام إذا استخدمنا مصطلح «ديرودا» الشهير أو فلنقل إنها عملية «أمركة الإسلام».

إن قصارى ما تطمح إليه سطور الكتاب هو الوقوف على جوانب مختلفة من حياة المسلمين المعاصرين فى أمريكا الملونين والكاريبيين والأصليين والمهاجرين على السواء، مع ما يكتنف هذه الحياة من مشاكل وتعقيدات ومن ثمَّ نضال هذه الجماعات لإثبات وجودها فى ظل شعور بالكرامة والاعتزاز والشراكة فى المواطنة الأمريكية من جهة، وفى ظل حرصها-أو حرص أغلبية أفرادها من جهة أخرى على أن يعيشوا حياة من الورع والتقوى كمسلمين قادرين فى الوقت نفسه على تكييف حياتهم هذه مع ما تقتضيه ظروف الطموح المشروع للتطور والارتقاء فى مدارج ذلك المجتمع وفى مواقعه ومناصبه.

تلك معادلة صعبة، وربما زادت صعوبتها إلى حد الشراسة وخاصة بعد كارثة أيلول/سبتمبر عام ٢٠٠١.

لكن مسلمى أمريكا على اختلاف أطيافهم ناضلوا وحاولوا، ولا يزالون يناضلون ويحاولون. وهو ما اجتهدت المؤلفة فى التطرق إليه بأدوات العرض والسرد والتحليل.

وفى هذا تكمن قيمة هذا الكتاب.

ولهذا أيضا كان عزمنا على ترجمته لكى يطلع القارئ العربى المثقف الشغوف، فضلاً عن صاحب القرار ـ فيما نرجو ـ على هذه الإطلالة التى تأتى إلينا من الشاطئ الآخر للمحيط.

والله غالب على أمره،

محمد الخولى
القاهرة ٢٠٠٥/٣/٢٧

حـول سـلسـلـة كـولـومبـيـا للأديـان
فى أمريـكـا المعـاصـرة

الولايات المتحدة موئل للتعددية الدينية، حيث تتميز الساحة الروحية لأمريكا المعاصرة بالتباين والتعقيد أكثر من أى بلد فى العالم. وهذه الكتب التى تصدر فى السلسلة الجديدة بأقلام أعلام الأساتذة من أجل الدارسين وعموم القارئين تندرج ضمن فئتين اثنتين، فبعضها يقدم صورًا دقيقة التشكيل ومثيرة للتأمل والتفكير عن الجماعات الدينية الرئيسية فى البلاد بحيث تصف وتفسر ما تتميز به الأديان من عبادات وشعائر ومعتقدات فضلاً عن التحديات الرئيسية التى تواجهها اليوم هذه الجماعة أو تلك، أما الفئة الثانية فتقصد إلى استكشاف آفاق القضايا والمواضيع الراهنة المطروحة فى مجال الأديان بأمريكا، وهى التى تتقاطع عبر الخطوط المذهبية ومضامين النصوص، على أن تكملها صور فوتوغرافية وأعمال فنية منتقاة بعناية، مع تزويدها بقوائم ببليوغرافية مشروحة. كما أنها مذيله بنبذات عن ملامح السير الشخصية للأفراد المرموقين إضافة إلى سلاسل زمنية بالأحداث الكبرى.

مقدمة

«قمت بجولات «أتسوق» فيها دينًا جديدًا. فبعد خمس وعشرين سنة أمضيتها كاتبة فى أمريكا كنت أريد شيئًا يخفف من نزعة التشاؤم السوداوية التى كانت تعترينى ومن ثم كنت أبحث عن ظروف جديدة أرى الدنيا من خلالها... ولم أستطع أن أطرح قائمة أحصر فيها ما أريد ولكن كان لدى فكرة عمًا أبحث عنه... أريد عقيدة لا تضم كهنة ولا تفصل بين ما هو فطرى وما هو مقدس ولا تشُن حربًا على الغريزة، بل يصبح الجنس أمرًا طبيعيًا وليس لعنة تلحق بالبشر جيلاً بعد جيل. وأخيرًا كنت أبحث عن شعائر تمثّل بالنسبة لى نظامًا يوميًا يكفل لحواسى أن تصبح أكثر حدّة ويجعل عقلى أشد انضباطًا. وفوق هذا كله كنت أنشد الوضوح والحرية، وما كنت أريد أن أتخلى عن الرُشد لصالح فكرة جامدة تفرض عليه الأغلال وكلما عرفت المزيد عن الإسلام، بدا الأمر وكأن هذا بالضبط ما كنت أبحث عنه»[(١)].

هذه العبارات، كتبتها سيدة تحولّت إلى الإسلام وكان والدها يهوديًا فيما كانت والدتها مسيحية وهى تشير بسُبل شتى إلى الكيفية التى تجذب الإسلام إلى كثير من الأمريكيين. إنهم يفهمونه على أنه ديانة مباشرة وطبيعية تنفذ إلى عمق الأشياء وتكفل الانضباط. وكان الزعيم الأسود المُسلِم مالكولم إكس وغيره ممن دخلوا فى هذه العقيدة عن طريق الانتماء إلى حركات مثل «أمة الإسلام» يشعرون بهذه الجاذبية بل كانت هى مضمون الدعوة إلى الإسلام التى عاشت فى وجدان المهاجرين المسلمين الذين يعتقدون أن واجبهم يتمثل فى دعوة الآخرين للانضمام إلى الجماعة المسلمة. ومن خلال تلك الدعوة، وبوصول المسلمين من كل مكان تقريبًا على ظهر البسيطة إلى سواحل الولايات المتحدة، أصبح الإسلام واحدًا من الأديان الثلاثة الكبرى فى أمريكا.

كما أصبح بديهيًا أن نلاحظ ما يحدث فى الغرب بعامة وفى الولايات المتحدة بخاصة حيث لم تَعُد النظرة إلى المسلمين تتمثل فى أنهم «موجودون وكفى». بل تزايد دورهم الملحوظ ومشاركتهم الفاعلة بوصفهم جزءًا من نسيج

المجتمع الغربى. ومع ذلك فلم يحدث سوى فى السنوات الأخيرة أن أصبح كثير من الأمريكيين يفهمون أن الإسلام فضلاً عن المسيحية واليهودية هو دين «غربي» بحَد ذاته إذ إن كثيرًا من الكتابات العلمية، فضلاً عن الكتابات الشعبية، ما زالت تنزلق إلى حيث القول بثنائية «الإسلام والغرب» (أو الإسلام فى مواجهة الغرب). لكن المعلومات المتاحة عن الإسلام وعن المسلمين يزداد توافرها عن طريق وسائل الإعلام حتى صار من الصعب ألا نلاحظ وجود المسلمين فى المدن الأمريكية الكبرى والصغرى. ومع ذلك فكثير من الأمريكيين ما زالت لديهم فكرة غامضة عن حجم وأهمية الجالية الإسلامية فى أمريكا بل لا يعرفون سوى النذر اليسير عن الديانة نفسها. ومن عجب أننى كنت أتكلم فى أحد الاجتماعات عن الدين الإسلامى وشعائره فى الآونة الأخيرة فإذا بسيدة تسألنى قائلة «أين يقع الإسلام؟» وكانت بذلك تفترض أننى أتحدث عن بلدٍ من البلدان. بل إن الأمريكيين فى معظمهم ليس لديهم سوى فكرة ضئيلة عن واقع الحال الذى يقول بأن عدد المسلمين فى أمريكا يكاد يقارب عدد اليهود المقيمين على أرضها بل ويتجاوز كثيرًا عدد أتباع مذاهب البروتستانت الرئيسية.

وينطوى مشروع ديانا إيك أستاذة تاريخ الأديان فى جامعة هارفارد بشأن التعددية، وهو متاح على قرص ليزرى (سيديروم)(٢) على نظرة مرموقة إلى ما تسميه دينًا مُقارِنًا فى حالٍ من التشكيل. وقد قام تلاميذها بتوثيق وتصوير شواهد عن الحالات التى شهدتها الآونة الأخيرة وما قبلها من مراحل من وصول المسلمين والهندوس والبوذيين وأصحاب الديانات الشنتية والزرادشتية وكثير غيرهم إلى المناطق الحضرية والريفية فى أمريكا. وثمة أجزاء كبيرة من مشروعها تتعامل مع الجماعات المسلمة عبر القارة الأمريكية حيث يمكن للمشاهد أن يلمح تناقض الأحوال التى تفصل بين عمال الزراعة المسلمين والعاملين باليومية وبين أقرانهم من الأطباء وغيرهم من محترفى المهن الذين بلغوا شأوًا عاليا من النجاح فضلاً عن صور المساجد الساذجة البسيطة التى تتناقض بدورها مع بعض المراكز الإسلامية الجديدة الفاخرة التى جرى تشييدها فى العقود الأخيرة. ومن شأن مصادر من هذا القبيل، إلى جانب الزيادة البالغة فى الدراسات العلمية التى تمت فى ميدان الإسلام الأمريكى، فضلاً عن إضافة مواد بشأن مسلمى الولايات المتحدة

إلى عدد من المقررات الجامعية، مع ما يحوزه الدين الإسلامى من اهتمام متزايد وما تحظى به الثقافة الإسلامية فى مناهج المدارس الثانوية وكذلك الفرص المتاحة أمام الأطفال المسلمين لكى يتحدثوا عن عطلاتهم أمام أقرانهم التلاميذ على مستوى الصف الدراسي، من شأن هذا كله أن يجعل من الصعب على خريجى النظام التعليمى فى أمريكا أن يحتاجوا يومًا إلى طرح السؤال الذى يقول: أين يقع الإسلام؟(*).

«يتألف المجتمع الإسلامى الأمريكي اليوم من أفراد جاءوا من خليط عرقى ومهنى واسع النطاق. وسواء كانوا وافدين بالهجرة أو أمريكيين بالأصل أو متحولين إلى الدين، فثمة وشيجة واحدة تربطهم جميعًا وتتمثل فى التجربة الفريدة التى تحمل اسم الإسلام. وسواء كانوا أطباء أو محامين أو مقاولين أو أساتذة أو كانوا طباخين أو عمالاً فى الصناعة فهم جميعًا يسدون مساهمةً إلى مستقبل أمريكا»(٣). هذه الملاحظات، المستقاة من كلمة موجَّهة إلى المؤتمر السنوى الرابع والثلاثين للجمعية الإسلامية فى أمريكا الشمالية فى عام ١٩٩٧ إنما تشير إلى التعددية التى يتسم بها المجتمع الإسلامى فى أمريكا وفيما توحى بالانشغال الذى يساور كثيرًا من أفراد ذلك المجتمع وقادته إزاء ضرورة الاعتراف بالإسلام بوصفه قطاعًا شرعيا يساهم فى مقاليد المجتمع الأمريكى. وهنا يُطرَح السؤال: ما هو هذا الدين الذى أصبح وجوده فى الولايات المتحدة مجسَّدًا بشكل ملحوظ بل ودائم لدرجة أن كثيرًا من المسلمين باتوا يطالبون بوصف أمريكا على أنها بلد يهودى – مسيحي – ومسلم؟ وهل الإسلام مجرد دين أجنبى زرعوه بصورة أو بأخرى فى تربة غريبة أو أنه ظاهرة أصيلة من ظواهر الحياة الأمريكية؟

نبعت العقيدة الإسلامية فى القرن السابع الميلادى فى الجزيرة العربية حيث يعتقد المسلمون أن الله سبحانه اصطفى رسولاً اسمه محمد لكى يكون ختام أنبياء أديان التوحيد. ثم انتشرت العقيدة بسرعة فى جميع أنحاء منطقة الشرق الأوسط الكبير ثم شمال أفريقيا وجنوبى أوروبا. وفى غضون قرن واحد أصبحت قوة دافعة فى أنحاء كثير من العالم المعروف وقتئذٍ. وظل المسلمون على مدار معظم

(*) بديهى أن هذا الاهتمام بـ «الشأن الإسلامى» ما برح يتزايد، على مستوى السلب والإيجاب خاصة بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ فى نيويورك «المترجم».

تاريخهم قوى تسهم فى الإبداع والابتكار فى مجال تطوير العلوم والفنـــون والآداب والفلسفة والتكنولوجيا والثقافة. وكثير من الإمبراطوريات الإسلامية الكبرى بسطت نفوذها على مناطق شاسعة من العالم وحتى بدايات القرن العشرين. واليوم يوجـــد أكثر من مليار مسلم فى طول العالم وعرضه وهم موجودون فيما يكاد يكون كـــل بلد من أقطار البسيطة. كما أن الإسلام يُعتَبَر واحدًا من «أديان العـــالم الكبـــرى» «الخمسة أو الستة» ويفهم المسلمون القرآن وهو كتاب الإسلام المقدس علـــى أنـــه الوحى الذى نزل بنصّه من عند الله سبحانه على (النبى) محمد. ويتاح القرآن حاليًا فى ترجمات يسميها المسلمون «تأويلات» فى معظم لغات العالم.

وقد جاء نمو الإسلام خلال القرون الأولى من وجوده ليشكّل ظاهرة صعبة أمام المسيحية الغربية من حيث فهمه أو إساءة فهمه مع ما انطـــوت عليـــه هـــذه الظاهرة من تحيُّز وتخوُّف بل ومن بُغض فى بعض الحالات على نحو ما اتســـمت به تواريخ المجابهة بين العقيدتين. وهذا الميراث، فضلاً عن المخاوف والشـــواغل الراهنة بشأن ما يُفتَرَض بأنه «التطرف الإسلامي» يشكّل جزءًا من السياق الـــذى يتم من خلاله فهم تجربة المسلمين على صعيد ما يوصـــف حاليًـــا بأنـــه أمريكـــا المسيحية فى الأساس. ويقول مؤرِّخ مسلم من جامعة شيكاغو: «برغم أن الإســـلام ديانة إبراهيمية تنهض جنبًا إلى جنب مع اليهودية والمسيحية، فقد درج القوم علـــى النظر إليه وكأنه عنصر يهدد نسيج الحياة وقوام التراث فضلاً عن تهديـــده للقـــيَم اليهودية – المسيحية الأساسية[٤]. على أن هذا الشـــعور يواجَـــه باســـتمرار فـــى الولايات المتحدة بجهود من جانب الأمريكيين غير المسلمين الـــذين يعملـــون مـــع مسلمين من أجل التوصل إلى صورة أكثر إنصافًا للإســـلام ســـواء فـــى الميـــديا الإعلامية أو فى المدرسة أو على صعيد الوجدان العام.

ويرد فى الجزء الأخير من الفصل الثانى تفاصيل عن تطوُّر الإســـلام فـــى القرن العشرين. وكثير من تلك التفاصيل وردت كاستجابة إلى التصوُّر الذى رسخ فى أذهان المسلمين عما يصفونه بأنه الاستعمار الإمبريالى الغربـــى فـــى جوانبـــه السياسية والاقتصادية بل والدينية. وفى العقود الأخيرة قامت حركات كثيـــرة فـــى أنحاء شتى من العالم الإسلامى تدعو إلى تجديد الصورة التى تشـــكلت بشـــأن دور الإسلام فى إدارة الدولة وكذلك فى حياة المسلمين الخاصة والعامة. وقـــد أمعنـــت

الصحافة الغربية فى الإصرار على توصيف هـذه الحركـات بأنهـا «أصـولية متطرفة» حيث رأت فيها خصائص مشتركة من التطرف بل ومـن العـداء إزاء الغرب وأحيانًا من العنف. وفى واقع الأمر فكلمة «أصـولي» (Fundamentalist) ينقصها الدقة بقدر ما تنقص الدقة الافتراض بأن تلك ظاهرة عامة.

وقد يكون ثمة توصيف أعم لتلك الحركات على أنهـا إحيائيـة (تجديديـة) وأحيانًا تُعرَف ببساطة بوصفها إسلامية (إسلاموية). وهذا مصطلح يغطى طائفـة واسعة من التفسيرات والإجراءات التى قلما تتجلى فى أعمال العنف التـى باتـت تخيف الفرد الأمريكى العادى. ويتمثل التحدى الذى يواجهه المسلمون الأمريكيـون فى محاولة العيش وممارسة إسلام يحوى قِيَمًا من العدل ومكارم الأخلاق والتعايش السلمى مع أهل الديانات والمذاهب الأخرى بحيث تغطى قِيَم الإسلام هـذه علـى صورة الإسلام المتطرف الذى كثيرًا ما تُرَوِّج له الميديا الأمريكية.

ولقد كان من جوانب مسئوليتى المهنية كأستاذ للدراسات الإسلامية، فضـلاً عن سعادتى الشخصية عبر العقود العديدة الماضية، أن أُشرك جماهير أمريكية فيما توصلت شخصيا إلى فهمه بشأن الأبعاد التاريخية والأخلاقية والروحية للإسـلام. وفى هذا السياق تلقيت العون من جانب كثير من الأصدقاء والدارسـين المسـلمين الذين مدُّوا إلىَّ يد المساعدة فى صبر وأناة كى أدرك معنى أن يكون الإنسان مسلمًا سواء على مستوى الفرد أو الجماعة. ولهذا أمضيت فترات طويلة من الزمن فـى محادثات مع مسلمين: منهم من ينتمى إلى الصفوف الأكاديمية ومنهم من جاء مـن خلفيات مشتركة بين المذاهب وهؤلاء شاركونى فى دعوات كثيرة لتناول الطعـام حيث نعمنا بكرم الضيافة والسخاء الإسلامى. وبعض تجاربى ذات الأهمية الفائقـة عشتها عندما كنت أُدعى للمشاركة فى حضور شعائر الصلاة سواء فـى البيـوت الخاصة أو فى الساحات العامة الملحقة بالمسجد أو بالمركز الإسـلامى. علـى أن بعض الأمريكيين المسلمين لا يجدون أنفسهم قادرين على الانفتاح إزاء التفاعل مع غير المسلمين على الأقل لفترة مرحلية من الزمن ومن ثم فهم يشعرون أنهم بحاجة إلى العزلة لكى يكرِّسوا اهتمامهم لتقرير الأسلوب الذى يحتفظـون فيـه بهـويتهم المسلمة ضمن سياق ثقافة غربية. ومع ذلك فهناك الكثيرون من الحريصين علـى تقاسم معتقداتهم وممارساتهم مع أصدقاء يريدون بحق أن يتعلموا وأن يفهموا. وفى

هذا الكتاب أطرح منظورات كثيرٍ من المسلمين الأمريكيين على أنها أفكار ممكنة التحقيق مع إتاحة الفرصة لكى تُسمَع أصواتهم ولكى يدلوا بآرائهم للبت فى القضايا المهمة وفى إضفاء مزيد من الضوء على عرض المادة العلمية التى يحتويها هذا الكتاب.

ومنذ ثلاثة عقود من الزمن كان هناك عدد يقل عن نصف المليون من المسلمين فى أمريكا بمن فى ذلك المهاجرون والأفرو - أمريكيين (الملوَّنون). وفيما تتباين الإسقاطات الإحصائية تباينًا واسعًا من حيث العدد الراهن للسكان المسلمين فضلاً عن قيام اختلاف أحيانًا بشأن الأفراد الذين يجوز تعريفهم على أنهم مسلمون، فإن التوافق السائد يصل بالعدد إلى نحو ستة ملايين مسلم يعيشون فى إقامة دائمة بأمريكا، خاصة وأن هذه الجماعة المسلمة تتزايد باضطراد. على أن المسلمين أنفسهم يقدِّرون عددًا أكبر فى هذا الصدد كما أن كثيرًا من العوامل تبرِّر الزيادة الملموسة فى عدد المسلمين عامًا بعد عام على نحو ما سوف تبيِّنه الفصول التالية من هذا الكتاب. وأكبر مجموعة من مسلمى أمريكا تتألف من مهاجرى الأجيال الأول والثانى والثالث إضافة إلى عدد من الطلاب المسلمين الذين يقيمون فترة ثم يعودون إلى أوطانهم الأصلية كى يشغلوا مراكز القيادة فى معظم الأحيان.

وبرغم صعوبة البت فى النسَب الدقيقة، فكثير من دارسى الإسلام فى أمريكا يتصورون أن ٤٠ فى المائة من أفراد المسلمين الأمريكيين قد يكونون من الأفرو- أمريكيين. ويشمل هذا العدد أتباع الإمام وارث محمد وأعضاء المنظمات السنيَّة الأخرى إضافة إلى من ينتمون إلى جماعات متناثرة تؤمن بتفسيرٍ معيَّن للإسلام ومنهم جماعة «أمة الإسلام» أو «أنصار الله» التى يقودها لويس فرَقان. بيد أن صورة الإسلام الأمريكى تكتنفها تعقيدات كثيرة بفعل وجود الكثير من الحركات الطائفية التى تبغى تعريف نفسها بوصفها «إسلامية» وهذا تعريف كثيرًا ما يرفضه المسلمون الآخرون. وفى كل حال فإن مسلمى أمريكا مشاركون بعمق فى صياغة ما يمكن أن يُفهَم بأن الفرد جزء من «الأمة» ومن خلال تطوُّر المنظمات الإسلامية وزيادة عدد الاجتماعات والمؤتمرات المحلية والوطنية ثم الانتشار السريع لوسائل الاتصال، فهم عاكفون حاليًا على تحديد طابع وأصالة إسلام أمريكى صميم.

من ناحية أخرى يورد هذا الكتاب مقدمة عامة لتعريف الدين الإسلامى على نحو ما يعيشه ويمارسه مسلمو أمريكا إضافة إلى لمحة عن مدى ما يشمله المجتمع من تجمعات وجاليات تُعَدّ جزءًا من هذا الدين. وتساعد الفصول الأولى القارئ(*) على الوقوف على تجارب المسلمين الأمريكيين ضمن سياق تاريخ المعتقدات والمؤسسات والتطوُرات الإسلامية. فالفصل الأول عبارة عن مدخل إلى المعتقدات والشعائر التى ميزت الجماعة الإسلامية منذ زمن الرسول، كما أنها كانت الإطار للحياة الدينية للمسلمين الأمريكيين. ويعرض هذا الفصل الدعائم الخمس التى بنيت عليها العقيدة الإسلامية والأركان الخمسة للممارسة الدينية المعتادة ضمن سياق حياة المجتمع مشيرًا إلى بعض الأسباب التى تجعل محمدًا أسوةً حسنةً يقتدى بها المؤمنون. ومع ذلك يقول رئيس الجمعية الإسلامية فى أمريكا الشمالية: «إن اتباع سُنَّة النبى لا يعنى مُجرَّد تقليد المظاهر الخارجية ولكنه يعنى أن نتعلم بصورة مُبدعة من شخصيته ونموذج سلوكه. إنه قدوتنا إذ كان الأقرب فى علاقته إلى الله سبحانه كما أنه كرَّس حياته كلها من أجل مرضاة الله عز وجل وهذا هو سر امتيازه الأخلاقى مما جعل حياته أسوة حسنة»(5). الفصل الثانى من الكتاب يعرض سيرة الذين اضطلعوا بأدوار مهمة فى تاريخ الإسلام القديم والحديث ولتجاربهم الشخصية، حيث يصف الانتشار الواسع السريع للدين خلال السنوات الأولى من وجوده فضلاً عن تطوُر المذاهب الإسلامية الرئيسية بما فى ذلك مدارس الشريعة والديانة والفلسفة والتصوف. ويصور هذا الجزء من الكتاب بعض السبُل التى نَهَجَها أفراد مسلمون بكل تأثيراتهم وفى ضوء ما انتهوا إليه بشأن معنى الإسلام وأساليب الحياة الأخلاقية والدينية التى شكّلت العقيدة وصاغت ممارسات الذين يسعون إلى رسم صورة دقيقة لما يعنيه أن يكون المرء مسلمًا فى المجتمع الغربى اليوم.

أما الفصلان الثالث والرابع فينظران فى أمر السبُل العديدة التى أضفت أهمية على الإسلام فجعلته جزءًا فاعلاً فى تاريخ أمريكا وثقافتها: فالفصل الثالث يصورّ بشكل عام التاريخ المُعقّد للإسلام الوافد مهاجرًا إلى أمريكا حيث يصف السبُل التى وصل بها المسلمون إلى أمريكا أو اختاروا أن يعتنقوا الإسلام دينًا لهم.

(*) القارئ – الهدف هنا هو بالذات القارئ الأمريكى غير المسلم «المترجم».

كما يتتبع حركات المهاجرين من منتصف القرن التاسع عشر وخاصة الوافدين من الشرق الأوسط من خلال موجات الهجرة العديدة وحتى الوقت الحاضر حيث أصبح المسلمون متواجدين فيما يكاد يكون كل بقعة فى العالم. ويصوِّر الفصل النطاق الواسع للسياقات الثقافية التى يمثلها المهاجرون المسلمون كما يصف بإسهاب مستوياتهم التعليمية والمهنية والسبُل المختلفة التى يرون من خلالها ضرورة ممارسة الإسلام فى أمريكا. ويضاف إلى هذا المشهد المعقَّد أصلاً ظاهرة تزايد أعداد المتحولين إلى اعتناق الإسلام بين صفوف السكان البيض وذوى الأصل الإسبانى(*) وسكان أمريكا الأصليين وهم يدخلون حظيرة الدين أحيانًا من خلال الانتساب إلى واحدة من الحركات الصوفية العديدة الموجودة فى الولايات المتحدة وكندا. أما الفصل الرابع فيبدأ بمقدمة عن العبيد المسلمين الذين جاءوا بهم إلى أمريكا وما تم (فى معظم الحالات) من إجبارهم على التحوُّل إلى المسيحية: إن قصتهم تشمل مناقشة تفصيلية لصعود الإسلام الأفرو - أمريكى منذ التعبيرات الأولى عن القومية السوداء ابتداء من ظهورِ وتطوُّر جماعة «أمة الإسلام» إلى المظاهر المعاصرة للحركات الإسلامية السُّنية والمنشَقة على السواء.

يتلو ذلك فصول ثلاثة تتطرق إلى مجموعة واسعة من القضايا التى تواجه المسلمين الذين يريدون أن يعيشوا حياتهم العقائدية ضمن السياق الأمريكى. والحق أن كثيرًا من المسلمين فى الغرب لا يترددون على المساجد ولا يشاركون فى الشعائر الدينية وهم يعدون أنفسهم مسلمين بالمولد أو من خلال الانتماء الثقافى فى الأساس. أما الآخرون فهم متدينون يمارسون الشعائر ويختلفون إلى المساجد. وهذه الفصول تصف الشواغل التى تساور هؤلاء المسلمين وتواجههم فيما يتعلق بأمور العبادة والسلوك الدينى والأسرة والمسائل الشخصية ودور المرأة فى أمريكا المسلمة وتربية أبنائهم وتعليمهم ورعاية المسنين فضلاً عن قضايا الملتحقين بالخدمة العسكرية أو المودَعين فى غياهب السجون إضافةً إلى استخدام المنتجات المشروعة إسلاميا وارتداء الملابس المحتشمة وانتهاج أنماط السلوك القويم فضلاً عن العديد من القضايا الأخرى المتصلة بالحياة فى بلد كثيرًا ما يتعرض فيه الإسلام إلى سوء الفهم وقلة التقدير. وفى هذا السياق يُولَى اهتمام خاص إلى تطوُّر

(*) يعرفون باسم الهسبان أو اللاتينو «المترجم».

المساجد والمنظمات الإسلامية الأمريكية وإلى جهود نشر الدعوة ومشاركة المسلمين فى العملية السياسية والطرق التى يعمل بها المسلمون وغير المسلمين على تحديد ومعالجة حالات التحيُّز والمعاملة المجحفة. ويتم بقدر من التفصيل مناقشة ظاهرة النشاط الإعلامى الإسلامى بما يعكس عزم بعض المسلمين على جعل أمريكا ميدانا للتبشير بديانتهم. وفى هذا الصدد يقول إسماعيل الفاروقى الأستاذ الفلسطينى من جامعة تمبل: «إن الرؤية الإسلامية تَهَب أمريكا الشمالية نصيرًا جديدا لها وجديرًا بها لكى تجدد حياتها وروحها وتعيد اكتشافها لأداء رسالة كلفها بها الله سبحانه وحيث تكرِّس جهودها لخدمة تلك الرسالة ومن ثم لا تملك هذه القارة سوى أن تشعر بالامتنان للمهاجرين الذين وفدوا عليها وهم يحملون فى وجدانهم هذه الرؤية الإسلامية وهى لا تملك سوى أن تفسِّر وصولهم إلى أرضها وسواحلها سوى على أنه نعمة من عند الله ومحبة ورحمة جاءت فى وقتها من لدن السماء»[٦]. أما الفصل الأخير من الكتاب فيطرح بعض الشواغل والمشاكل التى تواجه المسلمين فى أمريكا ومنهم المهاجرون أو الأفرو - أمريكيين أو المتحوِّلون إلى الإسلام وهم يتطلعون إلى ما يأتى من عقود زمنية قادمة. أما القضايا فهى تلك التى يثيرها المسلمون أنفسهم فى أدبياتهم وأحاديثهم وفى اجتماعاتهم المحلية والوطنية وهذه القضايا تعكس مدى تعقيد المشهد الإسلامى الأمريكى على النحو الذى ينعكس فى واقع الخليط العرقي - الإثنى والثقافى* الذى يعيشه المسلمون هناك وأنماط التحول من واقع المهاجرين الأوائل إلى واقع الأمريكيين المنتمين إلى الجيل الثانى ثم الجيل الثالث الحالى فيما يتعلق بالطرق التى يرتضيها، أو لا يرتضيها، المسلمون من حيث تأثُّرهم بالاتجاهات والحركات القادمة عبر البحار ثم طرق الفهم المختلفة لما يعنيه تأكيد الهوية الإسلامية والحفاظ عليها ضمن سياق يطرح دينًا ما زال يشكل عقيدة أقلية صغيرة الحجم.

ويقدِّم الجزء الخاص بـ «ملامح السير الشخصية» نبذات عن حياة بعض المسلمين المرموقين الذين ساهموا فى تعريف وصياغة الإسلام فى أمريكا ضمن سياقات تاريخية وثقافية متنوعة. وهو يشير إلى الأفراد والتجارب ممن شكَّلوا الصورة الغنية والمتنوعة للإسلام فى الولايات المتحدة، ويعرض للمسلمين الذين تفوقوا فى المضمار الأكاديمى إضافة إلى الجانب التنظيمى للجماعة الإسلامية فضلاً عن مشاهير الرياضيين والشخصيات البارزة فى بعض جوانب الحياة

الأمريكية العامة. ويعقب ذلك فى الكتاب عرض زمنى لسلسلة الأحداث التى شهدها تاريخ الإسلام الأمريكى إلى جانب قائمة بالمراجع التى يمكن أن تساعد القارئ الراغب فى معرفة المزيد عن الإسلام فى الولايات المتحدة وكندا بما فى ذلك قائمة ببليوغرافية مشروحة بالكتب وبالدوريات والصحف والمنظمات التعليمية الإسلامية وأشرطة الفيديو التى تتناول الإسلام فى أمريكا ثم إذاعات الراديو والتليفزيون ومصادر شبكة الإنترنت.

إن صورة الإسلام فى أمريكا تتغيَّر كل يوم لأن هذه العقيدة ينضم إليها أفراد جُدُد وتصبح المعلومات الجديدة متاحة من خلال مجموعات متنوعة من المصادر كما تتم تفسيرات جديدة تساعد المسلمين على معرفة المزيد بشأن ديانتهم وبأساليب ممارستها على صعيد مجتمع يأخذ بالتعدُّدية. وفى هذا السياق، يُصِرُّ مُعلِّق مسلم على «أنه قد حان الوقت لكى تتولى جماعة المسلمين فى أمريكا مقاليد المسئولية الكاملة عن شئونها». كما أن علينا أن نرسى الأساس لكى يعيش الجيل الشاب ويزدهر فى هذا البلد على قَدَم المساواة السياسية والاقتصادية[٧]. ولن تتاح هذه المهمة إلا بقدر ما يعرف الأمريكيون الكثير عن الدين الإسلامى ويصلون إلى مستوى أفضل لفهمه بوصفه عاملاً حيويا فى تقديم مساهماته للساحة الدينية فى أمريكا. ومن ثم فهذا الكتاب يقصد إلى أن يكون واحدًا من السبل التى تُيَسِّر هذه المهمة.

الفصل الأول

الإسلام العقيدة والشريعة

وقت الظهيرة من يوم الجمعة، فى المسجد الصغير بالحى الفقير يلتئم ببطء عقد المتعبِّدين وهم فى معظمهم من الأمريكيين الملوَّنين. ثمة رجل تطوَّع بكنس المسجد عقب كل صلاة ليتأكد من أن السجاجيد نظيفة لكى تصافحها جباه الذين سوف يسجدون تضرُّعًا لله. يخلع كل شخص حذاءه / أو حذاءها قبل أن يدخل إلى صحن المسجد. ويضع الحذاء على رف خشبى قرب باب المدخل. السجاجيد مصنوعة فى حقيقة الأمر من أبسطة مطَّاطية رفيعة مُرَتَّبَة لكى تتيح للعابدين أن يولُّوا وجوههم نحو مكَّة ويوضِّح هذا الاتجاه لوحة معلَّقة فى مقدمة الصحن. القاعة عارية من الأثاث اللهم إلا من منصَّة (منبَر) فى أولها أما فى نهايتها فثمة عدد من الكراسى البسيطة من القماش يستخدمها الذين لا يستطيعون الجلوس فوق الأرض. ثمة عبارات بالخط العربى مُعلَّقة على الجدران وتشمل البسملة أو الفاتحة «بسم الله الرحمن الرحيم» التى تبدأ بها جميع سور القرآن اللهم إلا السورة الفاتحة(*). تتوقَّف عملية كنس المكان. العابدون الذين أتمُّوا وضوءهم فى الطابق السفلى قبل أن يدخلوا إلى مكان الصلاة يُعدُّون أنفسهم للمشاركة فى الصلاة الجامعة. ينهض رجل منهم ويتوجه نحو القِبلة ويرفع يديه خلف أذنيه ثم يرفع نبرات صوته فى الدعوة بالصلاة التى تبدأ بعبارة: حى على الصلاة حى على الفلاح... «يتقدَّم الإمام خطوات ثم تبدأ الشعائر».

بالنسبة للمسلم فالصلاة ليست مجرَّد موقف فكرى أو روحى ولا حتى مجرد شكر يرفعه بالحمد إلى مولاه بالعقل أو الوجدان. الصلاة تنطوى على استجابة جسدية كاملة لا تقتصر على مجرد الجلوس ولكن تتعدى ذلك إلى سلسلة من الركوع والسجود. ولهذا السبب فالمساجد لا تحوى كراسى ولا أرائك ويتألف كل من الصلوات الخمس اليومية من سلسلة من شعائر الركوع والسجود وكل ركعة يصحبها ما يتيسر من التلاوة والدعاء. يقف العابدون كتفًا بكتف وقدَمًا بقَدَم فى

(*) هكذا فى الأصل (المترجم).

صفوف من خلف الإمام الذى يقود الصلوات حيث الرجال فى المقدمة والنساء فى الصفوف الخلفية، أما الأطفال الصغار الذين يضمهم المكان بشكل يكاد يكون دائمًا فيبقون بطريقة أو بأخرى مع النساء وقد التزموا الهدوء، فى حين أن الأطفال الأكبر سنًا يتعلمون بذلك خطوات أداء شعيرة الصلاة. الغلمان الذين جاوزوا سن الطفولة يجلسون مع آبائهم ومعظم الرجال يرتدون أغطية للرأس صغيرة منسوجة أو مُزَيَّنَة فى حين ترتدى النساء أردية طويلة الأكمام أو سراويل مع تغطية الرأس. وهم يؤدُّون معًا السلسلة العديدة من شعائر الصلوات التى تشمل الوقوف والركوع والسجود حيث يضع المرء جبهته على أديم البساط فى استسلام كامل للعبادة وهنا يقول الإمام موضحًا «عندما تكون فى هذا الوضع من الاستضعاف الكامل فإنك تشعر ماذا يعنى أن يُسلِّم الإنسان أمره كاملاً لله سبحانه».

تشمل الشعيرة قراءة سورة الفاتحة وهى أولى سور القرآن وتكاد توازى بالنسبة للمسلم الصلاة الربانية(*) التى يؤديها المسيحى عند التعبّد ثم يقرأ الإمام آيات من القرآن باللغة العربية حتى يتاح للجمع الذى يصلى مزيد من الأُلفَة مع تلك اللغة ولأنه يوم الجمعة فالشعائر تشمل خطبة يلقيها الإمام بالإنجليزية وعادة ما يختار موضوعًا يتصل بأسلوب المعيشة للمسلمين الأتقياء فى أمريكا أو تعاليم تتصل بأهل الديانات الأخرى. ويظل الجمع جالسا على الأبسطة مُصغيًا إلى الخطبة وفى نهاية الصلاة يتلو المصلون التشهد وهى تستدعى السلام على النبى وعلى عباد الله الصالحين من حوله ومن حولها فضلاً عن التسليم لله الواحد وعند انتهاء الصلاة يقف المصلون ليحيى كل منهم الآخر، ثم تنتشر جموعهم ليعاودوا ممارسة أنشطتهم اليومية. فى الوقت نفسه وعبر المدينة، تتم الشعائر المتماثلة ولكن فى ظل ظروف مختلفة تمامًا، فهذا المسجد الذى يتألف مرتادوه أساسًا من مسلمين مهاجرين من المهنيين تم بناؤه على أساس معمار إسلامى كلاسيكى حيث تقبع فوق قمته قُبَّة فى أعلاها هلال ظاهر للعَيان مما لا يدع مجالاً للشك فى أن المرء بإزاء دار لعبادة المسلمين. أما صحن الصلاة فهو بهو واسع تغطيه سجاجيد سميكة على الأرض وتفد النساء إلى الجامع من خلال مدخل منفصل ويؤدين الصلاة فى الطابق الثانى الذى يتخذ شكل الشرفة ومنها يستطعن رؤية الإمام

(*) أبانا الذى فى السموات... «المترجم».

والرجال من خلال ستار من القضبان المعدنية. يتحرك الأطفال هنا وهناك بحريّـة ولا يشعرون بضرورة الالتزام بالهدوء بأكثر ما يستلزمه الأمر إذا ما كانوا بحضرة الرجال والإمام. ومعظم النساء يشاركن في أداء الصلوات وإن كان بعضهن يفضلن الجلوس وتبادل الأحاديث بهدوء في ركن المكان ويرتدين بدورهن ملابس محتشمة وعادة ما تكون ملابسهن على غرار السائد في الوطن - الأم.

ولكن فيما تختلف الظروف المحيطة بالمكان فإن الشعيرة التي تؤدَّى لاتتغيَّر ما بين الاغتسال للوضوء إلى الوقوف ثم الجلوس والركوع والسجود وتلاوة القرآن والأدعية. والمسلمون يعتزون أيَّما اعتزاز بحقيقة أنه برغم التباينات المعمارية وغيرها، وعلى اختلاف الأماكن التي يتوجَّه فيها الإنسان للعبادة في أنحاء العالم فإن أسُس أداء الشعيرة تظل هي نفسها بغير تغيير. بل إن مساجد الأفرو - أمريكيين وجوامع المهاجرين لا تتورع عن الترحيب بغير المسلمين الذين يمكنهم أن يشهدوا الصلوات بل ويشاركوا فيها إذا ما رغبوا في ذلك رغم أن هذا الأمر لا ينطبق على جميع المساجد أو الجماعات المسلمة سواء في الولايات المتحدة أو في غيرها. وعندما تنتهي الصلاة في مسجد مهاجرين يمكث الرجال ليحادثوا الإمام أو يتبادلون الأحاديث فيما بينهم، وتدور الأحاديث أحيانًا عن الصلاة والشعائر وإن كانت تدور غالبًا حول مشاكل الجماعة المسلمة ذاتها، أما النساء فيجمعن شمل الأطفال ويتبادلن التحية والعناق مع جاراتهن ويستعدن الأحذية ثم يغادرن المكان وهن بدورهن على استعداد لكي يتدبرن ما يحفل به اليوم من شئون وشجون.

كيف أصبحت هذه الشعائر جزءًا من نسيج الإسلام؟ وما الذي يربط بين المسلمين حول العالم من ناحية الاعتراف بأهمية شعائر الصلاة سواء شاركوا فيها بالفعل بانتظام أو لم يشاركوا، وما الذي يجعلهم يشاركون في الأركان الأخرى من العقيدة والممارسة الإسلامية؟ إن الإجابة التي يعطيها المسلمون الأمريكيون على مثل هذه التساؤلات واضحة ومباشرة ومؤداها أن المسلمين يؤمنون بما يفعلون وهم يترجمون إيمانهم في أعمالهم لأن الأسوة الحسنة هي نبيهم محمد الذي أنشأ الجماعة الأولى في مكة والمدينة طبقًا للتعاليم التي تلقاها من ربه. وقبل أن ننظر بصورة أكثر تحديدًا إلى تلك العوامل التي تتألف منها عقيدة الإسلام وشرائعه يظل من المهم أن نطرح فكرة عن مدى أهمية شخصية النبي بالنسبة للمسلمين وعن

السبب الذى يدفع كثيرًا من المسلمين الأمريكيين إلى صياغة حياتهم الخاصة لكى تصبح أقرب ما تكون قدر الإمكان من نموذج القدوة الذى وضعه نبيُّهم لكل الأجيال اللاحقة. وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴿٦﴾ وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴿٩﴾ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴿١٠﴾ (سورة النجم. الآيات ١-١٠).

بهذا الوصف الملهم لظهور الملاك جبريل لرجل يُدعى محمد (ابنٍ) عبد الله فى الجزيرة العربية منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا من عمر الزمان، يؤكد القرآن، كتاب الإسلام المقدس، أن الله ذاته اختار أن يبعث بوحيه إلى هذا الرجل ليكون خاتم الأنبياء والمرسلين.

وليس هناك ما هو أكثر إقناعًا بالنسبة لقوم تعودوا على انتظام نواميس الطبيعة من طلوع نجم الصباح: ولذلك فسورة القرآن التى تتحدث عن اللقاء الأول بين محمد وجبريل تحمل اسم «النجم» ويعتقد المسلمون أنه بقدر ما أن طلوع النجم كحادثة تتكرر يوميا أمر موثوق به تمامًا فعلى ذلك يكون التأكد من أن محمدًا نفسه الذى يتحدث عنه الوحى بوصفه «الصاحب» هو مَن تلقى الوحى الإلهى حقًا وصدقًا.

يولى المسلمون محمدًا أقصى درجات التوقير إذ يرون فيه نبراس الهداية الروحية ونموذج القيادة الحكيمة وقدوة البشر فى مكارم الأخلاق سواء بالنسبة لعلاقتهم ببعضهم ببعض أو بالنسبة لعلاقتهم مع خالقهم سبحانه. والمسلمون الأمريكيون كثيرًا ما يحرصون بالذات على أن يردِّدوا عبارة «عليه أفضل الصلاة والسلام» عندما يتطرقون إلى اسم نبيهم. «إن التوازن المرهَف والدقيق بين عظمة نبوَّة محمد وقربه من الله سبحانه وبين مواهبه الرسالية والمهام العظمى التى اضطلع بها وأنجزها للعالم إلى جانب دِفء وحيوية معيشته بين أسرته، كل هذا يكمن فى جوهر النظرة إلى حياة المسلم، فإذا ما كان ذلك مفهومًا يصبح الإسلام نفسه مفهومًا» هكذا يكتب أمريكى تحوَّل إلى الإسلام وجعل غايته أن يحيط الذين لا يعرفون عن الإسلام سوى النذر اليسير بمدى أهمية النبى محمد للمسلمين[1].

مع ذلك فقد جاءت مراحل لاحقة من التاريخ لكي تردّد الشكوك التي عَرَضت لها ضمنًا تلك الآيات من القرآن الكريم بشأن المهام الثلاث التي اضطلّع بها محمد. فعلى مدار قرون وجَّهوا إليه الاتهام، وخاصة من جانب المسيحيين، بأنه ضلّ وغوى أو أن ضلَّلته (خدعته) قوى الشيطان أو أنه استَسلَم لرغباته سعيًا من أجل السلطة لدرجة أن اصطنع دينًا زائفًا وشيطانيا خدع به قومه. بل هناك من أشار إلى أن محمدًا لا بد وأنه كان يعاني من مرض الصرع مستشهدًا بأنه كان يقع تمامًا تحت سيطرة آيات الوحي الأولى التي كان يتلقاهن من لدن الله عن طريق الملاك جبريل. وما زال المسلمون في أمريكا حتى اليوم يجدون أن هذه الاتهامات هي التي تميِّز آراء معظم غير المسلمين بشأن نبي الإسلام. هل كان يقصد الخير ولكنه ضلّ وغوى؟ وبصورة أقل تعاطفاً: هل كان واقعًا بصورة أو بأخرى في براثن قوة شريرة أفضت به إلى تلك المزاعم الخاطئة؟ والأسوأ هو التساؤل عمَّا إذا كان مجرد باحث عن مجد شخصي فكان أن اصطنع الوحي الإلهي لكي يضمن لنفسه الطامعة موقع قيادة سياسية؟

وفيما لا يزال معظم الأمريكيين يستنكرون مثل هذه التقييمات السلبية لمحمد التي ميَّزت معظم أحكام الغرب على مدى قرون، فما زال الأمر يشهد نماذج صارخة من هذا القبيل. وقد حدث في يونيه ١٩٩٨ أن قررت خدمة AT&T World net، وهي أكبر شركة لتقديم خدمة شبكة الإنترنت المباشرة في الولايات المتحدة إلغاء موقع إلكتروني على الشبكة أشار إلى محمد بوصفه شخصًا منافقًا شريرًا ولم يكن بحالٍ من الأحوال رسولا من عند الله[٢]. وغير المسلمين الذين لا يريحهم النظر إلى محمد على أنه كان على ضلال أو أنه كان انتهازيا أو ببساطة مخطئًا فيما ذهب إليه، قد يسمحون، مع قدر من التردُّد، لمحمد بأن يحظى بمكانة نبي الله برغم أنه ينقصهم بعامة الفهم الإسلامي الأصيل بأن رسالته التي أوحيت إليه هي الرسالة الأخيرة والخاتمة، أو برغم عدم الموافقة على أن الرسالة التي تلقاها محمد يمكن بأي طريقة أن تتعارض مع صحة ما جاء في الإنجيل. على أن المسلمين يسوءهم وأحيانًا يُحيِّرهم أن غير المسلمين الأمريكيين ما زال ينقصهم الكثير من الفهم ولا يقدِّرون الأمر حق قدره بالنسبة إلى السجايا البشرية العليا التي تجسَّدت في مؤسس الإسلام. ومع ذلك فما زال المسلمون الأمريكيون

ينظرون إليه بوصفه البشر الذى تَلَقّى كلمات ربه الأخيرة والخاتمة فضلاً عن كونه الأسوة الحسنة فى مسالك حياتهم العامة وسلوكياتهم الخاصة، كما يرجع إليه الفضل فى إرساء دعائم وأركان الإسلام - العقيدة والشريعة على نحو ما أصبح يشكل حياة المؤمنين بهذا الدين.

عناصر عقيدة وشريعة الإسلام

تطورت عناصر الإيمان والسلوك التى تشكّل الآن حياة المسلم الأمريكى الورِع من واقع تجارب النبى محمد (يجرى تفصيلها فى الفصل ٢) كما استُقيت من التعاليم الأساسية للقرآن. ويفهم المسلمون أن ثمة واجبات خمسة لابد للمؤمنين أن يضطلعوا بها ويشار إليها عادة بأنها «أركان الإسلام الخمسة» بمعنى أن ثمة بنودًا خمسةً للإيمان تشكّل فى مجموعها عقيدة المسلم الثابتة من حيث الإيمان بالله وبمسئولية الإنسان. ويناضل الكثيرون من أجل الامتثال لجميع هذه الأركان بأقصى قدر ممكن من الإيمان العميق على أن يُصَدِّق ذلك العمل فى حياتهم اليومية، فى حين أن هناك منهم من يمارس حرية الانتقاء أو الاختيار بل والتعديل إذا ما شعروا أن هناك من هذه الأركان ما لا يتناسَب مع الحياة فى أمريكا.

عناصر الإيمان الخمسة

يتعلَّم الطفل المسلم من بدايات العمر من والديه ومن المسجد والمدرسة أن الإسلام بنى على خمس قواعد مُحَدَّدة هى:

١. الإيمان بالله: وهو أمر مُتَضَمَّن فى الفهم الإسلامى للرب حيث تُعَبِّر عن ذلك فكرة الاختلاف غير المحدود بين ما هو إلهى وما هو بشرى. فمجرد التسليم بالله سبحانه يُعَبَّر عنه بمصطلَح التوحيد بمعنى وحدانية الله واعتراف البشر بهذه الوحدانية وهم يفترضون بذلك أن الله لا يشبهه شيء وأن على البشر ألاَّ يشهدوا فقط بهذه الوحدانية ولكن عليهم أن يُعَبِّروا عن هذا الإيمان فى كل أطوار حياتهم وأفعالهم. وبما أن الله وحده هو خالق الكون فإن المسلم يعترف بهذه الوحدانية من خلال حياة يعيشها فى إطار من التكامل والنزاهة ومكارم السلوك والمسئولية الأخلاقية. وفى ضوء

الفهم الإسلامى فإن أكبر الكبائر التى يُقدِم عليها البشر هى الشرك بوحدانية الله سواء بالكلمة أو الفعل باعتبار أن خطيئة الشرك تجعل مع الله إلهًا آخر أو شريكًا. ولكن بعض المتصوفة المسلمين لا بد وأنهم فى مراحل تاريخية قاربوا، فى عيون جماعة المؤمنين، حواف الكفر المهلكة عندما كانوا يؤكدون تجاربهم الصوفية فى التوحُّد مع الله سبحانه.

والإسلام هو الديانة الكبرى الوحيدة التى يوحى اسمها فى حد ذاته بثنائية جوهر العقيدة: فعلى المحور الأول يشير الإسلام إلى استجابة الفرد البشرى إزاء وحدانية الله. أما المحور الآخر فهو يعنى إجماع كل البشر الذين يشكِّلون جماعة المؤمنين بالدين على التسليم بوجود الله والإيمان به والاستجابة الدينية لهؤلاء البشر جميعًا ممن أكَّدوا أن وحدة الله يمكن فهمها على أنها «إسلام» شخصى. ولم يحدث إلا مع البداية الرسمية لوجود الجماعة بعد الهجرة إلى المدينة أن ساد أو نشأ اعتراف محدَّد بأن المسلمين يشكِّلون معًا جماعةً أو وحدةً أو أمةً برغم أن مصطلَح إسلام ذاته لم يكن قد شاع استخدامه بهذا المعنى إلا فى مراحل لاحقة. والكفاح من أجل تحديد ماهية «الأمة» على صعيد المجتمع الغربى وتحديد ما إذا كان ثمة جماعة مسلمة أمريكية مجال ما زال مسلمو أمريكا يخوضون غمراته على نحو ما سوف تبيِّنه الفصول اللاحقة.

٢. الإيمان بالملائكة: فى الغرب، وفى نهاية القرن العشرين، كان الملائكة موضع تصوُّرات شتى. وهذا الانتشار للتصوُّرات يبدو وكأنه يشهد انبعاثًا واسع النطاق باعتبار أن الصور التى ترسم الملائكة ما زالت تُزَيِّن أغلفة المجلات الشعبية. وقد يجد المسلمون فى هذا أمرًا مُسلِّيًا باعتبار أن وجود الملائكة والأدوار الفعَّالة التى يقومون بها فى حياة البشر ما برح جزءًا من وعيهم الدينى منذ أيام التواصل الأولى بين محمد وربه عن طريق الملاك جبريل الذى لا يمثِّل سوى أحد الملائكة فيما أن إسرافيل هو أكثرهم درامية لأنه ينفخ فى الصُور فى نهاية الزمان إيذانًا بحلول يوم الحشر أو يوم القيامة.

٣. الإيمان برسل الله: يفهم المسلمون أن الله أنزل الوحى من خلال سلسلة من عمليات التواصل إلى البشر بطُرق شتى وعن طريق أفراد مختلفين. والذين تلقوا هذه الرسائل يشار إليهم إما على أنهم الأنبياء أو المرسَلون. والتمييز بين النبى والرسول يتمثل فى أن كلمة الأول تقصد مجتمعات بعينها من الناس بينما تتسم رسالة الثانى بأهمية عالمية ومن ثم فجميع الرُسُل أنبياء رغم أن العكس ليس صحيحًا. ويحفل القرآن بإشارات إلى الذين يُعترَف بهم كأنبياء وكثير منهم يعترف بهم اليهود والمسيحيون بحكم الأدوار التى اضطلعوا بها فى تاريخ العهد القديم. لكن عددًا محدودًا من الأنبياء هم أيضًا مرسلون بمن فيهم إبراهيم وموسى وعيسى قبل أن يأتى محمد خاتمًا للأنبياء والمرسلين. وفى المراحل المتأخرة من الزمن فإن العلاقات بين المسلمين والمسيحيين واليهود فى أمريكا كانت تنشأ تحت شعار «الديانات الإبراهيمية» بما يشير إلى أن العقائد الثلاث وقد نشأت عن أسلاف مُشتَركين يمكن أن تشكِّل أساسًا مثمرًا أكثر بالنسبة للحوار الذى يدور بين الأديان أكثر من مجرد إعادة سرد الخلافات الثيولوجية. ويُنظَر إلى عيسى المسيح بوصفه أعظم الأنبياء والمرسلين فى الإسلام قبل بعثة محمد برغم أنه ليس ابنًا لله ولا يتسم بأى صفة إلهية. ومع نزول الوحى على محمد، يُقال إن الله أكمَل بذلك عملية الوحى ومن ثم يشار إلى محمد على أنه خاتم الأنبياء وهذا مذهب ذو أهمية كبرى فى الإسلام ومن ثم فإن من يدعى النبوة لنفسه أو لغيره يُعَد دَعِيًّا أو كذابًا.

٤. الإيمان بالكتُب المقدسة: يوضِّح القرآن بصورة صريحة أن الله أنزل كتُبًا بمعنى الوحى الكامل إلى اليهود والنصارى قبل بعثة محمد. وقد احتوت الرسالة فى تلك الكتُب المقدسة ما جاء أساسا فى القرآن. ومن أسف أن الجماعات اليهودية والمسيحية بدّلت أو حرَّفت رسالات الله إما عن قصد أو عن غير قصد مما أفضى إلى ضرورة نزول الوحى مرة أخرى وأخيرة. ومن ثم فالقرآن هو الوحى النهائى ومع ذلك فإن للنصارى واليهود مكانة خاصة فى المجتمع الإسلامى لأن الله اختارهم لكى يرسل إليهم كتبه ولا يفتأ القرآن يشير إلى اليهود والنصارى على أنهم أهل

الكتاب. وأحيانًا يطرح المسلمون الأمريكيون هذه السمة المشتركة لتشكل أساسًا لتأكيد وجود الولايات المتحدة بوصفها بلدًا مسيحيا ويهوديا ومسلمًا. وكثيرًا ما يُشار إلى القرآن ذاته على أنه ببساطة «الكتاب» وهذا مصطلح يتصل بأيام الوحى الأولى ويومئ إلى مكانة القرآن بوصفه آخر كلمة من لدن الله إلى البشر.

٥. الإيمان بيوم البعث أو القيامة: يمثل الوحى الأساسى الذى نزل على النبى محمد رسالة مزدوجة عن وحدة الله وكذلك عن يوم يقف فيه البشر إزاء تقييم نهائى لما أتوه من أعمال. وفى الإسلام، وبما أن فكرة التوحيد ترتبط بوحدانية الله ومسئولية البشر، يؤمن المسلمون بأن الله سيجمع الناس كافة فى نهاية الزمن لكى يُسأل كلٌ عمَّا فعل بحياته. وبما أن القرآن يوضِّح باستمرار أن تلك ستكون مناسبة رهيبة حيث ينفخ الملاك إسرافيل فى الصُور وحيث تتوالى أحداث جسام عجيبة وتُبعث الأجداث جميعًا من مرقدها حيث تحل فيها الروح انتظارًا للحساب ويؤتى كلٍ امرئ كتاب أعماله، فإذا تناول الكتاب بيمينه فمعنى ذلك أن يكافأ بجنات الفردوس فى جوار الله سبحانه، وإذا ما تلقى الكتاب بشماله فإن على هذا الخاطئ التاعس أن ينتظر أن يُنزِل به مخلدًا عذاب الجحيم. ويؤكد يوم الحساب أهمية أن يعيش المرء عيشة إسلامية وكثيرًا ما يناقش المسلمون الأمريكيون قضايا السلوك واللباس وغيرها من القضايا فى سياق التقييم النهائى من جانب الله لأعمال البشر.

وهذه البنود الخمسة للإيمان تنشأ على أساس رسالة القرآن وهى لا تقبل نقضًا ولا إبرامًا بالنسبة للمسلمين وإن كان الأمر عرضة للتفسير أو التفصيل فى الأدبيات المطروحة بين صفوف الجماعة الإسلامية فى أمريكا. وطبقًا لقدرة الطفل على استيعابها تظل تشكل جزءًا من مناهج التعليم الدينى التى يتسع نطاق الأخذ بها فى المساجد والمراكز الإسلامية فى طول أمريكا وعرضها.

الأركان الخمسة

يتعلم شباب المسلمين، حتى قبل أن يعرفوا شيئًا عن عناصر الإيمان، أسس

الحياة الطيبة المسئولة طبقًا للفهم الإسلامى. وهذه الأسس تجد تعبيرًا عنها فى الأركان الخمسة التى تشكل بدورها جوهر التقوى لدى الفرد المسلم. والمسلمون الذين ينشطون فى الدعوة إلى الإسلام فى أمريكا يفهمون أن من أشد الجوانب جاذبية فى ديانتهم بساطة ووضوح المسئوليات التى تشكل إطار حياة المسلم:

١- شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله: هذا التأكيد المزدوج يُسمى الشهادة ويتصدَّر مباشرة عناصر الإيمان. وفيما يتوجَّب على كل مسلم أن يؤمن بالدعائم الخمس ويمارس المسئوليات الخمس فإن الشهادة هى الأساس ويمكن لأى امرئ أن يحيد عن أى من الأركان أو الدعائم ثم يظل مسلمًا وإن كان من المطلوب تشجيعه بقوة على الالتزام بها. ولكن عدم الإيمان والتأكيد على وحدانية الله ورسالة محمد يعنى أن المرء أصبح خارج جماعة المسلمين. والذين يرغبون فى الانتساب إلى الإسلام فى أمريكا أو فى أى مكان آخر لا يحتاجون سوى نُطق الشهادة ثلاث مرات فى ظل ظروف رسمية علنية لكى يصبحوا مسلمين من الناحيتين العملية والقانونية. وكثير من المبانى فى الولايات المتحدة وكندا تم تحويلها لكى تصلح مساجد فى حين أن من دلائل وضعيتها الجديدة وجود لوحة بالخط العربى تؤكد الشهادتين تعلق على الجدران أو تحملها لافتة تزين صدر المكان.

٢- إقامة الصلاة: الصلوات جزء من الشعائر التى بشَّر بها النبى أعضاء جماعته منذ البداية. «إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴿١٠٣﴾» (سورة النساء الآية ١٠٣) «وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ» (سورة هود الآية ١١٤). وكان محمد قد أمر المؤمنين فى بداية الأمر أن يولوا وجوههم قِبَل بيت المقدس عند الصلاة ولكن فى مرحلة ما بعد الهجرة أمرهم بأن يتجهوا نحو مكة وجميع المساجد تضم ما يسمى بالقبلة أو المؤشر الذى يبيِّن الاتجاه الدقيق لكى يولى المُصلِّى وجهه عندما يؤدى الصلاة. وفى أمريكا، كما فى البلاد الأخرى غير الإسلامية، إذا لم يكن المبنى مهيًا بالذات ليصلح مسجداً، فإن اتجاه الصلاة لن يتواءم على الأرجح مع «واجهة» المبنى. ويمكن للمسافرين استخدام أجهزة

ميكانيكية صغيرة لمساعدتهم على أن يولُّوا وجوههم شَطْر مكَّة وكثير من الفنادق فى المدن الإسلامية تهيئ مؤشرات على الصلاة فى الغُرَف.

وليست الصلاة بالأمر العابر بالنسبة للمسلم بل إنها تكتسب طابعًا نظاميا وانضباطيا، فالله سبحانه فرضها على محمد على أساس خمس صلوات مفروضة يوميًا يؤديها كل مؤمن برغم أن القرآن ذاته لا يحدِّد هذا المطلب. أما المواقيت الدقيقة من اليوم لأداء الصلوات فهى واردة فى الحديث النبوى وتم تقنينها فى متن الشريعة. وعلى وجه التحديد فهى صلاة الفجر قبل طلوع الشمس وصلاة الظهر بعد أن تتوسط الشمس كبد السماء وصلاة العصر فى الجزء الأخير من النهار ثم صلاة المغرب فور غروب الشمس وصلاة العشاء فى وقت ما بين الغروب وإلى هزيع الليل الأخير. فإذا ما كان الإنسان مريضًا أو على سفر يستطيع الجمع بين صلاتى الظهر والعصر أو بين صلاتى المغرب والعشاء وهذا أمر مقبول. وعلى نحو ما سوف نرى فى الفصل السادس يختلف رأى المسلمين بشأن ما يتعيَّن على المرء أن يقوم به فى مكان العمل حيث لا يتسنى أداء الصلاة فى أوقاتها. وبعض المسلمين يجدون أن الصلوات صعبة الأداء فى موقع العمل ومن ثم يمكنهم الجمع بين صلاتى الظهر والعصر. أما الطلاب فى المدارس الثانوية فكانوا يطالبون أحياناً، ثم أصبحوا الآن يطالبون كثيرًا بحقهم فى أداء الصلوات. وفى هذا تتذكر سيدة فلسطينية قائلة: ابنة عمى وأنا كنا الطالبتين المسلمتين الوحيدتين فى المدرسة ولم تكن المدرّسة راغبة فى أن تمنحنا إذنًا بمغادرة الصف من أجل الصلاة وأخبرت معلمتى بأنها لو لم تسمح لى بالصلاة فلسوف أغادر الصف وأصلِّى أيًّا كانت النتيجة وأخيرًا رضخوا وسمحوا لنا بالذهاب[٣]. وهناك من الطلاب المسلمين من يشاركون أقرانهم المسيحيين الذين يريدون الصلاة فى المدارس الحكومية وهم يلتفون من حول القانون من خلال تنظيم نوادٍ للصلوات بعد ساعات الدراسة.

وقلَّما فات على زائرى العالم الإسلامى على مدى قرون أن يلاحظوا، فى سخط أو فى ارتياح، الدعوة للصلاة (الأذان) التى يتم من خلالها تذكير المؤمنين بأن يقطعوا روتين حياتهم اليومية ويثوبوا إلى الله. وشعيرة الصلاة مهمة فى الإسلام لدرجة أنه يُقال إن دعوة المؤذن لها قيمة خاصة فى كثير من أحاديث النبى. وعلى مدى قرون، كانت دعوة الصلاة تُرفع وتُعلن من فوق مئذنة أو برج

للمسجد. وفيما تتوازى دعوة الأذان من بعض النواحى مع شعائر فى أعراف أخرى ومن ذلك مثلاً الشوفار (قرن الحَمَل) فى اليهودية أو قرع الأجراس فى المسيحية فإنها فريدة فى بابها من حيث اعتمادها على الصوت البشرى. ويتلقى المؤذن تدريبًا دقيقًا من حيث سلامة الأداء والترنيم الصوتى كما أن حرفته هذه يُنظَر إليها على أنها من أفضل الفنون فى الإسلام. وفى الوقت المحدَّد فإنه (دائمًا الرجل هو الذى يؤدّى هذه المهمة) يصعد إلى موقعه فى المئذنة أو يرتقى بقعة ملائمة أخرى ويولّى وجهه شَطْر مكّة ثم يبدأ فى رفع الأذان. وفى الأزمنة الحديثة، وخاصة بالمدن الإسلامية الكبرى، أدَّت الجلبة المتصاعدة بحركة المرور ونشاط الصناعة إلى ضرورة أن يحل محل الصوت الإنسانى الحى تسجيل يُذاع عبر مكبِّر للصوت. ومن المدن الأمريكية ما شهد جدلاً واسع النطاق بشأن ما إذا كان الأذان يمكن السماح به وتكون نتيجته «إقلاق راحة» سكان الجيرة الآخرين حيث يقع المسجد. وقد عالجت المجتمعات المختلفة هذه المشكلة بطُرق شتى فى مقدمتها أن المساجد الأمريكية ترفع دعوة الصلاة داخل صحن المسجد بدلاً من خارجه بحيث لا تكون تذكيرًا للمؤمنين بمواعيد الصلاة بل بالأحرى تكون بداية لأداء الشعيرة ذاتها. وأحيانًا يكون الأذان نفسه نوعًا من الدعاء ومن ثم يهمسون به فى أذنى المولود بدءًا من اليمنى ثم اليُسرى أما الشيعة فأحيانًا يضيفون إلى دعوة الصلاة عبارة احترام خاص للإمام على (ابن أبى طالب).

ولا يمكن أداء الصلاة بغير استعداد دقيق من جانب المتعبدين بمعنى أن يدخلوا فى حالة من النقاء الدينى بما فى ذلك طهارة الجسد ونقاء السريرة والفؤاد. فشعيرة الاغتسال (الوضوء) يتم أداؤها خارج الجامع أو داخله وتشمل صبَّ المياه على الرأس والأذنين والساعدين والرقبة والقدمين. والمبانى الأمريكية التى تم تعديلها لتصلح مساجد تعيَّن عليها تخصيص مرافق معيَّنة محدَّدة لهذا الغرض وعادةً ما تشمل مغاسل منفصلة للرجال والنساء. وخلال أداء الصلاة لا بد أن يُغطى الرجل جسمه من وسطه حتى ركبتيه على الأقل أما المرأة فلا تكتشف سوى وجهها ويديها حسب معظم التعاليم. وبعد الاغتسال تكون النيَّة التى تشكل لحظة الانتقال من النشاط اليومى العادى إلى حيث الاندماج فى الحالة الخاصة لأداء شعيرة الصلاة.

والصلاة يمكن أن تتم فى الجامع أو فى البيت أو فى أى مكان نظيف وملائم. أما صلاة الجماعة فتقام يوم الجمعة ويشهدها الرجال والنساء فى بعض الأحيان (الفصل الخامس سوف يتطرّق إلى موضوع مشاركة المرأة فى الصلاة) وهذه الشعيرة الجامعة يمكن فى أمريكا (أيضًا) أداؤها يوم الأحد بسبب الصعوبة التى يلقاها بعض العابدين فى ترك أعمالهم أيام الجُمَع(*). كما أن المسلمين يمارسون شكلاً خاصا وشخصيا وغير مُقَنّن من الصلوات يسمى النوافل وفيه يتّجه العابد إلى ربه حمدًا وضراعة.

٣- إيتاء الزكاة: فى عدد من المواقع يحث القرآن المؤمنين بالذات على أداء الزكاة «إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ» (سورة فاطر الآية ٢٩) ومنذ أيام الإسلام الأولى علّمَهم النبى أن الذين يدعون أنفسهم مسلمين عليهم مسئولية أن يرعوا من هم أقل منهم حظا. والقرآن يحدّد بخاصة الفقراء والأرامل واليتامى بوصفهم الفئات التى تحتاج إلى الاهتمام كما أن مسئولية إعطاء جزء من ممتلكات الفرد الشخصية على أساس منتَظِم أدّى إلى خدمة أغراض شتى فى بناء الأمة الإسلامية وإن كان من الطبيعى أن بعض هذه الأغراض لم تحقّق هدفها المنشود على طول الخط أو بصورة كاملة. ومع ذلك فمن الناحية النظرية فإن الزكاة تقدّم العون والدعم للمساكين المحتاجين وتكفل توزيعًا أكثر إنصافًا للثروة كما أن الزكاة تدعم صون كيان الدولة الإسلامية فى مجموعها. (وتلك وظيفة كان لها أهميتها الخاصة فى الأيام الأولى للمجتمع الذى شاده محمد) فضلاً عن كونها وسيلة لشكر الله على النعماء التى أفاءها على الناس. وتوحى كلمة زكاة نفسها بمعنى التزكية والتطهير مؤكدة فى ذلك على العلاقة بين مسئولية المال وبين تقوى الله. وشأن جميع المتطلبات الإسلامية فإن أداء الزكاة يعين على أن يتاح لدافعى الزكاة فرصة أفضل لنيل الجزاء الأوفى فى الآخرة.

(*) تأمل! (المترجم).

من الناحية الفنية فالزكاة هى ضريبة بنسبة ٢,٥ فى المائة مما يُقَدَّر بأنه القيمة الإجمالية لجميع ما يمتلكه الإنسان، وبمعنى أنها ليست ضريبة دخل بهذا المعنى بل إنها تأخذ فى اعتبارها مجموع ما يحوزه الفرد. وفى القرون الأولى كانت السلطات المركزية تحتفظ بالأموال التى جُمِعَت من خلال الزكاة ثم توزّعها من أجل إدارة الدولة. على أن حصائل الزكاة لم يكن استخدامها ليقتصر على أغراض البر والإحسان وحدها ولكن كانت تُوَجَّه إلى التعليم وافتداء الأسْرى وغير ذلك من الأغراض التى تُعَدّ مهمة لخير الجماعة. أما غير المسلمين واليهود والنصارى على وجه التحديد ممن تبسط عليهم حماية "أهل الذمة" باعتبارهم من أهل الكتاب فكان يتعيَّن عليهم دفع جزية بدلاً من الزكاة. وتُعَدّ إدارة أمر الزكاة أصعب حاليًا من ذى قبل وخاصة لأن كثيرًا من البلدان التى يقيم فيها المسلمون تُطَبِّق ضريبة دخل إجبارية. وفى معظم الأحيان فإن العطاء لأغراض البر والإحسان أصبح اليوم طوعيا برغم أن المسلمين يُحَثّون بقوة على التعامل مع العطاء المنظَّم لصالح قضايا لها قيمتها بوصفه جانبًا من مسئولياتهم الدينية بل وتعبيرًا عن تقواهم واستقامتهم. وتُصِرُّ قلة من الأقطار الإسلامية على حق الحكومة فى جباية الزكاة من مواطنيها. وفى معظم العالم الإسلامى تتولى الحكومة إدارة المساجد ودعمها ماليا، ولكن يختلف الأمر بطبيعة الحال فى أمريكا. كما أن جماعة مسلمى أمريكا أدارت مناقشات شتى بشأن كيفية فهم واستخدام الزكاة من أجل بناء المساجد وصيانتها.

ويتزايد الفهم حاليًا على أساس اعتبار الزكاة وسيلة من وسائل تقديم خدمة من نوع ما لأعضاء الجماعة المسلمة وهذه الخدمة يمكن تقديمها سواء عن طريق المنظمات والمراكز الإسلامية أو من خلال جماعات خاصة محدودة العدد بل وأحيانًا من خلال الأفراد. وها هى طالبة فى الصف الأخير من المدرسة الثانوية تتكلم عن العمل الذي تقوم به هى وصديقاتها فى المستشفيات والمطاعم الشعبية المجانية ودور المسنين المتقاعدين فتقول «إن جماعتنا الشبابية تزور هذه الأماكن وتساعد الناس هناك وكثير منهم يشعرون بوحدة قاسية وكم يسعدهم كثيرًا أن يجدوا من يجاذبهم أطراف الحديث وبما أن كثيرًا منهم لم يلتقوا بمسلمين قَطّ فنحن نحدثهم عن ديننا ونحيطهم علمًا بما نؤمن به ولماذا نرتدى ما نرتديه وهذا أمر يشعرنا نحن بأننا أحسنًا صنعا»[٤].

٤- صوم رمضان: فيما يضم القرآن عددًا من الإشارات بعضها مباشر وبعضها غير مباشر إلى الأركان الأربعة للديانة فإنه في موضع معيّن يحض المؤمنين تحديدًا على صوم شهر رمضان حيث يقول «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ» (سورة البقرة). وتعني هذه الآيات على وجه التحديد أن كل فرد يصل إلى سن مناسب (عادة ما يكون سن الحُلُم) ولا يكون طاعنًا في السن أو مريضًا يُتَوَقَّع منه الامتناع عن الطعام والشراب والتدخين والجماع خلال نهار الشهر. وينبثق عن ذلك أن يُتَوقع من المسلمين اتباع أكثر قواعد السلوك الأخلاقي صرامة خلال هذا الوقت بأن يتوخوا أكبر قدر من الأمانة والتفكّر والإحساس باحتياجات الآخرين وألا يمتنعوا فقط عن الطعام والشراب ولكن حتى عن الرَفث في القول والكذب على الآخرين وثمة قول يتردد كثيرًا في هذه المناسبات حديث مأثور عن النبي محمد يقول فيه «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»(٥).

وشأن كثير من الواجبات المطلوبة من المسلم فإن الصوم ينطوي على بُعدين: بدني وروحاني. وكما أن الصلاة وشعيرة الحج تشمل الجسد والعقل والوجدان، فإن الصوم والإفطار يمسّان ملكات المرء في شمولها فالصوم في كل يوم من بدء ظهور الخط الأبيض وإلى أن تغرب الشمس يتطلب انضباطًا عقليا وانفعاليا وجسميا شديد التركيز. وعملية تناول الطعام في نهاية اليوم عندما يتنسّم المرء ويتذوق أول ما تمتد إليه يداه من أنواع الفاكهة وصنوف الحلوى تبعث في القلب شعور الامتنان كما تنبّه الحواس إلى أن تنعم بالطعام. وفي ضوء الفهم الإسلامي فإن الله خلق الكون بميزان مقدور (الميزان كلمة تستخدَم أيضًا لتقدير أفعال المرء يوم القيامة) وعليه فإن كلا من المسئوليات الخمس التي يتحملها المسلم توازن وتدعم بعضها بعضًا وجميع العناصر التأسيسية التي يتشكّل منها الفرد البشري تعمل جميعًا وفق ميزان مقدور وانسجام مرسوم.

سُئلت أمّ مسلمة تعيش في شيكاغو عن وقت الصيام فقالت: عندما نشأت في

باكستان لم نكن نتصور رمضان شهرًا لليقظة الروحية فقط، بل كان أقرب إلى احتفال ثقافى. ومن الأمور الطيّبة أن شبابنا هنا أصبحوا يتحدّون الأعراف القديمة وينظرون إلى رمضان من منظور جديد تمامًا. وتقول شابة مسلمة من واشنطن العاصمة: رمضان ينبغى أن يكون وقتًا لا للتركيز على التزاماتنا أو حتى احتياجاتنا الروحية فحسب، بل علينا أن نستخدمه كفرصة لطرح الإسلام على الآخرين ولتنظيم حملات خاصة لتقديم الطعام للمشرّدين والمساكين. وتقول أيضًا مسلمة شابه من جنوبى كاليفورنيا: كم أتوق إلى حلول الشهر وأن أكون فى المسجد كل يوم أُصغى إلى رسالة الله حيث أُعيد اكتشاف نفسى فى هذا الشهر وأعتقد أن كل جانب من جوانب شخصيتى ينمو كل سنة، تلك تعليقات توضّح بعض السُبُل التى يعيش وفقها المسلمون شهر رمضان ضمن السياق الأمريكى.

ولم يحدث سوى فى الآونة الأخيرة أن باتت الميديا الإعلامية الأمريكية تدرك أن كثيرًا من المسلمين فى هذا البلد يسدون شيئًا له قيمة خلال شهر من شهور السنة. وجاء ذلك على سبيل تغيير جديد يتم من خلاله التحوُّل فى تركيز الصحافة على ما كان يُسمى باسم «التطرُّف الإسلامي» إلى حيث تتم تغطية أعمق وربما أكثر احترامًا لهذا الموسم المهم من حياة المسلمين فى أمريكا الذين يقومون من جانبهم بتكريس مزيد من الاهتمام فى الدوريات والصحف التى يصدرونها والمواقع الإلكترونية التى يقومون على أمرها من أجل أن يتشاركوا فى تقدير أهمية هذا الحدث الذى يطول شهرًا بأكمله وبالذات سماع استجابات شباب الجالية الإسلامية إزاء تجربة المشاركة فى رمضان(*).

إن ضبط النفس الذى يمثله صوم رمضان بكل دقته وشروطه أمر يزداد صعوبة عندما يتعيَّن على المرء أن يتحمل أعباءه فى بقعة من العالم ما زالت تفتقر إلى المرافق والتسهيلات التى تكفل دعم هذا الحدث أو فهم مقاصده على الوجه الصحيح من جانب معظم غير المسلمين. وهناك من مسلمى الولايات المتحدة من لا يشاركون كاملاً بل منهم من لا يشاركون على الإطلاق فى هذه الممارسة الصارمة بالرغم أن كثيرًا من الذين يختارون عدم الصوم يعربون عن الرغبة فى

(*)علينا أن نعترف فى ضوء عواقب سبتمبر ٢٠٠١ أن دوائر شتى من تلك الميديا الأمريكية عادت إلى عزف متكرر بشكل تحريضى لنغمة «التطرف.. بل الإرهاب.. الإسلامي» (المترجم).

الانضباط والالتزام أو دعم الانضباط والالتزام لكى يصبحوا قادرين على أداء الشعيرة، أما الذين يصومون فيؤمنون بوضوح بأن الأجر يأتى على قدر المشقة ويزيد. ويُصِر صبى مسلم فى طور المراهقة بدأ مؤخرًا فى الصوم الكامل على أن يقول «فجأة تغيَّرت كل عاداتى فى النوم والعمل. أصبحت أنام مبكرًا وأستيقظ مبكرًا وثمة حافز دفعنى إلى قراءة القرآن والتفكر فى معانيه وهاأنذا فى حقيقة الأمر أتطلع إلى إفطار كل يوم لا لأننى أشعر بجوع رغم أن ثمة جوعًا أحس به بطبيعة الحال ولكن لأن هذا هو الوقت الوحيد من السنة التى أصبحت متأكدًا فيه أن العائلة بأكملها سوف تلتف حول المائدة لتقاسم أنواع الطعام». وتقول فتاة شابة «أنا أصوم وكم تعودت أن أتوقف عن تناول بعض الوجبات أو تناول طعام بين الوجبات وكنت أُدخن أو أحتسى شرابًا من الكوكا أو شيئًا آخر ولكن منذ أن بدأت أتردد على المسجد ساورنى الاعتقاد بأن الصوم يعنى فى حقيقة الأمر التزامًا نحو الله وها هو رمضان لم يعد مجرد شهر من الشهور بالنسبة لى بل أصبح وقتًا خاصًا للتعوُّد على ضبط النفس»(٦).

وجرى العرف على أن يبدأ يوم الصوم بعد أن يتبيَّن الخط الأبيض من الخط الأسود عند طلوع الصبح ثم ينتهى عندما لا يصبح هذا التمييز متاحًا فى نهاية اليوم. وأشهر التقويم القمرى أقصر قليلاً من التقويم الشمسى وهى تدور فى واقع الأمر حول التقويم العربى، وعليه قد يحل رمضان فى أى وقت من السنة "ويمتد" بضعة أيام إلى الأمام كل سنة. والصوم فى الشتاء أقل مشقة فى العادة لأن النهار أقصر والحرارة أخف بينما يمكن للصوم خلال الصيف أن يتسم بقدرٍ خاص من المشقة. وفي هذا يُعلِّق طالب عربى اعتاد العيش فى منطقة شمال غربى المحيط الهادئ قائلاً «تعودت على العمل فى ساحات قطع الأخشاب كل يوم وهذا أمر يتطلب قدرًا كبيرًا من الطاقة وخاصة فى الصيف حيث يطول النهار وحيث الحرارة شديدة فضلاً عن الامتناع عن شرب أى مياه. إن رئيسى فى العمل فهم المسألة بصورة ما وإن لم تكن كافية لكى يمنحنى أى وقت للراحة على نحو ما كان سيتاح لى لو كنت فى البيت»(٧). وقد أشارت جمهرة المفكرين والمفسرين المسلمين الذين طرحوا أفكارهم وكتاباتهم ومؤلفاتهم بشأن صيام رمضان على مدى قرون إلى أن الصوم يحقق عددًا من المنافع المؤكدة، كما أنه فى ضوء اعتبار

خيرًا من الناحية البدنية والروحية، يحمل فى طياته تقديرًا أعمق لأنعُم الله التى عادةً ما تؤخذ مأخذ التسليم، كما يكفل أن يتأمل المرء ما يعنيه العيش فى طاعة أوامر الله ويذكِّر المرء بأن حياته ملك خالقه ثم أنه يؤدى إلى وحدة بين جميع الذين يشاركون فى الصوم فى إطار سبيكة من الرُّفْقَة المشتَرَكَة.

كما أن شهر الصوم هو الوقت الذى دَرَج فيه المؤمنون على العفو عن أى فرد أساء إليهم فى السابق فضلاً عن أنه يمكن أن يكون الوقت الذى يتراحم فيه الناس ويتواصلون مع من هم خارج نطاق جماعة المسلمين وفيما تظل هذه الخصلة معروفة للمسلمين فى أماكن وأزمان أخرى فهى تشكل سلوكًا إيجابيا خاصة من جانب الذين يعيشون فى أمريكا. ومن منطلق الفهم بأن الصوم جزءٌ من الممارسة اليهودية والمسيحية فإن بعض المعلّقين أشاروا إلى أن هذا الشهر يمثل مرحلة زمنية خاصة للدعوة إلى مزيد من التفاهم بين الأديان، وفى هذا الصدد فإن مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية فى واشنطن (كير) يبث على شبكة الإنترنت اقتراحات تفصيلية لتعميم معنى الأحداث المرتبطة برمضان ومن ثم تشمل تعميماته بشأن «موجز وأخبار حملة الدعاية لرمضان» مقترحات للاتصال بالصحف ومحطات التليفزيون والراديو وبالمدارس والمكتبات والمستشفيات فضلاً عن أفكار تتعلق بإقامة وجبات إفطار لصالح المشرَّدين وتنظيم تقديم وجبات مجانية للمحتاجين.

ومازال قادة التجمُّعات الإسلامية المختلفة فى أمريكا يولون قدرًا كبيرًا من الاهتمام لشهر رمضان بوصفه وقتًا للبر والإحسان. ومن منطلق ملاحظة أن بعض المسلمين، فى ضوء انشغالهم بحالتهم الجسمية خلال الصوم ينزعون إلى نوع من البيات فيفرطون فى النوم ويوفرون بذل الطاقة، فإنهم يصرون على أن النظام البدنى الذى يمتنع عن تناول الطعام مُقتَرِنًا بالموقف الفكرى والروحى الملائم إنما يخدم فى واقع الأمر فى توليد طاقة جديدة للمرء يمكن من ثم توجيهها إلى خارج جسده. وهم يصرون على أن رمضان ينبغى أن يكون شهرًا لمزيد من النشاط الجسمانى وبعضهم يشير إلى النموذج الذى ضربه النبى نفسه خلال أشهر رمضان التسعة التى عاشها ما بين تأسيس مجتمع المدينة ووفاته سنة ٦٣٢ ميلادية حين ظل يمارس سلسلة من الأنشطة التى يقصد بها التدليل على منعة الإسلام فضلاً عن

نموذج التضحية والإخلاص الكامل لله. وقد تشمل الأنشطة الخاصة في مجال الاتصال خلال رمضان حث الشباب من هذا المركز الإسلامي أو ذاك على زيارة ملجأ للأيتام لتقديم الملابس ولعب الأطفال ومجاذبة الأطفال أطراف الحديث بشأن الإسلام ومعنى أن يصوم الإنسان شهرًا بأكمله. ومع تزايد أعداد المسلمين من نزلاء السجون، فإن صوم رمضان بالنسبة للمساجين المحبوسين يتسم بأهمية متزايدة فالمسلمون يمضون أوقاتًا كثيرة لكي يزوروا المساجين ويتحدثوا إلى نزلائها من المسلمين بشأن العقيدة وبشأن أهمية الصوم بل إن بعضهم يمكث لكي يشارك في الصلوات الخاصة وتلاوة القرآن ولا سيما في ليلة القَدْر وتلك أمور قد تدوم طوال ساعات الليل بكاملها في بعض السجون.

إن أدبيات الإسلام تولي اهتمامًا متزايدًا لسُبُل مشاركة هذه الفترة المهمة مع غير المسلمين. فالدكتور حسَّان حتحوت الطبيب والعالم الإسلامي الذي يمارس نشاطه من المركز الإسلامي في جنوبي كاليفورنيا يتساءل على سبيل المثال عمَّا إذا كان ممكنًا إتاحة سُبُل مشاركة غير المسلمين بالفعل في خيرات رمضان حتى ولو كان ذلك ليوم واحد. وفي مقالة كتبها بعنوان «تأملات مسلم صائم» منشورة في مجلة «إسلاميك هورايزونز» يلاحِظ أنه قد أصبح لنا الآن، إلى جانب أيام وأعياد الأم والأب والحب والرئيس أيام أخرى وأعياد أخرى للسكرتيرات والرؤساء وأي من كان ثم يضيف قائلاً "إن الحلم البعيد الذي يراود المرء ويلهب خياله هو: هل يتاح يومًا ما لأمريكا بأسرها أن تحتفل بمناسبة مماثلة» واقتراحه هو الاحتفال بـ «يوم ضبط النفس» تحت شعار «ما عليك إلا أن تقول لا» وبحيث يدلل هذا الشعار على تشجيع اتباع أشكال شتى من الامتناع. وقد يؤدي هذا اليوم المقترَح إلى مزيد من خفض حوادث العنف والقيادة تحت تأثير الكحوليات أو تعاطي المخدرات وارتكاب الجرائم بشكل عام. والهدف من ذلك بطبيعة الحال هو إشراب الأمريكيين روح الرغبة في تمديد هذه الأشكال من الانضباط الذاتي فيما يتجاوز يومًا واحدًا ثم يتساءل «هل بوسع المسلمين حينئذ أن يدعوا أمريكا إلى يوم وطني للصوم؟» وفيما تظل الاحتمالات من هذا القبيل أقرب إلى الشعار منها إلى الناحية العملية فهي توحي بشعور متنامٍ بين مسلمي أمريكا بأن الآخرين يمكن أن يتعلموا شيئًا من عبادات المسلمين.

٥- حج البيت فى مكّة مرة فى العمر: يورد القرآن إشارات عديدة إلى ضرورة الحج إلى بيت الله الحرام فى مكّة ومن ذلك قوله «وأتموا الحج والعمرة لله» (سورة البقرة الآيتان ١٩٦ و١٩٧) وبرغم أن النبى انتقل بمجتمعه إلى المدينة وقت الهجرة فقد ظلّت المدينة دائمًا فى المرتبة الثانية من حيث الحياة العبادية للمسلمين بعد مسقط رأس النبى وموئل الكعبة التى تُعَدّ أقدس بقعة فى الإسلام حيث تضم الحجر الأسود الذى يوقّره المسلمون ويُقال إن جبريل أعطاه إلى إبراهيم. وعندما عاد محمد إلى مكّة عمد إلى تطهيرها من كل الأوثان والأصنام المعبودة وأصبحت الكعبة رمز الفتح الذى تم للجماعة الإسلامية وما لبثت أن استعادت مكانتها بوصفها أقدس مكان للعابدين المؤمنين بإله واحد. وبات من مسئولية كل مسلم أن يؤدى شعائر زيارة واحدة بالحج إلى مكة. وهناك الكثيرون ممن يختارون العودة إليها أكثر من مرة لكى يعيشوا لحظة الانضمام إلى الملايين من رفاقهم الذين جاءوا مرضاة لله إلى هذا المكان. ويقع الوقت الرسمى المحدَّد للحج خلال شهر ذى الحجة وهو آخر شهور السنة القمرية وقد يختار المرء أيضًا زيارة يقوم بها فى أى وقت آخر من السنة وهى العمرة التى تُعَدُّ بمثابة «حجّة أقل درجة».

والذين أفادوا عن التجارب التى عاشوها خلال الحج عادةً ما يشهدون بأهميتها الهائلة بالنسبة للحياة الدينية للفرد. وفى ذلك تسجل مسلمة من فلادلفيا تأملاتها فتقول: «كيف يتأتى لى أن أعرف أن هذا الأمر سيكون رحلة حياتى؟ لقد انهمرت الدموع على وجهى مثل أمطار الربيع النديّة وشعرت بطعم الهواء الحلو فى فمى كما لو كنت قد تناولت ألذ ثمرة فاكهة فى العمر فأنا هنا، حقيقة هنا، عيناى كانتا تجولان متأملة سِحَن الآخرين المستبشرة، ابتساماتهم كانت متألّقة وهاماتهم كانت مُطْرقَة كأنما تؤكد شعور السلام والسكينة الذى اطمأنت به قلوبهم، إيقاع الأصوات الجميل صادر عن كثير من الألسنة: هذا فيض من موجات من عباد الله جاء وتحدوه غبطة الترحيب... إن تجربتى فى الحج أصبحت بمثابة أداة لكى تخلد روحى إلى السكينة وهذه الرحلة حملتنى إلى مسارات ومسالك الروح البشرى، أما القوة الداخلية التى اكتسبتها منها فقد زادت من حبى الحقيقى لله

سبحانه»[٨]. على أن تجمُّع مثل هذا العدد الكبير من البشر فيما يعتَبَر أقدس بقعة على وجه الأرض حيث يصل عددهم إلى مليونى نسمة فى وقت واحد هو أمر رهيب بكل معنى الكلمة وقد أعرب البعض عن شعور بالروع باعتبار أن الأمر انطوى على خشية عميقة خالطها خوف إزاء رهبة المناسبة وأيضًا إزاء الحقيقة العملية لإمكانية التحرُّك وسط دوائر هائلة من جموع البشر.

ومع ذلك فمجرَّد وجود هذه الأعداد الضخمة، ورغم أن التجربة من المُفتَرَض أنها تولِّد فرحة غامرة، إلا أنها يمكن أيضًا أن تكون موضع خشية من جانب البعض. وتحكى باكستانية مسلمة تقوم بالتدريس فى إحدى الثانويات فى دنفر ـ كولورادو ـ عن رحلة حجها الأولى عندما لم تكن قد جاوزت السادسة عشرة فتقول «برغم أننى كنت ممسكة بأيدى والدّى فقد أصبت برعب خشية أن تدهسنى تلك الأعداد الغفيرة من البشر وعندما ذهبت مرة أخرى فى عشرينيات عمرى كنت قادرة بصورة أفضل على أن أتوافق وأن أفهم التجربة فى ضوء ما انطوت عليه من روعة وجمال لا يوصَف»[٩]. وكثيرًا ما يُقال إن الفكرة الحقيقية خلال الحج هى تأكيد إحساس المساواة الذى حققه الإسلام. فجميع العابدين من الرجال أيًّا كانت مكانتهم أو مراكزهم فى الحياة اليومية يرتدون ثوب الإحرام الأبيض البسيط نفسه رمزًا لحالة من النقاء الشعائرى كما يشاركون فى السلسلة نفسها من المناسك التى يؤدونها فيما يُسمَح للنساء بمزيد من المرونة فى الثياب التى يرتدينها.

وتبدأ عملية الحج عندما ينوى الحاج أو الحاجة أداء الفريضة وهو يحيِّى وصوله إلى مكة قائلا "لبيك اللهم لبيك" وخلال أيام الحج يطوف الحجاج حول الكعبة ويقبِّلون الحجر الأسود ويعيدون تمثيل سعى هاجر الأسطورى بحثًا عن الماء ليروى عطش وليدها إسماعيل. وقُرب نهاية الحج الذى يدوم نحو عشرة أيام يتوجَّه الحجيج إلى موقع منَى وسهل عرفات حيث يستعيد العابدون كفاح إبراهيم أبى الأنبياء ونضاله ضد الشرك والوثنية. وإذ يعودون إلى منِى يقومون برمى الجمرات فى مواجهة عمود صغير فى الساحة الرئيسية ويُقال إنه يرمز إلى الشيطان إبليس الرجيم أما المنسك الأخير من الحج فهو التضحية بهدْى يوجَّه رأسه إلى مكة وجزء من اللحوم يتم تناوله فيما يوزَّع الباقى على المحتاجين. وعند هذه النقطة يحلق الحجاج الرجال رءوسهم ويبدءون فى عملية الإفاضة والوداع وفك

الإحرام. وخلال أداء مناسك الحج يتلو العابدون كثيرًا من الأدعية ويستمعون إلى كثير من المواعظ التى تساعد الحاج أو الحاجة على توجيه النفس إلى حيث الاستجابة الصحيحة والموقف القويم. ويختار بعض الحجاج زيارة قبر النبى فى المدينة برغم أن هذه الزيارة لا تشكل جزءًا أساسيا من شعيرة الحج. والمسافرون على الخطوط الجوية الدولية لدى انتهاء الحج كثيرًا ما يراهم الناس وقد عادوا حاملين قنانى من البلاستيك ممتلئة بمياه بئر زمزم وهى ينبوع كان فى إنبجاسه من الأرض حفظ للحياة حيث يُقال إن الله سبحانه قد فجَّره أمام هاجر لإرواء عطش إسماعيل ويُقال أيضًا إن هذا الينبوع ما زال قادرًا على التجدد باستمرار.

وتبذل الدولة السعودية قصارى جهودها لضمان أمن وراحة الحجيج وتنصب خيامًا هائلة الحجم لإيواء الحجَّاج وتُعَد بذلك كثيرًا من الوجبات فضلاً عن تهيئة سُبُل النقل والمواصلات إلى المناطق المقصودة وبالذات لغير القادرين على السير. وفيما تقع حوادث بين حين وآخر فإن الأمر يشهد بصورة مرموقة قلة انتشار الأمراض أو غيرها من المشاكل رغم الأعداد الهائلة من البشر الذين يَلزَم تلبية مطالبهم. إلا أن «معجزة» هذه العملية تتضاءل فى أهميتها إذا ما قُورِنَت بـ «المعجزة» الشخصية التى يعيشها الأفراد من العابدين خلال أداء الشعيرة وهى فى واقع الأمر الحَدَث البارز على مدار حياتهم بأسرها. ولأن غير المسلمين لا يتاح لهم القدوم إلى مكة فإن القوم يتخذون إجراءات دقيقة لكفالة أن يكون المشاركون فى الشعائر هم مسلمون حقيقيون صادقو الشهادة. ويحمل الرجل أو المرأة ممن أكملوا شعيرة الحج لقب الحاج أو الحاجة ويتمتعان باحترام خاص من جانب العائلة والمجتمع بشكل عام.

وفى الأيام الأخيرة استطاع عدد من الكتب والأفلام تسجيل وقائع ومناسك الحج بحيث أتيح للمسلمين وغير المسلمين التعرُّف على تلك الأحداث بل وعلى العواطف والانفعالات التى تحيط بالحج. وعلى سبيل المثال فإن مايكل وولف فى كتابه «الحج: أمريكى يحج إلى مكة يأخذ قارئه خلال كل مرحلة وكل تجربة ينطوى عليها الحج ولذلك يُحسن صُنعًا الذين ينوون أداء الحج أو يؤدونه بأنفسهم فضلاً عن الأطراف الخارجية الذين ليس بوسعهم قط معايشة التجربة ولكن يمكن أن يفيدوا من هذه المنظورات الصريحة التى طرحها هذا المسلم الأمريكي[١٠].

وفيما يتاح المزيد من المواد التربوية بشأن معتقدات الإسلام وممارساته أمام الجمهور الأمريكى بشكل عام، وفيما تكفل الميديا مزيدًا من التغطية لتأدية الشعائر الإسلامية، فإن المسلمين يأملون فى أن يرى سائر الأمريكيين فى الإسلام جمالاً وقوة ومسئولية أخلاقية بدلاً من أن يرونه وسيلة للإرهاب أو مصدر إلهام لـ «القنابل الإسلامية».

من الأمريكيين المسلمين من يوجّهون أسهم الانتقاد بشكل خاص إلى أبناء ديانتهم ممن لا يؤدون الشعائر الخمس بالقدر المطلوب من الحرص على الأداء. وهناك طبيب ممارس يكتب عن فهمه للطريق القويم فى ممارسة شعائر الإسلام، وهو على سبيل المثال يصف الذين يراهم منصرفين كثيرًا عن الالتزام بدينهم فيقول إنهم «مسلمو السوبر ماركت» كما يتهم مثل هؤلاء الأشخاص بأن قصارى اهتمامهم منصبٌ على التطلع إلى الالتحاق بالطبقات العليا فى الغرب قائلا «إنهم لا يصلُّون يوميا بل يقتصرون على الصلاة فى أيام الجُمَع وصلوات الأعياد وهم لا يصومون خوفًا من ضعف الجسم (أو لأى عذر آخر) وهم عادةً لا يعطون من أموالهم باعتبار أن للفقراء حقا فيها ولكنهم يعطون لدفع أذى الشر. وأحيانًا يذهبون إلى العمرة ولكن قلّما يذهبون لأداء فريضة الحج...»[11]. على أن كثيرًا من المسلمين لا يسعدهم كثيرًا أن تخضع سلوكياتهم الدينية لمثل هذا الانتقاد وبعضهم يكتبون علنًا بشأن حقهم كأفراد فى الاستجابة لمقتضيات ديانتهم بالطريقة التى تعكس إيمانهم بعقيدتهم وفهمهم لها. وعليه يظل من القضايا العديدة التى يتعيَّن على جماعة المسلمين فى أمريكا أن توجِّه إليها الاهتمام فى العقود المقبلة قضية من الذى يمتلك السلطة فى أن يُحَدِّد ما الذى تشكِّله الممارسة الحقيقية للإسلام ضمن السياق الأمريكى.

الحواشى

١- جاى إيتون، الإسلام ومصير الإنسان (اولبانى): (مطبعة جامعة ولاية نيويورك، ١٩٨٥).

٢- صادر على الإنترنت ٩٨/٤/٦ بواسطة مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية.

٣- ورمسر، الإسلام الأمريكى.

٤- المرجع السابق.

٥- «رمضان: شهر الصيام كما يحتفل به الشباب المسلم»، فى ميناريت (يناير ١٩٩٧).

٦- المرجع السابق.

٧- حديث خاص إلى مؤلفة الكتاب فى عام ١٩٩٢.

٨- سعاد لورانس إسلام «رحيق حياتى» الجمعة (العدد ١٢، ١٤١٨ هجرية).

٩- استمعت إليه مجموعة نسائية معنية بالعلاقات بين الأديان فى ربيع ١٩٩٥ وكانت المؤلفة مشاركة فيها.

١٠- مايكل وولف، الحج: أمريكى يحج إلى مكة (نيويورك: مطبعة جورف أتلانتيك، ١٩٩٨).

١١- أثار، تأملات مسلم أمريكى.

الفصل الثانى

الذين ساهموا فى نشأة وتطوُّر الإسلام

ما هو الإسلام؟ بالنسبة للمسلمين الأمريكيين ينصرف الإسلام إلى معانٍ شتى برغم أن أكثر الإجابات شيوعًا هو أنه يتألفون من وحى القرآن وتجارب رسول الإسلام ومقتضيات الإيمان والعمل باعتبار أن هذا هو الإسلام فى معناه الجوهرى. ومع ذلك فإن كثيرًا من الأفراد الذين وصفوا أنفسهم على مدى قرون طويلة بأنهم مسلمون أسهموا فى تشكيل وتطوير الإسلام ليصبح عقيدة نابضة بالحياة. وبالطريقة نفسها فإن القرارات التى يتخذها المسلمون الأمريكيون بشأن كيفية فهم وممارسة العقيدة ضمن سياق غربى سوف تحدِّد بدورها، وإلى حد كبير، مفهوم الإسلام فى القرن الحادى والعشرين. وفى هذا الفصل نعرف الكثير عن تطوُّر الديانة الإسلامية عبر القرون الأربعة عشر من وجودها على نحو ما تُصوِّره حياة البشر الذين يُعرَف بأنهم ساهموا فى تشكيل الإسلام إلى حيث أصبح حقيقة واقعة فى أيامنا. وهنا نذكر أسماء الكثيرين من رجال ونساء ممن قدَّموا مساهمات خاصة إلى الحياة الدينية الإسلامية وفهمها وتفسيراتها وبذلك شكَّلوا بل وحدَّدوا أبعاد الإسلام التى يلتزم بها اليوم مسلمو أمريكا.

النبى محمد ونزول القرآن

بالنسبة لمسلمى اليوم، شأن ما كان عليه الحال عبر القرون، فإن محمدًا رسول كامل البشرية ولا يشارك بحال من الأحوال فى أى لاهوت ربانى حيث يختص بذلك الله سبحانه وحده لا شريك له. ولذلك فإن محمدًا جاء من أصول متواضعة وتربى يتيمًا فى كنف عمه أبى طالب. وعندما كان محمد فى سنى المراهقة يُقال إن راهبًا مسيحيا تعرَّف فيه على علامات النبوَّة. وتحكى قصة أخرى أنه عندما سقط من الكعبة أحد أحجارها اختصمت قبائل مكة فيمن ينال شرف إعادته إلى مكانه ويُقال إن محمدًا الشاب حل المشكلة عندما وضع الحجر فى ثوب استطاع ممثلو القبائل أن يرفعوه معًا. وعند بلوغه سن الخامسة والعشرين استخدمته السيدة خديجة وكانت تعمل فى تجارة مزدهرة وميسورة ثم تزوجها فى

نهاية المطاف. كان زواج محمد وخديجة فيما يبدو يمثل رابطة تسودها المحبة والدفء وحتى وفاتها كانت هذه الزوجة أكبر مُعين له إذ تُعَدُّ أول من آمن بدعوة الإسلام وكان لهما أربع بنات أفضل من يُعرَف منهن فاطمة كما توفى جميع أبنائهما من البنين فى سن الطفولة الأولى وأدَّى ذلك إلى تعقيد مسألة قيادة الجماعة عند وفاة النبى نفسه فى عام ٦٣٢ للميلاد.

أما مكَّة حيث عاش محمد وبدأ تعاليمه الأولى فكانت بلدة تجارية مزدهرة تقع عند مفترَق طُرق التجارة الرئيسية التى تربط أفريقيا إلى الشرق الأقصى. كما كانت مركزًا لطريق الحاج مما هيأ لكثير من سكانها عيشًا ميسورًا وتجارة مربحة ومن ثم لم يكن من دأب أهلها أن يروا هذا الرغد من العيش وقد انقطع مساره بفعل تعاليم العقيدة الجديدة. ويُطلق اسم الجاهلية على السنوات المائة، قد تقل أو تزيد، التى سبقت زمن النبى الذى تلقى أولى آيات الوحى فى نحو سنة ٦١٠ للميلاد. ومصطلح الجاهلية يُسلِّط الضوء على حقيقة أن عبادة الأصنام وقد كانت منتشرة داخل بيت العبادة المحلى وفيما حوله كانت ممارسة دينية فى تلك الفترة، أما البيت نفسه وهو الكعبة فما زال يزورها المسلمون من أجل الحج إليها وهى تُعَد أقدس بقعة بالنسبة لهم إذ يؤمن المسلمون أن قد بناها الخليل إبراهيم بمساعدة ابنه إسماعيل. وقد عمل النبى محمد على تحويل الممارسة القديمة للحج من عبادة الأوثان إلى شعيرة الحاج التى سبق وصفها فى الفصل الأول.

الجزيرة العربية فى شباب محمد كان يسودها تصوُّر غامض عن إله خالق أعلى هو الله ولكن كان لديهم تصوُّر آخر بأن هذا الرب كان له ثلاث ربات أو بنات هن اللات ومناة والعُزَّى إضافة إلى معبود آخر هو هُبل. ومن الأسباب العديدة التى جعلت المسلمين فى جميع أنحاء العالم يوجِّهون منذ عدة سنوات الاتهام بالكفر إلى سلمان رشدى بعد صدور روايته «آيات شيطانية»، تصويره النبى محمدًا وكأنه يُسلِّم بوجود واحدة من تلك الربات وهو على فراش الموت.

«من هناك؟ نادى [محمد]» أهذا أنت يا عزرائيل [ملك الموت]؟ ولكن عائشة سمعت صوتًا رهيبًا حلوًا هو صوت امرأة يرد الجواب قائلاً: «لا يا رسول الله إنه ليس عزرائيل» ثم انطفأ نور المصباح وفى قلب الظلام سأل [محمد]: «هل هذا المرض من صنعك أيتها اللات؟ وهنا قالت «إنه انتقامى منك وأنا راضية بذلك...»(١).

ويؤكد الحديث أنه عندما كان محمد يتعبد فى غار قرب مكة داخله الروع إذ سمع صوتًا يأمره بأن يردّد كلام الله وكانت سنة ٦١٠ وهو فى الأربعين من عمره ولكن كلمات الله التى تلقاها محمد مرتعشًا عن طريق الملاك جبريل سجلتها سورة العَلَق التى حظيت بالإجماع بوصفها أولى سور الوحى الإلهى «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ﴿١﴾ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴿٣﴾ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴿٤﴾ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴿٥﴾» كان محمدًا رجلاً بغير ادّعاء ولكن ها هو يرتقى إلى هذه المرتبة السامية من التأمل والتعبُّد إلى حد أن يعيش تلك التجربة التى أدخلت الروع إلى نفسه وكان ذلك أمرًا مفهومًا. وعند نزوله من الغار تراءى له الملاك جبريل يكاد يملأ الأفق كله واستمع إلى الصوت يناديه بمحمد رسول الله وعندما تدثَّر بعباءته انطلق إلى البيت بأسرع ما يستطيع طالبًا من زوجته أن تدثّره. ومرة أخرى، وكما تنبئنا الأحاديث، فقد أولته تشجيعها وحثته على أن يصدع لأمر الله.

الكلمة العربية لمعنى التلاوة هى نفس كلمة «القراءة» واستجابة محمد بالعربية لأول أمر بالتلاوة أو القراءة يأتيه من لدن الله لم يسجَّل فى القرآن ولكن سجَّلته سُنَّة النبى عندما قال «ما أنا بقارئ»، أما النظرية الثابتة التى تقول إنه كان أميا لا يقرأ ولا يكتب فلم يأت القرآن على ذكرها ولكنها مُفَصَّلة فيما تلا ذلك من تفاسير. وفيما يبدو من الصعب تأييد هذا المنحى فى ضوء اتصاله بتجارة القوافل إلا أن هذه النظرية لها أهميتها فى تصوير النبى بوصفه متلقيًا خالصًا للوحى الإلهى. فبوصفه أميًا، تقول النظرية، لم يكن بوسعه أن يقرأ وينسخ أى شىء مستقى من الكتابات المقدسة الأخرى التى كانت شائعة فى ما حول جزيرة العرب فى ذلك الوقت. ولقد تلقى أولى آيات الوحى من ربه بواسطة جبريل خلال شهر رمضان فى الليلة التى يشار إليها بأنها «ليلة القدر» وهى قرب نهاية الشهر وتحييها بصورة خاصة كل عام مساجد أمريكا.

وفى ضوء مؤازرة خديجة ومع توالى آيات الوحى التى جعلته يتحقق تمامًا بأنها جاءت من عند ربه، بدأ محمد فى تنفيذ المهمة التى كلَّفه بها الملاك جبريل وكان عليه أن يتلقى المزيد من الآيات التى وصلته بربه على مدى السنوات الخمس والعشرين اللاحقة. وفى الأيام الأولى كانت هذه الأوامر والآيات تأتى عادةً

من خلال وساطة جبريل على أساس أن الاتصال المباشر بين الإنساني والإلهي أمر يروع النفس ولا يمكن تحمله إلا بتدريب طويل وخبرة، إلا أن النبي وقد نضجت عوامل قوته الروحية وحكمته أصبح مهيئا للاستغناء عن الوساطة بينه وبين ربه.

آيات الوحي الأولى التي نزلت على النبي احتوت رسالتين كانتا بعيدتين عن أفهام مواطني الجزيرة العربية في ذلك الوقت: أولهما فرضت على محمد أن يقول أن لا إله إلا الله وحده وأن الأصنام المعبودة الكثيرة وخاصة بنات الله كما كانوا يسمونها ما هي إلا محض خيال، وأن البشر مسئولون عن التصديق بوحدانية الله من خلال الانصياع لجلاله، وثانيا حاول محمد جاهدًا أن يُقنِع مستمعيه بأنه على خلاف المعتقدات السائدة وقتها فالحياة لا تنتهي بالموت وأن الخلود لا يتحقق فقط من خلال التكاثر ولكن البشر سوف يبعثون ويساءلون في نهاية الزمان عمّا فعلوا ومن الأيام الأولى لتلقيه رسائل من ربه فَهِم محمد أن من أهم الأدوار التي يتعيَّن عليه الاضطلاع بها هو أن يُنذِر الغافلين بأنهم سوف يكونون في نهاية المطاف مسئولين عمّا يفعلون.

لم يجد محمد سوى قلة قليلة على استعداد لتفهُّم التعاليم التي بُشِّر بها. بل إن قريش، القبيلة التي ينتمي إليها، عارضته عند كل منعطف بل وسَخِرت من دعوته للنبوة. ثم جاء موت زوجته المحبَّة ومن ثم عمه وحاميه أبي طالب ليجعل مهمة النبي أصعب وأشق. والمسلمون اليوم يولون كثيرًا من التكريم الخاص لمحمد بفضل إيمانه وانقطاعه لتبليغ رسالة الله خلال تلك الأيام المظلمة التي بدت بغير أملٍ على الإطلاق. لقد مضت سنوات ظل فيها النبي عاجزًا عن أن يُقنع أكثر من حفنة صغيرة من المؤمنين بصدق التعاليم التي جاء بها. وفضلاً عن ذلك فإن المحتوى الأخلاقي الصارم الذي اتسمت به آيات الوحي الإلهي كانت تقتضي من المؤمنين أن يبادروا لمساعدة المحتاجين وإطعام الجوعى وكفالة اليتامى بل ويكرموا وفادة الجميع. وفيما كانت هذه القيَم غير بعيدة عن مجتمع الجاهلية إلا أنها شكلت نوعًا جديدًا من النظام الاجتماعي الذي انطوى على أكثر من خطر يهدد أسلوبًا كان راسخًا ومريحًا من أساليب الحياة في مجتمع مكة.

وبرغم الصعوبات البالغة التي اكتنفت العقد الأول من تعاليم محمد في مكة،

فقد تشكَّلت بالتدريج جماعة من أتباعه فبعد رحيل خديجة جــاء آخــرون ليؤمنــوا بتعاليمه وصدقها بمن فى ذلك ابن عمه على ابن أبى طالب وصديقه أبو بكر الذى ما لبث أن أصبح أول خليفة أو قائد للجماعة بعد رحيل محمد.

ثم جاءت الحادثة التى كان لها أن تُغَيِّر مسار حياته تغييرًا جذريًا: جاءه وفد من مدينة تبعد عدة مئات من الأميال شمالى مكة يحتكمون إليه للبت فــى مســألة كانت مثار نزاع عميق فيما بين قبائل تلك المدينة. وكان من الواضــح أن ســمعة محمد كرجل حكيم قد بدأت فى الانتشار. وعندما تحقق من أن العداوة التى عاناهــا شخصيا فضلاً عن المعارضة للرسالة التى بشر بها كانت من العمــق فــى مكــة لدرجة أن يستحيل معها عمليا نشر رسالته، فقد اغتنم محمد الفرصة لكى يهاجر مع زمرته الصغيرة من الأتباع إلى الموقع الجديد. كانت تلك مدينة يثرب، التى عُرِفت بعد ذلك بمدينة الرسول أو المدينة المنورة التى أصبحت ثانى أقــدس مدينــة فــى الإسلام لأنها أصبحت أيضًا المستقر النهائى لمحمد وجاءت سنة ٦٢٢ للميلاد لتمثل سنة الهجرة وهى شاهد على البداية الرسمية لأمة الإسلام بهــذا المعنــى كمــا أن التقويم الإسلامى الذى يستند إلى الدورة القمرية بدلاً من الدورة الشمســية ويتــألف من ٣٥٤ يومًا يبدأ عند لحظة الهجرة.

والذين يحاولون أن يلتمسوا سابقة تاريخية ملائمة بالنسبة للجماعة المســلمة بوصفها أقلية فى أمريكا كثيرًا ما يحيلون إلى نموذج الهجرة. وبمــا أن الرســول وزمرته الصغيرة من الأتباع كانوا قادرين على أن يجدوا لأنفسهم وطنًا فى المدينة وأن يؤسسوا مجتمعًا إسلاميا نابضًا بالحيوية فبالمقياس نفسه يســتطيع المســلمون اليوم الهجرة من أوطانهم الأصلية وقد رأوا فى الهجرة النبوية نموذجًا للحياة معًــا فى ظل المسئولية كمسلمين ضمن الإطار الأمريكى الجديد والغريب فــى غالــب الأحيان.

إن قصة نمو وانتشار الإسلام من قاعدته تلك فى المدينة أصــبحت قصــة معروفة فقد أصبح محمد نفسه وبحق نبى الرسالة ورجل السياســة بمعنــى القائــد الدينى الذى واصل إبلاغ جماعته بما يُتلى عليه من الوحى الذى كان ينزل بانتظام من عند الله، وكذلك القائد السياسى الذى عمل بالتدريج على توطيد سلطته لتشــمل الجزيرة العربية بأسرها. فضلاً عن أن معظم قبائل الجزيرة العربية مــا لبثــت أن

آمنت برسالته ومن ثم دخلت فى الدين الإسلامى عن قناعة، أو أنها تحققت من سلطته السياسية المتنامية فآمنت بمنطق المنفعة تحدوها رغبة فى أن تُجَرِّب حظها مع هذا المنتصر.

فى الوقت نفسه توالى الوحى مُنزَّلاً من عند الله وبرغم أن الآيات التى تلقاها أيام الكفاح فى مكة كانت بصفة عامة قصيرة ومركزة فإن الآيات المدنية جاءت أطول وأكثر تعاملاً مع قضايا خاصة كان يواجهها الرسول وهو يمضى قُدُمًا لترسيخ أسس الجماعة التى أسسها. وخلال هذا الوقت أصبح الكثير من التشريعات هو أساس إقرار القانون الإسلامى أو الشريعة. كما أن هذا الوقت شهد الرسول وهو يعزز المستقبل السياسى للإسلام حيث عكف على وضع إطار للحياة الدينية والاجتماعية لأتباعه بل إنه كان نموذجًا للفضائل التى كان يبَشر بها وكثير منها كانت تمجيدًا لقِيَم بلاد العرب فيما قبل الإسلام فأصبحت تميِّز السلوك الإسلامى القويم ومن بينها قِيَم الأمانة والسخاء وكرم الضيافة والإحسان والبر والنزاهة والتواضع. وما زال المسلمون الأمريكيون يستندون إلى تلك الشمائل فى غمار سعيهم تشكيل أنماط لحياتهم.

وخلال توطيد ركائز مجتمع المدينة كانت العلاقة الأساسية بين المؤمنين والمؤمنات وبين محمد قد تم إرساؤها. ولا يكاد يلوح شك فى أن المرأة كانت تُعَد عضوًا كاملاً فى الأمة بحيث تشارك فى الحياة العامة فضلاً عن الحياة الخاصة للجماعة، كما تشارك فى تطوير مجموعة من الالتزامات الدينية والأنشطة التعبُّدية. وكثير من النساء المسلمات فى أمريكا ينظرن اليوم إلى زمن النبى بوصفه المرحلة التى شهدت حقوق المرأة وقد حظيت بالاعتراف الكامل والإقرار التام حيث كانت المرأة تشجَّع على تولى مواقع القيادة فى إطار الجماعة ذاتها. ونساء أمريكا اليوم يرفضن ما يذهب إليه إخوانهن فى الدين الذين يريدون الإمعان فى استبعاد النساء من مجالات الحياة العامة وهن يُشِرن بهذا إلى ممارسات المساواة التى كان الرسول ينهجها فضلاً عن النموذج الذى تبدَّى فى كثير من زوجاته ممن تسنمن مواقع القيادة الاقتصادية والسياسية بل والدينية أيضًا. ومن أعراف الإسلام ما يصر على أن محمدًا بَذَل كل جهد ممكن لكى يعامل زوجاته على أساس من العدل والمساواة برغم ما يبدو واضحًا من أنه كان يكن أعمق الحب لزوجته الأولى

خديجة ثم لأصغر زوجاته عائشة. وفي المدينة تم إرساء قواعد الزواج والطلاق كما أنه تلقى الوحي الذي يُبلغه بأن عليه أن يحمي حياته الشخصية بأن يقوم حجاب بين زوجاته وبين من يزورونه من وفود الرجال وهناك من يقول بأن هذه الآية التي أخطأ البعض فسحبها لكي تنطبق على جميع النساء الأخريات هي التي اتخذت ذريعة من أجل المضي في إقصاء واستبعاد النساء من الحياة العامة وهو أمر ميّز قروناً إسلامية كثيرة لاحقة. وقبل وفاة محمد بسنتين نجح في إخضاع (فتح) مسقط رأسه في مكة ولكنه ما لبث أن طبّق سياسته في البر قدر الإمكان فأصدر عفوه عن جميع أهلها برغم سنوات شهدتهم وهم يعارضونه وينكرون رسالته.

وقبل وفاته صحب محمد أتباعه لحجة الوداع إلى مدينة مكة المقدسة وفي الطريق أوحى الله إليه بالرسالة الآتية التي ترد في الآية الثالثة من سورة المائدة: اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً» ويلاحظ أن كلمة «أكملت» في اللغة العربية تجمع بين معنى التام ومعنى الكامل. ويرى المسلمون في هذه التعريفات التأكيد بأن الإسلام بلغ مرحلتي التمام والكمال بوصفه أفضل وأنسب السبل للاعتراف بوحدانية الله وعبادته وللعيش في إطار علاقة سليمة مع بعضهم البعض. ويحيل كثير من التفسيرات الإسلامية المعاصرة إلى هذه الآية على أنها تشكل البرهان النهائي على أن الإسلام وليس غيره هو الدين الصادق الحق للبشرية جمعاء.

وفي سنة ٦٣٢ للميلاد قُبض رسول الله بعد مرضٍ قصير وكان قد استطاع جاهدًا أن يجمع كل أجزاء شبه الجزيرة العربية تحت راية الإسلام وأن يمهد السبيل لما أصبح بمثابة الانتشار السريع المرموق لهذه الديانة لتمتد إلى كثير من أرجاء العالم المعروف في ذلك الحين.

السابقون إلى الإسلام

لا ينظر مسلمو أمريكا اليوم إلى النبي وحده بوصفه نموذج التمسك بالحق وحياة التُقى بل ينظرون أيضًا إلى آل بيت محمد وأصحابه وأتباعه استلهامًا لسيرتهم. وبرغم أن هؤلاء عاشوا في مرحلة البداية من تاريخ الإسلام فهم يُعَدُّون السلف الصالح من جانب الذين يتمتعون اليوم بالسلطة والحيثية. كما أن الرجال والنساء الذين يعتنقون عقيدة الإسلام ينظرون إلى هذا السلف الصالح عندما

يختارون أسماءهم الإسلامية،. فضلاً عن أن المسلمين لا يزالون يحيلون إلى تلك الأيام الأولى للجماعة الإسلامية طلبًا للاسترشاد فى علاقاتهم مع بعضهم البعض وفى صلتهم بالله. وعندما توفيت زوجته المحبَّة خديجة عانى النبى من مصاب شخصى فادح وبرغم أنه انطلق من أسباب سياسية فيما بعد فتزوج عددًا من الزوجات إلا أنه لم يجد امرأة أخرى تقوم بنفس الدور الذى سبق واضطلعت به خديجة. ومع ذلك يُقال إن عائشة بنت أبى بكر هى التى استأثرت بقلبه وظلت تستأثر به حتى نهاية حياته. ويتمثل أهم دور دينى قامت به عائشة فى جمع وتسجيل الأحاديث التى استقتها من محمد والتى نقلت عنه وبحكم موقعها بوصفها أقرب الزوجات إلى محمد، كانت ذكرياتها عنه تتسم بأهمية خاصة حتى ليقال أنه قد رُوى عنها مباشرة ١٢٠٠ حديث. كما أن من بين الحالات التى تولت فيها المرأة إمامة الصلوات للنساء فى بدايات ظهور الجماعة يرد ذكر عائشة على الأغلب وكانت بجوار النبى عندما تُوفى كما أن عائشة نفسها دُفنت بعد ربع قرن من تاريخ وفاته فى المدينة ويلاحَظ أن اسم عائشة هو الأكثر شيوعًا بين الأسماء التى تتخذها الأمريكيات عندما يتحولن إلى الإسلام.

أبو بكر، والد عائشة كان من أول السابقين إلى تأييد النبى فى الأيام التى كان فيها التأييد من أصعب ما يكون. وبرغم أن محمدًا كان أكبر من أبى بكر بثلاث سنوات إلا أن أبا بكر أصبح صهره عندما تزوج عائشة الشابة فضلاً عن أن أبا بكر كان من الجماعة الصغيرة التى صحبت الرسول فى هجرته إلى المدينة وكان رجلاً معروفًا بالحكمة والتُقى ولذلك اختاره محمد لأداء المهمة المرموقة ألا وهى إمامة الصلاة عندما عجز النبى نفسه عن إمامتها.

أصحابه يقوم بتسجيلها على أى مادة تتاح وقتها. وعندما توفى محمد تم جمع هذه الشذرات فى مجموعات مختلفة فظهرت تباينات ثانوية فى تلك المجاميع وسرعان ما أصبح واضحًا أن الأمر اقتضى نوعًا من النُسخة الرسمية المعتمدة. ويقال إن أبا بكر هو الذى بادر إلى إصدار نسخة موحَّدة برغم أن هذا الأمر لم يتم إنجازه رسميا إلا فى ظل الخليفة الثالث «عثمان ابن عفان» أى بعد نحو عشرين عامًا أو نحوها من وفاة النبى.

وعندما تُوفى النبى روّعت الجماعة الفتية وقتئذ، لا بسبب الخسارة التى مُنيت بها فى وفاة زعيمها المحبوب فقط ولكن أيضًا نظرًا للافتقار إلى سياسة

واضحة وراسخة بالنسبة إلى البت فى مستقبل قيادة الجماعة الإسلامية. لـم يكـن متاحًا أن تتم خلافة بالدم باعتبار أن أبناء الرسول جميعًا توفوا وهم أطفـال وقـد اجتمع أصحاب النبى لاتخاذ قرار لكى يُطمئنوا أتباع الرسـالة أن الأمـر سيشـهد انتقالاً منظمًا وحكيما للسلطة وبحكم ما ذاع عنه من إيمان وتقوى اختار الصـحابة أبا بكر لتولى القيادة الرسمية وليصبح هو الخليفة، ومن بعد أبى بكر (١٠ سنوات) جاء عمر ومن ثم عثمان (١٢ سنة) وكل منهما أصبح خليفة للجماعـة الإسـلامية التى كانت يافعة فى ذلك الحين.

وبرغم أوجه النجاح التى تحققت فى اشتداد ساعد الإسلام واتساع رقعته فى الخارج فإن الأمر شهد فى الداخل توترات خطيرة فقد اغتيل عمر وعثمان بخنجر فاختارت الجماعة عليا ابن أبى طالب ليكون الخليفة الرابع ولكنه واجـه تحـديات قاسية سواء من عائشة أو من القوى التى كان يستند إليها معاوية والى دمشق وفيما سُمى باسم «موقعة الجمل» ركبت عائشة على رأس جيش صغير لمعارضة على. وكم كان بالقطع مشهدًا تعيسًا عندما خاضت زوجة النبى المحبوبة معركة ضد ابن عمه وصهره المحبوب أيضًا. وقد مات كثير من الرجال دفاعًا عن عائشة. ولكـن النصر أصبح من نصيب على فى نهاية المطاف. وجاءت هذه الحادثة التى كانـت الأولى من نوعها حيث تحاربت فيها قوات المسلمين وجهًا لوجه لتخـدم أغـراض المفسرين الذين دفعوا بأن مكان المرأة ليس فى ميدان القتال ولا فى ساحة السياسة ولا فى أى مكان آخر بخلاف بيتها.

والحاصل أنه خلال كل أيام الإسلام الأولى كان عدد من المسلمين يشعرون أن الاستخلاف من صفوف عترة النبى وآله وليس من خلال التزكيـة الشـعبية أو الانتخاب هو أساس تحديد قيادة الجماعة. ومن ثم كان تصورهم أن القائد الشرعى الأول كان ينبغى أن يكون عليا بدلاً من أبى بكر بحكم قرابة الدم لمحمد كابن عمه. ومن هنا انقسم المسلمون انقسامًا لا رجعة فيه: لأن أتبـاع علـى ومؤيديـه نـأوا بأنفسهم ليشكلوا ما أصبح يعرف بحزب على أو شيعته. وعليـه قامـت فرقتـان رئيسيتان فى الإسلام هما السنة (الذين اتبعوا سنة النبـى وتقبلـوا سـلطة سلسـلة الخلفاء) والشيعة الذين ظلوا يعتقدون على خلاف السنة بأن النبى محمد سمى عليـا

ليكون قائد الأمة بعد وفاة النبى وأن الخلفاء الثلاثة الأول كانوا قادة مقتدرين ولكنهم لم يكونوا مرشدين روحيين بحق.

وبرغم هذه الانقسامات الداخلية فجميع المسلمين يؤمنون بأهمية على فى حياة الجماعة الإسلامية الأولى. ويُقال إنه بعد إيمان خديجة كان على أو كان أبو بكر أول من آمن بنبوة محمد، كما كان على مُعينًا لمحمد عند هجرته إلى المدينة إذ تطوع على بتغطية خروج محمد ورحلته. وفى واقع الأمر فإن على هو الذى اقترح اعتبار الهجرة بداية للتقويم الإسلامى ويقول السُنَّة أن عليا كان من رواة كثير من أحاديث النبى فضلاً عن كونه مرجعية دينية يُعتَد بها. أما الشيعة فينظرون إلى على بوصفه أعظم الشخوص الإسلامية قداسة بعد النبى ومن ثم فهو الإمام الأول وأقدس عباد الله.

وفى سنة ٦٦١ لاقى على مصيره بنفس أسلوب العنف الذى شهده سلفاه عمر وعثمان لحظة دخوله المسجد للصلاة حيث عاجله سيف مسموم. وهذا العنف الذى ذهب بحياة ثلاثة من الخلفاء الراشدين الأربعة ظل يتجلى فى كثير من الأحيان على طول تاريخ الإسلام وكان بذلك شاهدًا على التناقض الصارخ والتعيس مع مُثل السلام والتكافل العليا التى شكلت جوهر الرسالة الإسلامية. وبرغم الاضطرابات السياسية وإراقة الدماء التى شكلت فترة حكم الخلفاء الراشدين فإن أهل السنَّة ينظرون إلى هؤلاء الخلفاء الأربعة الأوائل وإلى فترة الإسلام السنى التى عاشوها بوصفها نموذجًا للسلف الصالح يرقى إلى مرتبة الكمال أو يكاد.

وبرغم ما عاناه الشيعة عبر تاريخهم الطويل من انشطارات وانقسامات فإنهم موحدون فى قناعتهم بأن أفدح ما لحق من ظلم كان فى الأيام الأولى للإسلام، عندما لقى الحسين، ابن على وفاطمة وحفيد النبى مصرعه فى مذبحة شائنة فى ساحات كربلاء بالعراق. والحق أن المسلمين السنَّة فضلاً عن الشيعة تأثروا وحزنوا كثيرًا لحادثة كربلاء وإن كان الشيعة هم الذين دأبوا على استعادة الذكرى وإحياء روح المشاركة فى ما عاناه الحسين. وهذه الحادثة يتم الاحتفال بها فى شهر المحرم الذى يضم عددًا من أهم الأيام المقدسة لدى الشيعة الأمريكيين.

ويؤمن أكبر عدد من الشيعة بأن محمدًا جاء من بعده اثنا عشر إمامًا وآخرهم اختفى فى عام ٨٧٣ وكان عمره أربع سنوات لأسباب تتعلق بالاضطهاد

السياسى ولكنه ما زال حيا وإن كان رهين الغيبة وهو يوجّه شئون جماعتــه مــن خلال قادة يختارهم. وهذا الفرع من الشيعة يُعرَف باسم «الاثنى عشــرية» وهــم يعيشون على أمل عودة الإمام الغائب ليكون بمثابة المخلص الذى يــتم فــى ظلــه إشاعة العدل والسلام فى نهاية المطاف.

ثمة جماعة شيعية انشطرت عن القوام الرئيسى للشيعة فى عام ٧٦٥ بسبب قضية ابن الإمام السادس جعفر الصادق الذى يجب اعتباره خليفة شــرعيا لإمامــة والده فالاثنا عشرية يعتقدون أن الإمامة من حق الابن الثانى موسى الكاظم، بينمــا يقتنع الآخرون بأن الزعيم الشرعى ينبغى أن يكون إسماعيل، الابن الأول. ومن ثم فالجماعة الأخيرة تعرَف باسم الإسماعيلية أو تعرَف بصورة دارجة باسم الســبعية لتمييزها عن الاثنى عشرية. وفى كل حال فإن فرقتــى الشــيعة الاثنــى عشــرية والسبعية تشكلان معًا نسبة الخمس من جماعة المسلمين فى أمريكا.

التطورات الأولى للجماعة المسلمة

ركّزت الجماعة المسلمة فى المدينة وجودها ثم توسَّعت فى كيانها، أولاً من خلال سلسلة من الغزوات الخاطفة وبعدها من خلال سلسلة أخطر وأدق تخطيطًــا من المواجهات وبالرغم من أن حكم أبى بكر كخليفة لم يدم سوى ســنتين، إلا أنــه تمكن بفضل حنكة قائد موهوب لقواته المسلحة أن يرى دار الإسلام وقد بدأت فــى التوسُّع، فأولاً تم إخماد التمرُّد الذى نشب فى قلب الجزيرة العربية(*) ومن ثم بــدأ الإسلام يتوسع إلى فلسطين وفارس وبيزنطة. أما آخــر تقــدُّم أحــرزه الشــرق الإسلامى إلى قلب الغرب المسيحى فجاء عندما عبرت جيــوش المســلمين جبــال البرانس من إسبانيا إلى فرنسا. ولكن انتشار الإسلام جهة الشمال ما لبث أن توقف أخيرًا فى عام ٦٣٢ عندما استطاع شارل مارتل الأســطورى أن يصــد القــوات الإسلامية خارج بواتييه ولكن مع بداية القرن التاسع (الميلادى) كان الغرب قد فقد تمامًا السيطرة على البحر الأبيض المتوسط نتيجة لتوسُّع الإسلام.

وبعد قرن أو يزيد قليلاً من وفاة النبى، طرأت تغيُّرات مثيرة حتى على قلب الإسلام، فالخلافة الأموية التى حكمت منذ وفاة على أسلمت القياد إلى بدايــة حكــم

(*) تقصد حركة المرتدين والقائد الموهوب هو خالد بن الوليد (المترجم).

العباسيين فى عام ٧٥٠ للميلاد. وهذا التغيير السياسى دفع بأمير أموى شاب إلـــى الهرب غربًا ليؤسس خلافة مستقلة فى إسبانيا كان من حظهـــا أن حكمـــت شـــبه الجزيرة الإيبيرية على مدى القرنين التاليين. أما العباسيون فقد تحولوا بالعاصـــمة من دمشق الأموية إلى بغداد الحديثة التأسيس والتى تسمى فى اللغة العربية «مدينة السلام». وفى ظل هذه الظروف فإن أمة الإسلام تعـــيَّن عليهـــا أن تتحـــول إلـــى إمبراطورية تتمتع بقوة سياسية هائلة وتنعم بثراء عريض ورخاء اقتصادى إضافة إلى منجزات ثقافية لم يكد يسبق لها نظير. ومازال المسلمون فى الغرب يعربـــون حتى اليوم عن اعتزازهم عندما يستعيدون مجد أيام العباسيين وخاصـــة منجـــزاتهم فى ميادين الفنون والعلوم والفلسفة والرياضيات والطب وهم يرون هذه الإنجازات جزء لا يتجزأ من معنى الإسلام وهيكله. وقد أولى العباسيون اهتمامًا واسع النطاق لدعم الدين وكانوا ناشطين فى تشييد المساجد الجديدة ودور العلـــم الدينيـــة، كمـــا آزرت الدولة علماء الدين بوصفهم أهل الصفوة المهنية التى تتمتع بالمكانة والنفوذ، ومن ثم فالذين تبحروا فى علوم القرآن وفـــى الشـــريعة وفـــى غيـــر ذلـــك مـــن التخصصات الدينية كانوا يبسطون نفوذهم على كثير من جوانب الحياة فى المجتمع العباسى كما أصبحت العربية لغة دولية بحق وتم تنفيذ مشاريع باذخة فـــى مجـــال الترجمة وخاصة بواسطة المسيحيين المستخدَمين أيَّامها فى بلاط الخليفة.

وكانت الجماعة عقب وفاة النبى قد بدأت فى تجميع الروايات المتعلقة بأقوال النبى وأفعاله خلال أطوار حياته على النحو الذى جمعه أقرب أصحابه وأصـــفيائه. وهذه المهمة انطوت على ممارسة عملية الجرح والتعديل للتحقق من مدى صـــحة كل رواية منفردة للأحاديث ومن ثم ترتيبها ضمن عدد هائل مـــن الروايـــات فـــى طبقات صُنِّفت على أساس الحديث الصحيح والحديث المحتمل والحديث الضـــعيف بغير سند. وبعد ذلك تم تصنيف الأحاديث فى مجموعات رئيسية ما زالـــت تتســـم بأهمية كبرى بالنسبة للمسلمين إذ إن هذه الأحاديث تشكِّل ســـنة النبـــى أو نهجـــه. وكثير من المسلمين الأمريكيين ما زالوا يروونها باعتبار أنها أهم مصدر لتوجيـــه السلوك. ويمكن أن يشير مصطلح الحديث سواء إلى رواية بســـند واحـــد أو إلـــى مجموعة بأكملها من الروايات.

كما أن مصطلح الحديث يمكن أن يشير سواء إلى رواية واحدة أو إلى طائفة

متكاملة من الروايات المُسندة. وإلى جانب سور القرآن التى تصف السلوك القويم وسُبُل التفاعل الاجتماعى الإيجابية فإن هذه الأحاديث المروية قُدِّر لها أن تصبح أساسًا لتطوير القانون الإسلامى أو الشريعة. وفى الأيام الأولى كانت القوانين تختلف اختلافًا بيّنًا من مكان إلى مكان مع اتساع الإمبراطورية الإسلامية لتشمل مناطق جغرافية وثقافية مختلفة. وبحلول القرن الثامن أفضى الاستياء إزاء هذه الاختلافات القانونية إلى محاولة لتوحيد القانون المعمول به. وكان ثمة أربعة من الفقهاء ممن عاشوا وعملوا فى القرنين الثامن والتاسع وأصبحوا يعرفون بوصفهم مؤسسى المذاهب السنية الرئيسية وهم أبو حنيفة (ت.٧٦٧) وهو مؤسس مذهب الأحناف، ومالك ابن أنس (ت.٧٩٦) مؤسس المالكية، وأحمد ابن حنبل (ت.٨٥٥) الذى جاء بالتفسير الحنبلى. وكان محمد الشافعى هو رابع هؤلاء الفقهاء العمالقة الذين ما زال أثرهم قويًا حتى اليوم ويشار إليه على أنه منسّق أو مهندس الشريعة الإسلامية. وثمة مدرسة أو مذهب خامس هى مدرسة الشيعة الجعفرية. وبصفة عامة فإن العالم الإسلامى منقسم إلى أتباع هذه المذاهب أو المدارس الشرعية التى لا تختلف كثيرًا من حيث التفاصيل وإن كانت توحى بقدر من التباينات الإقليمية. ومن الطبيعى أن أمريكا التى استقبلت مهاجرين من أنحاء العالم تمثّل خليطًا من هذه المذاهب جميعًا.

وربما لأن الشافعى سافر وتعرَّض لتأثير مناطق مختلفة عديدة من عالم الإسلام فقد اشتهر ذلك الفقيه بأنه يتّبع نهجًا جامعًا ومتنوعًا إلى حد ما، فبينما أكد على صرامة الالتزام بالقرآن والسنة بوصفهما جوهر الشريعة إلا أنه ما زال يُعَد داعية إلى اتخاذ موقف وسط ما بين صرامة الاتباع وما بين التوسُّع فى التفسير العقلانى المتحرر للشريعة. أما بالنسبة للقرآن والسنة (والقرآن موحى به فى حين أن السنة فى رأيه لا تنطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى) فإن الشافعى يضيف عند اللزوم مصدرين فرعيين للرأى الشرعى وهما الإجماع من جانب الأفراد المؤهلين لإصدار الأحكام واستخدام القياس المنطقى فى ظروف محدَّدة للغاية. ولذى تأكيده على الإجماع عمد إلى تحويل بؤرة الاهتمام بعيدًا عن التفسير الفردى إلى حيث أهمية الجماعة ككل مؤكدًا أن الله لن يدع الأمة تُجمِع على ضلالة. ويقف مؤلفه الشهير بعنوان «الرسالة» بوصفه صرحًا من صروح البناء القانونى مما

أضفى على الشافعى لقب مؤسس أصول الفقه. واليوم تهيمن المدرسة الشافعية فى الفقه على مناطق جنوب شرقى آسيا وشرق آسيا وجنوب الجزيرة العربية. والمسلمون فى أمريكا، شأنهم شأن أقرانهم فى مناطق كثيرة من العالم، يفهمون أهمية القرآن والسنة على النحو الذى أكده الشافعى، كما أن الكثير يحاولون أن يعيشوا فى جو أقرب ما يكون من أسلوب معيشة النبى ذاته ولكن آخرين، وهم قلة من الأصوات، يعتقدون أن أحاديث النبى برغم جلالها كمعايير للسلوك لا يحتاج الأمر بالضرورة إلى اعتبارها أمرًا مُلزِمًا.

فى الوقت نفسه، وفيما كانت قوات الإسلام تتقدَّم إلى الأمام وتكسب المزيد من الأنصار والأموال التى تدخل فى خزائن الخلفاء، وفى الوقت الذى كان الفقهاء والمشرِّعون يناضلون كى يلتمسوا الوسائل التى تنقى حياة المسلمين، كان هناك من أحسوا بالقلق إزاء الاتجاه الذى بدت الأمة الإسلامية تسير على هداه، هؤلاء الأتقياء من الرجال والنساء الذين انتموا إلى جماعة الإسلام الأولى ساورتهم الشواغل إزاء امتلاك الأرض واقتناء المال مما كان يبعد المسلمين عن المُثُل العليا المبسطة التى دعا إليها النبى محمد ومارسها فى أيام الإسلام الأولى: كان هؤلاء يصغون إلى تحذير القرآن ونذيره بشأن عذاب السعير الذى ينتظر الذين لا يعيشون حياتهم فى ظل المسئولية ثم زادت مخاوفهم بأن يكون هذا مصيرهم ومصير من يمسكون بمقاليد الأمور على السواء.

فى ظل هذا الوعى العميق لما ينتظرهم يوم القيامة، بدأ بعض الأتقياء فى اتباع نهج الزهد تعففًا حتى عن النِعَم المشروعة على الأرض وهو نوع من الرفض الذى لا ينعكس فيما أوصى به القرآن بأن لا ينسى المرء نصيبه من الدنيا. هذا الرفض عبَّر عن نفسه فى إنكار عميق للذات وفى الأخذ بالزهد المتقشف: اختار بعضهم لبس الثياب الخشنة وكأنها تعيد إلى الأذهان أقمصة الشَعْر التى كان يرتديها المسيحيون وكانوا بذلك يعبِّرون عمَّا يعتمل فى نفوسهم من استياء وجاءت كلمة الصوف فى اللغة العربية لتضفى على هؤلاء القوم اسم الصوفية ومذهب الصوفية انتشر وذاع ليصبح الاسم العَلَم الذى عُرفت به حركة الزهد والتقشف التى ما لبثت أن لعبت دورًا مهما فى تاريخ الإسلام. بل كانت الصوفية هى القاطرة التى دخل على متنها كثير من الأمريكيين إلى عقيدة الإسلام وينمو حاليا عدد من المذاهب الصوفية المختلفة وتكتسب مزيدًا من الأتباع فى الولايات المتحدة ذاتها.

كانت رابعة العدوية التى ذاعت شهرتها كزاهدة ومحبَّة لله من الشخصيات التى لقيت إجلالاً وتوقيرًا على تقواها وإخلاصها وتجرُّدها لله وتبنت ممارسات صوفية غاية فى التقشف. كانت واحدة من قلة من الزاهدات ممن سجّلن أسماءهن فى التاريخ وكن عددًا من النساء اللائى وجدن أن الزهد والتقوى والتصوُّف طريق إلى الله وسبيل أفضل من التقيُّد الصارم بأوامر القوانين الناشئة ونواهيها. وكثير من النساء الأمريكيات تجذبهن الأبعاد الروحية والرفاقية للتصوُّف. وقد وُلِدَت رابعة العدوية نحو عام ٧١٧ ويُقال إنها عاشت وحدها فى أشد الظروف تواضعًا ومن ذلك أنها التزمت العزلة فى خلوة صغيرة وهناك قصص كثيرة انتشرت بشأن قضائها أيامًا لا تتناول سوى كسرة خبز وبضع رشفات من الماء مكرِّسة نفسها للتأمل فى حب الله ومقتنعة تمامًا أن الله كفيل بأن يلبى كل احتياجاتها الأساسية. وفيما عاش بعض المتصوفة الأوائل فى خوف من عذاب النار فإن رابعة اعترفت بأن معرفة الله قد تغشَّتها لدرجة أن لم يعد لديها وقت للتفكير لا فى الدنيا ولا فى الآخرة. وعندما سئلت إذا ما كانت تحب النبى أجابت نعم بالطبع أحبه، ولكن محبتها كلها كانت مكرِّسة فى حقيقة الأمر لوجه الذات الإلهية ولدرجة أنه لم يعد لديها وقت لكى تفكر فى الرسول.

ومن القضايا التى فسَّرتها رابعة، فضلاً عن آخرين ممن كانوا يعتقدون أن لديهم حظوة للوصول إلى جناب الذات الإلهية، قضية احتمال رفع التكليف بمعنى النزوع إلى الالتفاف من حول ما يقضى به القانون الشرعى. وكما رأينا، فقد عاشت رابعة فى وقت كان يتركز فيه الاهتمام على أهمية التزام الجماعة بمقتضى القانون. وفيما لا يتوافر سوى قرائن قليلة على أنها تجاهلت المسئوليات الرسمية التى يرتبها الإسلام على المرء، حيث كان من الواضح أن هذه المسئوليات أقل أهمية بالنسبة لها إزاء المحبة المباشرة لله، فإن رابعة العدوية كانت من أوائل من اعتنقوا مذهب المحبة الصوفى الذى كثيرًا ما يفضى إلى نوع من التوحُّد بين المحب والحبيب أى بين البشرى والإلهى بطرق تهدِّد قدسية التوحيد ذاته. وفيما بعد نجم عن مذهب الصوفية مدرستان بالنسبة للسالكين إلى طريق الله تسمى إحداهما باسم «الصوفية الواعية» فيما تحمل الأخرى عنوان «الصوفية السكْرى» بمعنى تطرفهم فى إعلان توحُّدهم مع الرب مما كان يجلب عليهم سخط عامة المؤمنين.

وفى القرون التى تلت حياة رابعة العدوية، وبرغم الشكوك التى كان ينظر بها عامة المؤمنين إلى المتصوفة، فإن التصوف ظل يتطور ليصبح حركة رفيعة القدر ضمن عقيدة الإسلام إذ أضحى يمثل نوعًا من الخطوط الموازية لقانون الشريعة وكثيرًا ما يعرفه الناس على أنه الطريق إلى الله وخاصة فيما يتعلق بتأكيده على الرياضات التعبدية المتعلقة بالسرائر التى تحمل اسم الطريقة، هذا المصطلح الذى ينطبق على المجاهدة التى يسلكها المتعبد الفرد فى غمار بحثه أو بحثها عن سبيل يقربه إلى الله سبحانه فضلاً عن انطباقه على المدارس المختلفة التى ما لبثت أن تطورت فى نهاية المطاف وخاصة عندما استطاع كبار الصوفية أن يكون لهم تلاميذ وأن يقننوا ما كانوا يبشرون به من تعاليم. هذه الحركات نمت ونضجت فى جميع الأقطار الإسلامية ووجدت من ينتسب إليها بين كل طبقة اجتماعية واقتصادية. وبعد نحو أربعة قرون تم إنشاء عدد من الطرق الصوفية التى ما زال أتباعها ينتسبون إليها مخلصين لنهجها حتى يومنا هذا.

تُفهَم «الطريقة» على أنها سبيل عملى يتعلم الفرد الطامح من خلاله كيف يفوز برضا الله فى مدارجه العليا فيما يتربع على قمة كل طريقة من المتصوفة شيخ أو مرشد يدَّعى الانتساب إلى عترة النبى محمد ولكل طريقة منها مجموعة من التعاليم الخاصة التى تشمل سلسلة من الحالات والمراحل على طريق البحث الروحى الذى يستهدى فيه المريد بتعاليم وتوجيهات شيخه. وفى القرون الأخيرة أصبح التصوُّف وسيلة مهمة لتعليم عقيدة الإسلام. ولم تعد مدارس التصوُّف وطرقه تضم فقط المنتسبين الذين كرَّسوا أنفسهم إلى السير فى طريق السالكين الروحى بل ضمت أيضًا أتباعًا كانوا ينشدون تعلم الإسلام ويبغون الانتساب إلى جماعة المسلمين.

تطور الفلسفة وعلم الكلام والزهد

مع انقضاء القرون العديدة الأولى من الإسلام تحوَّلت الجماعة إلى مرحلة جديدة من وجودها فقد تم إنجاز التوسُّع الذى كان فوريا وتم جمع القرآن وتحقيق نصِّه كما تم جمع الأحاديث النبوية وجرت صياغة قوانين الشريعة. وكانت الحضارة الإسلامية تتحرك صُعُدًا نحو ذروة مجدها فى ظل تطورات جديدة فى مجالات الفنون والعلوم مما يصوِّر طائفة واسعة من الأنشطة الفكرية والفنية.

أما القرنان الهجريان الثالث والرابع فقد شهدا تطوُّرات مذهلة، لا فى مجال العلوم الدينية وحدها، ولكن أيضًا فى مجال الرياضيات والفنون والمعمار والطب والأدب والفلسفة بعد أن استطاع الإسلام أن يستوعب ويتمثل ومن ثم يطوِّر المفاهيم الكثيرة التى صادفها من خلال انتشاره السريع على رقعة جغرافية واسعة.

ومن المنجزات المرموقة فى تلك الفترة ما كان يمثله ازدهار العلوم الفلسفية الإسلامية. لقد كانت معظم أعمال أفلاطون وأرسطو معروفة للعرب المسلمين وساد الاعتراف طويلاً بأن الإسلام فى العصور الوسطى استطاع أن يقدِّم مساهمة دائمة لعالم المسيحية من خلال تهيئة السبيل أمام علماء الغرب لكى ينفتحوا على الأعمال الكلاسيكية العظيمة التى أبدعها اليونان والرومان من خلال ترجمات عربية ما لبثت أن استندت إليها اللغات الأوروبية. وبالإضافة إلى ذلك استخدَم فلاسفة المسلمين أدوات الفكر الفلسفى اليونانى لطرح أفكارهم، وأحيانًا كانوا يؤيدون نظريات الفكر الأرثوذكسى وفى أحيان أخرى كانوا يطرحون مقولات خطيرة تتحدى هذا الفكر ويدخلون فى حوارات مهمة بل ويخوضون فى اختلافات واسعة النطاق. ووسط هذا المشهد جاء ابن سينا الذى يعرفه الغرب بوصفه واحدًا من عمالقة الفكر الكبار فى مجال الفلسفة والعلوم الإسلامية.

يُقال إن مواهب ابن سينا تبدَّت مبكرًا فى الشغف العقلى بالمعرفة وبالمنجزات الفكرية مما كان له الفضل فى أن شق الرجل طريقه إلى حيث التميُّز المرموق. وعندما بلغ العاشرة من عمره كان قد حفظ القرآن بجميع أجزائه واتخذ طريقه من ثم إلى دراسة النحو والمنطق والرياضيات. وفى السادسة عشرة كان قد علَّم نفسه دروسا فى الفيزياء والميتافيزيقا والطب وأصبح معروفًا بوصفه فيلسوفًا ومنجِّمًا وطبيبًا فضلاً عن طول باعه فى مجال القانون. وعلى مدى سنوات عدة تجوَّل ابن سينا فى أنحاء بلاد فارس يجتمع إلى المتصوفة والفلاسفة ورجال الأدب ويشارك معهم فى أنشطتهم إلى أن استقر فى نهاية المطاف فى مدينة أصفهان الرائعة حيث أمضى فترة طويلة من السلام النسبى ليكتب عددًا من أهم أعماله وتوفى عام ١٠٣٧ فى همدان ويمكن هناك للسواح أن يزوروا قبره.

تغطى كتابات ابن سينا طائفة واسعة من الموضوعات. لقد كان مسلمًا ورعًا ورأى أن فلسفته تؤيد ولا تعارض المذاهب الرئيسية فى عقيدة الإسلام. لكن من

الاستثناءات المهمة في هذا الصدد رفضه فكرة انبعاث الأجسام الفعلية في نهاية الزمن وخضوعها إلى حكم نهائي يوم القيامة. وبدلا من ذلك قال ابن سينا بخلود الروح وذلك أحد المجالات الأساسية للاختلاف بين الفلاسفة ورجال الدين المسلمين. وفيما بعد لاحظ العلماء العلاقة بين فلسفة ابن سينا وأفكاره الدينية وبين اتجاهاته التصوفية. كما أن كتاباته تصر دائما على أن الله سبحانه هو الحقيقة الأولى التي يتوقف عليها وجود جميع المخلوقات والموجودات. وفي كل حال فإن ابن سينا يمثل بصورة جوهرية عبقرية الحضارة الإسلامية في قمة ازدهارها التي تمثلت في ازدهار الفنون والعلوم وفي إدماجها معًا ضمن سياق متكامل للمعرفة وهو ما يجسّده الرجل من حيث النطاق والتكامل. وما زال هناك من يُسَلّم لهذا العملاق المفكر والفيلسوف بدوره في تطوير مسار الإسلام حيث يشغل مكانة سامقة من الاحترام والتوقير في الغرب بقدر ما يشغل أيضًا المكانة نفسها في تاريخ الجماعة الإسلامية. وفيما لا يزال المسلمون في أمريكا يتحركون قدُمًا لشغل مواقع القيادة المهنية فإن عليهم أن ينظروا إلى ابن سينا نموذجًا للإبداع والإثراء العلمي والفني على السواء.

وبعد نحو نصف قرن من ابن سينا ظهرت شخصية أخرى تمتّع صاحبها بنفوذ واسع النطاق بحيث تَعيَّن على هذه الشخصية أن تلعب دور «التكامل» وربما دور «التصالح» في تاريخ الفكر الإسلامي: إنه العالم الديني والفيلسوف والمتصوف الشهير أبو حامد الغزالي. وكما أن الشافعي هيأ سبيلاً وسطًا بين تطرفين قانونيين في عصره، كما أن ابن سينا كان يجمع في شخصيته بين طائفة متنوعة من التخصصات، فإن الغزالي كان بمثابة عنصر التذكير للأمة الإسلامية التي كانت تعاني التشتت أحيانا ليقول لها إن الإسلام الحق يجمع ويؤلف بين الأطراف والمسارات كافة، وأن مظلة الإيمان تتيح التوسُّع في مختلف التفسيرات للعقيدة. وشأن كثير من أضرابه في تاريخ الإسلام، بمن في ذلك الزعيم الأفرو - أمريكي المسلم الحالي وارث دين محمد، فقد ساد النظر إلى الغزالي بوصفه مجدّدًا للعقيدة بمعنى أنه حسب الحديث الشريف يظهر مرة واحدة على رأس كل مائة سنة ليعيد الإيمان إلى نفوس جماعة المسلمين.

وُلد الغزالي في مدينة طوس الفارسية في عام ١٠٥٨ أي بعد ثلاث سنوات

من استيلاء السلاجقة الأتراك على بغداد. وبحلول هذه المرحلة كانت العقيدة قد حققت نموا سريعا كما اندمجت بين طياتها شعوب وثقافات متنوعة وعديدة لتشكل الأمة مما جعل من نموذج الوحدة أمرًا صعب التحقيق. كانت الخلافة تواجه أصعب أيامها لدرجة أن الخليفة العباسي الحاكم في بغداد كان بلا حول ولا قوة تقريبًا. وكان الشيعة الإسماعيليون يهددون بقوة الزعامة السنية للجماعة الإسلامية كما أن الخلافات الناشبة بين الفلاسفة وعلماء الكلام كانت بدورها تمثل إسفينًا واضحًا يُدَق بين كبار علماء الدين وقادة الإبداع الثقافي. فالذين اتبعوا طريق التصوف والزهد وجدوا أنفسهم في زمن الغزالي على خلاف خطير مع الذين اختاروا تفسيرا للعقيدة يتسم بالمزيد من الاتباع والاعتدال. ووسط هذه الدوامة المعقدة من التوترات المذهبية جاء هذا المفكر والعالم الديني الشاب الذي أخذ على عاتقه أن يهيئ سُبُل التواؤم قدر الإمكان بين الجانبين من خلال نموذج يضربه بنفسه في مجالات الفكر والسلوك.

في زمن الغزالي كان علماء الكلام المسلمون قد حلُّوا بعضًا من القضايا الحسَّاسة وإن كان ذلك لم يخل من بعض العنف الذي صاحب تلك الجهود. فمنذ عدة قرون سبقت حاولت مدرسة المعتزلة في مجالات الفلسفة وعلم الكلام، وبغير نجاح، الدفاع عن فكرة حرية الإرادة الإنسانية على أساس أن العدل الإلهي لا بد وأن يفرض حرية الاختيار والكسب أمام البشر. وكانت «النتيجة» المعتمدَة دينيا هي أنه فيما يتحمل البشر المسئولية، عما يفعلون فإن الله هو الخالق بمعنى أن الله يخلق أفعال البشر. والغزالي نفسه كان جزءًا مما يُعرف بالمدرسة الأشعرية في علم الكلام التي اكتسبت اسمها من فقيه حاول التوفيق بين المسئولية البشرية وبين السلطة والمعرفة الربانية ومن المهم أن كثيرًا من الأفكار الدينية الإسلامية في القرن الثاني عشر وجدت نفسها في حالٍ من التعاطف مع ما ذهب إليه المعتزلة.

وفيما كان الغزالي عالمًا من علماء الدين فقد كان فيلسوفًا أيضًا، واتجهت عبقريته الخاصة إلى دمج العلوم الفلسفية ضمن دراسة العلوم الدينية بطريقة لم تكن مسبوقة من قبل. ثم حدث في عام ١٠٩٥ أن تعرَّض الغزالي لأزمة روحية غيَّرت مسار حياته. ومن خلال تعاليمه ومؤلفاته حاز شهرة واسعة بوصفه أبرز علماء الدين في زمانه، ولكن عوامل تبرمه كانت عميقة وكما يحكي هو بنفسه في

سيرته الذاتية فقد حَمَله الله فى نهاية المطاف على أن يعيد النظر فى مراحل حياته بطريقة مستجدة تمامًا وفى لحظة ختامية من أزمته ألجم الله لسانه فعلاً لدرجة أن أصبح عاجزًا عن أن يقوم بما كان يؤديه باقتدار ألا وهو إلقاء دروسه على الجمهور فى مدرسته. وفجأة تجلّت له دروسه على أنها غير ذات معنى وأدرك أن دوافعه كانت تفتقر إلى الصدق بل إن حياته كلها بدت وكأنها صائرة إلى كارثة وعليه فقد قال «رأيتنى على حافة جرفٍ هارٍ من الرمال أواجه خطرًا محدقًا يتهددنى بعقاب النار اللهم إلا إذا بدأت على طريق الإصلاح» هكذا كتب فى سيرته الذاتية وأضاف قائلا: كم كانت النوازع الدنيوية تجهد فى أن تكبّلنى بأغلالها فيما كنت أسمع صوت الإيمان ينادينى بأن أسلك الطريق، فما بقى من الحياة سوى القليل فإن لم تُعد نفسك الآن للحياة الأخرى فمتى يكون الإعداد وإن لم تكسر ما يكبلك من أغلال فمتى تكسرها(٢).

فى ظل هذا التحدى الذى لا مهرب منه بدأ أبو حامد الغزالى انشغاله الخطير بممارسات الصوفية وأصبح بالتدريج مقتنعًا بأن المرء لا يستطيع الوصول إلى الحقيقة، لا من خلال العقل ولا من خلال الحواس ولكن بإدراك وجود الله فى حياة الإنسان وفى قلبه حيث يتم ذلك من خلال مجاهدة للنفس وبفعل نشاط روحى منضبط. وخلال هذه الفترة من حياة الرجل كتب الغزالى عملاً يُنظَر إليه على أنه أهم أعماله وأبقاها على مر الزمن بعنوان «إحياء علوم الدين» حيث جمع بين الشريعة والعقيدة والفلسفة بحيث أعطى لكل منها مكانه ضمن نسيج الإسلام وبحيث تم هذا كله من خلال إيمان صوفى عميق. وربما يكون الأكثر أهمية هو ما دلّل عليه الغزالى من أن ممارسات الصوفية عندما يتم انتهاجها فى ظل الإحساس بالمسئولية ليست أمرًا خطيرًا ولا مناقضًا للفهم الصحيح للعقيدة بل إنها تهيئ قاعدة لتجربة دينية يمكن من خلالها أن يعيش الإنسان على مقربة من ربه بما يجدّد الإيمان فى قلب المؤمنين. على أن الصراعات الناشبة بين الصوفيين «السكرى» وبين علماء الدين العقلانيين لم تخف حدتها قط وإن كان الغزالى قد طرح تأكيدا بشأن الطريقة التى يمكن بها فهم جميع أطياف الإيمان على أنها متكاملة وتدخل ضمن النسيج الأكبر للعقيدة الإسلامية. ويتسم بالأهمية فى هذا المجال تأملات الغزالى الصوفية متمثلة فى موهبته العظمى التى أدت إلى الانسجام بين العقل

والقلب فضلاً عن قدرته على أن يعرض هذا التكامل فى مجموعة من الرسائل التى تموج بالحيوية وتحض على الاقتناع.

مع ذلك فهناك كثير من المتصوفة الذين كرّسوا أنفسهم تمامًا إلى إبداعات شعرية رفيعة كانت تشى بما خاضوه من تجارب حميمة للغاية فى حضرة الله سبحانه. ويحفل أدب التصوف الإسلامى بالكثير من شعر الحب الصوفى ما بين مصر إلى فارس إلى الهند وما بعدها. وكثير من هؤلاء الشعراء خلبوا ألباب القُرّاء والمتطلعين الأتقياء إلى أن يسلكوا طريق الصوفية وما زالوا مقروئين حتى الآن فى كثير من الطبعات والترجمات. وربما لم يكن هناك من أشعل قلوب ذوى الحساسية الدينية الذين يحدوهم الشوق إلى التواصل مع الذات الإلهية بالطريقة نفسها على نحو ما فعل الصوفى الأشهر فى الأناضول، جلال الدين الرومى.

عاش الرومى بعد نحو قرن من الغزالى وجاء أصلاً من منطقة بلخ فى خراسان، وهى منطقة ينصهر على أرضها كثير من الثقافات ومن أشكال التعبير الدينى. ويُحتَمل أن أباه استشعر خطر الغزو المغولى من آسيا ومن ثم هرب بعائلته مرورًا بمدن وحواضر إسلامية شهيرة مثل بغداد ومكة إلى أن استقر أخيرًا فى آسيا الصغرى وبالتحديد فى مدينة قونية القديمة التى تقع اليوم فى قلب دولة تركيا الحديثة. وعلى غرار الغزالى أصبح الرومى مُعلمًا محبوبًا للغاية يجمع من حوله عددًا كبيرًا من التلاميذ والمريدين. على أن أخطر حدث فى حياة الرومى كان لقاؤه مع شمس الدين التبريزى بشخصيته الكاريزمية الغامضة: كان صوفيا يقود مذهبًا روحيا كبيرًا يرفض فى العادة أى علاقات اجتماعية. ويقال إن شمس الدين انحدر إلى قونية من مكان غير معروف فكان أن سيطر على الرومى بمجرد قوة حضوره وفى السنوات اللاحقة كان الرومى يكتب عن شمس على أنه أستاذه المحب وصديقه بالروح وجسَّدت علاقته مع شمس شكل العلاقة بين المحب والمحبوب بين المشوق إلى محبة الله وبين الرب الذى هو مناط هذا الحب ومن ثم فإن هذه العلاقة نتج عنها أجمل شعر مكتوب فى باب الحب الصوفى. وبرغم أن العلاقة بين التبريزى والرومى لم تدم سوى سنوات قليلة فإن أثرها على الرومى كان عميقًا لدرجة أنه استطاع أن يستقى منها الإلهام والقوة الروحية التى لازمته طيلة حياته ويقال إنه تلقى موته بفرح إذ يعلم أنه فى آخر المطاف سيكون فى

حضرة ربه المحبوب وتُعد مقبرته فى قونية مكانًا لـــه أهميتـــه الكبيـــرة كمقصـــد للزائرين فضلاً عن توقيرها بوصفها المركز الروحى فى تركيا.

يتسم شعر الرومى بطابع إيقاعى مما يتيح سهولة تلحينه موسيقيا وخاصـــة عندما تنساب أنغام الناى التى تأخذ بمجامع القلب فتصورّ أشواق الـــروح. وبـــرغم استخدام الموسيقى والرقص مما أثار ثائرة المتزمتين على مدى قرون على أســـاس أن تلك وسيلة ما أيسرها للوصول إلى سكرة الأذكار إلا أن الموسيقى ظلت تمثـــل وسيلة مهمة من وسائل التعبير الصوفى بالنسبة لكثير من فرق المتصوفة. وربما لا يوجد أشهر من طريقة المولوية التى اعتمدت هذا النهج وقد أسسها جـــلال الـــدين الرومى ويُطلَق عليهم عادة اسم الدراويش الدوَّارة. وفيما تبدو كلمـــة «الـــدوَّارة» وكأنها تشير إلى نوع من الالتفاف العصبى فإن المشاركين الذين يرتدون فى واقـــع الأمر أقمصة طويلة وطيلسانات فوق رءوسهم يستديرون ببطء ورشـــاقة وكأنمـــا تقصد حركتهم إلى أن تعكس حركة الكواكب التى تدور حول محور الكون. وهـــذا الرقص الروحى ظل يجتذب الأتباع المخلصين وما زال بالتدريج يجتذب جماعات تحاول أداءه من الصوفية فى أمريكا برغم أن ما يؤدونه مـــا زال موضـــع جـــدل طويل بالنسبة لتماثله مع رقص المولوية أنفسهم. وفى كل حال يظل الرومى ذاتـــه واحدًا من أحب الشخصيات فى سلك الورع التصوفى الإسلامى حيث إن أشـــعاره وتعاليمه تعكس أعمق جوانب العلاقة بين الإنسانى من جهة والإلهـــى مـــن جهـــة أخرى.

السنوات المتوسطة

على مدار قرون لاحقة استجدت تطـــورات كثيـــرة علـــى أرض الإســـلام الشاسعة وبلغت من التعقيد بحيث يصعب تفصيلها فى السياق الحـــالى. فـــالمغول وصلوا فى حقيقة الأمر إلى بغداد عام ١٢٥٨ ومن ثـــم كـــان تـــدميرها وســـقوط الخلافة العباسية. أما سنة ١٤٩٢ فلم تشهد فقط مغامرة كريستوفر كولومبس فـــى رحلته إلى أمريكا ولكنها شهدت أيضًا بداية محاكم التفتيش المسيحية فـــى إســـبانيا وموت أو طرد مواطنيها المسلمين. أما الحروب الصليبية، فقد كانت مغامرة ســـيئة الحظ خاضها الغرب لإعادة الاستيلاء على بيت المقدس، أدت إلـــى المزيـــد مـــن

المذابح وسفك الدماء فوصلت إلى نهاية وكأنها تترنح فى خطاهـا عنـد منتصـف الألفية الثانية. ولكن المسيحيين لم يحوزوا شيئًا له قيمة اللهم إلا ما خلَّفوه من ذرية غير شرعية فيما ظل المسلمون على مدار القرون اللاحقة يذكرون ولا ينسون مـا أصبحوا يسمونه الآن أول حلقة فى سلسلة طويلة من المشاريع الإمبريالية الغربيـة فى أرض المسلمين.

وبعد احتلال بغداد تحرك الأتراك السلاجقة الذين تحولوا إلى دين الإسـلام، وبالتدريج، لكى يبسطوا سيطرتهم على جميع أنحاء الأناضول. وفى عـام ١٤٥٣ شهدت أوروبا الغربية تحقيق واحد من أسوأ عوامل خشيتها عندما استولت قـوات الأتراك المسلمين على مدينـة القسـطنطينية العتيـدة واحتلتهـا وأنشـأت بـذلك الإمبراطورية العثمانية التى كُتب لها البقاء حتى نهاية الحرب العالمية الأولى. وفى ظل السلطان سليمان القانونى، أضحت القسطنطينية، وقـد تحـوَّل اسـمها إلـى إسطنبول، واحدة من المدن الزاهرة فى العالم حيث أصبح الجامع الأزرق وغيـره من الصروح الإسلامية على أرضها مواقع خلبت ألباب الغـربيين الـذين ظلُّـوا باستمرار مبهورين بالثقافة الإسلامية. وفى بدايات القرن السـادس عشـر، ومـع صعود بابور بوصفه أول الأباطرة المغول فى الهند، أصبح الإسلام ملمحًا ثابتًا من ملامح شبه القارة الهندية ومن ثمَّ واصل خلفاؤه تشييد الصروح الإسلامية وكان فى مقدمتها تاج محل، أعظم روائع المعمار الإسلامى.

وفى مرحلة مبكرة فى القرن الثالث عشر، كان التجار يأتون مـن السـاحل الجنوبي الشرقى للجزيرة العربية وقد شقُّوا طُرق التجارة عبـر المحـيط الهنـدى وصولاً إلى أراضى إندونيسيا حيث حملوا معهم كلمة الإسلام وتزاوجوا مع نسـاء ذلك البلد كما أن انتشار المذاهب الصوفية لعب دورًا رئيسيا فى تقديم الإسلام إلـى تلك المناطق إلى أن أصبحت إندونيسيا اليوم أكبر بلد إسلامى فى العالم. أما ماليزيا وغيرها من أنحاء جنوب شرقى آسيا فأصبحت بدورها مراكـز زاهـرة للحيـاة الإسلامية بعد إنشاء أول دولة إسلامية فى جنوب شرقى آسيا فى بـدايات القـرن السابع عشر. وفى ظل المملكة الصفوية فى فارس فى القـرنين السـادس عشـر والسابع عشر، انتعشت أيضا العلوم الإسلامية التى ما زالت تتجلى حتى اليوم فـى الفنون والعمارة المزدهرة بمدينة أصفهان.

كان الإسلام بطبيعة الحال قد وطد أركانه عبر شمال أفريقيا فور وفاة النبى. ثم جاءت قرون من الاستكشاف والتجارة والجولات التى قام بها أقطاب التصوف ومبشروه إلى أراضى أفريقيا لتحمل بدورها الإسلام إلى عددٍ من المناطق التى وصلت إليها عقيدة الإسلام وثقافته وانتشرت فى ربوعها وباتت ممثّلة اليوم فى كثير من أوجه الإسلام الأمريكى.

وعند بداية المغامرات الكولونيالية الغربية، كان ثمة إمبراطوريات إسلامية شاسعة ثلاث تسيطر على مساحات ضخمة من العالم: الإمبراطورية التركية فى كثير من أنحاء الشرق الأوسط، والدولة الصفوية فى فارس ودولة المغول فى الهند. وربما مع غزو نابليون فى حملته إلى مصر عام ١٧٩٨ بدأ الغرب يدخل فى طور تعيسٍ من تاريخه الجمعى شهد اقتصاديات وشهوة التوسُّع فى السيطرة الإقليمية مقترنا بشعور سافر من سطوة الانصياع للقدر المكتوب. لقد أقنع الغرب نفسه برسالة يحملها من أجل تمدين وتعليم كثير من أنحاء العالم وخاصة فى تلك المناطق التى كانت واقعة تحت سيطرة المسلمين وكانت تلك مغامرة اتخذت شكل التدخُّل العسكرى والسياسى أو أسلوب البعثات التبشيرية المسيحية. فعلى مدار سنوات القرن التاسع عشر استولى البريطانيون على الهند وماليزيا واحتل الهولنديون إندونيسيا وبسط الروس سيطرتهم على تركستان. وفى عام ١٨٣٠ استولت فرنسا على الجزائر ومن هناك توسَّعت فى سيطرتها على مناطق الصحراء الكبرى وعلى كثير من غرب أفريقيا ومن أفريقيا الاستوائية الإسلامية، وفى عام ١٨٨١ استولت على تونس. ثم وقعت مصر تحت احتلال بريطانيا فى عام ١٨٨٢ وما أن وافت نهاية القرن حتى بسط البريطانيون سيطرتهم على النيل وصولاً إلى السودان. شاركت أيضًا كل من إسبانيا وألمانيا وبلجيكا فى هذه الوليمة ولو بنتائج أقل بوضوح. أما أكبر غزو شنته إيطاليا فكان فى ليبيا عام ١٩١١. فى الوقت نفسه كانت الإمبراطورية العثمانية تتمزق أوصالها حيث استطاع الغرب أن ينتزع أقطار أوروبا الشرقية من الدولة واحدًا بعد الآخر كما أصبح الشرق الأوسط فى معظمه تحت النفوذ الغربى بشكل كثيف. وعندما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها أصبحت الإمبراطورية العثمانية حديثًا من أحاديث التاريخ: العرب من جانبهم جربوا حظهم فأيدوا الغرب ضد الأتراك وهم أقرانهم فى الدين فصدّقوا الوعود (الغربية) بإمكانية إعلان دولة عربية مستقلة، ولكن سرعان ما راعهم

اكتشاف أن بريطانيا وفرنسا لم يكن لديهما أى نية للوفاء بالوعد بل وفى واقع الأمر كانتا قد اتفقتا سرا على تقسيم الشرق الأوسط إلى مجالين منفصلين من مجالات النفوذ: بريطانيا التى كانت لا تزال تسيطر على مصر والهند أخذت العراق وفلسطين وشرق الأردن، أما فرنسا فبالإضافة إلى أراضيها فى شمال أفريقيا فقد تحركت للسيطرة على لبنان وسورية. هذه الترتيبات حملت اسم «الانتداب» وقد صادقت عليها عصبة الأمم التى كانت قد تأسست حديثًا فى تلك الفترة، أما تركيا ذاتها فقد انقسمت إلى عددٍ من المناطق تحت أشكال مختلفة من السيطرة الغربية ولم يُترَك فى أيدى المسلمين سوى جزء محدود من إمبراطوريتها السابقة. إيران كانت قد حاولت أن تظل على الحياد خلال سنوات الحرب ولكنها وجدت نفسها وقد انتُهِكت أرضها بواسطة عدد من القوات الغربية فافتقرت إلى الاستقرار حيث استأثرت بريطانيا بأكبر نفوذ ملحوظ هناك على نحو ما كانت تتمتع به أيضًا فى سائر أنحاء الشرق الأوسط. ومما أضاف إلى شعور المسلمين بالمهانة والإحباط أن تلقوا ضربة أخرى وُجِّهَت إلى العالم الإسلامى متمثلة فى وعد بلفور الذى نص على إنشاء وطن قومى لليهود فى قلب فلسطين ذات الطابع الإسلامى أساسا.

نجم عن هذا كله آثار مدمرة يصعب تقييم مغبتها، وتمثلت فى هذه التدخلات الغربية فى أرض المسلمين وخاصة فيما يتعلق بشعور المسلمين بالاعتزاز العميق بديانتهم وثقافتهم. وفيما كانت المسئولية عن انطلاقة هذا الاستعمار الغربى تقع أساسًا على عاتق أوروبا وفى مقدمتها بريطانيا وفرنسا خلال القرن التاسع عشر، فقد جاء القرن العشرون ليحوِّل تبعة هذا الاستعمار فى عيون المسلمين إلى عاتق الولايات المتحدة. وعلى مدار القرن العشرين تخلت الدول الأوروبية عن سيطرتها السياسية على البلدان الإسلامية واحدة بعد الأخرى برغم أن الحدود المرسومة لكثير من تلك البلدان ما زالت هى الحدود التى سبق رسمها اعتباطًا مع نهاية الحرب العالمية الأولى. إلا أن الولايات المتحدة، من خلال دعمها لدولة إسرائيل، وتعاونها مع الحكام المسلمين الذين يُنظَر إليهم على أنهم يعملون ضد مصالح الإسلام الحق، فضلاً عن استغلالها الاقتصادى ومحاولاتها فى مجال التبشير المسيحى مما بدا وكأنه موجَّه للقضاء على الإسلام، ما لبثت أن أصبحت هدفًا لانتقاد عميق من جانب كثير من الزعماء المسلمين وخاصة فى النصف الثانى من

القرن العشرين. وهكذا فإن المسلمين المهاجرين إلى أمريكا يجدون أنفسهم أسرى بين الحاجة السياسية أو الاقتصادية التى تدفعهم إلى التماس وطن جديد فى أمريكا وبين العبء السيكولوجى الذى يتمثل فى أنهم قدموا إلى مكان يتصورونه منطلقًا لكثير من الاستغلال والمعاناة.

الذين صاغوا عالم الإسلام فى القرن العشرين

ناضل الزعماء المسلمون على مدار القرن العشرين لاستعادة اعتزازهم بدينهم كعقيدة وكمؤسسة ثقافية. كما أن الحركات الكثيرة التى أسسوها، ومنها ما لا يزال له نفوذه بين صفوف المسلمين الأمريكيين والمسلمين الذين تعلموا فى أمريكا وعادوا إلى أوطانهم أكثر من أن تحصى وأصعب فى تعقيدها من الحديث عنها بالتفصيل فى هذه السطور. ومع ذلك يمكن استنتاج ما تم من خلال حياة قلة من الأفراد الذين قدموا مساهمات ملموسة فى صياغة إسلام يقصد أولاً إلى استعادة الأمجاد الضائعة فيما يقدّم بديلاً فعّالاً لما يراه المسلمون أشكالاً من الإمبريالية الغربية (الأمريكية) تنطوى على خطر مزمن وإن كان مستترًا.

مع نهاية الحرب العالمية الأولى اضطر المسلمون فى تركيا إلى أن يتخلوا عن جميع أفكار إمبراطوريتهم وأن يركزوا على إعادة بناء دولتهم. وقد فعلوا ذلك فى ظل القيادة الاستثنائية لمصطفى كمال الذى عُرف بعد ذلك باسم أتاتورك الذى يُعد مؤسس دولة تركيا الحديثة. ويشعر كثير من المسلمين وكثير من الأتراك بقوة بأن القيادة الملائمة للجماعة الإسلامية ما زالت هى الخلافة. أما مصطفى كمال فقد أدرك بسرعة أن مستقبل تركيا لا يكمن فى مؤسسة عفى عليها الزمن ولكن فى سرعة تعريف تركيا لنفسها بوصفها كيانا قوميا يتمتع بالقوة والنفوذ. وعندما تم إعلان الجمهورية التركية رسميا فى عام ١٩٢٣ أعلن مصطفى كمال أنه سيحكم بوصفه رئيسًا منتخبًا من الجمعية الوطنية. ولم يكن عجيبًا أن يتبوأ أتاتورك نفسه هذا المنصب كأول رئيس. وفى عام ١٩٢٤ وبرغم مناشدات قوية من جانب سائر الزعماء فى العالم الإسلامى، صدَّقت الجمعية الوطنية على مقترحات أتاتورك بإعلان دولة علمانية بشكل كامل وإلغاء الخلافة رسميا. ورغم أن مركز الخليفة كان لوقت طويل قد فقد السلطة والنفوذ اللذين كان يتمتع بهما فى الأصل بعد وفاة النبى، إلا أنه ظل رمزًا لشارات الحكم والسلطة الجامعة للمسلمين. ومن ثم جاء

إلغاء الخلافة بمثابة صدمة عميقة للكثيرين فى أنحاء العالم الإسلامى، بل ونجم عنها أثر دائم بالنسبة للفكر السياسى الإسلامى.

مع نهاية الحرب العالمية الأولى اضطر المسلمون فى تركيا إلى أن يتخلوا عن جميع أفكار إمبراطوريتهم وأن يركزوا على إعادة بناء دولتهم. وقد فعلوا ذلك فى ظل القيادة الاستثنائية لمصطفى كمال الذى عُرف بعد ذلك باسم أتاتورك الذى يُعد مؤسس دولة تركيا الحديثة. ويشعر كثير من المسلمين وكثير من الأتراك بقوة بأن القيادة الملائمة للجماعة الإسلامية ما زالت هى الخلافة. أما مصطفى كمال فقد أدرك بسرعة أن مستقبل تركيا لا يكمن فى مؤسسة عفى عليها الزمن ولكن فى سرعة تعريف تركيا لنفسها بوصفها كيانا قوميا يتمتع بالقوة والنفوذ. وعندما تم إعلان الجمهورية التركية رسميا فى عام ١٩٢٣ أعلن مصطفى كمال أنه سيحكم بوصفه رئيسًا منتخبًا من الجمعية الوطنية. ولم يكن عجيبًا أن يتبوأ أتاتورك نفسه هذا المنصب كأول رئيس. وفى عام ١٩٢٤ وبرغم مناشدات قوية من جانب سائر الزعماء فى العالم الإسلامى، صدّقت الجمعية الوطنية على مقترحات أتاتورك بإعلان دولة علمانية بشكل كامل وإلغاء الخلافة رسميا. ورغم أن مركز الخليفة كان لوقت طويل قد فقد السلطة والنفوذ اللذين كان يتمتع بهما فى الأصل بعد وفاة النبى، إلا أنه ظل رمزًا لشارات الحكم والسلطة الجامعة للمسلمين. ومن ثم جاء إلغاء الخلافة بمثابة صدمة عميقة للكثيرين فى أنحاء العالم الإسلامى، بل ونجم عنها أثر دائم بالنسبة للفكر السياسى الإسلامى.

من ناحيته لم يكن أتاتورك يعتقد أنه كان يتخلى عن الإسلام، بل كان هدفه يتمثل فى دعم الدولة كما هى فيما يُنظَر إلى الدين على أنه إحدى القوى الدافعة فى هذه العملية، ولكن يتعيَّن أن تكون قوة معنوية وليست قوة سياسية. ولا يتميز مصطفى كمال بنجاحه فقط فى إرساء دور تركيا بوصفها لاعبًا رئيسيا فى ساحة القرن العشرين، ولكن فى أنه كان كذلك داعية رئيسيا لاقتصار الدين على الحياة الخاصة. مع ذلك قد لقيت إجراءاته معارضة وانتقادًا شديدين وبصفة عامة لم تنشأ العلمانية بوصفها خيارًا شعبيا محببًا لمعظم المسلمين الذين يشغلهم إعادة التفكير فى دور الإسلام فى العالم الحديث. ومن جانبهم يرقب المسلمون فى أمريكا باهتمام كبير تركيا وهى تناضل لإقرار شرعية وجودها كعضو فى جامعة الدول الأوروبية

فى الوقت الذى يرفض جزء من قادتها وكثير من سكانها التخلى عما يميِّز هويتها كدولة ما برح الإسلام يقوم فيها بدور ذى أهمية كبرى.

ومن بين الذين أعربوا عن الانشغال إزاء اتجاه أتاتورك العلمانى وإلغاء الخلافة كان عدد من كبار قادة المسلمين فى الهند. ومنذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى القرن العشرين، ظل مسلمو الهند (ومن ثمَّ باكستان) من بين أحرص من يحاولون رسم طريق سليم بالنسبة لإسلام حديث: بعضهم تأثر بقوة بالعقلانية الغربية والأوروبية بينما كان ثمة قادة دينيون تقليديون عارضوا بشدة هذه التعاليم الغربية. وبحلول منتصف القرن العشرين، نشأ عدد من التيارات القوية فى الفكر الإسلامى مما أسهم فى إنشاء دولة باكستان فى عام ١٩٤٧.

كان محمد إقبال هو الاسم الذى ارتبط بصورة عامة بفكرة تكوين دولة مستقلة يكون الإسلام فيها الديانة الرسمية. وكونه توفى قبل نحو عقد من الزمن من تحقيق هذه الرؤية فى عام ١٩٤٧ لا ينال من تأثيره فى هذا الصدد. ورغم أن محمد على جناح هو فى حقيقة الأمر مهندس الدولة الجديدة لكنه لم يعش بدوره طويلاً ليرى إنشاءها وقد بلغت قناعة جناح بأفكار إقبال لدرجة أنه قاد المسيرة بوصفه زعيم حزب الرابطة الإسلامية نحو إنشاء دولة جديدة برغم المناشدات اليائسة من كثير من بنى وطنه الهنود بمن فيهم المهاتما غاندى من أجل عدم تقسيم الهند.

وبينما كانت الأحداث ذات الأهمية الفائقة لمستقبل الإسلام تقع فى تركيا، وفى شبه القارة الهندية على مدار النصف الأول من القرن العشرين، كانت مناطق أخرى تشهد توترًا، بل وتشهد الإثارة التى تصاحب طرح فكر جديد وغير مسبوق.

من ناحية أخرى كانت مصر تمثِّل واحدة من أخصب البقاع لهذا النوع من الإقدام على مغامرة دينية تجديدية وكان رائد روَّاد الإصلاح فى أوائل القرن العشرين هو محمد عبده الذى كان مُصلحًا عمليا اختار أن يبذل جهوده من خلال عملية تطورية كان يأمل منها أن تكفُل استمرار التغيير. وعليه فقد تبنى محمد عبده سلسلة من الإصلاحات فى مجال التعليم الدينى بجامعة الأزهر العتيدة وتبوأ منصب المفتى فى مصر لكى يحقق التجديدات التى كان يدعو إليها ثم تعاون مع رشيد رضا لإصدار تفسير للقرآن ما زال يُعد كتابًا أو مرجعًا تأسيسيا لفهم الإسلام فى القرن العشرين.

ومع توالى العقود الأولى من القرن واجه تراث محمد عبده (توفى عام ١٩٠٥) تحديًا من جانب بعض من رأوا فيه منحى تقدميًّا أكثر من اللازم أو متآلفا أكثر من اللازم مع الأفكار الغربية أو عازفًا أكثر من اللازم عن الدعوة إلى حل أكثر راديكالية لمشاكل إسلام كان قد ركن إلى نوع من السبات. ومن الذين اقترحوا نهجًا مختلفًا للغاية فى هذا الصدد حسن البنا الذى أفضى به إصراره على التغييرات الفعالة إلى تشكيل جماعة الإخوان المسلمين بكل قوتها وهى منظمة ما برح لها نفوذها وتأثيرها فى قطاعات شتى من مسلمى أمريكا. لم ير حسن البنا فى المجتمع المصرى ذلك التغيير المتواصل الذى كان يرجوه محمد عبده ولكنه رأى ميلاً متزايدًا نحو العلمانية وتجاهلاً لتراث الشريعة الإسلامى والأعراف الإسلامية فضلاً عن نمو طبقة وسطى عليا مبهورة إلى حد كبير بالثقافة الغربية. وفى أواخر عشرينيات القرن العشرين بدأ البنا وعدد من أعوانه جماعة الإخوان المسلمين بوصفها دعوة للعودة إلى الحياة السياسية والاجتماعية التى تستهدى بهدى الله سبحانه. كانت حركة حضرية إلى حد كبير ولكنها اجتذبت جموع الجماهير فضلاً عن قطاعات واسعة من المهنيين المتعلمين. ورغم أنها لم تمثل حزبًا سياسيا، على الأقل فى أيامها الأولى، إلا أنها ما لبثت بسرعة أن اكتسبت سخط الأحزاب والأطراف الحاكمة. وفى عام ١٩٤٩ دبَّرت الحكومة المصرية اغتيال حسن البنا بعد أن أثارت حركة الإخوان مطالبة جماهيرية بإقامة دولة إسلامية. وفى عام ١٩٥٤، وبعد محاولة الاعتداء على حياة الرئيس جمال عبد الناصر، اعتبِرَت حركة الإخوان المسلمين خارجة على القانون برغم أنها ظلت تواصل فعاليتها. ويبقى أن حظوظها ظلت بين صعود وهبوط على مدار عقود من السنين بينما ظلت فلسفتها السياسية جاذبة لكثير من المسلمين المعاصرين.

من ناحية أخرى كان ثمة حركة تنمو فى إطار موازٍ للإخوان المسلمين فى مصر وتحمل اسم الجماعة الإسلامية فى باكستان. وكانت تتوخى، شأنها شأن الإخوان المسلمين فى مصر، تفسيرًا محافظًا للإسلام من أجل رسم إطار للمجتمع يتم فى ظله توحيد الدين والدولة تحت راية الشريعة. ومثل الإخوان أيضًا نعمت الجماعة الإسلامية بنفوذ واسع النطاق بين صفوف الأمريكيين المسلمين، كما أن كتابات وأفكار مؤسسها، «أبو الأعلى المودودى»، أيسر منالا من حيث سُبُل الاطلاع عليها بالنسبة إلى الجماهير الغربية لأنها متاحة باللغة الإنجليزية.

وُلِد أبو الأعلى المودودى عام ١٩٠٣ بالهند وتربى فى إطار الطريقة الششتية الصوفية التى تدَّعى الانتساب إلى النبى عن طريق ابنته فاطمة. وإذ كان المودودى معروفًا بأنه من دعاة الوطنية الهندية فقد بدأ فى إمعان التفكير بشأن طبيعة دولة إسلامية حقيقية تقوم على غرار مجتمع النبى الذى اتخذه نموذجًا على نحو ما تقضى به عقيدة الإخوان المسلمين. ثم دعاه محمد إقبال للقدوم إلى لاهور حيث أسس منظمة الجماعة الإسلامية فى عام ١٩٤١. وعلى غرار الإخوان المسلمين أيضًا فإن الجماعة الإسلامية لم تنظر إلى نفسها على أنها حزب سياسى ولكن على أنها مجتمع من الأخوة العقائدية يتمتع بشبكة متنامية من الفروع والخلايا. كما كان أعضاؤه ملتزمين بتعلُّم أصول الدين وبإنشاء طائفة واسعة من المشروعات الاجتماعية التى تقصد إلى خدمة جيل جديد من الشباب الذين يحدوهم إخلاص عميق للأخلاقيات الإسلامية.

وما لبث المودودى أن تزايدت قناعته بأن التأثيرات الغربية خطر على الإسلام وأن أفضل ما يمكن أن تطمح إليه باكستان هو إرساء قاعدة دينية سليمة. ولهذا فقد وجَّه انتقاداته إلى الحداثيين والمحافظين التقليديين الذين كانوا يولون مزيدًا من الاهتمام إلى ما يمكن أن يستقوه من قوانينٍ من الإسلام أكثر من الرجوع إلى المنابع الصافية الحقيقية للدين وهما القرآن وسنّة الرسول. هكذا لقيت أفكاره شعبية كاسحة ومن ثم انتشرت الجماعة الإسلامية بسرعة فى طول باكستان وعرضها. وعلى خلاف حركة الإخوان المسلمين التى كانت تتسم بطابع شعبوى أكثر، كانت حركة المودودى نخبوية ترمى إلى تدريب قيادات جديدة لتولى أمور دولة ومجتمع يدينان بالإسلام: «كان هدف الجماعة الإسلامية هو وضع حد لسيطرة نظم الحكم غير الإسلامية على أن يحل محلها الحكم الإسلامي» هكذا كتب المودودى فى مقالة عن معنى الجهاد[٣]. ويُعد المودودى بأكثر من معنى أبًا للصحوة الإسلامية بوصفها مجموعة الحركات التى بلغ نفوذها فى العالم الإسلامى فى الجزء الأخير من القرن العشرين حدا كبيرًا لدرجة أن الميديا الغربية أضفت عليها تسمية مغلوطة وهى «الأصولية الإسلامية» لقد تصوَّر الإسلام على أنه قوة مفعمة بالحيوية والنقاء وليس من شأنها الوصول إلى حلول وسط مع قوى الغرب أو العلمنة أو مع الذين ركزوا على القومية الهندية بدلاً من الهوية الإسلامية. ومن الناحية السياسية فكثيرًا ما عارضت الجماعة الإسلامية السياسات الرسمية

للحكومات مما عرَّضها للقمع كما حدث للإخوان المسلمين وأخيرًا تم حظرها رسميا، بل إن أنشطتها كان مصيرها السجن فى بعض الأحيان.

وبرغم وفاة المودودى عام ١٩٧٩ فلم تفتر قوة نفوذه الدولى ولا شعبية الأفكار التى طرحها كما أن كثيرًا من مؤلفاته رائجة على المستوى الدولى. وهى فى السياق الأمريكى تطرح نموذجًا له مغزاه للحياة الإسلامية فى ظل العالم المعاصر. هناك كثيرون يجدونه محافظًا أكثر من اللازم بينما هناك آخرون يرون فى دعواته للعودة إلى القرآن والسنّة أمورًا غاية فى الإقناع. وقد دأبت المساجد والمراكز الإسلامية فى الولايات المتحدة على أن تعرض بانتظام كتبه وكرّاساته على نحو ما تفعله أيضًا المكتبات الإسلامية ومحلات البقالة والمطاعم الصغيرة وسائر المنشآت التى تبيع المواد الإسلامية وتقوم بتوزيعها. كما أن دعوة المودودى إلى ما يفسره الكثيرون على أنه العزل التام للمرأة جذبت اهتمام البعض فيما أغضبت البعض الآخر. وبالنسبة إلى الجماعات المسلمة المحافظة فى أمريكا، سواء بين صفوف المهاجرين أو الأفرو – أمريكيين، يظل من الواضح أن تعاليم المودودى جديرة بأن تظل مؤثرة لفترة ما فى المستقبل.

ومن أهم الأحداث التى شهدها العالم الإسلامى فى النصف الأخير من القرن العشرين، وهو حدث أفضى إلى هجرة كثير من المسلمين إلى الولايات المتحدة، وقوع الثورة الإيرانية فى عام ١٩٧٩ التى قادها آية الله روح الله الموسوى الخمينى. وقد أصبحت الثورة الإيرانية على مستويات شتى رمزًا للصحوة الإسلامية التى تجلّت فى كل من مصر وباكستان وفى مواقع كثيرة أخرى من العالم المعاصر. وفيما كان الأمل الذى راود بعض مؤيدى الخمينى يتمثل أساسًا فى احتمال أن يكون الرجل هو الإمام العائد من الغيبة الذى ما زال ينتظره الشيعة الإثنا عشرية وذلك أمل لم يتحقق، إلا أن الخمينى ما لبث أن أصبح رمزًا يعتز به إلى حد كبير الشيعة والسُّنّة المسلمون فى كل مكان لأنه أنشأ دولة إسلامية وربما لأنه أتمَّ هذا الإنجاز بالذات فى وجه معارضة أمريكية قوية.

وُلِد الخمينى فى منطقة وسط إيران بعد سنتين من بداية القرن العشرين ودرَس فى عدة مراكز للعلوم الإسلامية إلى أن تم قبوله بوصفه مجتهدًا أو عالمًا مؤهلاً لاتباع منهجية خاصة به بالنسبة لتفسير الشريعة، وبعد ذلك حاز مرتبة آية

الله وهى أعلى سلطة علمية فى الحياة الدينية والاجتماعيــة والسياســية للإســلام الشيعى. وبحلول عقد الستينيات برز الخمينى بوصفه واحدًا من أهم الناطقين باســم معارضى سياسات الشاه محمد رضا بهلوى. وخلال شهر محرم من عــام ١٩٦٣ وصل الخمينى إلى حد أن قارَن الشاه بقتلة الحسين بن على فى كربلاء مما أطلــق شرارة مظاهرات ضخمة ضد الشاه في طهران. هذه الأنشطة أفضت بالخمينى إلى الاعتقال ثم النفى إلى تركيا ومنها إلى العراق ومن ثم إلى باريس فأصــبح بطــلاً لشباب الحركات اليسارية المعارضين للشاه عندما دعا إلى ولاية الفقيــه بوصــفها أسلوب الحكم الملائم للدولة.

من منفاه تواصلت رسائله التى كانت تُنقَل إلى جماهير مؤيديه فى إيران من خلال كرّاسات مطبوعة وأشرطة كاسيت محظورة، ثم ظلت صورته بوصفه رمزًا للمعارضة تنمو وتزداد معها شعبيته. وفى عام ١٩٧٩ عاد ظافرًا إلى إيران ليرسل الشاه نفسه إلى المنفى ويؤسس جمهورية إيران الإسلامية المحافظة التى مــا زال رجال الدين يحكمونها حتى اليوم. ولم تكن أمريكا لتتصوَّر قط أن «جزيرتها الآمنة فى الشرق الأوسط» سوف تتهاوى أركانها ثم جاءت عمليــة احتجــاز الرهــائن الأمريكيين لمدة ٤٤٤ يومًا على يد «طُلاب الحرس الثورى» لتضيف إلى ســخط أمريكا الذى عززته دعوات الخمينى، التى ما برحت تتكرر حتى اليوم وبصــورة أعنف، بأن أمريكا هى أرض الشيطان.

مع ذلك يبدى الإيرانيون الأمريكيون مشاعر متناقضة للغايــة إزاء وطــنهم الأم: بعضهم انقطعت جذوره من الأرض التى أحبها وبات ينعى اليوم الذى جــاء فيه الخمينى إلى السلطة معتقدًا بإخلاص أن الحكم الصارم الذى فرضــه الخمينــى والذى تخففت صرامته بعض الشيء لا يفيد لا الإسلام ولا تراث الحياة الإيرانيــة بكل ما يحفل به من مآثر عظيمة فى مجالات العلم والفن الإسلامى. أما الآخــرون فيراودهم الاعتزاز إزاء قدرة زعيم إسلامى مخلص على تحدى القوة التــى كــانوا يرونها دكتاتورية مؤيَّدة من الأمريكيين وإن كانوا يبدون الأسف أيضًــا علــى أن القمع ما زال يجعل حياة كثيرٍ من الإيرانيين صعبة. هناك أيضًا مــن لا يزالــون ينظرون بقدرٍ متزايد من الاعتزاز إلى الفكر الجديد وإلى ما يتابعونه من تفسيرات تتبدى فى أعمال المفكرين الإيرانيين من رجال ونساء وهم يناضلون لكى يوازنــوا

بين تأييد دولة إسلامية وبين الحاجة إلى أن تستمر الحياة فى العالم المعاصر سواء على الصعيد الأيديولوجى أو الصعيد الاقتصادى.

وبعد، فقد كان ذلك عرضًا تناول بعض الأفراد والحركات ممن أثَّروا على تشكيل إسلام القرن العشرين وما زالت مؤثراتهم فاعلة فى حياة مسلمى أمريكا. وكما سوف نرى لاحقًا فإن النفوذ له طريقان فى غالب الأحيان باعتبار أن الطلاب والدبلوماسيين ورجال الأعمال المسلمين يعودون إلى بلادهم وقد حملوا تأثيرات الإسلام الأمريكى، فى حين أن الذين يرجعون إلى الغرب كثيرًا ما يكونون فى مواقع القيادة فى بلادهم إضافة إلى علاقاتهم الدولية ومن ثم يضيفون بعدًا آخر لتشكيل الإسلام فى أمريكا.

ما هو هذا الإسلام أو وبصورة أدَق ما هى الأشكال المختلفة للإسلام التى بات يَتسم بها المشهد الأمريكى؟ فلنتطرق إذن إلى هذا التنوع والتعقيد.

الحواشي

١- سلمان رشدى، آيات شيطانية، (لندن: فايكنج، ١٩٨٨).

٢- ذكرها و. منتوجمرى وات، عقيدة وممارسات الغزالى (لندن، ١٩٥٣).

٣- ذكرها سيد والى رضا نصر، المودودى والصحوة الإسلامية (نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٩٦).

الفصل الثالث

الإسلام يأتى إلى أمريكا
أوائل المسلمين

دأب الدارسون لنشأة الإسلام فى أمريكا الشمالية على النظر فى معظم الأحيان إلى منتصف وأواخر القرن التاسع عشر على أن هذه هى الفترة التى تدل على الوصول الحقيقى للمسلمين للمرة الأولى إلى الولايات المتحدة. والحاصل أن هذا بالضبط هو الوقت الذى شهد وصول أول المهاجرين المسلمين وكانوا أساسًا من الشرق الأوسط وشرعوا يفدون إلى أمريكا الشمالية أملاً فى فرصة يغتنمونها سواء كانت كبيرة أو محدودة ومن ثم يرجعون إلى أوطانهم الأصلية. ولسوف نعود بعد فترة قصيرة إلى استعراض حكايتهم. ولكن إذا عُدنا إلى الوراء حيث مراحل أبعد من التاريخ فإن هناك من العلماء من يقول بأنه قبل زمن كرستوفر كولومبس ومغامرته فى عام ١٤٩٢ بقرنين من الزمان ركب المسلمون البحر من إسبانيا ومن بعض أجزاء الساحل الشمالى الغربى للقارة الأفريقية وصولاً إلى كل من أمريكا الجنوبية والشمالية بل كان هناك مسلمون أعضاء فى طاقم البحَّارة الذى صحب كرستوفر كولومبس فى رحلته. ويقال إن المكتشفين من الرواد الأفارقة المسلمين اخترقوا كثيرًا من بقاع الأمريكتين حيث تواصلوا مع السكان الأصليين لأمريكا وتزاوجوا معهم أيضًا. ويفترض البعض أن المسلمين أقاموا مراكز للتجارة بل وأدخلوا بعض الحرف والصناعات إلى القارتين الأمريكيتين. على أن الأدلة التى تدعم هذه الادّعاءات والتى تُستَقى من واقع الحِرف اليدوية وبعض الكتابات وتقارير شهود عِيان ما زالت غامضة لدرجة أن هذه النظريات ما برحت افتراضية إلى حدٍ ما(1). وفى كل حال فإن عام ١٤٩٢ للميلاد يتسم بأهمية تاريخية، لا لأنه تاريخ إنجازات كولومبس فحسب، ولكن لأنه شاهد على النهاية الرسمية للوجود الإسلامى فى شبه الجزيرة الإيبيرية التى تُعرَف الآن بأنها إسبانيا والبرتغال. فبعد أن نعم المسلمون بحكم مزدهر طوال القرنين التاسع والعاشر فى قُرطُبَة وبسيادة مختلفة الأشكال فى ظل

حكم الشمال الأفريقى على مدى القرون التى تلت، فقد شهد المسلمون الدهر وقد قلب لهم ظهر المجَن. بسرعة ففى عام ١٤٧٤ نجح الزوجان فرناندو ملك أراغون وإيزابيلا ملكة قشتالة فى توحيد عرشيهما المنفصلين وعُرفا وقتها باسم «الملوك الكاثوليك» بحكم إخلاصهما فى إعادة توحيد إسبانيا بأسرها تحت راية المسيحية فكان أن استوليا على آخر معاقل الاحتلال الإسلامى فى غرناطة فى عام ١٤٩٢. ومع نهاية القرن التاسع عشر، كان المسلمون (ويشار إليهم بعامة على أنهم المغاربة – المور(*)) فى جميع أنحاء شبه الجزيرة قد أُجبِروا على الخيار ما بين بديلين فى غاية القسوة: إما التحوُّل إلى المسيحية أو الهجرة أو الموت. واختار الكثيرون البديل الأول وإن ظلُّوا يمارسون دينهم الإسلامى خفية حيث حافظوا على وجود جيب سرى للإسلام على مدى قرون. أما الآخرون فحاولوا أن يتمردوا علانية ومن ثم جرى طردهم من الأرض التى ظلت على مدى قرون خلت واحدًا من النماذج التاريخية القليلة للتعايش والانسجام الثقافى بين المسيحية والإسلام (واليهودية).

وما زالت تُكتَشَف أدلَّة لكى توضح أن بعض هؤلاء المغاربة الذين أُجبِروا على المغادرة جَهدوا لكى يتخذوا طريقهم نحو جزر البحر الكاريبى، بل إن قلة منهم وصلت إلى الجزء الجنوبى مما يُعرَف حاليًا بأنه الولايات المتحدة. وفيما يواصل العلماء الذين ينتمون إلى مجموعة متنوعة من التخصصات تدارُس هذه النظريات فإن من مسلمى أمريكا من يرون فيها دليلاً على أن الإسلام أدى دورًا فى المراحل المبكرة من تاريخ هذا البلد فضلاً عن أن إمكانية وجود صلات من هذا القبيل مع الثقافات الإسلامية أمر له جاذبيته الخاصة لمواطنى الولايات المتحدة من ذوى الأصل الهسبانى الذين تجتذبهم التعاليم الإسلامية.

المهاجرون المسلمون الأوائل فى السياق الأمريكى

فى ضوء هذه المجموعة المترابطة من الدلائل والتصورات علينا أن نتطرَّق

(*) المور مصطلح اخترنا استخدامه ليصدق على المسلمين ذوى الأصول البربرية أو العربية فى الأندلس وشمال أفريقيا والكلمة تحيل إلى معنى مغربى ومغاربة. على نحو ما يذهب إليه الدكتور مجدى وهبة فى قاموس «النفيس».

إلى التاريخ الموثَّق جيدًا للمهاجرين المسلمين. لقد حدثت الهجرات عبر سلسلة من الفترات الواضحة تمامًا وكان أولها بين عامي ١٨٧٥ و ١٩١٢ من المناطق الريفية مما كان يُعرف وقتها باسم سورية الكبرى التي كانت واقعة تحت حكم الإمبراطورية العثمانية وهي الآن تمثل سوريا والأردن وفلسطين ولبنان. وكانت الغالبية العظمى من مهاجري الشرق الأوسط في ذلك الوقت من المسيحيين الذين كان لديهم إلمام بصورة أو بأخرى بأمريكا باعتبار أنهم تعلموا في مدارس التبشير. لكن نسبة صغيرة كانت تتألف من المسلمين السنة والشيعة ومن العلويين والدروز. وبحلول النصف الثاني من القرن العشرين انعكست هذه النسبة. لكن هذه الهجرات المبكرة ما زالت في معظمها غير مُصنفة ولا معروفة لدينا على وجه التحديد مع استثناءات هنا أو هناك ومنها مثلاً اسم الحاج علي (يسميه الأمريكيون «هاي جولي») الذي استقدمه سلاح الفرسان بالولايات المتحدة إلى صحراء أريزونا وكاليفورنيا في عام ١٨٥٦ للمساعدة على تربية الإبل. ولما منيت هذه التجربة بالفشل يقال إن الحاج علي ظل هناك حيث أقام في كاليفورنيا بحثًا عن الذهب.

أما الموجة الثانية من الهجرات فتمَّت مع نهاية الحرب العالمية الأولى وبعد زوال الإمبراطورية العثمانية التي كانت تسيطر على معظم أرجاء الشرق الأوسط المسلم. وقد تزامنت أيضًا مع موجة الحكم الغربي الاستعماري في ظل نظام الانتداب بالشرق الأوسط. وكان الكثيرون ممن وفدوا على أمريكا في ذلك الوقت أقرباء للمسلمين الذين سبقت لهم الهجرة واستقروا بصورة أو بأخرى في الولايات المتحدة. وقد فرضت قوانين الهجرة في أمريكا التي صدرت عام ١٩٢١ ثم عام ١٩٢٤ نظم الحصص بالنسبة إلى دول وقوميات معيَّنة مما أدى إلى تحجيم شديد لعدد المسلمين الذين سُمح لهم بدخول البلاد.

وخلال الفترة الثالثة التي استمرت على مدى معظم سنوات عقد الثلاثينيات كانت الهجرة مفتوحة بالذات أمام أقارب الذين كانوا يعيشون بالفعل في أمريكا ومع ذلك فالأعداد الفعلية للمسلمين الذين أتيح لهم الاستقرار كانت محدودة ولم يُقَدَّر لها أن تزداد إلا بعد الحرب العالمية الثانية.

وفيما يتعلق بالموجة الرابعة التي دامت بين عامي ١٩٤٧ و ١٩٦٠ فقد شهدت توسُّعًا كبيرًا في مصادر الهجرة بعد أن صدر قانون الجنسية عام ١٩٥٣

ليعطى لكل بلد حصة سنوية من المهاجرين. ولأنه كان يستند إلى النسب السكانية المئوية في الولايات المتحدة في نهاية القرن التاسع عشر فمعظم المهاجرين الذين سُمح لهم بدخول البلد كانوا من أوروبا. ومع ذلك استمرت تسربات المسلمين الذين أصبحوا يأتون ليس فقط من الشرق الأوسط ولكن من أجزاء كثيرة من العالم بما في ذلك الهند وباكستان (بعد تقسيم شبه القارة الهندية في عام ١٩٤٧) وكذلك من شرقي أوروبا (من ألبانيا ويوغوسلافيا أساسًا) ومن الاتحاد السوفييتي. ومعظم هذه الرحلات الوافدة استقر أصحابها في المدن الكبرى مثل شيكاغو ونيويورك. وعلى خلاف نظرائهم الذين سبقوا، فإن كثيرا من هؤلاء المهاجرين جاءوا من خلفيات حضرية وكانوا قد حصّلوا مستويات رفيعة من التعليم بل كان بعضهم ينتمون إلى أُسَر النُخَب الحاكمة في السابق. وغالبًا ما جاءوا وقد تشربوا الطابع الغربي في سلوكياتهم ومن ثم وفدوا على الولايات المتحدة أملاً في مواصلة تعليمهم لكي يتلقوا تدريبًا تقنيًا متقدمًا.

أما الموجة الأخيرة والختامية من المهاجرين فتتصل بالقرارات الداخلية الصادرة في الولايات المتحدة وكذلك بالأحداث التي وقعت في عدة أجزاء من العالم الإسلامي. ففي عام ١٩٦٥ وقّع الرئيس ليندون جونسون قانونًا للهجرة يلغي الحصص التي كانت قائمة على أساس التنوع القومي ضمن الولايات المتحدة. وللمرة الأولى منذ بدايات القرن، لم يعد حق المرء في دخول أمريكا يتوقف تحديدًا على أصله القومي أو العرقي. ولهذا انخفض مسار الهجرة من أوروبا بينما ارتفع ارتفاعًا مثيرًا المسار القادم من الشرق الأوسط وآسيا وكان أكثر من نصف الوافدين الجُدد من المسلمين.

وعلى مدار العقود الأخيرة، أدّى الاضطراب السياسي في كثير من أقطار العالم الإسلامي إلى زيادة تيار الهجرة ففي عام ١٩٦٧ الذي كان عامًا كارثيًا بالنسبة للمسلمين لأنه شهد الهزيمة المهينة للجيوش العربية على يد إسرائيل بدأ تيار لخروج كثيف (أكسودس) من الفلسطينيين مُيَمِّمًا شطر الغرب وما زال متواصلاً حتى الوقت الراهن. ثم وقعت ثورة ١٩٧٩ في إيران وصعد إلى السلطة آية الله الخميني مما أجبر كثيرًا من الإيرانيين على الفرار من بلدهم حيث قرر عدد منهم القدوم إلى أمريكا. كذلك وقعت الحرب الأهلية في باكستان وما نجم عنها من

انفصال شرقى باكستان لتكوين دولة بنغلاديش فضلاً عن أحداث الاضطهاد المعادية للمسلمين فى الهند، ثم الانقلاب العسكرى فى أفغانستان والحرب الأهلية اللبنانية وكل هذا أسهم فى زيادة وجود المسلمين فى أمريكا. وأفضى الاحتلال العراقى للكويت إلى هروب عدد كبير من الأكراد إلى أمريكا بينما تضخمت أعداد المهاجرين الإسلاميين كذلك مع اشتعال الحروب الأهلية فى الصومال وأفغانستان واشتداد قبضة النظام العسكرى فى السودان فضلاً عن التطهير العرقى الذى شهدته البوسنة والهرسك.

أما الآن فيأتى معظمهم من شبه القارة فى جنوبى آسيا بمن فى ذلك الباكستانيون والهنود والبنجلاديشيون. وترجع أول أفواجهم فى مرحلة مبكرة إلى عام ١٨٩٥. وعلى مدى القرن العشرين كانت لهم أهميتهم فى نمو الجماعات السياسية المسلمة فى أمريكا وهذه الفئة ربما تشكل اليوم أكثر من مليون نسمة وينضم إليها باستمرار جماعات كبيرة العدد تأتى من إندونيسيا وماليزيا.

وهناك من يقدّر عدد الإيرانيين فى الولايات المتحدة بما يقرب من مليون نسمة ويليهم فى ذلك ممثلو البلدان العربية بالشرق الأوسط إضافة إلى الأتراك ثم الوافدون من أوروبا الشرقية بعد ذلك. ويأتى المسلمون أيضًا من عدد كبير من الدول الأفريقية بما فى ذلك غانا وكينيا والسنغال وأوغندا والكاميرون وغينيا وسيراليون وليبيريا وتنزانيا ودول أخرى. وبطبيعة الحال فإن هؤلاء المهاجرين يمثلون طائفة واسعة من الحركات والأيديولوجيات الإسلامية، وهم أيضًا من السنّة والشيعة ومن المتصوفة ومن أعضاء جماعات طائفية أخرى. ومنهم أيضا أفراد متدينون وآخرون علمانيون فضلاً عن منتمين إلى الإسلام السياسى إضافة إلى الذين لا يعتنقون دينًا أو من لا يعتمدون أجندة سياسية. ويأتى الكثيرون من واقع ظروف يسود فيها الإسلام بوصفه ديانة الأغلبية ولهذا يصعب عليهم التواؤم مع وضع الأقلية الجديد الذى لا بد وأن يشغلوه فى أمريكا. أما الآخرون الذين يعرفون أساسا ما يعنيه أن يكون المرء فردًا ضمن أقلية دينية فهم يأتون لكى يوائموا بين وضعيتهم الجديدة وبين المهارات التى اكتسبوها. وفى كل حال ومع كل وصول جديد لمسلم، فإن صورة الإسلام فى أمريكا تزداد تعقيدًا.

فلنتطرّق الآن إلى أمريكا فى أواخر القرن التاسع عشر: لقد شهدت ستينيات

وثمانينيات ذلك القرن أول حركة مهمة لمسلمين شباب لم يتمتعوا نسبيا بمهارات تُذكَر وجاءوا أساسًا من سورية ولبنان فى الشرق الأوسط: بعضهم كان هاربًا من التجنيد فى الجيش التركى لأنهم رأوا أن هذه العملية لا تتصل بأى سبب معقول مع هويتهم القومية، والبعض الآخر رأى أن مواطنيهم المسيحيين عادوا من الولايات المتحدة وفى جعبتهم ثروات كبيرة وبرغم عدم تحمسهم للذهاب إلى أمريكا حيث سيكونون محاطين ببيئات غير مسلمة فقد كان لديهم الحافز على تجريب حظهم. وجاء اندلاع الحرب العالمية الأولى ليجلب دمارًا إلى لبنان لدرجة أن كثيرًا من أبنائه اضطروا إلى الفرار بقصد النجاة بحياتهم. وكانوا فى معظمهم من العُزاب أو على الأقل كانوا بغير صحبة زوجاتهم ومن ثم فقد نظروا إلى الفترة التى يقضونها فى أمريكا على أنها مرحلة مؤقتة أملاً فى أن يعودوا بعد أن يكسبوا قدرًا من المال لكى يؤسسوا بيوتا وأُسرًا. ومع ذلك كانت أحلامهم صعبة التحقيق فلم تكن الوظائف ميسورة فى أمريكا وكثيرًا ما كانوا عاجزين عن التنافس مع من كانوا متاحين للانخراط فى سوق العمل، إما لقلة معرفتهم بالإنجليزية أو لقصور تحصيلهم التعليمى. وهكذا اضطر الكثيرون إلى امتهان أعمال فى أدنى السلم مثل العمل فى صفوف عمال التراحيل أو احتراف التجارة البسيطة أو التعدين فى المناجم. ومن أكثر الحرف شيوعًا كانت حرفة التاجر المتجول التى لم تكن تتطلب سوى رأس مال صغير ومهارات لغوية محدودة وتقتضى تدريبًا بسيطًا. عملوا فى أول المطاف على طول ساحل المحيط الأطلسى وظلوا يسافرون إلى الجنوب والغرب وكم كانوا يواجهون قسوة الطقس واللصوصية وعداء السكان المحليين. أما المهاجرون المسلمون الآخرون فكانوا ينخرطون فى أعمال زهيدة الأجر ضمن مجاميع العمال ومنهم مثلاً من ساهموا فى إنشاء خطوط السكك الحديدية فى منطقة سياتل. وأحيانًا كانت النساء يجدن أعمالاً فى المصانع والطواحين حيث العمل لفترات طويلة وفى ظل ظروف بالغة القسوة. وأدّى الافتقار إلى المهارات اللغوية، فضلاً عن الفقر والوحدة وغياب أفراد من أبناء دينهم إلى الإسهام فى إشاعة شعور من العزلة والتعاسة بل تفاقم هذا الوضع بفعل حقيقة أن الأمريكيين فى تلك العقود من الزمن لم يكن لديهم أى حماس إزاء الأجانب وخاصة أولئك الذين جاءوا بعادات بدت غريبة فما بالك ممن لم تكن المسيحية ديانتهم؟

هذه الفئات الأولى من المهاجرين المسلمين حاولت أن تنشئ جماعة من المؤمنين ضمن سياق غريب تمامًا وبغير دعم مؤسسى. ولذلك كان التعليم الدينى المتاح للأطفال والأحفاد عند أقل مستوى. وكم كانوا يتذكرون ما شهدوه فى أوطانهم الأصلية حيث نشأ الشباب وترعرعوا وهم يكادون يستنشقون دينهم فى الهواء المحيط بهم حيث كانت المواسم والأعياد والصلوات والشعائر تشكل جزءًا من البيئة المحيطة فى حين أن أمريكا قد أتاحت لهم سياقًا مختلفًا تمامًا. وفى هذا السياق كان من الصعوبة بمكان حتى أن يحتفظ الإنسان بشعوره الدينى، فضلاً عن أن يُترجِم هذا الشعور إلى ممارسة منتظمة للشعائر فلم تكن لا المدارس ولا الأعمال التجارية تحوى أى مرافق ولا تعير أى اهتمام بإتاحة الفرصة لأداء الصلوات اليومية. أما الذين كانوا يريدون الصوم خلال شهر رمضان: لم يكن بوسعهم أن يتوقعوا أى تكيُّف خاص إزاء ظروفهم فى موقع العمل ولا كان متاحًا وجود عائلات ممتدة كبيرة العدد لكى تهيئ سُبل المؤازرة والتعليم ولا كانت الظروف الاقتصادية تسمح بعامة للأسر بالتزاور فى البيوت من أجل التعاضد فى ظل سياق أسرى أوسع. وبما أن كثيرًا من ممارسات الإسلام تتم بشكل جماعى فضلاً عن شكلها الشخصى أو الفردى كان من الصعب إقامة الصلوات أو الاحتفال بالأعياد وغير ذلك من المواسم الإسلامية. وكم كان الأمر يقتضى أن تناضل عائلات الروّاد هذه من أجل الحفاظ على دينها وهويتها فى مجتمع تم بناؤه على كواهل المهاجرين ولكن، ويا للتناقض، لم يتفهم قط واقع الاختلافات فى الثقافة التى جاء بها هؤلاء المهاجرون.

الجماعات المسلمة عبر القارة الأمريكية

بدأت أحلام المهاجرين فى الثراء السريع تذوى وتتضاءل ومعها شحبت آمالهم فى عودة سريعة إلى أوطانهم وإلى أقربائهم المقيمين وراء عبر البحار. وكان حتمًا عليهم من ثم أن يتكيَّفوا مع حياة جديدة فى الأرض التى اختاروا الهجرة إليها. وهكذا فالشباب، الذين كانوا حريصين على الزواج وتكوين أسر وجدوا أن من الصعب، إن لم يكن من المستحيل، العثور على فتيات مسلمات فى هذا البلد: بعضهم عاد فى زيارات قصيرة إلى وطنه لاختيار عروس والبعض الآخر طلب من أقاربه أن يرتبوا له زواجًا مع فتيات من أوطانهم الأصلية. وفى كل حال فإن

الأنماط التقليدية من الخطوبة ما لبثت أن أفسحت الطريق لإجراءات سريعة عاجلة فى الزواج. وهناك آخرون تزوجوا من خارج عقيدتهم الدينية كما فعل الذين تزوجوا مثلاً من عربيات مسيحيات برغم أن الضغوط كانت شديدة من جانب المسلمين الآخرين تحثهم على عدم الرضوخ للزواج من «غير المؤمنات».

كان المهاجرون يتطلعون إلى الانتظام فى سلك أعمال أكثر دوامًا واستقرارًا وكثيرا ما نجحوا فى تأسيس أعمالهم التجارية الصغيرة الخاصة بهم: عدد كبير منهم اختار أن يفتتح عملاً يرتبط بمطبخهم الوطنى كمصدر للدخل فأنشأوا المقاهى والمطاعم والمخابز ومحال البقالة الصغيرة. وفى بادئ الأمر كانت هذه التجارة موجَّهة أساسًا إلى بنى جلدتهم بحيث يتسنى للمسلمين أن يستمتعوا على الأقل بمذاق أطعمتهم الخاصة وهم يعيشون بين ظهرانى ثقافة غريبة كل الغرابة عن أذواقهم وأعرافهم. ثم حدث أن الأمريكيين الآخرين تعلموا شيئا فشيئًا تذوُّق المطبخ العربى حتى إن المرء يستطيع اليوم أن يستمتع فى معظم المدن بالطهى العربى فى كل موقع، ما بين المطاعم الفاخرة إلى محلات الوجبات السريعة التى تقدِّم أصنافًا مثل الشاورمة (اللحم المتبَّل المشوى على سيخ متحرك ويُحشى بها الخبز السورى) والحمص والتبُّولة (السلاطة المؤلفة من الطماطم والبصل والبقدونس).

وفى الجزء الأول من القرن العشرين وجدت عائلات مسلمة كثيرة نفسها وخاصة الشباب وقد ابتعد بها التيار عن عقيدتها الدينية بل حاولت أن تستتر بعيدًا أو تغترب عن تلك الأشياء التى ميَّزتها على أنها مختلفة عن نُظرائها من العائلات الأمريكية. والذين كانت سحنتهم أكثر سُمرة من سحنة الأمريكى العادى، وخاصة فى مناطق الجنوب، وجدوا أنفسهم يُعامَلون على أنهم «ملوَّنون» من جانب السكان المحليين ومن ثم حيل بينهم وبين دخول المرافق العامة التى كانت قاصرة وقتها على «البيض فقط» هكذا شاعت الصور النمطية والقوالب الجامدة التى تصوِّر العرب المسلمين قومًا يتسمون بعيون واسعة سوداء وأنوف كبيرة وشوارب كثة ويرتدون ملابس على غير مقاساتهم. وأصبح من الصعوبة بمكان مواصلة استخدام اللغة العربية، إذ ظل الشباب يقاومون استخدام لغة كانت تبدو شديدة الغرابة بالنسبة لأقرانهم. بل إن رفضهم حتى أن يتعلموا اللغة الأم كان بمثابة ألم مضاعَف بالنسبة لعائلاتهم. فاللغة العربية لا تمثل فقط لغة الثقافة ولكنها أيضًا لغة الطقوس والشعائر

الدينية. هنالك بدأ المسلمون بالتدريج يختارون أسماء أمريكية لأبنائهم أو يسمحون باستخدام أسماء التدليل الأمريكية وبهذا أصبح محمد هو مايك وتغيَّر يعقوب إلى جاك ونسرين أصبحت نانسي. وهكذا بدأت الهوية العربية، وإلى حد ما الهوية الإسلامية، وكأنها أقرب إلى تراث من الماضي بدلاً من أن تكون هي الحاضر والمستقبل لجيل جديد من الشباب الذى كان يجهد كثيرًا لكى يصبح جزءًا من ثقافة الوطن الذى باتوا ينتمون إليه وليس جزءًا من التراث الذى ورثوه. وعندما شب عن الطوق هذا الجيل اليافع وبدأ يتطلع إلى الزواج تحولوا باطراد إلى شريكات وشركاء من غير المسلمين وعليه ارتفعت معدلات الزواج على هذا النحو مع كل جيل جديد.

ومع ذلك ففى الوقت نفسه، وفى إطار الاستجابة إلى حدٍ ما لشواغل التفاعل الثقافى والأخذ بالعلمنة بعيدًا عن الدين، بدأ المسلمون فى عدد من المواقع فى طول أمريكا وعرضها ينظمون صفوفهم فى جماعات تعمل جاهدة على تأكيد الهوية التى ينتمون إليها.

منطقة الغرب الأوسط من أمريكا

من أولى هذه التجمُعات كانت تلك التى تقيم فى منطقة الغرب الأوسط: فى نورث داكوتا التى كانت موطنًا لعدد من أولى الجماعات المسلمة التى تم توثيقها فى أمريكا وفى مدينة روس الصغيرة انتظم المسلمون مع بعضهم البعض لأداء الصلوات فى المطالع الأولى من القرن العشرين ثم شرعوا فى بناء مسجد فى عام ١٩٢٠ ولكن كان عليهم أن يتخلوا عن هذا المشروع بعد أن اضطر كثير من أفراد تلك الجماعة إلى التحوُّل إلى الديانة المسيحية.

وفى ميتشجن سيتى بولاية إنديانا، كان قد تم إنشاء مركز إسلامى بصورة ما فى مرحلة مبكرة ترجع إلى عام ١٩١٤ حيث كان أعضاؤه أساسًا من السوريين واللبنانيين الذين كانوا يعملون فى تجارة الملابس والخردوات، وسرعان ما بدأ المركز فى اجتذاب مسلمين آخرين حول تلك المنطقة وفى عام ١٩٢٤ أعيد تنظيمه باسم الجمعية العربية الإسلامية الحديثة.

أما سيدار رابيدز بولاية أيوا فلها تاريخ طويل حيث ضمت جمعية مسلمة

كان أعضاؤها من الباعة الجائلين الذين تحولوا إلى أصحاب محـلات يعرضـون السلع التي تحتاجها الحياة اليومية بين صفوف مزارعـي المنطقـة. وأول مسـجد استمر يؤدي مهامه في أمريكا بدأ في تلك المنطقة في عام ١٩٢٠ واتخذ مكانه في صالة مستأجرة ومن ثم جرى بناء مسجد متكامل فـي عـام ١٩٣٤ وكـان يـتم إصلاحه وترميمه وإعادة تجهيزه وتوسيعه دوريًا حيث أضيفت إليه مئذنة في عـام ١٩٨٠. ولأنه يُعد أقدم مسجد ما زال مُستخدَمًا حتى اليوم فكثيرًا ما يطلـق عليـه وصف «المسجد الأم في أمريكا».

نيويورك

للإسلام وجود في منطقة مدينة نيويورك منذ أواخر القرن التاسع عشر وما بعدها بقدر ما كان تاريخ هذا الوجود حافلاً ومعقدًا. فالمدينة التي تُعـد باسـتمرار محورًا لنشاط المهاجرين كانت موطن تشكيلة متنوعة مـن الجماعـات العرقيـة- الاثنية المختلفة وضم سكانها المسلمون بحارة تجاريين وتجارًا جائلين إضافة إلـى الذين اختاروا أن يستقروا بها ويؤسسوا أعمالاً تجاريـة. وتـم إنشـاء الجمعيـة المحمدية الأمريكية في ضاحية بروكلين في عام ١٩٠٧ على يد مهـاجرين مـن بولندا وروسيا وليتوانيا ممن قاموا في نهاية المطاف بشـراء مبنـى مـن أجـل استخدامه مسجدًا في أوائل عقد الثلاثينيات. وبحلول عقد الخمسينيات كـان بوسـع الجمعية أن تدّعي عضوية بلغت نحو ٤٠٠ فرد ومازالت تناضل لكي تبقى علـى قيد الحياة اليوم بوصفها المسجد الإسلامي وهو اسم اعتمدته في عقد الستينيات.

وفي الثلاثينيات بدأ مهاجر من المغرب إنشاء ثاني مسجد بمعنى الكلمة فـي نيويورك تحت اسم البعثة الإسلامية في أمريكا لنشر الإسلام والدفاع عـن العقيـدة والمؤمنين، وكان يقع قرب حي تستوطنه كثرة من مسلمي منطقة الشرق الأوسـط وما زالت البعثة مؤسسة مهمة في المدينة حتى اليوم.

وعلى مدى العقود العديدة الأخيرة، وفيما زاد عدد سكان مدينـة نيويـورك الكبرى، زاد أيضًا إنشاء المساجد والمراكز الإسلامية، بعضها كان عبـارة عـن منازل أعيد بناؤها وبعضها الآخر كان عبارة عن مبانٍ إدارية ومكتبيـة وإنتاجيـة أعيد تجهيزها وما زال بعضها أيضًا عبارة عن هياكل حديثة البناء. «وانطلاقًا من

وازع داخلى لطاعة الشريعة الإسلامية والتقيُّد بها، فضلاً عن دافع خارجى إزاء ما يتصوره الكثيرون على أنه بيئة معادية، حاول مسلمو مدينة نيويورك جاهدين أن يؤكدوا أن الإسلام سوف يتطور إلى حيث يصبح قوة اجتماعية يحسب حسابها على مستوى ضواحى المدينة الخمس»(٢).

على أن مدينة نيويورك، بحكم حجمها وتنوُّع سكانها، يمكن أن تهيئ موقعًا فريدًا لتجمُّع المسلمين من جميع أنحاء العالم قاطبة. وفيما تتسم كثير من الجمعيات الإسلامية بالمدينة بهويات إثنية خاصة، فإن رابطات أخرى تسعى عن وعى إلى استخدام هذا التنوُّع ذاته لتأكيد إمكانية وحدة الأمة الإسلامية، بل إنها تبذل جهودًا خاصة ومتميزة للجمع بين المهاجرين والمسلمين المستوطنين أساسًا فضلاً عن الجمع على صعيد واحد بين السنّة والشيعة. ومن هذه الجماعات المركز الثقافى الإسلامى فى نيويورك وهو أول جامع يُبنى فى منهاتن بطرازه الإسلامى المميَّز الذى تعلوه مئذنة تقليدية وقُبة. وقد بذل المركز الإسلامى جهودًا ملموسة لاجتذاب المسلمين من المهاجرين والأفرو - أمريكيين على السواء. وفى كل حال فإن المنظمات الإسلامية الوطنية تجد فى مدينة نيويورك بيئة خصبة بالذات لكى تباشر أنشطتها كما أن عددًا من المدارس الإسلامية للمرحلة الابتدائية وما بعدها فضلاً عن المتاجر والأعمال التجارية المسلمة تنشأ هنا وهناك فى كل أنحاء المدينة.

شيكاغو

شيكاغو مدينة كبرى بدورها من مدن أمريكا التى أصبحت موطنًا اتخذه بسرعة المهاجرون المسلمون. لقد وصلت أولى موجات المسلمين قبل بداية القرن العشرين وبالذات من سورية وفلسطين. ويقول البعض إن شيكاغو ضمت عددًا من المسلمين أكبر مما كانت تضمه أى مدينة أمريكية أخرى منذ أوائل القرن العشرين. وأسوة بالموجات المبكرة التى جاءت من المهاجرين فلم يكن همهم البقاء ولكن كسب بعض المال قدر الإمكان قبل العودة من جديد إلى أوطانهم الأم. وعندما اختاروا البقاء فقد فعلوا ذلك بصورة عامة فاستقروا عند الحافة الجنوبية من شيكاغو قرب حى الأفرو - أمريكيين. وبدورهم اكتشفوا أن علاقاتهم مع سائر المسلمين كانت تقصد أكثر إلى توطيد الهوية الثقافية والمؤازرة أكثر من التفاعل

الديني. ومع ذلك، وفي ضوء ما ساورهم من قلق بشأن إمكانية أن يتحول أبناؤهم إلى المسيحية، بدأوا تدريجيا في اتخاذ خطوات لتهيئة نوع من أنواع التعليم الإسلامي لأبنائهم. وبعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها، ومع مجيء أنماط من الموجات المهاجرة حذا المسلمون حذو تلك الأنماط فزاد عدد الذين استقروا في شيكاغو ولا سيما العرب من حاملي جوازات السفر التركية. وعندما اندلعت الثورة الشيوعية في روسيا فقد دفعت ببعض المسلمين إلى الهجرة من وسط آسيا إلى منطقة شيكاغو وحدث الشيء نفسه بعد ذلك في أعقاب تقسيم شبه القارة الهندية.

وعلى غرار ما تشهده سائر المدن الأمريكية الكبرى، فإن مسلمي شيكاغو يتألفون من قوم ينتمون إلى خلفيات واسعة النطاق من النواحي الثقافية والعرقية - الاثنية والاجتماعية - الاقتصادية. وتعتز شيكاغو بأنها تضم أكبر مجموعة مسلمين من الهند بما في ذلك مناطق حيدر أباد وغوجارات وماهارشترا كما أنها موطن منظمة الزعيم المدني والديني الأفرو - أمريكي وارث دين محمد.

يتميز مسلمو شيكاغو بالنشاط في الدعوة لديانتهم وفي تقديم عدد كبير من الخدمات إلى الجماعة المسلمة وفي التفاعل مع بعضهم البعض وكذلك مع غير المسلمين من أجل توطيد علاقات طيبة بين الأديان. وقد تم إنشاء أكثر من ٤٠ مركزًا إسلاميًا للعمل مع مختلف الجماعات المسلمة في منطقة شيكاغو الكبرى، وأقدمها وأكبرها هو المركز المجتمعي الإسلامي الذي تأسس عام ١٩٦٩. أما المساجد والمراكز والمدارس الأخرى فتقع في مناطق الضواحي المحيطة بالمدينة ويقول أحد المعلِّقين المحدثين «من الإنصاف أن نقول إن الجماعة المسلمة في شيكاغو جماعة تتسم بالحيوية الدينية وبالسلامة المالية فضلاً عن أنها جماعة متعلمة ومفعمة بالنشاط ومن ثم فهي تضطلع بدور مهم في تنمية مدينة شيكاغو ورخائها».(٣)

كاليفورنيا

إذا ما تحولنا صوب الغرب نجد أن عام ١٨٩٥ شهد مسلمين من شبه القارة الهندية وقد بدأوا في الوصول إلى المنطقة الساحلية: كانوا في معظمهم عمالاً

زراعيين وعمالاً غير مهرة من البنجاب فاستقروا فى مناطق كاليفوريا وأوريغون وواشنطن وغربى كندا. ولأن مهاجرى البنجاب الأوائل ضموا أفرادًا من المسلمين والسيخ، فقد نزعت أمريكا إلى النظر إليهم على أنهم فئة واحدة تصورت أنها فئة ملائمة للهند ومن ثم أطلقت عليهم ببساطة لقب الهندوس(٤). وسرعان ما أصبحت كاليفورنيا مقصدًا لمهاجرين مسلمين آخرين فكان أن زادت الأعداد الوافدة من شبه القارة الهندية ممن وصلوا بعد التقسيم فى عام ١٩٤٧. وتُعد كاليفورنيا اليوم مركزًا لمسلمين جاءوا من معظم أرجاء العالم ولا سيما من الشرق الأوسط وإيران وجنوبى آسيا. وفى الآونة الأخيرة وصلت أعداد كبيرة من الأفغان إضافة إلى لاجئين من الصومال ومن مناطق أخرى فى أفريقيا.

ولقد شهدت كاليفورنيا ككل ارتفاعًا ملحوظًا فى سكانها من المسلمين فى عقد التسعينيات، حيث أصبحت مناطق مثل لوس أنجيلوس وسان فرانسيسكو مراكز دينامية نابضة للحياة الإسلامية بعد أن تهيأت فيها أسباب كثيرة لقيادة المنظمات الإسلامية الوطنية؛ فالمركز الإسلامى فى جنوبى كاليفورنيا فى لوس أنجيلوس يمثل واحدة من أكبر الهيئات الإسلامية فى الولايات المتحدة ويعتز بوجود عدد من العاملين المدرَّبين تدريبًا عاليًا على يد شقيقين جاءا من مصر واشتهرا على نطاق واسع بما يصدر عنهما من مؤلفات وما يضطلعان به من قيادة الجماعة، فضلاً عما يمثله المركز بالفعل إذ يضم مسجدًا ومركزًا إعلاميا ومدرسة ومكتبًا للمطبوعات المنشورة وعددًا من غرف الاجتماعات. ويحضر صلوات الجمعة عادةً أكثر من ١٠٠٠ فرد يمثلون نطاقًا واسعًا من الخلفيات العرقية - الاثنية كما يقدِّم المركز طائفة متنوعة من الخدمات بما فى ذلك إسداء المشورة بشأن أى مشكلة ما بين الطلاق إلى المخدرات ولصالح المراهقين والشباب البالغين والعائلات.

دير بورن، ميتشغن

دير بورن، ميتشغن كانت فى الأصل موئلاً لعدد صغير من الأتراك العثمانيين من طائفة الدنُّة فى السنوات الأولى من القرن العشرين وما زالت تجتذب مهاجرين من المسلمين العرب والمسيحيين على السواء. وهى اليوم واحد

من أكبر مراكز التجمُّع للجاليات الإسلامية فى أمريكا حيث تضم جماعات كبيرة العدد من اللبنانيين واليمنيين والفلسطينيين المسلمين.

وفى عام ١٩١٩ أنشئ مسجد للسنَّة فى منطقة هايلاند بارك القريبة ولكنه لم يستمر طويلاً. ومع ذلك فعندما قامت شركة موتور فورد للسيارات بنقل مصانعها إلى دير بورن فى أواخر العشرينيات تهيأت بذلك مصادر مستدامة وأحيانًا مجزية من الدخل لصالح العمال المهاجرين فضلاً عن صالح السود من الجنوب، ثم بدأت فى التشكُّل جالية عربية كبيرة العدد. لم يكن الأجر اليومى يزيد عن خمسة دولارات بل كانت ظروف العمل سيئة ولكن اللغة الإنجليزية لم تكن مطلوبة، وهكذا رحَّب كثير من المهاجرين المسلمين بالتحاقهم بعمل دائم. ثم جاء المسلمون الفلسطينيون ليزيدوا من عدد جماعة المهاجرين اللبنانيين الذين سبقوهم وكان ذلك فى أواخر عقد الأربعينيات. وكان عدد قليل من اليمنيين قد انحدروا من منطقة سان لورانس سيواى إلى حيث منطقة ديترويت منذ عام ١٩١٠ بعد إن كان معظم اليمنيين قد وصلوا منذ منتصف القرن ومن صنعاء بصفة أساسية. أما معظم الموجات الوافدة الأحدث عهدًا فكانت عربًا هاربين من الحروب فى جنوب لبنان ومن بيروت فضلاً عن أفراد من سائر المدن والقرى فى لبنان وفلسطين. وفى عام ١٩٣٨ بنى السنَّة مسجدًا وأعقب ذلك تشييد الدار الهاشمية الشيعية فى عام ١٩٤٠.

واليوم تمثل جماعة العرب المسلمين، سواء من السنَّة أو الشيعة، مجموعة مترابطة للغاية حيث جرى إنشاء مقاه ومحلات وأعمال تجارية ما زالت تجتذب المهاجرين. وبوسع المرء أن يسير على قدميه ويقطع عدة شوارع فى بعض المناطق فلا يجد سوى لافتات باللغة العربية مرفوعة على البقالات والحوانيت الأخرى فضلاً عن وجود خمسة مساجد أو مراكز إسلامية نشطة فى منطقة دير بورن منها اثنان للسنَّة وثلاثة للشيعة وجميعها تدعو المتعبدين للصلاة خمس مرات فى اليوم.

كوينسى، ماساشوستس

الجماعة المسلمة فى كوينسى، ماساشوستس تهيئ نظرة مفيدة أخرى إلى نشأة وتطور وجود إسلامى متواصل فى أمريكا. بيد أن الذى يحدد موقعها بدرجة

كبيرة هو توافر فرص العمل وهي في هذه الحالة متاحة على صعيد صناعة بناء السفن الراسخة الجذور في منطقة نيو إنجلاند.

هذا الوجود بدأ يتجمّع في مرحلة ما بعد عام ١٨٧٥ من خلال استقرار أول جيل من المسلمين الذين جاءوا أساسًا من لبنان. وقد كان المركز الإسلامي الحالي في نيو إنجلاند حلمًا طالما راود أفئدة سبع عائلات تقريبًا (من السنة والشيعة على السواء) ممن استقروا في المنطقة مع بدايات القرن العشرين. وفي عام ١٩٣٤ تآزرت جماعات المسلمين من منطقة بوسطون الكبرى مع مسلمي كوينسي ليشكّلوا جمعية الوسام العربي الأمريكي. وتم إعادة تنظيم الجمعية في عام ١٩٥٢ لتعمل بفعالية بوصفها منظمة إسلامية تتبعها مؤسسات خيرية بما يتيح للأعضاء أن يؤدوا ما عليهم من زكاة. وهكذا فالرجال والنساء في جماعة كوينسي وجدوا أنفسهم مشاركين في أنشطة الجماعة، بل وفي تولي مقاليد القيادة على صعيدها وكان من بينهم رجال أعمال ومعلمون ومهنيون فضلاً عن تجار وعمال من ذوي الياقات الزرقاء. وليس من عجب أنه في ظل هذه الدرجة من الاستقرار الوطيد فقد بدأوا في التفكير في إقامة مسجد لهم ثم دعموا هذه الفكرة بخطط واسعة النطاق لجمع التبرعات إلى أن أُنجز المبنى عام ١٩٦٣ ليُعرف رسميا باسم المركز الإسلامي في نيو إنجلاند(٥). وفي الآونة الأخيرة، وبتوجيه من الإمام طلال عيد (انظر السير الشخصية) انتقلت الجماعة من كوينسي إلى أبنية أكبر في منطقة شارون، ماساشوستس.

الإسلام الشيعي في أمريكا

من منتصف القرن التاسع عشر حتى آخر ذلك القرن وما بعده ضمّت موجات المهاجرين المسلمين إلى الولايات المتحدة وكندا أفرادًا من السنّة ومن الشيعة على السواء، فضلاً عن أعضاء الجماعات الطائفية الأخرى. ومن المعروف أن الشيعة يمثلون نحو نسبة العُشر من عدد مسلمي العالم اليوم الذي يزيد على مليار مسلم. وهم يشكلون ما يكاد يكون جميع سكان إيران وأكثر من نصف سكان العراق فضلاً عن تواجدهم في تجمعات شتى بكل من أفريقيا والهند وباكستان.

ومن الصعب العثور على معلومات دقيقة بشأن أولى تحركات الشيعة إلى

هذا البلد (أمريكا) ومع ذلك فنحن نعرف بيقين أنه فى أعقـاب وصـول الشـيعة اللبنانيين فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، جاء آخـرون مـن الهند للاستقرار فى أمريكا وبعد ذلك انضم إليهم شيعة من العراق وإيـران. ومـع حلول الخمسينيات، بدأت تجمُّعات صغيرة من الأُسر الشيعية تتواجد فى عدد مـن المدن الكبرى فى أمريكا. وفيما شهدت السنوات الأخيرة هـذه الجماعـات ممثلـة بواسطة كفاءات مهنية وأعضاء من الطبقة المتوسطة والطبقة المتوسطة العليا، فقد كان الأمر فى معظمه على خلاف ذلك النسق بالنسبة للمهاجرين الأوائل. فالشـيعة دائما كانوا الأقل حظا سواء من الناحية الاقتصادية أو التعليمية فضلاً عن أن أوائل المهاجرين من شيعة لبنان إلى أمريكا كانوا يجسِّدون هذا الحظ المحدود.

ويقدَّر اليوم بأن ما يقرب من خُمس المسـلمين الأمـريكيين ينتمـون إلـى المذاهب الشيعية حيث جاء كثير منهم من إيران وبالذات من صفوف الطلاب خلال حكم الشاه ثم عادوا بعد الثورة في عام ١٩٧٩ ويلى ذلك أكبر جماعة من الشـيعة جاءت من العراق ثم وفدت أعدادٌ أخرى من مناطق مختلفة من العالم مثـل لبنـان والهند وباكستان. وهم يجنحون فى المراكز الحضرية الكبـرى إلـى أن يتخـذوا مراكز وأماكن للعبادة مختلفة برغم أنهم كثيرا ما يشاركون فى المسـاجد السـنية المنشأة بالفعل فى المدن والبلدات الأصغر حجمًا.

وفى معظم الأحوال، وحينما تتهيأ الظروف، يختار الشيعة الاثنا عشرية من لبنان ومعهم الشيعة القادمون من شبه القارة الهندية أن تظل تجمعاتهم منفصلة فـى أمريكا على أساس اختلافات اللغة والثقافة[٦]، وهم ليسوا حريصين على الارتبـاط مع الإيرانيين، أولاً لكى يتجنبوا التعرض بدورهم إلى المشـاركة فـى التحيُّـزات الأمريكية التى تتعلق بجماعات «الأصوليين» من الشيعة الإيرانيين، ثـم إن قسـوة الحوادث التى شهدتها أماكن مثل إيران ولبنان نجم عنها فى واقـع الأمـر تـأثير مضاعَف على الشيعة فى أمريكا: فمن ناحية زادت من مشاعر عدم الثقة فى نفوس الأمريكيين الآخرين، فيما عملت من ناحية أخرى على تشجيع المزيد من الجهـود التى بذلها الشيعة لتعزيز فهمهم لعقيدتهم بوصفها كيانًا مميَّزًا ضمن سياق الإسـلام الأمريكى. وعليه فالشيعة فى أمريكا، شأنهم شأن سـائر المهـاجرين المسـلمين، يخوضون عملية تحديد الأسلوب الذى يوائمون به بين البيئة الجديدة التى يعيشـون

فيها وبين ممارستهم لديانتهم الإسلامية وهى ممارسة ترتبط إلى حد كبير بتعبيرات ثقافية لها خصوصيتها. وفى غمار هذه العملية يظلون بحاجة إلى تحديد أعلى الأولويات التى يهتمون بها: هل يكون ارتباطهم بالإسلام ككل أو يكون الارتباط بالمذهب الشيعى بالذات أو بوشائجهم الطائفية الخاصة.

الشيعة الاثنا عشرية

فى غيبة إمام حى ضمن صفوف الجماعة الشيعية، تناهت قيادة الشيعة الإيرانية الاثنى عشرية إلى رجال يُعرفون باسم المجتهدين وهم يعدُّون علماء ونوابًا عن الإمام الغائب. وهم منظمون فى إطار سلطة مركزية مستقلة عن سيطرة الحكومة وتدعمهم عمليات دفع الخمس وهى نوع من الضريبة الدينية وتمثل نسبة ٢٠ فى المائة مطلوبة من جميع أفراد الشيعة الاثنى عشرية وغالبا ما تُدفع بالإضافة إلى أدائهم للزكاة. وقد امتد هذا النظام إلى الولايات المتحدة حيث أتاحت أموال الخمس بناء مراكز إسلامية ودفع مرتبات المدرسين والقادة الدينيين. ويفيد علماء الشيعة بأن ثمة منافسة واسعة النطاق على أموال الخمس بين صفوف الجماعات الشيعية المختلفة فى أمريكا. وبرغم وفاة الإمام الإيرانى الخوئى، فإن مؤسسة الخوئى فى نيويورك ما زالت تجمع الأموال من عدد من الشيعة بالولايات المتحدة وعليه فإن الاثنى عشرية الأمريكيين، الذين ما زالوا يتطلعون إلى إيران من أجل القيادة والتوجيه قادرون على الحفاظ على موقع مستقل أساسًا لأنهم يناضلون للحفاظ على هويتهم وإعادة تعريفها فى أمريكا(٧). وإذا ما عدنا إلى ديربورن، ميتشجن نجد نموذجًا مهمًا دالا على أوضاع الشيعة فى أمريكا.

ففى منتصف القرن العشرين تعرضت الجماعة إلى خطر داهم يتمثل فى إمكانية استيعابها ضمن التيار السُنى الذى كان مسيطرًا بالمنطقة. وكان الشيعة يفتقرون إلى قيادة مدربة فيما كان كثير من المسلمين عازفين عن الاعتراف بوجود اختلافات ملموسة بين فرعى العقيدة الإسلامية. ومع ما حدث فى السنوات اللاحقة من وصول المشايخ الذين كانوا على استعداد لتعليم الجالية الشيعية بشأن تاريخها وممارساتها أصبحت الفروق المميِّزة أكثر وضوحًا لدرجة أن الممارسات التى كانت أكثر تساهلاً فيما يتعلق باستخدام المسجد ومنها مثلا إقامة الحفلات

والمراقص حل محلها عادات وأعراف أكثر صرامة واتساما بالطابع الكلاسيكى إذ اقتصر استخدام المسجد فقط على العبادة والوعظ الدينى.

وجاءت الحرب الأهلية فى لبنان بعدد كبير من اللاجئين الشيعة إلى ديربورن. كما أن اندلاع الثورة الإيرانية كان له تأثيره الملموس على حياة هؤلاء الشيعة الذين أصبح من واجبهم حماية أنفسهم إزاء تحيُّز الجمهور الأمريكى مما أفضى بدوره إلى المزيد من شعورهم بالتضامن وبالتميُّز من حيث الهوية بعيدا عن السنّة من أهل المنطقة.

أما المساجد الشيعية فى دير بورن، التى تعبِّر ولو بصورة عمومية عن السمات الاثنية المميِّزة فتختلف أساسًا فى درجة التزامها بالشريعة الإسلامية. فالذين يأخذون بمزيد من الصرامة يطلبون من النساء الحشمة فى لباسهن واتباع التعاليم الإسلامية بشأن الطعام بقدر من الدقة والعناية ولا يتحمسون بصفة عامة لأى أنصاف حلول مع المجتمع الأمريكى. وهناك الآخرون الذين يقولون بلسان قادتهم إن المبالغة فى الصرامة تنطوى على خطورة إبعاد الأعضاء، ولا سيما الشباب، عن بيئتهم فضلاً عن أن الأحوال والأماكن الجديدة من شأنها أن تشجِّع بالفعل على التجديد فى الفهم والتفسير. وتحكى ليندا ولبريدج قصة سيدة سألت أحد القادة المسلمين إذا ما كان مسموحًا للمرأة استخدام مساحيق التجميل ثم تقول «كان يعرف تمامًا أن من غير المجدى أن يطلب إلى المرأة الاستغناء عما لديها من مساحيق وقلم للحواجب وبدلاً من ذلك اختار أن يشجِّعها على أن تصلى وأن تتبع التعاليم التى تمنع التجمُّل بالمساحيق وقت الصلاة وبهذه الطريقة لم يشعرها بأنها مخالفة للدين وإن كان قد أسدى إليها نصيحة دينية صائبة»[٨]، وشأنهم شأن كثير من الأمريكيين المسلمين، فقد تعيَّن على الشيعة فى دير بورن أن يتواءموا مع بيئتهم الجديدة. وفيما ظلوا يقيمون صلوات الجمع بالمساجد فإنها مقصورة فى حضورها على الرجال وحدهم ولكن فى أيام الآحاد يأتى عدد أكبر إلى المركز الإسلامى فى أمريكا ومنهم النساء والأطفال حيث يستمعون إلى الخطب والمواعظ التى ما كانت تُلقى كما جرى العرف سوى فى أيام الجُمَع فقط.

الشيعة الإسماعيلية (السبعية)

تُعرف الجماعتان الرئيسيتان من الشيعة السبعية بشكل عام على أنهما النزارية والمستعلية أو البهرة. والبهرة في الولايات المتحدة هم الفئة الأصغر في هاتين المجموعتين وتتركز في المناطق الحضرية الكبرى مثل شيكاغو ونيويورك وسان فرانسيسكو وديترويت. وفيما ينشغل البهرة في أمريكا بوحدة الإسلام فإنهم يولون أسبقية عليا لأهمية الحفاظ على جماعتهم ولا يرتبطون سواء من الناحية الدينية أو الاجتماعية إلا مع أعضاء تلك الجماعة فقط، فضلاً عن ندرة التزاوج فيما بين هاتين الجماعتين وغيرهما في نطاق الجالية الإسلامية أما الشيعة النزارية الإسماعيلية فهي الشريحة الأكبر والأسرع نموا بين صفوف الإسلام الأمريكي. وفيما يتسمون بالصلابة إزاء الحفاظ على هويتهم المميَّزة فهم أكثر إمكانية لكي يُستَوعبوا مقارنة بالبهرة. والنزارية موحَّدون من حيث ولائهم لزعيمهم الديني الإمام الأمير كريم أغا خان الذي يعد من نسل النبي محمد وعلي (بن أبي طالب) مباشرة، ومن ثم فالإمام يقدّم التوجيه الروحي ويسدي النصيحة فيما يتعلق بخير جماعته بشكل عام. وعندما جاء النزارية إلى أمريكا للمرة الأولى كانوا عددًا صغيرًا وكان يتعيَّن عليهم التجمع بصورة غير رسمية لأداء الصلوات، ومن ثم كانوا يمارسون حياتهم الدينية في بيوتهم أساسًا. ومنذ زيادة أعداد هجرة النزارية بعد عام ١٩٧٢ اتسمت الحياة التعبدية بينهم بصورة أكثر تنظيمًا، ونشأت من ثم دور للعبادة ومراكز للصلاة في كثير من المدن حيث يتم حاليًا الاحتفال بمواسم ومناسبات معيَّنة ومنها مثلاً مولد النبي ويوم الإمامة الذي يكرِّم التاريخ الذي تولى فيه الإمام الحالي موقعه.

يختار أعضاء هذه الجماعة قائدهم الديني في المسجد المحلي فيما يصادق الإمام على هذا الاختيار ولا يتقاضى هذا القائد الديني أموالا لقاء خدماته ولا يعمل بوصفه مرشدًا روحيا للآخرين ولكنه يؤدي مهامه الشعائرية في دار الصلاة وفي المناسبات العامة. وكما هو الحال دائما يظل من الصعب تحديد النسب المئوية الدقيقة ولكن هناك من يفيد بأن الإسماعيلية النزارية يضمون نحو ١٠ في المائة من الجماعة الشيعية في أمريكا. ومنذ منتصف القرن كان الأغا خان قد بذل جهودًا حثيثة للتوفيق بين أتباعه وبين جماعة المسلمين ككل ومن ثم دمجهم بين صفوفها.

والأغا خان الحالى شخصية عامة مشهورة وكثيرًا ما يلقى خطبًا فى جماهير الأكاديميين فى أمريكا على نحو ما فعل عندما ألقى الكلمة الافتتاحية فى حفل خريجى جامعة براون عام ١٩٩٦.

طائفة الدروز فى أمريكا

طائفة الدروز كما نعرفها اليوم هى فصيل آخر انبثق عن الشيعة الفاطمية فى القرن الحادى عشر ليكوّن هذه الطائفة. وقد دَرَج الدروز على أن يعيشوا أساسًا فى المناطق الجبلية من لبنان وفى بعض أجزاء من سورية كما ظلوا يسترون عقائدهم عن الأطراف الخارجةِ عن الطائفة ودون أن يتم تمرير العقيدة والممارسة الدرزية إلا لذريتهم كما أن حالات الزواج خارج هذا المذهب لا تلقى أى تشجيع من قريب أو بعيد. أما التساؤل حول ما إذا كان الدروز يعدون مسلمين أو حتى يعدون أنفسهم مسلمين فقد بقى موضعًا لكثير من الأخذ والرد. وفى كل حال فإن وجودهم، رغم صغِر حجمه، ظل يشكّل جزءًا كبيرًا من تيار الهجرة اللبنانية على مدار القرن التاسع عشر إلى أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية فضلاً عن أجزاء من أستراليا وغربى أفريقيا. وفى العقود العديدة الأولى من القرن العشرين فإن كثيرًا من المهاجرين إلى أمريكا ممن تم تعريفهم على أنهم مسلمون كانوا من الدروز الذين استوطنوا فى مناطق مثل فرجينيا وكنتاكى وتنيسى فى الجنوب بل وصلوا إلى واشنطن فى الغرب.

وعلى غرار الآخرين القادمين من الشرق الأوسط أتى حين من الدهر على الدروز فى أمريكا اختاروا فيه عدم التأكيد على هويتهم بل حاولوا أن يصبحوا أمريكيين بصورة أعمق بل إن كثيرًا منهم تحولوا رسميا إلى الديانة المسيحية ليصبحوا أعضاء فى الطائفة المشيخية أو غيرها من المذاهب البروتستانتية. ومع ذلك فقد شهدت العقود الأحدث عهدًا حركات بارزة على مستوى الجالية الدرزية بالولايات المتحدة حيث لم تقتصر فقط على تأكيد هويتهم بوصفهم دروزًا بل شملت أيضًا إعلان الانتساب من حيث الهوية إلى الإسلام. وفى معرض تأكيد أهمية ما يُعرَف فى بعض الأحيان بأنه «عقيدة الموحِّدين» فهم لا يعترفون فقط بجذورهم الإسلامية ولكنهم يؤكدون كذلك ولاءهم المتواصل للإسلام السلَفى.

وبعد قرن فى أمريكا فإن طائفة الدروز، التى ما زالت صغيرة العدد، تنمو وتناضل لكى تؤكد أصالة ثقافتهم وتراثهم بوصفهم دروزًا فضلاً عن دورهم بوصفهم أمريكيين من أصل عربى إضافة إلى التزامهم بالإسلام. وكما يقول عبد الله نجار الناطق باسم الطائفة الدرزية فى أمريكا فى اجتماع وطنى للدروز: «إننا لا نتنكر لتاريخنا ولا لثقافتنا الوطنية بينما نعمل على المزج بين الجديد والقديم ليشكلا حقيقة متكاملة تتمتع بقوة دفع تضم العنصرين»[9]. والحق أن هدفًا من هذا القبيل يمكن أن يكون مطمحًا لكثير من التجمعات الإسلامية المهاجرة فى أمريكا.

المتحولون إلى الإسلام

متحولون من أصل إنجليزى

رغم أن الأغلبية الكبيرة من المسلمين فى أمريكا ينحدرون إما من أصل أفرو - أمريكى أو يشكلون جزءًا من السكان المهاجرين من السكان، فثمة عدد يزداد بصورة ملموسة من الأمريكيين الآخرين ممن يختارون الإسلام دينًا لهم وطريقة للحياة. وتتراوح تقديرات عدد المسلمين من المنحدرين من الأصل الإنجليزى أو الأنجلو - مسلمين فى الولايات المتحدة بين ٢٠ ألفا إلى ٥٠ ألفا(*) ولكن يظل من الصعب تحديد أى رقم يقترب من الأرقام الدقيقة فى هذا المجال. وبعض هؤلاء هم من النساء المنتميات إلى الأصل الإنجليزى ممن تزوجن رجالاً مسلمين. وكما رأينا فإن الشريعة الإسلامية تسمح للمسلمين الذكور بالزواج من نساء من أهل الكتاب أى من المسيحيين أو اليهود. ورغم أنه ليس هناك ما يجبر هؤلاء النساء على التحول إلى الإسلام، لكن لأن الأبناء سوف ينشأون على ديانة والدهم، يختار عدد من هؤلاء النساء اعتناق الإسلام وقد يحدث ذلك إما لأن زوج المرأة يكون حريصًا على أن تقبل الديانة الإسلامية، أو لأنها اقتنعت بأن الإسلام هو الدين الحق بالنسبة لها، أو لأنها تريد تربية أبنائها فى بيت يعتنق ديانة واحدة. وقد ينتهى أكثر من نصف حالات الزواج بين الذكور المهاجرين المسلمين والإناث الأمريكيات من غير المسلمات إلى اعتناق الزوجة الإسلام برغم أن من المهم ملاحظة أن الدراسات المسحية عن النساء المتحولات إلى الإسلام تشير إلى أن

(*) عام ١٩٩٨ «المترجم».

اعتناقهن الديانة فى كثير من الحالات جاء قبل زواجهن من رجل مسلم. كذلك يشب الأبناء على ديانة أبيهم إذا ما تزوجت مسلمة من مسيحى أو يهودى وبرغم أن مثل هذا الزواج لا تسمح به الشريعة إلا أنه يحدث بين حين وآخر مما يرتب ضغوطًا شديدة على كاهل الزوج لكى يتحوّل إلى الإسلام.

كذلك فإن من الأنجلو - أمريكيين من يختار التحوّل إلى الإسلام لعدد متنوع من الأسباب فبعضهم يجد أن الجاذبية الفكرية لحضارة عظيمة سواء على مستوى إنجازاتها الفكرية أو العلمية أو الثقافية بمثابة علاج متجدد إزاء المناخ الذى يعيشه الغرب المعاصر، الذى يعادى الثقافة ويتسم بالابتعاد عن الدين. ومن أسباب انتشار الإسلام فى أنحاء شتى من العالم على مدار القرون ما كان يتمثل فى بساطته المباشرة من حيث إعلان اعتناق الديانة وقيامها على دعائمها الخمس التى يلتزم المسلم المؤمن باتباعها وبالنسبة لبعض الأمريكيين فإن هذا الجانب المباشر الصريح يشكل بديلاً جذابًا لما قد يجدونه من ارتباك إزاء المذاهب الدينية المسيحية، والتعاليم التى تؤكد التثليث على نحو ما تبشر به الكنيسة المسيحية. وبقدر ما أن الإسلام بشكل أو آخر اجتذب كثيرًا من السود بوصفه ملاذًا من عنصرية البيض التى ما برحت تسود المجتمع الأمريكى فإن عددًا آخر من الأمريكيين وجدوا فى دعوة الإسلام إلى المساواة بديلاً عمليا للمسيحية التى يُنظر إليها أحيانًا على أنها ترتبط برباط وثيق بممارسات تصادر على المطلوب.

ومن ذوى الأصل الإنجليزى من كانوا يفتقرون إلى علاقات شخصية حميمة أو وثيقة من حيث الصلات العائلية مما دفعهم إلى أن يضعوا آمالهم فى ديانة من الواضح تمامًا أنها موجَّهة نحو الترابط الاجتماعى وهو بهذا قد يهيئ لهم عزاءً من الوحدة التى يعانونها. ومن أسف فإن النتيجة لم تكن على هذا النحو دائمًا، باعتبار أن المسلمين يوجِّهون جماعتهم لا إلى عمومية الإسلام بل كثيرا ما يوجِّهون هذا المجتمع بالذات إلى الهويات الوطنية والعرقية التى ينتمون إليها.

وفى كل حال فإن الحماس الجارف الذى ينطلق منه المتحوّل مجددًا إلى أى ديانة أو أيديولوجية عادة ما يكون عميقًا. وهذا أمر لا تقل اندفاعته فى حالة الأمريكيين الذين يقررون اعتناق الإسلام. وبصفة عامة فإن هؤلاء المتحوّلين إلى الإسلام يتسمون بالاتجاه المحافظ دينيا بشكل عام سواء فى المعتقد أو فى اللباس

ويرجع ذلك إلى أسباب تتصل بالاعتقاد الشخصى وربما بالرغبة فى إقناع أنفسهم وعائلاتهم بصواب القرار الذى اتخذوه مما يجعلهم دعاة يأخذون أنفسهم بالصرامة والحماس ويحضون على تفسير واضح مباشر بل وأحيانًا يفتقر إلى المرونة لدينهم الجديد. ومن الكتابات المطروحة حاليًا ما يناقش الوحدة التى يعانيها المتحولون إلى الإسلام من ذوى الأصل الإنجليزى بعد اعتناقهم الدين وخاصة ممن لم يتخذوا أزواجًا من المسلمين فهم لا يشاركون لا فى الثقافات المحددة التى يمثلها المهاجرون ولا فى الهوية الاثنية التى ينتمى إليها الأفرو - أمريكيين. وبعضهم يساوره التبرم إزاء ما يحسه بأن ثمة رصدًا لا لزوم له يتابع تقدم خطاه على طريق العقيدة الإسلامية من جانب المهاجرين المحافظين. وفى هذا المجال يكتب واحد من هؤلاء المتحولين إلى الإسلام قائلاً «أحيانًا يمكن أن تصبح المسألة باعثة إلى حد ما على الخوف. فعلى سبيل المثال إذا ما طرقت أبواب جماعة سلفية (محافظة) فخذ حذرك لأنهم سوف يختبرون معرفتك بالإسلام... فلا تكن عصبيا ولا يستبدن بك الخوف بل الزم الهدوء»[١٠]. وهكذا قام عدد من الأنجلو - المتحولين بتشكيل جماعات موازية لمساعدة بعضهم البعض فى مرحلة التحوّل إلى ديانة وهوية جديدة.

المتحولون من الأمريكيين ذوى الأصل الإسبانى أو من الأمريكيين الأصليين

يولى قدر كبير من الاهتمام حاليًا إلى أهمية أن يتحول عدد أكبر إلى الإسلام من بين صفوف جماعات أمريكا اللاتينية فى الولايات المتحدة. وما أسرع ما يشير المتحمسون لهذا الأمر إلى العلاقة الطبيعية للإسلام مع كثير من جوانب الثقافة الهسبانية[*] وقد بدأت العلاقة مع وصول الإسلام إلى شبه جزيرة إيبيريا فى عام ٧١١ للميلاد. وعلى مدى سنوات الوجود الإسلامى فى إسبانيا حتى طرد المسلمين بعد عام ١٤٩٢ ظل الإسلام والثقافة الإسبانية فى حال من التواصل العميق سواء جاءت هذه الوشيجة التاريخية حقيقة لتؤثر على قرار بعض الأمريكيين من ذوى الأصل الإسبانى فى اعتناق الإسلام، أو أنها أمر ما زال موضع جدل، وخاصة فى

(*) فى شبه جزيرة إيبيريا وقارة أمريكا اللاتينية ومنطقة البحر الكاريبى - أمريكا الوسطى «المترجم».

ضوء حقيقة أن كثيرًا من الذين يتحولون يفضلون تجاهل تـراثهم الهسـباني بـل يحجمون عن التكلم باللغة الإسبانية في محاولة من جانبهم لأن يصبحوا جزءا مـن الـ «المشهد» الإسلامى الأمريكي.

بدأ الإسلام فى الظهور لأول مرة فى أحياء شمال شرقى أمريكا فى بدايـة سبعينيات القرن العشرين. وبصورة رئيسية كان أفراد من الجيل الأول مـن أهـل بورتوريكو من نيويورك قد تحول كثير منهم إلى الإسلام من خلال انتسابهم إلـى مساجد الأفرو - أمريكيين. ومنذ ذلك الحين حاول المهاجرون المسـلمون تنظـيم حركات تبشيرية بين صفوف السكان اللاتينو حيث أفضى ذلك إلى دمجهم ضـمن جماعات مساجد السنة. ومن جانبهم فإن هؤلاء الهسـبانيين وجـدوا فـى الثقافـة الإسلامية الكثير مما يتماثل مع ميراثهم الثقافى الأصلى وخاصة فيما يتعلق بأهمية هيكل الأسرة وبالذات الأدوار المحددة لكل من الرجال والنساء. ويلاحظ أن الطلاق الذى كان متزايدًا بين صفوف مجتمعات الهسبان الأمريكيين أصبح منخفضًا بشكل ملحوظ على مستوى الأزواج من اللاتينو المسلمين.

هذا ويفتح المسلمون ببطء أعينهم على حقيقة أن الجالية الهسبانية فى أمريكا هى مصدر مُهيأ لتقديم المزيد من المتحولين الجدد. فكلمة «أوليه» (الإسبانية) بكـل ما تعنيه من معانى الترحيب والحمد والفرح تكتب موجَّهة إلى الله سبحانه فتـزيِّن صفحة الغلاف من نشرة «الرسالة» التى تخصِّص مقالات عن مسلمى اللاتينو. كما يولى اهتمام متزايد فى الجرائد الإسلامية لحقيقة أن الأمريكان الهسـبانيك كـانوا موضع تجاهل تام كجالية بحاجة إلى نشر الدعوة. وكثير من هذه الدوريات يطالب ببذل المزيد من الجهود من أجل إرساء قواعد للتعليم الإسلامى باللغـة الإسـبانية. وتم فى هذا الصدد التأكيد تحديدًا إلى ضرورة إعداد ترجمـات دقيقـة بالإسـبانية للقرآن. كما أن القلة من المسلمين الهسبان الذين ينشـطون فـى تـدريس الديانـة الإسلامية لأعضاء جالياتهم ينعون قلة ما هو متاح عن مواد التـاريخ والتـراث والمذاهب والممارسات فى مضمار الديانة الإسلامية بالنسبة للذين ما زالت اللغـة الإسبانية هى لغتهم الأولى. لأن بعض المؤلفات المطروحة فى هذا الصدد كتبـت أساسًا بلغة آسيوية ثم جرت ترجمتها إلى الإنجليزية وأخيرًا تحولوا بها إلى اللغـة الإسبانية.

ومن الأمثلة على نمو الإسلام «اللاتيني» ما يتمثل فى الجهد التبشيرى الذى

تشهده مدينة نيويورك ويحمل عنوان «بيداد» (الدعوة الإسلامية للتعليم والإخلاص لله سبحانه) وقد بدأ هذا الجهد فرد متحول إلى الإسلام من بورتوريكو فـي عـام ١٩٨٧ وكان يركز بالذات على ذوى الأصل اللاتينى المتزوجين من مسـلمين (أو مسلمات) وكذلك على اللاتينيين من نزلاء السجون. وثمة منظمة لاتينية إسـلامية أخرى متواجدة فى منطقة الباريو وهى حى الإسبان فى مدينة نيويـورك وتسـمى باسم المحالفة الإسلامية (اليانزا إسلاميكا) وقد بدأت منذ أوائل الثمانينيات كفرع من فروع حركة دار الإسلام وهى تمثل الرابطة الوثيقة بين المتحـولين مـن أصـل إسبانى وبين الأفرو - أمريكيين المسلمين. وهذه المنظمـة تعمـل انطلاقـا مـن المحلات الصغيرة فتقدم خدمات اجتماعية للجالية المحيطة كجـزء مـن برنـامج الدعوة التى تقوم بها كما يقدم أعضاؤها دروسًا خصوصية بعـد اليـوم الدراسـى ويخططون لعطلات ترفيهية صيفية ويسدون مشورتهم فـى مجـالات المخـدرات والكحوليات والزواج كما يهيئون تعليمًا للحصول على شهادة معتمدة للأولاد الـذين يتسربون من المدرسة. وقد نجحت هذه المنظمة فى أن تعيد من ضلوا الطريق إلى صفوف جماعة المؤمنين فضلاً عن اجتذاب أعضاء جدد من بين صفوف الجاليـة الهسبانية.

وفى كاليفورنيا تسعى الرابطة اللاتينية لمسلمى الأمريكتين المنشـأة حـديثًا (ألما) إلى نشر الإسلام بين صفوف الناطقين بالإسبانية مع تثقيفهم بشأن مسـاهمة الإسلام فى مجتمعهم وثقافتهم أملاً فى إعادتهم إلى طريقة الحياة التى كان قد درج عليها أسلافهم. وقد بدأت منظمة (ألما) فى التخطيط لنشر مجلة إسـلامية باللغـة الإسبانية لتكون الأولى من نوعها من أجل توزيعها فى الولايات المتحـدة وكنـدا وأمريكا اللاتينية.

وبرغم أن عدد الأمريكيين الأصليين (الهنود الحمر) ما زال محدودًا للغايـة إلا أن قلة منهم ما لبثت أن ارتفع صوتها تعلن اقترانها بالديانة الإسلامية، وتـذكر المسلمين الآخرين بالعلاقة الطويلة التى ربطت بين الهنود الأمريكيين والمسـلمين على أرض قارة أمريكا الشمالية. ويدّعى شعب السيمينول فى فلوريـدا أن بعـض أفراد منهم ينحدرون من أصلاب العبيد الأفريقيين الذين حاولوا قبل حقبة التحريـر الهرب والاندماج ضمن صفوف الهنود بل وتحويل بعض من أفراد هذا الشعب إلى

الإسلام. ويقال إن لغتى الجنتوان والبيما تحتويان على كلمات ذات جذور عربيـــة. أما شعب الشيروكى فيدعون أن عددًا من المسلمين انضموا إلى صفوفهم ويقولـــون إن رئيس قبائل الشيروكى فى عام ١٨٦٦ كان مسلمًا باسم رمضان بن واتى.

ويتصور بعض المسلمين حاليًا أن ثمة روابط لهـــا مغزاهـــا تـــربط بـــين الأمريكيين الأصليين وبين الآراء القرآنية عن العالم. ومن ذلك مثلاً التوقير العميق للطبيعة والانصياع لنواميس الكون كما خلقه الله والتسليم بأن الناس سواسية كأسنان المشط وينبغى معاملتهم على هذا النحو على اختلاف أعراقهم وألوانهم. كذلك فـــإن فهم الأمريكيين الأصليين لنوع من التعليم الإلهى الأصيل للبشر يتوازى مع فكـــرة القرآن بشأن دين الفطرة، ذلك الدين الذى يتفق مع الطبيعة ومع استجابة الدين فـــى صميمه إلى البشر كافة. وهناك من يقارن بين وعى الأمريكيين الأصليين بوجـــود إلهى يشمل أركان العالم الأربعة وبين تأكيد القرآن على حقيقة: «فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَـــثَمَّ وَجْهُ اللَّه». كذلك فإن أعراف هؤلاء الأمريكيين الأصليين تـــولى اهتمامـــا واســـع النطاق إلى أهمية المواقع المقدسة والحج إليها، وهو ما يوازى الواجب الإســـلامى بشأن الحج إلى مكة أو زيارة أضرحة الأولياء. كذلك فإن الانشغال الـــذى يســـاور الأمريكيين المسلمين حاليًا إزاء ما يرونه من توَغل الحداثة واستشراء العلمانية فى حياة الغرب تتردد أصداؤه فى كثير من أعراف الأمـــريكيين الأصـــليين. وفيمـــا يناضل المسلمون وكذلك الأمريكيون الأصليون لتوضيح هويَّاتهم والحفـــاظ عليهـــا ضمن السياق الأمريكى فإن ذلك قد ينطوى على إمكانية تعزيز الصلات التى تربط بين الطرفين سواءً من الناحية التاريخية أو الناحية الفلسفية.

الأمريكيون المتحولون إلى الصوفية

هناك سبب آخر يدفع عددًا من الأمريكيين إلى اعتبار أنفسهم مســلمين مـــن حيث انتسابهم إلى الجماعات الصوفية فى الولايات المتحدة. وكما تم إيضاحه فـــى الفصل السابق فالصوفية هى جزء معقدٌ من تاريخ الإسلام يعامل بقدرٍ كبيرٍ أحيانـــا من التوقير وأحيانًا من الرفض بوصفه انحرافًا عن طريق العقيدة القويم. وبقدر ما أن الجماعات المتصوفة فى أمريكا تنتسب إلى إحدى الطرق الصـــوفية الراســـخة والمعترف بها، ينبغى اعتبارها جزءًا مما أصبح يمثل إسلامًا أمريكيـــا صـــحيحًا.

ومرة أخرى فكثيرًا ما تضطرب الرؤى وتختلط التعريفات بين من هـو الصـوفى الحقيقى ومن ليس كذلك. وبعض الجماعات فى الولايات المتحدة التى تختار اعتماد اسم صوفى كجزءٍ من حركة تحمل اسم «العصر الجديد» لا تكاد تفعل شيئًا سـوى الربط بين حركات الجسد وبين ممارسات تأملية متميزة الأسـلوب دون أن تمتلـك فهمًا إسلاميا عقائديا للتصوف.

وتعد أشكال الرقص الصوفى أمرًا جذّابًا بالذات لبعض الأمـريكيين، فهـذه الرقصات حين تؤدى يقف مرشدها فى الوسط يرافقه عازف موسيقى بينما يتجمـع المشاركون فى دائرة أو دوائر ويتحركون على الإيقاع وبعض الحركات تصاحبها أناشيد جماعية وكثيرًا ما كانت هذه الأناشيد والرقصات محل تشكك مـن جانـب المسلمين السلفيين. ولكن فى بعض الحالات ومن ذلك مثلاً «الـدراويش الـدوّاره» أصبح الأمر معترفًا به بل وموضع تكريم بوصفه جزءًا من الأعراف المتبعة.

أما المسلمون المرتبطون بالطرق الصوفية الراسخة والمعترف بهـا دوليـا فليس لديهم الصبر الطويل على «حماقة» الأمريكيين المشوقين إلـى اتبـاع بـدع جديدة تحمل صفة الروحانية، وما أسرع ما يوضحون أن الجماعات الصوفية شـبه الإسلامية ليس أمامها دورٌ مشروع تؤديه فى الإسلام الأمريكى. كذلك فإن كثيـرًا من المهاجرين المسلمين ذوى التوجهات التقليدية المتعارف عليهـا يجـدون مـن الصعب الاعتراف بشرعية أى جماعات صوفية أمريكيـة وهـم بهـذا يعكسـون التوترات التى ظلت تفصل بين الصوفية وبين المسار الرئيسى للإسلام على مـدار قرون. كما أن المنظمات الإسلامية التى تدعمها العربية السعودية بالأموال ترفض السماح بأن تشارك فيها الجماعات الصوفية. وفيما لا يزال عدد الذين «تحولّـوا» بالفعل إلى الإسلام عن طريق التصوُّف عددًا قليلاً نسبيا، إلا أنـه يبـدو أن ثمـة اهتمامًا متناميًا بالتصوف بوصفه سبيلاً روحيا / سيكولوجيا فضلاً عن أنه بالنسـبة للجماعات الأمريكية محور لشعور الرفقة والتواصل الاجتماعى. وبصفة عامة يجد الأمريكيون فى الحركات الصوفية موئلاً مفتوحًا وميسورًا ويتمتع بالتسامح ومساندة الفرد فى تلبية احتياجاته والاستجابة إلى شواغله.

ويجدر القول بأن اثنين من أكثر الشخصيات الصوفية شهرة فى الغرب فـى القرن العشرين وهما حضرة عنايت خان وإدريس شاه ينظر كلاهما إلى التصـوف

كظاهرة متميّزة عن الهيكل الرسمى الدينى للإسلام. فكتابات هذين الأستاذين من خلال تأكيدها على الحياة الداخلية بدلاً من الأشكال الخارجية للدين كانت كتابات غزيرة ومؤثرة وخاصة على «المريدين» الأمريكيين الشباب.

حضرة عنايت خان الذى كان قد بدأ عضوًا فى فرع نظامى من الطريقة الشستية فى الهند درس على يد أساتذة من المسلمين والهندوس على السواء ومن ثم فإن فلسفته جمعت بين فلسفة أدفيتا فيدانتا الهندوسية وفلسفة «وحدة الوجود» التى قالت بها مدرسة ابن عربى الصوفى الأندلسى. وإذ كلفه أستاذه بأن يشيع الوئام فى الشرق والغرب فقد كرس حياته للتبشير بالصوفية فى أمريكا وكان واحدًا من أوائل الذين علموا المذاهب الصوفية فى الغرب حيث ألقى المحاضرات وقام برحلات عبر أمريكا من عام ١٩١٠ إلى عام ١٩٢٧ وجمع من حوله عددًا من التلاميذ ثم أسس الطريقة الصوفية فى الغرب ويرد كثيرٌ من تعاليمه فى سلسلة من عدة مجلدات تحت عنوان «الرسالة الصوفية لحضرة عنايت خان» (١٢)، وعند وفاة عنايت خان فى عام ١٩٢٧ ورث ابنه ولايت خان الذى كان بعد صبيا قيادة الطريقة ولكن اندلعت توترات شديدة بين صفوف الجماعة وكان أن تحوّل بعض أفرادها إلى الزعيم الصوفى الشهير مهر بابا طلبًا للإرشاد. وكان بابا من هؤلاء الذين لا تتفق ادعاءاتهم الشخصية مع المسلمين السلفيين فقد ولد فى الهند عام ١٨٩٤ وكان يؤمن أنه قد وصل إلى مرتبة الربوبية وبعد عام ١٩٢٥ انقطع عن الكلام تمامًا وظل يتواصل مع أتباعه عن طريق إشارات اليد أو بالكتابة ومن ثم فإن عددًا من كتبه الكثيرة تم «إملاؤها» بهذه الطريقة.

وفى عقد الستينيات، وهو عقد ازدادت فيه جاذبية الصوفية فى أمريكا، ظهر بير ولايت خان ذو التعليم الأوروبى ليكون زعيمًا مؤثرًا للطريقة الصوفية فى الغرب ومن ثم فقد نمت حركته بسرعة، ولكن بما أن بير كان تعليمه كلاسيكيا فقد شعر بقدر من التباعد إزاء بعض من أتباعه الجدد من صفوف الهيبيز وكم كان استياؤه بالذات عندما أراد تلاميذه تعاطى المخدرات من أجل الوصول إلى حالة روحانية.

وفى كل حال فإن المذهب الصوفى فى الغرب مازال تحت توجيه ولايت خان برغم أنه توسع ليشمل مجموعة متنوعة من التعاليم والأحوال التجريبية. وما

برح المذهب يؤكد على اليقظة الروحية وإن كان يمارس نشاطًا كذلك فـــى مجـــال الخدمات الاجتماعية والتعليم والصحة. وهو ينشط فى عدد مـــن المـــدن الكبـــرى ويتبنى تنظيم خلوات وندوات وحلقات للعلاج النفســـى والروحـــانى إضـــافة إلـــى معسكرات عمل وحفلات موسيقية وتنظر معظم جماعات المسلمين فى أمريكا إلـــى أنشطة المذهب الصوفى فى الغرب بقدر من الريبة والرفض بل تخلع عنـــه صـــفة الحركة الإسلامية الحقيقية.

أما إدريس شاه فهو كاتب شعبى ومعلم يؤكد على الجوانب السيكولوجية من الصوفية وقد تمتع بنفوذ واسع النطاق فى أمريكا منذ عقد الستينيات الماضى وهـــو ينحدر من أصل هندى أفغانى وقد أمضى معظم حياته فى الغرب بإنجلترا برغم أن مؤلفاته ظلت على أرفف المكتبات الأمريكية منذ البداية. وقد حـــاز إدريـــس شـــاه شعبية بالذات بفضل قصصه الفلكلورية التى تحكى عن حكمة الصوفية من خـــلال الحكاية والقدوة. ويشكل أتباعه جمعية الدراسات الصوفية وكانوا ينتقدون بخاصـــة أولئك الذين يريدون إدامة الأشكال والممارسات القديمة للصوفية التى لم تعـــد ذات صلة بالعالم الغربى الحديث. على أن مؤلفات إدريس شاه، ومنها مثلاً كتابه المبكر الذى لا يزال رائجًا بعنوان «الصوفيّون» تفتقر إلـــى حـــد كبيـــر إلـــى اســـتخدام المصطلحات التى كان ينبغى لها أن تحدد بدقة تفسيره للتصوف فى إطار الإســـلام المتعارف عليه ولكن كتاباته لها جاذبية خاصة للغربيين الذين يميلون أكثـــر إلـــى التوجه الثقافى.

ومنذ عقد السبعينيات، كانت الجماعات الصوفية التى سبق تشكيلها وتكييفهـــا لكى تتواءم مع الثقافة الأمريكية ومع مقتضيات الحياة فى أمريكا قد التحـــق بهـــا أفراد آخرون ليصبحوا أعضاء بها وكانوا مهاجرين على دراية كبيـــرة بـــالتطور الصوفى وبممارسات الطرق الصوفية المعينة التى كانوا من مريديها فى أوطـــانهم الأصلية. وهؤلاء الأفراد يجنحون إلى الالتزام بالتقاليد المرعية على نحـــو يفـــوق ممارسى الصوفية الأوائل فى أمريكا فضلاً عن اهتمامهم بمزيد من الالتزام بتأكيد استمرارية العلاقة بين الصوفية والإسلام. ولذلك فإن الأمريكيين أصبحوا يتجهـــون أكثر وأكثر إلى هؤلاء المعلمين يجتذبهم فى ذلك ما يتبدى أمامهم من أشكال الزهد والورع الإسلامى الذى تمثله تلك الطرق الصوفية.

وهناك جماعة تمثل مزيجًا بين تأثيرات جماعة «العصر الجديد» وبين الطرق الإسلامية الأكثر رسوخًا والتزامًا بالتقاليد وهى جماعة رفاق باوا محيى الدين التى تتخذ مقرها فى فيلادلفيا. وأعضاؤها إما مهاجرون أو أمريكيون متحولون جاءوا من تشكيلة واسعة من الخلفيات الاثنية والدينية. وتشكل تجربة أتباع باوا نموذجًا جيدًا على المزج بين الشرق والغرب أو بين تجارب المهاجرين والسكان الأصليين وكذلك بين الصوفية التقليدية والأشكال المستجدة والمتطورة منها. جاء باوا الذى كان قد ولد فى سرى لانكا وانضم إلى عضوية طائفة القادرية إلى أمريكا بناءً على دعوة فتاة شابة من فيلادلفيا كانت تراسله على مدار أعوام وسرعان ما اجتذب عددًا من المريدين المخلصين فقرر أن يبقى لكى يؤدى رسالته فى أمريكا. وكثير من الذين وجدوا فى رسالته تلك قطبًا جاذبًا كانوا من شباب الأمريكيين الذين كانت حياتهم مضطربة وظلوا يفتقرون إلى قاعدة روحية يستندون إليها. ولم يكن إلا بالتدريج عندما أدركوا أن تعاليمه تنطلق من الإسلام وأنه كان ينحدر من أرومة صوفية أصيلة وجليلة. ويقال إنه كان تجسيدًا لمبادئ المحبة والبر سواء فى سلوكه الشخصى أو فى حياته العامة لدرجة أن مجرد التواجد فى حضرته كان تجربة روحية سامية وكان يعد نفسه، بقدر ما كان أتباعه يعدونه شيخهم أو قائدهم الروحى.

على أن باوا كان حريصًا على أن يتابع أحدث التطورات التكنولوجية ومن ثم جاء استخدامه للتليفزيون ولمعدات الفيديو فى إطار نشر رسالته ليضيف عمقًا إلى المعنى الذى يفيد بأن طريقة الباوا محيى الدين كانت، برغم المنابت التى انحدرت منها، طريقة أمريكية أصيلة تعمل باستمرار على التكيُّف مع التطورات المستجدة. ولهذا فإن وفاة باوا فى عام ١٩٨٦ لم تكن لتعنى حل الجماعة بل أصبح لها فى واقع الأمر فروع فى مدن عديدة أخرى ومنها بوسطون على سبيل المثال. ومع ذلك فقد أثير بين صفوفها بحق السؤال عمَّا يعنيه كونها جماعة صوفية أمريكية وبأى وسيلة يتسنى ظهور شيخ آخر لكى يدير دفة الجماعة، وهل يأتى مثل هذا الشخص من وراء البحار أو يكون أمريكى المولد متحولاً إلى الإسلام؟ وبحكم متطلبات المجاهدة التى يتدرب عليها أى قائد صوفى فى إطار طريقة تقليدية مثل القادرية فإن السؤال الذى يتعلق بما يشكله الإسلام الأمريكى قد يكون أصعب

بالنسبة للصوفية عنه بالنسبة لسائر المسلمين هناك. وفى كل حال فإن طريقة بـاوا محيى الدين طريقة فريدة فى حد ذاتها من حيث كونها جماعة صوفية تواجه أسئلة من هذا القبيل(١٣).

هناك كذلك بعض الجماعات الصوفية التى تجمع بـين الجوانـب العقيديـة الشاملة المتكاملة وبين الموسيقى والرقص والشعر وغير ذلك من أشكال الجماليات ثم تقرن هذا كله مع تأملات الأذكار الصوفية المتعارف عليها. وقد أصبحت كثيـر من تلك الجماعات عاملة فى مجال الدعوة أو فى النشاط التبشيرى بالإسـلام فـى أمريكا. ويعمل أعضاء الجيل الجديد من المسلمين المولودين فـى أمريكـا لآبـاء مهاجرين على ضم متحولين من البيض إلى الحركات الصوفية وبالنسبة للكثير من الرجال والنساء يبدو التصوف وكأنه يبث قدرات من الحياة والنشاط فـى أوصـال الدين وبطريقة لم تكن معهودة من قبل. وفى الوقت نفسه فإن علاقة الفـرد سـواء بالشيخ أو بالله سبحانه تضفى معنى جديدًا على كلمة الإسلام فى حد ذاتها من حيث أنها تفيد معنى الرضوخ والتسليم. كما يبدو التصوف وكأنه يهيء سـبيلاً للتكامـل والتوافق بين مختلف التعريفات العرقية والاثنية والثقافية التى تتصف بها كثير من جماعات مسلمى أمريكا التى كثيرًا ما تواصل عزل نفسها على أسـاس اخـتلاف الهويات وذلك برغم المساواة التى تمثِّل القطب الجاذب فى عقيدة الإسـلام. وفـى السنوات الأخيرة عاد الأمريكيون الذين كانوا قد درسوا على شيوخ الصوفية فـى الخارج وكتبوا عدة مؤلفات لكى يستصفوا رسالة الصوفية فتصبح مصطلحًا غربيًا له سماته المميِّزة.

من ناحية أخرى فالتصوف مازالت لـه جاذبيـة بالـذات لـبعض النسـاء الأمريكيات اللائى يجدن فيه بديلاً سائغًا عن المسيحية أو اليهوديـة أو عـن بيئـة اللاأدرية التى يكن قد نشأن فى إطارها. وثمة جاذبية خاصة تتمتع بها الجماعـات التى تتسامح من حيث القيود المفروضة ومن ذلك مثلاً فى اختلاط النساء بالرجـال خلال وقت العبادة. وأحيانًا قد يجلس المتعبدون فى دائرة يشكل الرجـال نصـفها وتشكِّل النساء النصف الآخر. على أن الجماعات الصوفية التـى لا يعنيهـا أمـر الفصل بين الجنسين عادة لا تكاد تهتم فى العادة بأى رابطة بينهـا وبـين تقاليـد الإسلام. وكما يحدث على صعيد الجماعة المسلمة ككل تثور مناقشات واسعة بشأن

مدى ملاءمة اضطلاع المرأة بأدوار قيادية فى المنظمات الصوفية فضلاً عن زيادة نماذج تلك القيادة. وها هى النقشبندية وهى طريقة «عقلانية» تأسست فى شبه القارة الهندية فى القرن الرابع عشر على يد بهاء الدين النقشبندى تتمتع بشعبية خاصة فى الولايات المتحدة وكندا وقد رسمت سياقًا تمتعت فيه أعداد كبيرة من النساء بشعور الارتياح إزاء المشاركة فى تلك الطريقة.

من جانب آخر توجد جماعات صوفية شيعية عديدة فى أمريكا أشهرها طريقة نعمة الله الصوفية التى أسسها وقادها الدكتور جواد نوربخش الرئيس السابق لقسم التحليل النفسى بجامعة طهران فى إيران. وقد تأسست الطريقة فى أمريكا لدى وصوله إليها فى عقد السبعينيات، واتخذت مقرها أولاً فى كاليفورنيا ولها مراكز فى عدد من المدن الأمريكية ومنها سان فرانسيسكو ونيويورك وواشنطن العاصمة وبوسطون. أما نوربخش الذى يعيش الآن فى إنجلترا فيؤكد على نهج للتصوف يُعنى بالعمل والرؤية بدلاً من مجرد الفكر والكلام وهو سبيل يفضى إلى معرفة الحق من خلال الحب والإخلاص. وتشمل كتابات هذا القائد النشط مؤلفات عن الشعر الصوفى وعن علم النفس والروحانيات وعن عيسى المسيح عند الصوفية وعن النساء المتصوفات. وربما يكون أفضل مؤلفاته المعروف بها هو كتاب «فى جنة الصوفية»[١٤]. ومن المذاهب الصوفية الشيعية الإيرانية الأخرى ما نما عبر أنحاء أمريكا على مدار عدة عقود سابقة. وبشكل عام فإن هذه المذاهب تؤكد على الرابطة التى تصل بين الصوفية وبين حركات الزهد الإسلامية حيث تعلو هذه الرابطة على المعتقدات والممارسات التى كان يمكن أن تميِّز هذه الجماعات وتعزلها بوصفها جماعات شيعية لها سماتها الخاصة.

ومن الجماعات العديدة التى تتصل بالصوفية بصورة أو بأخرى، أو على الأقل تستلهم عقيدة الإسلام، حركة سوبود الإندونيسية الروحية التى بدأت نحو نصف القرن العشرين وأصبح لها الآن فروع فى عدد من الأقطار وما برحت تشكِّل جزءًا من المشهد الأمريكى منذ عقد السبعينيات أى الوقت الذى كانت فيه حركات جديدة كثيرة تنشئ لها جذورًا فى أمريكا. ويقال إنها ضمت فى وقت من الأوقات أكثر من ٧٠ مركزًا فى أمريكا الشمالية وما زالت سوبود تجتذب أعدادًا محدودة من المنضمين إليها من الأمريكان الذين لا يرون أنفسهم بالتأكيد بوصفهم

متحولين إلى الإسلام ولكن تجذبهم المشاركة فى مشاريع خيرية اجتماعية تتم على نطاق دولى.

وثمة تجربة أمريكية لافتة للنظر من تجارب التعايش الطائفى التى تشكلت فى قالب صوفى أساسًا وهى تجربة إنشاء جماعة «دار الإسلام» التى تتخذ مقرها فى أبيكو بولاية نيو مكسيكو. و«دار الإسلام» هذه تتميز عن نظيرتها التى أنشأها الأفرو- أمريكيون وقد وصفناها فيما سبق. فالأولى هى أول قرية إسلامية فى أمريكا وكانت قد بدأت عام ١٩٨٠ بدعم من المسلمين السعوديين كمحاولة لطرح نموذج التقوى والورع الذى تميزت به صفوة المسلمين الأوائل الذين عايشوا النبى محمدًا. وتتخذ مقرها على مساحة أكثر من ٨ آلاف فدان من الأرض شمال غربى مدينة البوكيرك. كما أنشأت تلك الجماعة مسجدًا ومدرسة من الطوب الأخضر من تصميم المعمارى المصرى الشهير الراحل حسن فتحى. وقد تَمثَّل الهدف فى هذا السياق فى الجمع بين المسلمين الذين ينتمون إلى جميع الخلفيات من أنحاء أمريكا كافة بل وأيضا من أوروبا والشرق الأوسط، وعليه فهذه الجماعة تؤكد طابع التكافل العرقى والاثنى للإسلام على نحو ما ذكره الله سبحانه فى القرآن حين قال: «وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا» (سورة الحجرات، الآية ١٣). وأعضاء هذه الجماعة الذين يرتدون ملابس من طُرُز مختلفة تتفق مع وجودهم فى الغرب الجنوبى ويصدرون عن فهم متواضع للمقتضيات الإسلامية حيث يسعون قدر الإمكان إلى أن يعيشوا حياة من التقوى المطمئنة مجسِّدين بذلك فضائل الحياة الإسلامية. ولا بد من الاعتراف فى الوقت الحاضر بأن تجربة أبيكيو ما زالت أبعد ما تكون عن تحقيق هدفها فى أن تصبح جماعة تعيش حياة إسلامية منظمة، فلم يزدد عدد أعضائها عن خمس وعشرين أسرة، ومن ثم فقد تناقص أعضاؤها سواء من العناصر المقيمة والمنخرطة فى سلكها تضاءلت مما أدًى إلى بيع مساحات واسعة من أرضها الأصلية. بيد أن «دار السلام» ما زالت تؤدى خدمة لها أهميتها بالنسبة للإسلام الأمريكى من خلال معهد الدراسات الإسلامية السلفية التابع لها.

الطريقة الأحمدية فى أمريكا الشمالية

رغم أننا نصنف الأفراد المسلمين والروابط الإسلامية فى أمريكا إلى مهاجرين وأفرو - أمريكيين ومتحوِّلين، وهو تصنيف مفيد بشكل عام، إلا أن

بعض هذه الجماعات لا تندرج بشكل وثيق ضمن تلك الفئات حيث الاستثناء هم المهاجرون الذين يتحولون إلى الصوفية الكلاسيكية فى الولايات المتحدة. وهناك استثناء آخر يتمثل فى الجماعة الأحمدية وهى فى الأصل حركة تبشيرية باكستانية كان لها وجودها فى أمريكا الشمالية على مدار عقود كثيرة وقد عمل أعضاؤها منذ مطالع القرن العشرين على تحويل الأمريكيين إلى الدين الإسلامى حيث كان كثيرًا من هؤلاء المتحولين، ولكن ليس كلهم بالتأكيد، من الأفرو أمريكيين. وهذه الجماعة تُعد من أكثر الجماعات نشاطًا ضمن الفصيل الإسلامى (إذا ما اعتُبِرت كذلك لأن هويتها موضع جدل شديد من جانب كثير من المسلمين) ولا سيما فى مجال الدعوة بمعنى التبشير أو تجنيد أعضاء جُدد لكى ينضموا إلى فهمها لعقيدة الإسلام.حسب مفهومها. وقد عمل الأحمديون بالذات على ترجمة القرآن وتقديم نسخ من المصحف إلى الجاليات المسلمة حول العالم كما تدعى جماعتهم أن أتباعها قد زادوا على عشرة ملايين فى أكثر من مائة بلد ومن ثم استطاعوا تجنيد آلاف عدة فى أمريكا الشمالية.

وُلِد مؤسس الحركة الأحمدية، حضرة ميرزا غلام أحمد فى عام ١٨٣٥ فى قاديان فى بنجاب بالهند وهو كاتب غزير الإنتاج بصورة هائلة ويدَّعى أنه تلقى الوحى الربانى أو الإشارات التى تضفى المشروعية على دوره بوصفه زعيمًا إسلاميا. وبعد ذلك أعلن فى عام ١٨٨٩ أنه المهدى المنتظر الذى طالما توقعه المسلمون. وما كان من منتقديه إلا أن اتهموه بأنه ينتحل فى واقع الأمر مكانة نبى وذلك اتهام ينكره أتباعه صراحة. وعند بداية القرن العشرين بدأت الحركة تنتقل إلى ما يجاوز الهند. ومن بين فرعيها، استطاع الفرع الذى حمل اسم الجماعة القاديانية أن يمارس نفوذه على الساحة الأمريكية. وقد أدان المسلمون السنّة حركة الأحمدية على أنها طريقة ضالة بعيدة عن تعاليم الإسلام الحقة سواء بحكم ادعاءات مؤسسها بشأن مكانته أو لأن الأحمدية يؤمنون بأن عيسى المسيح لم يرفع إلى السماء وقت الصَّلْب ولكنه واصل العمل على الأرض وانتهى به الأمر فى كشمير بالهند. وعندما تساق الإحصاءات بشأن عدد المسلمين فى أمريكا يصر سائر المسلمين على عدم إدراج جماعة الأحمدية وإن كان أعضاء الجماعة يتحمسون كثيرًا لكى يؤكدوا أن الحركة لم تفارق صفوف الإسلام على الإطلاق

وهم يرون الأحمدية على أنها هيئة تجمع بين الفعالية والكفاءة مــن أجــل تجنيــد مسلمين جدد فى أمريكا بل وعلى مستوى العالم كله.

كان المبعوث الأحمدى الأول إلى الولايات المتحدة هو مفتى محمد صادق الذى بدأ إنشاء جمعية فى عام ١٩٢٠ للحفاظ على الإسلام الأمريكى، ثم شرع فى عام ١٩٢١ فى نشر الدورية التى حملت عنوان «شروق المسلم» (تغير عنوانها فى عام ١٩٥٩ ليصبح الشروق الإسلامى) وأصبحت شيكاغو هــى المقــر الرســمى لحركة الأحمدية الأمريكية، كما كانت موقعًا لأول مسجد لهم وقــد لعــب مبشــرو الأحمدية دورًا مهما فى العقود الأولى من القرن العشرين فى إطار مهاجمــة مــا كانوا يرونه ظاهرة العنصرية الصارخة فى المجتمع الأمريكــى. وبحلــول عــام ١٩٤٠ قيل إنه كان ثمة عدد يتراوح بين خمسة وعشرة آلاف متحول إلى الإسلام فى الولايات المتحدة. وفى عام ١٩٥٠ انتقل مقر الأحمديــة إلــى مســجد فضــل الأمريكى فى شمال غربى واشنطن العاصمة، وما زال يستخدم بوصــفه مركــزًا لمهمة التعلم والدعاية للجماعة. وتوزَّع نُسخ من منشورات الجماعة على أعضــاء الكونجرس وموظفى الحكومة ومسئوليها وعلى الدبلوماسيين الأجانب والصــحافة ومن إلى ذلك. ويمكن أن توجد مراكز الأحمدية حاليًا فى أكثــر مــن ٥٠ مدينــة بالولايات المتحدة وكندا.

وفى أعمالهم التبشيرية بالغرب كان الأحمدية يتفهمــون بالــذات ضــرورة استمرار وجود ديانة إسلامية متماسكة فى وجه العلمانية والمادية الغربية. ونســاء الأحمدية يرتدون بصورة عامة ثيابًا أكثر حشمة من النساء المسلمات الأخريات أو من نساء الحركات شبه الإسلامية وقد اضطلعن فى الماضى والحاضر بأدوار لهــا أهميتها فى إطار المهمة التى تضطلع بها الأحمدية الأمريكية. وشــأن المســلمين الآخرين يساور القلق جماعة الأحمدية بشأن ملاءمة التعليم لأبنائهم ولا سيما البنات وكثيرًا ما يختارون تأسيس مدارسهم الخاصة ويتحمل أعضــاء الجماعــة العــبء الخاص الذى يتمثل فى تأكيد هويتهم الإسلامية سواء فى إطار ثقافــة لا تســتوعب هذه الهوية أو بوصفهم جزءًا من الإسلام السنى الذى لا يقبلهم بين صفوفه بالتأكيد.

ومن الواضح أن صورة الإسلام الأمريكى تزداد تعقيدًا. كما أن الأوضــاع المرتبطة بالإسلام المهاجر أو الإسلام الأفرو - أمريكى فى هذا البلد ظلت لوقــت

طويل متباعدة ومنفصلة فضلاً عن أن العلاقات بين السود والمهاجرين نادرة للغاية بشكل عام. ومع ذلك فإن هذه الأوضاع أصبحت الآن مطروحة ومشتركة بين سائر الأطراف. يضاف إلى هذا المزيج الخلاّب قصص التحوّل إلى الإسلام بين صفوف البيض وذوى الأصل الإسبانى وشعوب الأمريكيين الأصليين. وهذه الفئات ما زالت صغيرة ولكن لها أهميتها سواء بحكم وجودها الفعلى أو بفضل قوة الدفع التى تكلفها للدعوة أو لحركة التبشير بين صوف الجماعة الإسلامية. وهى تتسم كذلك بأهمية كبيرة بالنسبة للذين يريدون الحصول على رصيد سياسى من واقع حقيقة أن الإسلام الأمريكى متعدد الأعراق ومتعدد الأصول وآخذ فى التنامى. علينا إذن أن نتطرق إلى قصة الأفرو- أمريكيين وإلى السُبُل الكثيرة التى استطاعوا أن يضطلعوا فى إطارها وما زالوا يضطلعون بدور محورى فى تطوير الإسلام الأمريكى.

الحواشى

١- انظر ألان د. أوستن، الأفارقة المسلمون فى أمريكا ما قبل الحرب الأهلية: كتاب مرجعى (نيويورك: دار نشر جارلاند، ١٩٨٤).

٢- مارك فيريس، «ابتغاء مرضاة الله: المسلمون المهاجرون إلى مدينة نيويورك» في حداد وسميث، المجتمعات المسلمة فى أمريكا الشمالية.

٣- أسد حسين وهارولد فوجلار «أنشطة مجتمعات المسلمين المهاجرين في شيكاغو» فى حداد وسميث، المجتمعات الإسلامية فى أمريكا الشمالية.

٤- م. ك. هيرمنسن «مسلمو سان دييجو»، فى حداد وسميث، المجتمعات الإسلامية فى أمريكا الشمالية.

٥- مارى الحاج «بناء مجتمع إسلامى فى أمريكا» دراسة ماجستير مقدمة إلى مجمع هارتفورد، هارتفورد، كونكتيكت، مايو ١٩٩٢.

٦- ألان رينشاردسون، الثقافات الإسلامية فى أمريكا الشمالية: نمط معتقدات وعبادات المسلمين من الأقطار الآسيوية فى الولايات المتحدة وكندا (نيويورك: مطبعة بلكريم، ١٩٨١).

٧- عبد العزيز ساشيدينا: أقلية ضمن أقلية: «حالة الشيعة فى أمريكا الشمالية»، فى حداد وسميث، المجتمعات المسلمة فى أمريكا الشمالية.

٨- ليندا ولبردج، «المساجد الشيعية والمتعبدون فيها فى دير بورن» فى حداد وسميث، المجتمعات المسلمة فى أمريكا الشمالية.

٩- حداد وسميث، مهمة فى أمريكا.

١٠- الرسالة (ذى مسدج) فبراير ١٩٩٧.

١١- غلاف مجلة الرسالة (ذى مسدج)، أغسطس ١٩٩٧.

١٢- حضرة عنايت خان رسالة الصوفية لحضرة عنايت خان، المجلدات ١-١٣ (جنيف: المقر الدولى للحركة الصوفية، ١٩٦٦).

١٣- جيزيلا ويب «التقليد والتجديـد فـى روحيـة الإسـلام الأمريكـى المعاصر: جماعة باوا محى الدين»، فى حداد وسميث، المجتمعـات المسلمة فى أمريكا الشمالية.

١٤- جواد نور بخش، فى جنة الصوفية (نيويورك: منشورات خانيقـاهى نعمة الله، ١٩٧٩).

الفصل الرابع

الإسلام فى المجتمع الأفرو ـ أمريكى

يزداد الوعى حاليًا بين صفوف دارسى الدين بين صفوف الملونين فى أمريكا بأن الهجرة الطوعية كانت من السُبل التى وصل بها المسلمون إلى سواحل «الأرض الموعودة» بيد أن آخرين جاءوا رغم إرادتهم ليجدوا أن أمريكا لم تكن أرض ميعاد بل كانت أرض استرقاق. وهؤلاء كانوا المسلمين الذين جلبوهم ضمن تجارة العبيد فى أمريكا الكولونيالية وما بعد الكولونيالية. ومن الحقائق الراسخة الآن أن عددًا كبيرًا من الأفارقة السود الذين جىء بهم إلى أمريكا الشمالية خلال فترة ما قبل الحرب الأهلية التى سادت فيها تجارة العبيد كانوا مسلمين. ويستحيل تحديد العدد حاليًا ولكن يمكن أن يكونوا قد بلغوا عدة آلاف ويقول البعض إن النسبة بين العبيد الأفارقة المسلمين كانت تصل إلى ٢٠ فى المائة وإن كان هذا التقدير يبدو مرتفعا. وفى كل حال فهؤلاء الرجال والنساء الذين وقعوا فى براثن العبودية جاءوا من مناطق شتى فى أفريقيا جنوبى الصحراء ما بين السنغال إلى نيجيريا: بعضهم كانوا على إلمام رفيع بالقراءة والكتابة كما نالوا قسطًا من التعليم فى ديانتهم بينما كان الآخرون مجرد ممارسين متواضعين لشعائر الدين بل كان من بينهم قلة جاءوا من صفوف العناصر الحاكمة فى مجتمعاتهم ومنهم قصة الأمير أيوب بن سليمان ديااللو الذى اختطف عام ١٧٣١ وقد تم توثيق قصته جيدًا.

معظم هؤلاء الأفارقة المسلمين لم تقم بينهم صلة قط مع البيض قبل أن يرسفوا فى أغلال العبودية. وقصة واحد منهم وهو كونتا كنتى من سنغامبيا تم توثيقها فى رواية «جذور» التى ذاعت شهرتها بقلم ألكس هيلى فضلاً عن إعدادها في مسلسل درامى للبث خصيصًا فى التليفزيون. ومنذ الصفحة الأولى ترسم الرواية حقيقة التراث الإسلامى الذى تنتمى إليه شخصية كنتى حيث يصف الروائى دعوة الإسلام إلى صلاة الفجر ويقول إنها ظلت تقام على مدى ما يستطيع أن يتذكره أى شخص على قيد الحياة. ثم يسجل هيلى مناسبات أخرى تشهد بديانة

كنتى ومن ذلك مثلاً مشهد إقامته الصلاة وضراعته وصلاته لله وهو يرسف فى الأصفاد فى قاع سفينة عبيد «مسيحية»[1].

ومن أسف بالنسبة للذين كانوا يرغبون فى ممارسة دينهم الإسلامى فى غمار الظروف الفظيعة التى مرت بها مرحلة الرق فى أمريكا، فإن سادتهم المسيحيين قلما كانوا يسمحون لهم بذلك. وبقدر ما أن المسلمين الذين بقوا فى إسبانيا بعد عام ١٤٩٢ كانوا قد أجبروا على التحول إلى المسيحية فهكذا طُلب إلى العبيد الأمريكيين أن يصبحوا بدورهم مسيحيين. «عندما كنت من أتباع محمد كنت أصلى هكذا «الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم...» ولكنى أصلى الآن من أجل «أبينا... بكلمات ربنا عيسى المسيح»[2] مع ذلك فالعبيد فى أمريكا لم يكن أمامهم الخيار الذى كان متاحًا للمور – المغاربة كى يغادروا البلد برغم أن قلة قليلة منهم عملت بالفعل على الهرب والعودة إلى أفريقيا. وفيما كان معظم هؤلاء الأفارقة السود قد أصبحوا مسيحيين بالفعل فإن هناك وثائق تشير إلى أن عددًا منهم على الأقل جاهد فى الحفاظ على دينه الإسلامى وظلوا يمارسون عبادتهم كمسلمين حتى الجزء الأول من القرن العشرين وبصفة عامة كان عليهم أن يحافظوا على أداء شعائرهم فى طى الكتمان. وتشير بعض السجلات إلى أن قلة منهم بلغ بها أن أصبحت موضعًا للسخرية والعقاب القاسى عندما كانت تواصل صلواتها جهرًا إذ كانوا يفهمون أن ذلك التزام رتبه عليهم القرآن. وطبقًا لإحدى الروايات فإن عبدًا مسلما كان يتظاهر بكتابة صلاة الرب باللغة العربية فيما كان فى واقع الأمر يكتب الفاتحة وهى أول سورة فى القرآن والذين كان يمكنهم الكتابة تركوا من خلفهم بعض الوثائق التى أضافت إلى حد كبير إلى فهمنا لهوية هؤلاء الناس وللتجارب التى خاضوها وفى ذلك سجل دام على مدى أكثر من قرن من الزمن من الاتجار فى حياة البشر.

وهناك عدد من العائلات التى تعيش الآن على ساحل جورجيا يقال إنها من ذرية العبيد وبعضهم يقال إنهم مسلمون وربما يكون أشهرهم بلالى محمد الذى ربما يكون قد وقع فى أسر الرق نحو عام ١٧٢٥ والآن تُعرض مذكراته – مذكرة بلالى المكتوبة بعربية غرب أفريقيا فى دار الكتب النادرة بجامعة جورجيا. وتحوى سجلات غرانت من ساوث كارولينا تقارير عن عبيد رفضوا تناول لحم الخنزير

وكانوا يصلُّون لمعبود اسمه الله. وبالنسبة إلى كثير من المسلمين الأفرو-أمريكيين اليوم فإن وجود هؤلاء المسلمين فى بدايات التاريخ الأمريكى، فضلاً عن إنجازاتهم سواء قبل أن يقتادوا إلى أسر العبودية، أو عندما كانوا يرسفون فى أغلالها، أضافت الشيء الكثير إلى شعورهم بالاعتزاز بكونهم مسلمين ومشاركتهم فى النضال الطويل من أجل الحرية الذى ميَّز تجربة السود فى أمريكا منذ أيامها الأولى. ويقول أحد المتحولين حديثًا إلى الإسلام «إن أفراد الشعب الأفرو-أمريكى يحتفظون بالإسلام فى صميم قلوبهم ونحن نردد اسم الإسلام على ألسنتنا فيما نناضل لنطق اللغة العربية التى نسيناها رغم أننا ربما جئنا بها كعبيد إذ كانت تلك هى الثقافة التى سلبوها منا وكذلك فعلوا مع اللغة والعقيدة. والأهم من هذا كله أنهم أخذوا منا دين الإسلام عندما فرضوا علينا العبودية»[٣].

وكما رأينا فإن مسألة من هُوَ المسلم ومن هو غير المسلم فى السياق الأمريكى سؤال مباشر فى بعض الأحيان، بل يمكن أن يكون السؤال صعبًا إذا ما التمسنا إجابته المؤكدة فى أحيان أخرى. وبينما يرى بعض الأفراد والجماعات أنفسهم منضوين تحت راية الإسلام أو على الأقل يعرِّفون هويتهم من خلال عناصر مستمدة من العقيدة والممارسة الإسلامية، فإن هؤلاء الأفراد والجماعات أنفسهم قد يُنكَر عليهم انتسابهم إلى الإسلام من جانب الذين يتهمونهم بالهامشية أو بالعلمانية بل وأحيانا بالإلحاد. وتاريخ الجماعات الأفرو أمريكية ممن يتطلعون إلى الإسلام فى غمار بحثهم عن هويتهم حافل بنماذج من هذا النوع من الهوية المتنازع عليها ومن أول النماذج فى هذا الصدد نموذج المور (المغاربة) الأمريكيين عند بداية القرن العشرين.

بلاك نوبل درو على والمعبد العلمى المغربى فى أمريكا

معظم العبيد المعتقين الذين كان سادتهم البيض قد سلبوهم هويتهم الأصلية أيا كانت تلك الهوية، وجدوا أنفسهم فى حال من السعى اليائس الذى يلتمسون به مكانا فى المجتمع الأمريكى. كانت تلك أوقاتًا من العُسر الشديد التى كابدها السود وسط ثقافة بيضاء فى غالب جوانبها وفى إطار مشاكل اقتصادية واجتماعية نجمت عن شعور بالقنوط إذ لم يكن لديهم أى حس بالانتماء إلى شيء. كذلك فإن

المهاجرين الوافدين من أوروبا كانوا ينظرون بعين التحفظ والتبرم إلى السود الذين نزحوا إلى الشمال (الأمريكى) وتنافسوا معهم على الوظائف نفسها، فى حين أن السود الذين بقوا فى مناطق الجنوب من الولايات المتحدة كانوا يجدون أنفسهم بين وقت وآخر ضحايا لأحكام الشنق بلا جريرة بل وإحراقهم أحياء.

لا عجب والحالة هذه أن قامت سلسلة من الحركات التى كان مقصدها مساعدة السود على أن يعثروا على هويتهم ومن بينها تلك الحركات التى التمست هوية خارج السياق الأمريكى مثل الرابطة العالمية لتحسين أحوال الزنوج التى تولى أمرها ماركوس جارفى، ودعت إلى العودة إلى ليبريا فى قلب أفريقيا الأم وقد أثرت حركة جارفى تأثيرًا قويا على عدد من زعماء السود الذين انتسبوا إلى الإسلام فى العقود الأولى من القرن العشرين ومنهم نوبل درو على الذى كان فى طليعة من تبنوا بعض رموز الديانة الإسلامية. لكن عليا، على خلاف جارفى، كان يتطلع إلى قارة أخرى لا بوصفها وطنًا ينبغى أن يعود إليه الأمريكان السود ولكن بوصفها أصلاً للجذور التى يمكن استنباتها فى التربة الأمريكية ذاتها. لقد أراد توحيد شعب تعرض للاضطهاد، كما كان ينشد تهيئة وسيلة لأبناء هذا الشعب لكى يسهموا كأفراد فى رفاههم الخاص إلى جانب مشاركتهم كجماعة فى ازدهار المجتمع الأمريكى بشكل عام. ومن أجل ذلك قال إن الأمريكيين من ذوى الأصول الأفريقية هم بحكم تراثهم إما ينتمون إلى آسيا وإما إلى أصل المغاربة ـــ المور. وعليه فالجماعة التى أسسها كانت تعرف فى الأصل بأنها الحركة المغربية الوطنية والإلهية وما لبث أن تغير اسمها لتصبح المعبد العلمى المغربى فى أمريكا.

وُلِد نوبل درو على باسم تيموثى درو فى عام ١٨٨٦ فى ولاية نورث كارولينا. وإذ يمم شطر الشمال فقد استقر فى ولاية نيوجيرسى وبدأ يبشر برسالة كان من شأنها أن تتطور إلى المبادئ الخمسة التى استندت إليها جماعته وهى: الحب والصدق والسلام والحرية والعدالة. أما الكتاب الذى قدمه للأمريكان المغاربة - المور فحمل عنوان «القرآن الكريم للمعهد العلمى المغربى فى أمريكا» ولكنه لم يكن يرتبط بأى سبب من بعيد أو قريب بالقرآن الكريم وهو كتاب الإسلام. وذكر درو أنه فيما كان يقوم برحلة إلى مراكش أعطاه ملكها تكليفًا يقضى بإدخال الأفارقة الأمريكيين فى العقيدة الإسلامية. وكان «درو على» مقتنعًا بأنه نبى من

عند الله وأنه خاتم المرسلين وأن قَدَره أن يعمل كمنذر للآسيويين فى أمريكا كما كان النبى محمد منذرًا لقومه العرب فى زمانه. أما الرسالة الأساسية التى انطلقت منها تعاليمه فكانت تقول بأن الخلاص لا يمكن تحقيقه إلا إذا ما رفض السود الهويات المختلفة التى خلعها عليهم قسرًا اليهود فى أمريكا مثل هوية الزنجى أو الشخص الملوّن. وعليهم من ثم أن يفهموا أن أصلهم الحقيقى أصل آسيوى. وبالتالى لا بد من طرح أسماء العبيد جانبًا واعتماد أسماء جديدة لتعكس عظمة وجلال هذا التراث الذى ينتمون إليه. هكذا كانت رسالة «علي» جذابة للسود من ذوى التعليم المحدود الذين كانوا يعانون آلام الحرمان الاقتصادى وتغص حلوقهم بالمرارة إزاء نصيبهم المحدود فى المجتمع الأمريكى ناهيك بسعيهم اليائس لكى يعثروا على هوية تفصل بينهم وبين مضطهديهم من البيض.

تم إنشاء المعبد المغربى الأول فى مدينة نيو وارك فى عام ١٩١٣. وما إن حل عام ١٩١٦ حتى انقسمت الجماعة إلى مجموعتين: الأولى بقيت فى نيوجيرسى فيما تغير اسمها لتصبح معبد المآبيين المقدس بينما تحولت الأولى ومعها نوبل درو على إلى شيكاغو. فى سنة ١٩٢٨، وهى السنة التى عقد فيها أول مجمع ضم الحركة المغربية الوطنية تم إنشاء معابد أخرى فى بتسبرغ ودترويت. كما ركّزت الجماعات المختلفة على تحقيق الاستقلال الاقتصادى فأنشأت عددًا من محلات البقالة والمطاعم وغيرها من الأعمال التجارية الصغيرة حيث كان نوبل درو على يقول «لن نشعر بأى أمان إلا إذا ما امتلكنا مقاليد القوة الاقتصادية. إن شعبًا من المتسولين لا يمكن أن ينمى أرفع ما لديه من مواهب ولا يستطيع أن يكفل لنفسه أن ينعم بحق بالجوانب الروحية من الحياة»[٤]. وكانوا يشجعون إقامة العلاقات المنسجمة بين الأعراق وإن لم ينهجوا هذا السبيل باستمرار. وفيما كان الاعتزاز ينمو بهويتهم السوداء فقد ظلت تزداد التوترات بينهم كأعضاء وبين مجتمع البيض. فى عام ١٩٢٩ تعرض «علي» للقبض عليه وسجنه. وبعد الإفراج عنه بفترة قصيرة توفى فى ظروف غامضة. وأعقب ذلك أن ظهر عدد كبير من الذين ادَّعوا مراكز القيادة وتحدَّى بعضهم بعضًا. ولكن كما هو الحال فى أغلب تلك الظروف لم يستطع واحد منهم قط أن يستأثر بإعجاب أو إخلاص الذين سبق وأن أولوا الإعجاب والإخلاص للقائد الأصلى لهذه الجماعة. ومع ذلك، وبرغم المشاكل التى صادفتها الحركة المغربية الأمريكية، فقد استمرت فى عدد من المواقع الحضرية

فى منطقة الشرق ومنطقة الغرب الأوسط بالولايات المتحدة ويقال إن كلا من و. د. فارض وإليجا (إيليا) محمد وهما من جماعة «أمة الإسلام» كانا أعضاء فى حركة المعبد المغربى.

لقد أصبح المعبد المذكور الآن جمعية صغيرة مفتوحة لأى إنسان يعد نفسه آسيويا برغم أن عضويته تقتصر أساسا على الأفرو أمريكيين. ويقع المكتب الوطنى للجماعة حاليًا فى شيكاغو وتُعقد الاجتماعات سنويا برغم أن بعض المعابد المحلية تعمل بصورة مستقلة. ويُعرف القادة بوصفهم الشيوخ أو الشيخات الكبار بينما يُطلق على الأعضاء اسم الإخوة والأخوات ويضيف المنتسبون إلى الجماعة عادة إلى أسمائهم أداة التعريف «ال» أو لقب البكوية «بك». كما أن تعليم أبنائهم يحظى بأولوية عليا حيث تذكر كراسة أصدروها لتعلن عن عقد حلقة دراسية بشأن علاقة الوالد / الابن فى نيوارك أن «حقل النجيل ينمو من تلقاء نفسه ولكن بستان الزهور يقتضى السهر على زراعته، وإذا ما كنا نحرص على أن يترعرع أطفالنا وينضجوا لا بد من أن يكفل لهم حوافز تعليمية تقصد لذاتها فى مرحلة مبكرة وبحيث يتلقاها كل فى بيته» كذلك فاللباس المحتشم أمر مهم حيث يرتدى الرجال فى العادة طرابيش وترتدى النساء حجابًا للرأس وأردية طويلة وخاصة داخل المعبد. ويشجّع الأعضاء تشجيعا قويا على الامتناع عن تعاطى الكحوليات أو المخدرات بل وعن المشروبات التى تحتوى الكافيين فى بعض الأحيان، هذا وقد تلقت جماعة المعبد العلمى المذكورة شكرًا وتقديرًا مدنيا على إنجازاتها فى تعزيز التقدم الاجتماعى والاقتصادى والأخلاقى للأمريكيين من ذوى الأصول الأفريقية.

إليجا (إيليا) محمد «وأمة الإسلام»

بالنسبة للأمريكيين السود، كانت العقود الأولى من القرن العشرين زمنًا عانوا فيه من تدنى المكانة الاجتماعية ومن الحرمان الاقتصادى كما كانوا يتوقون خلاله إلى نوع من أنواع الهوية الوطنية. لقد أُرسل ماركوس جارفى إلى المنفى فى عام ١٩٢٧ وبعد ذلك أصبحت حركته فى ذمة التاريخ. وفيما كُتب البقاء للمعبد الأمريكى المغربى إلا أن هذه الجماعة فقدت كثيرا من جاذبيتها الأولى. وبينما كان لكل من الحركتين فى أيام عزها عدد كبير من الأتباع، فلم يستطع لا جارفى ولا

درو أن يستأثر بخيال «الزنوج» فى أمريكا على نحو ما فعله رجل أمريكى أسود ضئيل الحجم من ديترويت استخدم طاقية مزيَّنة بالنجوم والهلال وهذا الرجل كان إليجا بوول الذى عرفوه فيما بعد باسم إليجا (إيليا)[*] محمد الذى يُعد «النبى» الأول بالنسبة إلى أول حركة أمريكية أصيلة تدعى انتسابًا إلى الإسلام وتحوز اهتمام البلد وتحمل اسم «أمة الإسلام» (يجدر ملاحظة أن اسم «المسلمين السود»، الذى شاع بفضل الدراسة السوسيولوجية التى أجراها - تحت هذا العنوان - إريك لنكولن لم تستخدمه جماعة أمة الإسلام قط تعريفا لها)[5]. وقد جاء كل من مالكولم إكس ولويس فرقان وكلاهما تمتع بشهرة متواصلة نتاجًا لحركة «أمة الإسلام» فضلاً عن أن وارث دين محمد، وهو نجل إليجا وصديق مالكولم صنع لنفسه اسما بوصفه واحدًا من أهم قادة الإسلام فى أمريكا الشمالية.

وقد باتت قصة «أمة الإسلام» معروفة لمعظم الناس، ويرجع ذلك أولاً إلى الفيلم الشهير الذى أخرجه سبايك لى عن مالكولم إكس وعرض فيه قصة نشوء الحركة، ومع ذلك يجدر التأكيد مرة أخرى على أن الحركة لعبت دورًا فريدًا فى تلبية احتياجات أعداد لا يستهان بها من الأفارقة الأمريكيين بوصفها نموذجًا خلاَّبًا يجسد حركة سوسيو دينية بل وسياسية أصيلة. إن مجرد إدراج كلمة "أمة" فى عنوان الحركة يطرح على الفور نموذجًا لكيان سياسى فضلاً عن كونه كيانًا أخلاقيا ودينيا يستمد جذوره على الأقل من الناحية الاسمية، من تربة عقيدة قامت على أسس هى أبعد ما تكون عن مجتمع التمييز العنصرى فى أمريكا. صحيح أن الحركة دعت إلى مذهب بالنسبة لأصل البشر هو أبعد ما يكون بدوره عن المُثل العليا التى يبشر بها الإسلام من حيث المساواة بين الناس، إلا أن هذا الأمر لم يكن يعنى الشيء الكثير بل وقلما كان يتنبه إليه أولئك الذين وجدوا فى دعوتها وسيلة لاستعادة هويتهم الشخصية من خلال قواعد السلوك التى اتسمت بالصرامة والنظافة والجدوى الاقتصادية.

ما زالت البدايات الدقيقة للحركة غائمة أمام الباحث برغم الدراسات التى حاولت أن تدقق فى هذه المسألة وأن تزيح الستار عن طبقات من غموض

(*) إليجا (إيليا) كان اسم جده وقد أضاف إلى لقبه اسم النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) حين تحول حسب رؤيته وقتها إلى الإسلام «المترجم».

الميثولوجيا التى صاحبت ظهور شخص غريب فى مجتمع الأفرو - أمريكيين فى ديترويت كان اسمه والاس د.فارض وكان من أخلص أتباع فارض إليجا (إيليا) بوول وهونجل ابن واعظ فقير ينتمى إلى المسيحية المعمدانية. كان بوول قد بلغ مرحلة النضج التى أهلته أن يتلقى رسالة التشجيع من جانب فارض وطبقا لما أفاد به بوول شخصيا، كان فارض، لدى ظهوره لأول مرة فى ٤ يوليه ١٩٣٠، يصف نفسه بأنه جاء من مدينة مكة المكرمة المقدسة عند المسلمين فأعلن رسالة كانت موجهة على وجه التحديد إلى السود فى أمريكا الذين حددهم بوصفهم أبناء قبيلة شاباز القديمة التى تاهت فى التاريخ إلى أن عثروا عليها. آمن بوول برسالة فارض بوصفها رسالة إنقاذ واستعادة هذه القبيلة الضائعة. ومن خلال المحاضرات الأولى التى كان فارض يلقيها، وصل بوول إلى حد أن فهم أن فارض هو تجسيد للمهدى المنتظر الذى من المتوقع أن تكفل عودته بداية الفترة النهائية التى تسبق يوم البعث والقيامة. وفهم بوول أيضًا أن هذه الهوية إنما تضفى على فارض شكلاً من أشكال الربوبية وكانت تلك بطبيعة الحال فكرة تتناقض مع صحيح الإسلام. وفيما بعد، وفى محاولة بدت وكأنما تهدف إلى المزج بين الإسلام والمسيحية، قال إن فارض كان هو من ينتظره العالم على مدى ألفى سنة أما فارض نفسه فقد شجع التفسير الذى كان مفاده أنه شخص أشبه بالمسيح وكان القصد هو إزاحة صورة المسيح الأبيض الذى كان المسيحيون يحاولون طرحها باستمرار على أنظار السود.

ومع ذلك فما برحت شخصية و. د. فارض الحقيقية موضعًا لجدل ما زال مستمرا إلى حد كبير. وهناك من رأى على نحو أو آخر أنه ينحدر من أصل قوقازى برغم ما قيل بعد ذلك من أنه يجسِّد بالفعل البيض والسود بحيث يمكنه التحوُّل بسهولة بين كلتا الفئتين. على أن الأتباع وجدوا فى هذه الهوية الملتبسة مصدرًا من مصادر الغموض والجاذبية أكثر من كونه مدعاة للريبة والتشكك.

بدأ فارض أولاً التبشير برسالته بينما كان يسافر متجولاً لبيع أقمشة الحرير ومنتجات الحرف اليدوية كما كانت اجتماعاته تتم فى بادئ الأمر فى البيوت الخاصة وإن كان أتباعه قد سارعوا بعد ذلك إلى تنظيم أنفسهم فاستأجروا صالة اجتماعات خلعوا عليها اسم «المعبد» وعند هذه النقطة برزت رسميا إلى حيِّز

الوجود فكرة «أمة الإسلام التى تاهت ثم عادت وسط برية أمريكا الشمالية» وإن عمدوا ببساطة إلى اختصار الاسم إلى «أمة الإسلام». لكن مكانة فارض الدينية لم تدم سوى ثلاث سنوات وأكثر قليلا كان بوسعه خلالها أن يؤسس منظمة تتمتع بموارد تعليمية للرجال والنساء والأطفال إضافة إلى قوة الأمن الخاصة التى ما زالت موجودة وتعرف باسم «ثمرة الإسلام».

ومع ذلك تخللت فترة رئاسته الدينية بعض الحوادث الخطيرة والمؤسفة التى لم تكن لتخفى عن العيون. فقد اتهم فارض بالتحريض على العنف من خلال تعاليمه المتعصبة عرقيا وتم القبض عليه عدة مرات إلى أن جرى طرده فى نهاية المطاف من ديترويت فى ٤ مايو ١٩٣٣ وبعدها بقليل اختفى فارض بنفس الغموض الذى كان قد ظهر به فى أول الأمر دون أن تقع عليه عين أى إنسان بعد عام ١٩٣٤[٦].

من ناحيته فإن إليجا بوول وجد رسالة فارض جذابة آسرة وشرع هو نفسه فى إبلاغ الرسالة فكان أن أضفوا عليه مكانة المرشد إضافة إلى اسم إسلامى هو إليجا (إيليا) محمد. وسرعان ما تولى موقع القيادة فى الجماعة وفى نهاية الأمر خلعوا عليه اسم المرشد الإسلامى الأكبر. وفى عام ١٩٣٢ انتقل إلى شيكاغو حيث أنشأ ما عرف باسم المعبد رقم اثنين ويمثل المقر الرئيسى لأمة الإسلام وذلك بعد اختفاء و. د. فارض. واستطاع إليجا محمد، بفضل قدراته الإدارية الحكيمة أن يدير دفة الأمة باقتدار فأنشأ نظامًا هرميا وضع نفسه على قمته ومن تحته كان المرشدون وكبار النقباء ثم النقباء والملازمون. أما الذين يرغبون فى الانضمام إلى «أمة الإسلام» فكانٍ يتعين عليهم أن يرفعوا رسالة تحوى طلبا إلى المرشد الأكبر الذى سرعان ما تبنى دور رسول الله. وعند قبول العضوية، يتعين على المتحول الجديد أن يتخلى عن اسم "العبودية» الذى كان يحمله أو تحمله أو يتنازل عن لقبه ويتخذ ببساطة حرفًا رمزيا هو «سين» أو إكس فى الأبجدية الإنجليزية آية على أنه من ذرية أفريقية مجهولة. وكما كان الحال لدى المغاربه الأمريكان (المور) كان أعضاء أمة الإسلام يشيرون إلى أنفسهم، لا بوصفهم سوذا ولا زنوجًا بل آسيويون وعلى وجه التحديد كانوا يعرفون أنفسهم بالاقتران مع قبيلة شاباز وهى شعب من أصل أفريقى يقال إنهم اكتشفوا وادى النيل فى مصر ومدينة مكة المكرمة.

والحق أن كثيرًا من تعاليم «أمة الإسلام» على نحو ما طوره إليجا (إيليا) محمد لا تتفق وتعاليم الإسلام، بل إن المسلمين المعتدلين اليوم يعملون جاهدين على التباعد عن الجماعة الحالية تحت قيادة لويس فرقان وذلك لعدد من الأسباب ليس أقلها الدرجة التى يواصل بها التبشير بما لا يمثل بالنسبة لهم سوى التجديف أو الإلحاد، وعلى نحو ما رأينا فإن الشهادتين تؤكدان بأن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، والقرآن يؤكد أن محمدًا هو النبى الخاتم وهو آخر الأنبياء المرسلين. وقد جاء اعتقاد إليجا محمد بأن فارض قد ادَّعى لنفسه نوعًا من المكانة الربانية ليتناقض مع الجزء الأول من الشهادة المتعلقة بوحدانية الله ومن ثم جاء ليشكل فعلاً من أفعال الشرك بالله وتلك أكبر الكبائر التى يرتكبها أى امرئ حسب تعاليم الإسلام الحنيف. كما أن إصرار «أمة الإسلام» على أن إليجا (إيليا) هو آخر المرسلين مبعوثًا من لدن و. د. فارض فيه ما يتناقض مع الشهادة الثانية وذلك أمر يبغضه معظم المسلمين(*). وعندما طرح ستيفن بربوزا فى كتاب «الجهاد الأمريكي» السؤال عن لويس فرقان وهو الزعيم الحالى لأمة الإسلام متعلقًا بما إذا كان إليجا (ايليا) محمد نبيا حقا أنكر فرقان أن إليجا قد ادَّعى ذلك فى يوم من الأيام وقال «نحن لا نؤمن بنبى بعد النبى محمد ولكننا نرى أن القرآن يعلمنا أن لكل أمة رسولا» أما وارث الدين وهو نجل إليجا محمد وزعيم الذين انفصلوا عن أمة الإسلام بعد عام ١٩٧٥ فقال إن والده كان يعرف أن بعضًا من التعاليم التى قال بها لا تتفق مع صحيح الإسلام ولكنها كانت لازمة وقت أن روجها حتى يستطيع السود أن يخلصوا أنفسهم من ربقة ظروف الانحطاط الحقيقى التى وجدت جمهرتهم نفسها وهى ترسف فى أغلالها ومن ثم ترقى إلى مستوى من الاعتزاز بالنفس واحترامها فضلاً عن أهداف القصد المادى والانضباط السلوكى والاستقرار الاقتصادى.

إن الإسلام يعتز كذلك بالإعلان الذى تأكد منذ أيام النبى محمد بأن الناس والأجناس كافة سواسية أمام الله سبحانه. أما تعاليم «أمة الإسلام» بأن البيض ينحدرون من صلب الشيطان فتتناقض من ثم بوضوح مع هذه المساواة الإسلامية الصميمة. وثمة ميثولوجيا عمدت إلى نشرها جماعة «أمة الإسلام» وتدعم تحديد

(*) المفروض جميع المسلمين «المترجم»

هوية البيض على أنهم أشرار بينما تقول بأن السود هم شعب الله المختار. وهى باختصار تقول بأن عالمًا اسمه يعقوب ينحدر من أصلاب قبيلة شاباز اصطنع بعد نفيه من مكة مؤامرة ترمى إلى استرقاق سائر أعضاء القبيلة وعمد من ثم بمهارة إلى استخدام عوامل الوراثة وتوليد الأجناس إلى أن استطاع بالتدريج أن يطوِّر العرق الأبيض من خلال المقابلة بين الجينات المتراجعة والنطف المتنحية وكانت النتيجة أن أخف الأجناس لونًا هى أدناها مرتبة ومن ثم أعتاها شرا. وقد حدد إليجا (إيليا) محمد عملية التوصل إلى معرفة تلك الحقائق ومن ثم عظمة الحضارة الأصلية السوداء فكان تعيين الموقع الذى يمكن أن يُلقى فيه بشعوب البيض على أنه نوع من الانبعاث للأفرو - أمريكيين. وهذا التأكيد على قوة وأخلاقية السواد فى مقابل ضعف البياض وترديه الأخلاقى كان بمثابة رسالة فعَّالة بالنسبة للسود الذين تم فطامهم ونشأتهم وسط ثقافة من تفوق البيض. وتحكى سيدة عضوة فى مسجد محمد فى مدينة هارتفورد عن أبيها الذى نشأ مسيحيا معمدانيا فى الجنوب فكان أن ذاق صنوف التحيُّز والاضطهاد بما فى ذلك أن شاهد أمام عينيه البيض وهم يضرمون النار فى بيته وعندما نزح إلى الشمال وسمع عن رسالة إليجا محمد كان يصغى بالذات إلى الجزء الذى يتعلق بكون الرجل الأبيض شيطانًا ثم تضيف بابتسامة قائلة «هناك صلة بين الشيطان والنار».

تقضى تعاليم إليجا (إيليا) محمد بأن السود ليسوا مواطنين أمريكيين لأنهم ليسوا بأمريكيين عرقيا وقد دخل السجن خلال الحرب العالمية الثانية عندما أبلغ أتباعه بأنهم لا ينبغى أن يشاركوا فى حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل. وعليه فقد طرحت «أمة الإسلام» نفسها على أنها هيئة للسود فى إطار الولايات المتحدة وأن أعضاءها مواطنون فى مكة يتخذون رايتهم كى تجسد صورة مكة نفسها. كما أنها ترى أن أمريكا كمجتمع أبيض وشيكة السقوط. لم يكن مفتاح تعاليم إليجا محمد هو الاندماج ضمن المجتمع الأمريكى بل كان الانفصال وإنشاء وحدة سياسية واجتماعية لا دور فيها للبيض على الإطلاق. وإذا لم يُتح إقامة دولة منفصلة-وفى هذا الصدد لم يساور إليجا محمد أية أوهام بشأن صعوبة مثل هذه الغاية-يظل الهدف هو تحقيق العدل وتكافؤ الفرصة لصالح السود. وعلى ذلك ظل يدعو إلى إنشاء أعمال تجارية يمتلكها السود وغير ذلك من سُبُل إعالة الذات. وفى سبيل

تحقيق الاستقلال الاقتصادى والأمن الذاتى وهما من ألزم الأمور لإحراز هدف الاستقلال السياسى، ظل يشجع أعضاء جماعته على أن يفكروا بوصفهم سودًا وأن يستثمروا مع السود وأن يشتروا من السود. وهكذا تم الجمع بين الاقتصاد والأخلاق ضمن هيكل كان يُطلَب فيه من أعضاء «أمة الإسلام» أن يسلكوا سلوك العفة من الناحية الشخصية وسلوك النشاط والدأب من الناحية المهنية.

وبالإضافة إلى أداء الصلوات خمس مرات يوميا وهى شعيرة كانت مستعارة بوضوح من صحيح الإسلام، ظل يحث الأعضاء على ألا يتناولوا أكثر من وجبة يومية واحدة وأن يتحاشوا تناول الخنزير أو الكحول أو لعب القمار وألا يبالغوا فى الاهتمام بالألعاب الرياضية أو ينغمسوا فى حمأة الكسل والإفراط فى النوم. كما حرّموا بصورة صارمة الزواج بين السود والبيض حفاظًا على نقاء الجنس الأسود. وجريا على أداء الزكاة بوصفها واجبا إسلاميا طلب من الأعضاء أن يقدّموا جزءًا منتظمًا من إيراداتهم لصالح «أمة الإسلام» ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً. وكان التعليم من الأهمية بمكان بالنسبة لإليجا (إيليا) محمد الذى لم يتجاوز تعليمه شخصيا الصف الرابع الابتدائى ولكنه كان يؤيد بكل جهوده إنشاء المدارس الإسلامية. ومن ثم ففى عقد الثلاثينيات كانت «جامعة الإسلام» التى تمثل فى جوهرها مجموعة من المدارس الدينية قد بدأت عملها مقترنًا بالمعابد الإسلامية التى ترمى إلى تعليم النشأ حتى مرحلة المدرسة الثانوية. وظلت المؤسسة تؤدى واجبها وقد حملت اسم مدرسة كلارا محمد على وهى زوجة إليجا مزودة بمنهج دراسى راقٍ من حيث التنظيم فضلاً عن انضباط صارم يلتزم به التلاميذ(٧).

مالكولم إكس

كان «مالكولم ليتل» فى مقدمة الذين اقتنعوا بعمق شديد بأن قيادة أمريكا البيضاء بسبيلها إلى السقوط الوشيك. من الواضح أنه كان مدمنًا على أسلوب الحياة المتسارع والقلق فى الأحياء الفقيرة بمدن بوسطون وهارتفورد ونيويورك ومن ثم يحكى مالكولم فى سيرته الذاتية قصة من حياة أسرته تتسم بالتعقيد والأسى (أحرقت جماعة كوكلوكس كلان العنصرية البيضاء منزل الأسرة عندما كان مالكولم فى السادسة من عمره) وهو يحكى أيضًا عن أصدقائه وعن المغريات التى

ابتلى بها خلال أيام يفاعته ولا سيما الغضب الممرور الذى اجتاحه إزاء المجتمع الأبيض مما أدَّى إلى انحطاط معنويات السود وتهميشهم[٨]. من هنا وبعد سنوات مضت وفى خطاب ألقاه بجامعة بوسطون ظل مالكولم يتساءل قائلاً: «هل تقولون لى إنه فى بلد قوى كهذا نسميه بلد المسيحية تستطيع حفنة من الرجال القادمين من ولايات الجنوب أن تحول بين ولايات الشمال والغرب والوسط والشرق وبين إعطاء الزنوج الحقوق التى يقول الدستور أنهم يمتلكونها بالفعل؟ لا أنا لا أعتقد ذلك ولا أنتم تعتقدونه، فما من رجل أبيض يريد حقيقة أن يتمتع الرجل الأسود بحقوقه وإلا لتمتع بها فعلاً»[٩].

أمضى ردحًا طويلاً من يفاعته منغمسًا فى أشكال شتى من الرذيلة والجريمة بما فى ذلك التهريب والقوادة وبيع المخدرات، بل كان مالكولم يمضى حكمًا بالسجن المشدد ٧ سنوات فى سجن نورفولك بولاية ماساشوستس عندما علِم للمرة الأولى بوجود «أمة الإسلام» وتعاليمها عن طريق أخيه رجنالد. وقتها كان قد اكتمل نضجه تمامًا ليتلقى رسالة تحرير السود التى بشر بها إليجا (إيليا) محمد، ومن ثم ففى عام ١٩٤٧، وإذ كان يومها فى الثانية والعشرين، أصبح من أشد أعضاء أمة الإسلام صلابة ومراسا.

لقد أضحى دور مالكولم إكس فى نشر عقيدة «أمة الإسلام» فى السنوات التى أعقبت الإفراج عنه من السجن عام ١٩٥٢ جزءًا معروفًا ومطروحًا لمناقشة واسعة فى التاريخ الأمريكى القريب. كان رجلاً لامع الذكاء ومن ثم كرس نفسه بكل إخلاص ليصبح حواريا فى الحركة وداعيًا من دعاتها. وكان أن ارتقى ليصبح الممثل القومى للسيد المكرَّم إليجا محمد على مدار السنوات الاثنتى عشرة التالية حيث كان يلقى الخطب على الصعيدين الوطنى والدولى حول الظروف التى يعيشها السود فى المجتمع الأمريكى وحول الفرصة التى تتيحها «أمة الإسلام» من أجل تغيير تلك الظروف. لقد أصبح شخصية عامة، وفى سنة ١٩٥٩ أجرى معه المذيع مايك والاس مقابلة لبرنامج تليفزيونى تسجيلى ظل موضعًا للجدل بشأن «أمة الإسلام» وكان عنوانه «البغض الذى يولده البغض». بعدها تنافست كبرى المجلات والجرائد على تغطية تحركات مالكولم إكس ورسائله الملتهبة حماسًا بشأن تعصب البيض. كما أن سيرته الذاتية وغيرها من السجلات تشهد بصداقته مع

والاس نجل إليجا محمد الذى عُرف بعد ذلك باسم الإمام وارث الدين وهو مسلم يجمع بين الإيمان الروحى العميق والتعليم الراقى. لدرجة أنه فى الأيام الأولى جادل بشأن بعض طروحات وتفسيرات والده شخصيا. وقد تصور الكثيرون أن هذه العلاقة كان لها أهميتها فيما طرأ من تحوّل فى نهاية المطاف على مالكولم إكس بعيدًا عن عقلية بعض البيض التى كان يتسم بها فى سنواته الأولى حيث كان ذلك متسقًا مع أيديولوجية «أمة الإسلام» إلى حالة من تقدير التسامح بين الأعراق ودعوة التوائم التى يجسدها الإسلام المتعارف عليه بل والعمل على نشر هذه المبادئ والترويج لها.

فى الوقت نفسه كان مكتب المباحث الفيدرالى الأمريكى يضاعف جهوده المنتظمة فى مجال الملاحقة والتجسس التى كانت قد بدأت فى عقدى الخمسينيات والستينيات حيث تغيَّرت أساليبه من التجسس البسيط إلى التجسس الفعَّال، وقد ذكر لويس فرقان فى عام ١٩٧٤ «أن القرآن الكريم يحذر المسلمين بأن الشياطين تراهم. فحكومة الولايات المتحدة لها أعداء وجواسيس يتقاضون أجرًا فى كل معبد وهم منبثون فى كل جمعية تضم المسلمين. وأينما نجتمع فإن الشيطان ينضم إلينا وكلما التقطنا سماعة الهاتف لنتكلم فإن الشيطان يتنصت علينا»[١٠] ولقد وُجِّه الاتهام إلى مكتب المباحث الفيدرالى بأنه يحاول تدمير «أمة الإسلام» لا من خلال جمع المعلومات التى يقوم على «تسريبها» عملاؤه ومرشدوه فحسب، ولكن من خلال اختلاق منازعات حقيقية بين أعضاء «أمة الإسلام» وغيرها من حركات تحرير السود ومنها مثلاً الفهود السود. لكن هذه التكتيكات لم تنجح وهناك من يُعزو ذلك جزئيا إلى العقيدة العميقة التى تولّدت بأن البيض هم فى حقيقة الأمر شياطين.

لقد كان وجود مالكولم كناطق معبِّر عن أمة الإسلام مؤثرًا على عدد كبير من الأفرو - أمريكيين بما فى ذلك بعض الشخصيات العامة، وفى شهر فبراير ١٩٦٤، وفور المباراة التى خاضها الملاكم كاسيوس كلاى من وزن الثقيل ضد سونى ليستون انضم إلى الجماعة كاسيوس الذى كان صديقًا لمالكولم ليصبح فى صدارة كثير من الشخصيات الرياضية البارزة ممن أصبحوا مسلمين وعُرف بعدها باسمه محمد على (انظر السير الشخصية).

ولكن فى الوقت نفسه وقعت أحداث أفضت إلى خيبة أمل عميقة ساورت مالكولم مما أدى فى نهاية المطاف إلى مفارقته إليجا (إيليا) محمد الذى اعترف بأنه أحبه واحترمه بعمق لأكثر من اثنى عشر عامًا فقال «لقد جلست عند قدمى رسولنا استمع إلى القول الحق من فمه وأقسمت راكعًا لله أن أواجه الرجل الأبيض بجرائمه التى ارتكبها وأحكى للرجل الأسود عن التعاليم الحقة لرجلنا صاحب الفضيلة إليجا محمد». هذا ما قاله سابقًا ثم أضاف وقتها قائلاً «ولست أبالى إن كلفنى ذلك حياتى...»[١١]، وفى مطالع الستينيات بدا أن إليجا يعانى من تدهور فى صحته ومن ثم كان أمر زعامة أمة الإسلام من شأنه أن يتجه مباشرة إلى مالكولم. لكن الغيرة من جانب الأعضاء الآخرين أفضت إلى ذيوع شائعات تنال من شخصيته حيث بدأ مالكولم يتلقى اهتمامًا أقل بتغطية أنشطته فى أجهزة الجماعة ومنها مثلاً صحيفة «محمد يتكلم» (محمد سبيكس) التى كان مالكولم نفسه قد أنشأها فى عام ١٩٦١. كما وجد من يثنى عزمه عن أن يلقى محاضرات عامة. وتزامن هذا مع شائعات تتعلق بصلات غير مشروعة من جانب إليجا محمد مع اثنتين من السكرتيرات السابقات وتلك شائعات شعر مالكولم أن بوسعه تأكيدها. وربما وقع مالكولم تحت تأثير والاس (وارث) عندما بدأ يجادل بشكل أعمق فى شأن بعض المبادئ والمعتقدات التى تتبناها الجماعة. وعليه جاءت خيبة أمله فى إليجا فضلاً عن شعور بالغيرة من جانب زملائه من أعضاء الجماعة، ثم جاء تساؤله بشأن المبادئ الأساسية لأمة الإسلام ومعارضته العلنية المتزايدة للسياسة الأمريكية فى حرب فييتنام، كل هذا جاء فى مجموعه ليشكل أمرًا يورد مالكولم موارد الهلاك. وفى معرض رده على الاتهامات التى تقول إنه متطرف خطير أكد مالكولم أن الموقف الراديكالى المتطرف هو وحده الذى يمكنه الرد على الظروف المتطرفة فى سوئها التى يعيشها السود أنفسهم فى أمريكا العنصرية. بل إن تعليق مالكولم الذى تردد على نطاق واسع بأن اغتيال الرئيس جون كنيدى كان بمثابة عودة الدجاجات إلى الحظيرة أى المحصلة الطبيعية للعنف الضارب أطنابه فى أمريكا، هذا التعليق فسروه على أنه يصادق بصورة ما على قتل الرئيس. هكذا أمر إليجا (إيليا) محمد بإسكات صوت مالكولم ثلاثة أشهر وبعدها ازدادت الشقة توسعًا. وفى يناير ١٩٦٤ أزيح مالكولم من موقعه كمرشد للمعبد رقم ٧ فى نيويورك وفى

الوقت نفسه جرى استبعاد (شلح) والاس (وارث) بسبب ارتباطه بمالكولم وهكذا أصبح المسرح ممهدًا لتغيير درامى.

وانقضت ثلاثة أشهر توجه بعدها مالكولم إكس إلى مكة لأداء فريضة الحج المفروضة على المسلمين كافة مرة واحدة على الأقل فى العمر. وثبت بعد ذلك أن تلك كانت تجربة العمر لمالكولم فإن سيرته الذاتية تصف شعوره العميق بالخجل عندما أدرك أنه كان يُطلق على نفسه اسم كاهن الإسلام فيما لم يكن يعرف شعائر الصلاة بل وبعض المتطلبات الأساسية التى تقتضيها حياة المسلم. كان إدراكه بقصور تعليمه الإسلامى فضلاً عن أنه تحقق بصورة ملأت كيانه كله بأن بوسع الناس من جميع الأعراق والأنساب أن يشاركوا معًا دون حقد أو ضغينة أو تحيُّز فى أداء شعيرة الحج، كل هذا أصاب مالكولم بصدمة جعلته يحنى رأسه تواضعًا بعد ذلك جاءت جولته التى ألقى فيها عددًا من الخطب فى أفريقيا بعد رحلة الحج حيث طرح معالم أفكاره المتعلقة بحركة تحرير دولية للسود وشملت جولته زيارات إلى عدد من رؤساء الدول الإسلامية الأفارقة، وكان من شأن أحاديثه مع هؤلاء القادة أن فتحت عينيه واسعًا ليتحقق من فساد التوجهّات الانفصالية لجماعة «أمة الإسلام» فأين هذا من الإسلام الذى يتوجه إلى الناس كافة فى جميع أنحاء المعمورة.

هكذا قُضى الأمر وانفصل مالكولم عن جماعة «أمة الإسلام». وفى ٨ مارس ١٩٦٤ فارق الرابطة التى طالما أحبها ليؤسس مجموعة جديدة تحت اسم «المسجد الإسلامي» الذى كان جناحه السياسى هو منظمة الوحدة الأفرو-أمريكية. ومن منطلق الاعتراف بتجربة الحج وبهويته الجديدة بوصفه مسلمًا سلفيا غيَّر اسمه ليصبح الحاج مالك الشاباز وكان أن وُجِّهت إليه سهام الهجوم الحاد من بين صفوف الجماعة بل لدرجة أن أقنعوا شقيقه فلبرت إكس بأن يشجب مالكولم علانيةً فيصفه بأنه النبى الكذاب.

وفى ٢١ فبراير ١٩٦٥ أطلقت النار على مالكولم لتل كما كان يُدعى فى السابق فلقى مصرعه بينما كان يلقى خطابًا فى جماعته الجديدة، منظمة الوحدة الأفرو- أمريكية فى مدينة نيويورك تاركًا أرملته بعد زواج دام سبع سنوات وهى بيتى شاباز (انظر السير الشخصية) وكان لحكومة الولايات المتحدة بدورها أسبابها

لكى توجّه انتقادًا لاذعًا لعبارات وتصرفات مالك الشاباز، بل إن هناك من اتهم مكتب المباحث الفدرالية بتدبير مصرع مالكولم. ولم يتحدد قط القاتل الحقيقى برغم أن الكثيرين ربما كانوا يرغبون فى موته وإن كان العالم قد خسر بوفاته واحدًا من أبرز القادة السياسيين والدينيين فى القرن العشرين.

عندما حل عقد الستينيات وكانت أياما مضطربة للأمريكان السود، عمد الكثيرون ممن كانوا يرون أنفسهم بمثابة حركيين سياسيين إلى الانتساب لنوع ما من الإسلام ويصدق هذا الذات على الذين كانوا يعملون فى مجالات الفنون كالكتاب والشعراء والموسيقيين وآخرين ممن كانوا يرمزون فيما قدموه للجمهور إلى مفارقتهم مجتمع البيض وتشجيعهم سائر الأفرو - أمريكيين على النظر إلى الإسلام كوسيلة لتحقيق الذات فضلاً عن تقدُّم المجتمع. وثمة مثقفون من السود ومنهم مثلاً ليروى جونز (أميرى بركه)(*) كانوا يحللون القضايا الاجتماعية والسياسية السائدة وقتها فى مجتمع السود ويدعون إلى الإسلام علاجًا شافيًا للأمراض التى تصيب الجماعة. وبالنسبة للكثيرين من الأفرو- أمريكيين فإن اعتناق الإسلام كان يفيد فى مفارقتهم عن مجتمع البيض سواء كان مجتمعًا مسلما أو غير مسلم. ومنذ ذلك الحين، وبالذات بعد وفاة إليجا محمد تحرك كثيرون عن وعى مستهدفين وحدة جميع الأمريكيين المسلمين بصرف النظر عن لون البشرة أو الخلفية الثقافية. ومن هؤلاء الذين تصدروا الجهود الرامية إلى الجمع الوثيق بين صفوف الأفرو- أمريكيين المسلمين وبين المهاجرين المسلمين كان والاس نجل إليجا محمد.

والاس محمد (وارث دين محمد)

كما رأينا، ظل والاس يثير خلافات على طول الخط مع مبادئ والده الانفصالية التى كانت تصدر عن منطلقات عنصرية. ولفهم أهمية جهوده، يجدر معاودة النظر إلى جماعة أمة الإسلام: لقد سارع إليجا (إيليا) محمد إلى إرجاع وفاة

(*) أمير الشعراء فى ولاية نيوجيرسى. وقد ذاعت قصائده التى عارض فيها حرب العراق خلال الولايــة الأولى للرئيس بوش وكان أن أقصوه بقرار بيروقراطى(!) عن إمارة الشــعر فــى صــيف عــام ٢٠٠٤ «المترجم».

مالكولم إكس إلى شجبه لمبادئ الجماعة برغم أن إليجا أنكر أن أعضاء منظمته قد أطلقوا بالفعل رصاصات الاغتيال. وفى الوقت نفسه كان والاس يعانى من متاعب متواصلة إزاء «أمة الإسلام» بعد أن جادل فى صحة بعض منطلقاتها الأساسية. وفى نهاية المطاف استعاد مكانته بوصفه المرشد الإسلامى فى مسجد شيكاغو فى عام ١٩٧٤. وكانت المنظمة فى حالٍ من التنامى إلى أن جاء منتصف السبعينيات لتدعى أن عضويتها بلغت المليون، كما كانت ناشطة فى مجالات الزراعة وتربية الأغنام والماشية إضافة إلى أنواع شتى من الصناعات وعدد كبير من الأعمال التجارية الصغيرة فى طول أمريكا وعرضها. وكان ثمة خمسة وسبعون من المعابد تعمل فى الولايات المتحدة فضلاً عن عددٍ منها كان ينشط خارج أمريكا.

فى ذلك الحين، وفى أوائل عام ١٩٧٥، روّعت أمة الإسلام بخبر وفاة الرجل الذى قادها لوقت طويل وهو صاحب الفضيلة إليجا (إيليا) محمد نتيجة إصابته بنوبة قلبية. وبالنسبة لبعض الأتباع المخلصين كان ذلك حدثًا رهيبا إذ أدّى إلى اختبار عميق لإيمانهم لأنهم كانوا يعتقدون أن زعيمهم لن يرضخ يومًا لطائف الموت. وبعد يوم من وفاته وفى ظل الاحتفال بيوم الإنقاذ السنوى أذيع الإعلان بأن والاس سوف يخلف أباه ليكون المرشد الأعلى لأمة الإسلام. وبينما أصيب الكثيرون بالصدمة فى ضوء التاريخ المذبذب لعلاقة والاس مع أبيه أو بحكم افتقاره إلى الشهرة العامة، فالذين كانوا على إلمام بما يدور بالكواليس كانوا يعرفون أن إليجا محمد أراد القيادة أن تظل فى عائلته. كذلك فمعظم القادة الأكثر شهرة فى الجماعة بمن فيهم لويس فرقان أعلنوا ولاءهم لوالاس ولو مؤقتا. وفى كل حال فبعد توليه الأمور كان لا بد أن تطرأ تغييرات جذرية بين صفوف الجماعة ذاتها فى السنوات اللاحقة حيث أفسح التفاؤل السياسى الذى اتسمت به الجماعة فى أيامها الأولى الطريق وبخطوة مشهودة نحو التماس الإسلام فى منابعه الصافية الأولى.

فى عام ١٩٣٣ وُلد والاس وكان الطفل السابع لأبيه إليجا وأمه كلارا محمد اللذين رزقا ثمانية أطفال. ومنذ نعومة أظفاره أبدى اهتمامًا بالتخصصات الأكاديمية والجوانب الروحية الإسلامية مكرسًا وقته لدراسة اللغة العربية والقرآن. وكما رأينا، فقد اتخذ بسرعة موقفًا انتقاديا من تقييم تعاليم أبيه ولم يبد موافقته على تلك

التعاليم فى ضوء ما كان يدرسه من صحيح الإسلام. وقد قام والاس بأول رحلة حج إلى مكة عام ١٩٦٧ أى بعد ثلاث سنوات من الرحلة المشهودة التى قام بها مالكولم. وفور توليه مقاليد القيادة فى جماعة «أمة الإسلام» بعد وفاة إليجا (إيليا) محمد، بدأ والاس يعيد التفكير علانية فى العقيدة التى كانت قد اعتمدتها الجماعة فى أيامها الأولى. وفيما كان حريصًا باستمرار على أن ينسب لأبيه فضل قيادته الحكيمة والحصيفة إلا أنه أوضح بجلاء أن فارض لم يكن يتسم بأى صفة ربوبية كما أن إليجا نفسه لم يكن رسول الله النقى الطاهر على نحو ما كان الكثيرون من أتباعه يعتقدون إذ لم يكن رغم موهبته إلا بشرًا سويًا. كانت رسائل والاس بشأن فارض حذرة ومرهفة الحساسية وفى مرحلة مبكرة سعى لكى يقنع أتباعه بأن فارض ما زال على قيد الحياة وأنه كان يتواصل معه ولكن فى أوائل عقد التسعينيات أعلن وفاة فارد فى واقع الأمر.

وكان المهم بالنسبة إلى والاس محمد فى مواعظه الأولى أن يرفض مبدأ تفوق السود الذى كان مبدًا محوريا فى تعاليم كل من فارض وإليجا محمد. وبعد أشهر قليلة ليس إلا من وفاة أبيه أعلن والاس أن البيض لا بد من النظر إليهم على أنهم بشر مكتملو البشرية بل وشجعهم على أن يصبحوا أعضاء فى «أمة الإسلام». كذلك فقد أعاد مالكولم إكس بعد وفاته إلى حظيرة الجماعة مبديا اهتماما جليا بالإسلام بوصفه قوة روحية قبل أن يكون أداة سياسية وكان ذلك فى إطار تخفيف الحديث عن النعرة القومية التى كانت تميِّز بطرق شتى تعاليم والده ومالكولم على السواء. من هنا اجتذبت رسالته اهتمام قاعدة أوسع من الناس برغم أنها ما برحت تتجه أساسا إلى الأفرو - أمريكيين. ومع إنهاء المطالبة بدولة منفصلة جاءت الدعوة إلى الاعتراف بالمواطَنة ضمن إطار الولايات المتحدة الأمريكية باحترام دستور الولايات المتحدة نفسها.

ومن التغييرات التنظيمية العديدة التى نفذها والاس إلغاء قوة الأمن الإسلامية التى كانت مؤلفة من الذكور وتتسم بالشراسة وتُعرف باسم «ثمرة الإسلام». وهذا الإلغاء جاء فى أرجح الأحوال بمثابة إجراء إستراتيجى باعتبار أن «ثمرة الإسلام» كانت الجهة الوحيدة بين صفوف الجماعة التى كان يمكن أن يبدر منها معارضة منظَّمة للتوجهات التى كانت الحركة تسلك سبيلها. كذلك تحرك

والاس لكى يفصل بين الأعمال التجارية وبين ممارسة الديانة فبدأ أساسًا يقسم كيان الإمبراطورية التجارية الضخمة ولكن المشوشة والمختلة التى حاول والده جاهدا أن يشيدها بأن يؤجر بعض الأعمال الصغيرة إلى غير المسلمين، بل ويصفى الديون الفادحة الطويلة الأجل ببيع الأعمال التجارية التى لم تكن تدر أرباحًا.

كثير من عوامل تطور جماعة «أمة الإسلام» فى ظل قيادة والاس محمد يتبدى من واقع سلسلة تغييرات عمد إلى إضفائها على الأسماء. لقد عمد إلى تحويل محور الهوية من الآسيوية إلى الإسلام فى مفهومه العالمى الأوسع مؤكدًا كذلك على الصلة مع أفريقيا السوداء. ومن منطلق الاعتراف بتكليف النبى محمد فى بداية دعوته شخصًا حبشيا أسود اسمه بلال لكى يرفع أول أذان فى الإسلام، أشار والاس إلى أعضائه على أنهم بلاليون ثم غيَّر اسم جريدة جماعة أمة الإسلام من «محمد يتكلم» إلى «الأخبار البلالية» (بلاليان نيوز). وأصبحت محتوياتها أقل اتساما بالطابع السياسى لصالح التوجُّه إلى تجميع الصفوف. وما زالت هذه السمة «البلالية» تجسِّد هوية عامة لمسلمى أمريكا السود. وفى بادئ الأمر رأى والاس أن أعضاء الجماعة السابقة لا بد وأن يواصلوا تعريف هويتها التى أضفى عليها الاسم «الجماعة العالمية للإسلام فى الغرب».

أضفيت تغييرات خارجية أخرى تشهد باعتماد الجماعة هوية جديدة فقد أصبحت الجوامع تعرف باسمها العربى - المسجد (حرفيا مكان السجود) كما شكلت الرموز العربية الديكور بدلا من الشعارات السابقة التى كانت تشجب أمريكا والديانة المسيحية على السواء، فيما بدأت تذاع الصلوات الإسلامية وحل محل المقاعد أبسطة وسجاجيد تتيح للجمع أن يجلسوا على الأرض كما هو الحال فى أى مسجد متعارف عليه. كذلك فإن يوم الخلاص وكان واحدًا من أهم أعياد جماعة أمة الإسلام أصبح أسبوع الحياة الاثنية، وفيه يحتفلون بإنجازات الأمريكيين السود. وفيما واصلوا الاهتمام بالنظافة فى الجسم والنزاهة فى السلوك على نحو ما كان عليه الحال فى أيام الجماعة الأولى، إلا أن والاس عمد أيضًا إلى تخفيف قيود اللباس لأعضائها وعليه فإن دور التبعية الذى كانوا قد أسندوه إلى المرأة فى ظل إليجا (إيليا) محمد حلت محله المساواة فى المشاركة والأداء للرجال والنساء فضلاً عن إتاحة الفرصة المتكافئة فى مجال التعليم للذكور والإناث على السواء.

وفى عام ١٩٧٨ بدأ والاس يعيد تشكيل قيادته المباشرة للجماعة ويضفى عليها طابع اللامركزية ويتخلى عن هذه القيادة المباشرة لصالح مجلس منتخب من ستة أفراد يحملون لقب الإمام. وبعد سنتين من ذلك التاريخ أعلن أنه قد غيَّر رسميا اسمه إلى وارث دين محمد الذى يعنى باللغة العربية الذى ورث دين (النبى) محمد وفى الوقت نفسه، ومن أجل التأكيد على أهمية إسلام أمريكى محدد غيَّر اسم المنظمة من الجماعة العالمية للإسلام فى الغرب ليصبح الرسالة الأمريكية المسلمة. وكان لا بد أن يُضفى اسم جديد على الجريدة حيث تغيَّر من بلاليان نيوز فأصبح جريدة «المسلم الأمريكي». وفى منتصف عقد الثمانينيات، ومن أجل الوصل بين هوية الجماعة وبين كيان الإسلام الحنيف على مستوى العالم، تغيَّر اسم الجريدة من جديد لتصبح ببساطة جريدة «المسلم» وهو عنوان ما زالت تحتفظ به حتى اليوم، وما برحت تنشر فى شيكاغو وتضم مقالات يتعلق معظمها وليس جميعها أساسا بالمسلمين الأفرو- أمريكيين حيث تسلط الأضواء على منجزاتهم المجتمعية مع الإشادة بتلك المنجزات وفى ما يكاد يكون جميع المواد المنشورة يجد القارئ إشارات عديدة بارزة بشأن أنشطة وارث دين محمد. كما تنشر الجريدة دروسًا أساسية فى اللغة العربية فضلاً عن قوائم بالمصادر الأدبية والتكنولوجية المتاحة لدراسة الإسلام واللغة العربية.

وفى عام ١٩٨٥ شعر وارث الدين بأن اللامركزية التى كان قد بدأها منذ سنوات اكتمل هدفها فأعلن أن أتباعه لن يتميزوا بأى أسماء بعينها بل إنهم ببساطة مسلمون مؤكدًا أنهم فى ذلك يدينون بالإسلام الحنيف الذى يشمل العالم بأسره. على أنه فى الآونة الأخيرة، وبناءً - كما يبدو - على طلب الذين يمثلهم فى جماعته، قرر أن يشير إليهم على أنهم الجماعة الأمريكية المسلمة.

خرج وارث الدين من هذه العملية الطويلة ليصبح زعيمًا مهمًا معترفًا به وموضعًا للاحترام فى إطار الإسلام الأمريكى بمعنى أنه قائد تؤثر رؤيته تأثيرًا بالغا على الأمريكيين السود من مسلمين وغير مسلمين على السواء. وهكذا أصبحوا يعرفونه بأنه المجدد المعاصر بمعنى مجدد الديانة الإسلامية بالنسبة لزمانه. وقد تقبَّله مجلس الأئمة العالمى بوصفه زعيم الجماعة الإسلامية فى الولايات المتحدة وهو مسئول عن التصديق على طلب جميع المسلمين الأمريكيين

الذين يريدون القيام بالحج إلى مكة المكرمة. وفى عام ١٩٩٠ كان الإمام وارث الدين أول مسلم يطلبون إليه أن يفتتح جلسات مجلس الشيوخ بالولايات المتحدة بالصلاة وبعد ذلك شارك فى حفل تنصيب الرئيس بيل كلينتون. وتحدث عن مكانته قائلا: «أرجو أن أُخلِّف من بعدى ما يكفى ليشهد بإخلاصى كمسلم حتى ليقول الناس: حسنًا لقد سارت حياته بين صعود وهبوط وربما لم ينجز مما كنا نرجو الشيء الكثير، ولكن ثمة أمرًا لا يراودنا الشك فيه قط وهو: أنه كان مؤمنًا أخلص لدينه كل الإخلاص»[١٢].

لويس فرقان

فى الوقت نفسه لقيت جماعة «أمة الإسلام» السابقة من يبث الحياة فى أوصالها تحت قيادة لويس فرقان التى تتميز تصرفاته بصورة عامة بأنها تتبع أيديولوجية إليجا(إيليا) محمد. وبرغم تأكيداته السابقة بشأن ولائه لوالاس، فسرعان ما شعر فرقان أن نجل إليجا يقود الجماعة فى اتجاه من شأنه إهمال الواجب الفورى الذى يقضى بالتصدى للظروف التعيسة التى ما برح يعيشها الأمريكيون السود. وفى عام ١٩٧٨ أعلن أنه لم يعد يلقى الترحيب بين صفوف الجماعة العالمية للإسلام فى الغرب ومن ثم فهو يقطع كل صلاته مع والاس وقال «عندما لم أستطع أن أواصل الاتفاق معه فقد فصلت نفسى عنه لا لكى ألتقط أحجارًا وأرجمه بها ولكن لأننى بأمانة لم أتحمّل انتقاداته لأبيه الذى كان قد وضع الأسس لتطورنا إسلاميا فى أمريكا»[١٣].

وأوضح فرقان خطته قائلاً إنها تتمثل فى إعادة بناء جماعة «أمة الإسلام» القديمة. ومن ناحيته كان والاس حريصًا للغاية فى رد فعله إزاء فرقان مؤكدًا أنه لا يزال له بيت ومكان بين صفوف الجماعة العالمية للإسلام فى الغرب ولكن فرقان عاد ليؤكد على أيديولوجية التفوق الأسود، فضلاً عن رؤيته بأن أمريكا البيضاء أصبحت على شفا الانهيار. والحاصل أن أتباع فرقان فى معظمهم ليسوا من الأعضاء السابقين فى «أمة الإسلام» الذين كانوا قد استمروا مع والاس ولكنهم متحولون مجددًا من صفوف المجتمع الأفرو- أمريكى.

من هنا تُعدُّ جماعة «أمة الإسلام» الراهنة حركة للقوة السوداء أساسًا

مكرسة لخدمة فكرة الانفصال القديمة التى تقضى بإنشاء دولة مستقلة. وما زالت تعلن عن ضروب المظالم التى يتعرض لها مجتمع السود على يد المجتمع العنصرى الأمريكى الأبيض. ويصر فرقان على أن الاندماج فى المجتمع الأبيض لا يمكن ببساطة أن يحل مشكلة السود الذين لم يحققوا ولو مكانة الطبقة الوسطى على أقل تقدير. وقد تم استئناف نشر صحيفة «الدعوة الخاتمة» فى عام ١٩٧٩ التى تبرز خطب وأنشطة فرقان إضافة إلى مشاركة سائر أعضاء الجماعة الحالية التى تعرف باسم «أمة الإسلام» فضلاً عن إعادة نشر منتظمة لكتابات وأحاديث إليجا (إيليا) محمد. ويتولى فرقان قيادة الجهود التى يبذلها أعضاء الجماعة المذكورة من أجل العمل على تحسين الحياة فى مجتمع السود. ورغم أن الحركة ما زالت منظمة صغيرة إلا أنها ما برحت تستأثر باهتمام الجمهور الأمريكى بحكم ما تبذله من جهود جماعية لتطهير المناطق التى اجتاحتها المخدرات وبذل جهود شتى من أجل تحسين حياة السود من سكان أحياء الشقاء الفقيرة فى المدن. وجاءت دعوة فرقان فى عام ١٩٩٧ التى حملت عنوان «مسيرة المليون رجل» فى واشنطن العاصمة لتجمع صفوف الأفرو - أمريكيين من كل أنحاء البلاد.

ثم يبقى السؤال مطروحًا عن: هذا الشخص الذى لا يزال يجذب خيال عدد من الأفرو- أمريكيين برسالته التى تدعو إلى تفوّق السود وانفصالهم ويستجيب له عدد لا يستهان به حتى رغم صغر حجمه رغم أن هذه الرسالة نفسها تجعل سائر المسلمين يصرون باستمرار على أن حركة «أمة الإسلام» لم تعد تشكل جزءًا من مجتمعهم بل إن هذه الرسالة ما زالت تستميل وأحيانا تخيف الآخرين ممن يستمعون إلى الشعارات البليغة التى يطرحها صاحب تلك الرسالة ويعايشون الكاريزما التى يتصف بها. فى عام ١٩٣٣ كان مولده باسم لويس إيوجين وولكوت وهو العام نفسه الذى وُلد فيه والاس محمد. وقد اتخذ لويس طريقه فى مجال الموسيقى عازفًا للكمان ومطربًا شعبيا. على أنه تخلّى عن هذه الحرفة عام ١٩٥٥ بعد أن استمع إلى مواعظ إليجا محمد ثم أقسم يمين الولاء لأمة الإسلام. وهو يعترف بأنه تأثر تأثيرًا قويا بمالكولم إكس الذى استمع إليه وتعرف عليه فى بوسطون وإن كان يقول إن إليجا محمد هو الذى هداه بالفعل إلى الطريق القويم وعندما قتل مالكولم تحوّل لويس وولكوت سابقًا ليصبح اسمه الواعظ لويس فرقان فى معبد نيويورك وليقوم بدور المندوب القومى لسماحة إليجا (إيليا) محمد.

وفى أواخر الثمانينيات بدأ لويس فرقان يعيد تعريف رسالة جماعة «أمة الإسلام» وفيما ظل يواصل التبشير بالمبادئ الأساسية التى طالما ميّزت الجماعة فقد بدأ كذلك يؤكد على عناصر الديانة الإسلامية ومنها مثلا الصلاة والصيام فى محاولة بدت وكأنه يرغب من ورائها أن يوثّق الوشائج التى تربط بين جماعة «أمة الإسلام» وبين الإسلام المتعارف عليه. كذلك أولى تشجيعًا عميقًا لصلوات الجمعة وخاصة فى مسجد مريم الذى يتّخذ مقرا قوميا فى الناحية الجنوبية من شيكاغو. وما برح فرقان يسعى إلى تأكيد ولائه لإليجا (إيليا) محمد وتعاليمه وإن بدا فى الآونة الأخيرة وكأنه يعيد تفسير تلك التعاليم إلى حد ما فضلاً عن مواصلة تأكيد خلافته بعد إليجا وكأنه ينكر ولو بصورة مستترة خلافة وارث الدين.

فى إطار هذا الجهد الذى يبذله فرقان من أجل «أسلمة» حركته فهو يؤكد أهمية توثيق الروابط مع سائر المجتمعات الإسلامية فى الشرق الأوسط وأفريقيا. وعليه فقد أصبح ضيفًا متكرر الزيارات تحيطه هالة الشهرة على المستوى الدولى. ولعدد من السنوات أسهمت أقطار إسلامية عبر البحار بتقديم تمويل كبير لصالح حركة «أمة الإسلام» التى رأتها وكأنها تساعد على نشر الديانة الإسلامية فى أمريكا. على أن المسلمين السنة ما زالوا بانتظار أن يروا ما إذا كان فرقان جادا فى رغبته لتقريب حركة «أمة الإسلام» أكثر وأكثر بما يتفق مع وسطية الإسلام وإن كانوا يتشككون فى هذا الأمر. وفى عام ١٩٩٠، حرّك فرقان مشاعر مستمعيه وهو ينطق فى بالمر هاوس فى شيكاغو باعتراف ملهَم أقر فيه بنطق الشهادتين، شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدًا بن عبد الله هو رسول الله. بيد أن الأمين العام للجمعية الإسلامية فى أمريكا الشمالية سيد م. سيد أرسل خطابا فى عام ١٩٩٧ إلى فرقان وهو منشور فى مجلة «إسلاميك هورايزونز» مُعربا عن خيبة أمله شخصيا وخيبة أمل سائر المسلمين السنة لأن زعيم حركة أمة الإسلام ما زال يؤكد على كثير من المنطلقات الأصلية التى سبق ونادى بها إليجا (إيليا) محمد.

يتقيد أعضاء حركة «أمة الإسلام» بصورة عامة بنظام صارم من حيث ملابسهم (النساء يحرصن على عدم استخدام مساحيق التجميل ولا بد أن يغطين شعرهن)، كما أنهم حريصون فيما يتعلق بآداب الطعام وفى تجنب التدخين وتعاطى المخدرات فضلاً عن الإقلاع عن عادات من قبيل الإفراط فى الطعام أو فى النوم.

ومع ذلك فهم لا يؤدون الصلوات الخمس يوميا. وعلى خلاف الإسلام الصحيح فهم يؤمنون ببعث العقل حيث يتحرر البشر، بدلاً من الإيمان بالمبدأ المتعارف عليه ببعث الأجداث من مرقدها يوم النشور، أما الدخل الرئيسى للجماعة فيتأتى من تبرعات أعضاء المنظمة إضافة إلى عائد بيع جريدة «الدعوة الخاتمة» (فاينال كول).

بيد أن الحركة فى ظل لويس فرقان، وبرغم الاختلاف الواضح بشأنها، استطاعت بلا جدال أن تقدم خدمات مهمة على مستوى المجتمع والبيئة المحلية، كما تدعم حكومة الولايات المتحدة برنامج الحركة فى مجالات مكافحة المخدرات ومرض الإيدز فضلاً عن جهودها فى مجال الأمن وخاصة فى وحدات المساكن الشعبية الفيدرالية التى اجتاحتها الجريمة وتعاطى المخدرات. وأعضاء قوة «ثمرة الإسلام» المعاد تنظيمها يعملون فى دوريات كحراس فى عدد من المناطق الحضرية الكبيرة ويرتدون أزياءهم التى تميزهم وهى قمصان مكوية وربطات عنق وحلل قاتمة. وقد حققت الحركة نجاحا ملحوظا فى التعامل مع أعضاء العصابات المنظمة ومهربى المخدرات وخاصة الشباب من السود والمنحدرين من أصل إسبانى وذلك فى إطار جهد قل أن يوجد له نظير. وفيما لا يزال معظم المسلمين فى أمريكا، من السود أو المهاجرين، يقولون إنه لا يجدر اعتبار «أمة الإسلام» جزءًا من جماعة المسلمين إلا أن بعضهم، مثل وارث الدين نفسه، أقل استعدادًا لأن يستبعدوها، بل هم يلحون على أن التغييرات التى يتم إضفاؤها تدريجيا على جماعة «أمة الإسلام» ربما تشير إلى تحوّل مطرد وإن كان بطيئًا نحو الطريق القويم.

الحركات السنية بين الأفرو - أمريكيين

من الطبيعى ألا يكون أتباع وارث دين محمد ولويس فرقان هم وحدهم الأفرو- أمريكيين الذين انتسبوا إلى الإسلام، ذلك لأن هناك عددًا من الأفراد الآخرين يصلحون كأمثلة على جاذبية الإسلام للسود ولا سيما على صعيد المناطق الحضرية فى أمريكا. وبعضهم يطرحون أنفسهم تحديدًا بوصفهم من أهل السنّة ويحاولون اتباع تعاليم الإسلام الوسَطى بقدر من الحرص وهو ما يتعارض فى غالب الأحيان مع تعاليم حركة «أمة الإسلام».

وعلى سبيل المثال كانت حركة المذهب الحنفى قد بدأت بصورة أو بأخرى فى مطالع القرن العشرين على يد مهاجر باكستانى. وقد حاول أحد أتباعه وهو خليفة حماس عبد الخالص(*) ولكن دون نجاح أن يخترق صفوف حركة «أمة الإسلام» ويغيِّر اتجاهها. وعندما فشل فى تحقيق هدفه عمد إلى إنشاء مركز المذهب الحنفى فى واشنطن العاصمة وكان ذلك فى أواخر عقد الخمسينيات. ويعرب أعضاء المركز عن التزامهم بشكل عام إزاء أمريكا وذلك موقف كان يحرمهم فى بعض الأحيان من الشعبية فى نظر سائر جماعات السود وخاصة جماعة «أمة الإسلام». وفى حادثة شائنة وقعت عام ١٩٧٣ أقدم قتلة مجهولون على قتل سبعة من هؤلاء الأحناف وكان من بينهم أربعة أطفال. وبعد ذلك بسنوات ثلاث شنَّ الأحناف أنفسهم، من منطلق اعتراضهم على عرض فيلم بعنوان محمد رسول الله وكانوا قد اعتبروه منافيًا للدين، غارة على مبانى المكاتب فى واشنطن العاصمة وأخذوا رهائن بعدها وقد قُتل رجل واحد واستدعى سفراء عدة أقطار إسلامية لحل المسألة. ومنذ ذلك الحين ظل الأحناف بعيدين عن الظهور العلنى وكان أبرز عضو من هؤلاء الأحناف كريم عبد الجبار نجم كرة السلة الشهير (انظر السير الذاتية).

هناك جماعة أخرى تعرِّف نفسها على أنها سنية وتسمى حركة دار الإسلام(١٤) (تسمى أحيانًا باسم دار السلام) وقد بدأت فى ضاحية بروكلين فى نيويورك فى أوائل الستينيات. وكان أول المتحولين رجالاً انتسبوا إلى حركة القوة السوداء وبرغم تعهدهم بأن يتبعوا النبى محمدًا وشريعته وهى الشرع الإسلامى فى البداية فقد اعتمدوا أجندة عمل تقوم على أساس الانفصال العرقى. ومنذ أيامها الأولى عانت تلك الجماعة من صراعات داخلية مما عرَّضها للحل ومن ثم إعادة تجميع صفوفها عدة مرات. وقد تشكلت رابطة جديدة فى أواخر الستينيات، وكانت تجتمع فى شقة صغيرة فى بروكلين استخدموها كمقر للعبادة والتعليم بل والحياة المجتمعية للذين يختارون ذلك. على أن هذه الحركة ما لبثت أن اشتد ساعدها وشبَّت عن الطوق فبدأت تنشئ فروعا فى كثير من المدن الكبرى بالولايات

(*) يلاحظ قدر من التصحيف فى مثل هذه الأسماء. ورغم أننا أوردنا ترجمة حرفية للاسم، فقد نتصور أن الترجمة الأقرب – مفهوميا وإسلاميا هى «العبد الخالص»، والله أعلم «المترجم».

المتحدة. وتم فى هذا الإطار تأسيس عدة أماكن للتوجيه والوعظ بما فى ذلك مركز تدريب على الدفاع الذاتى الذى يطلبه جميع الشباب. ووقت وفاة إليجا (إيليا) محمد فى عام ١٩٧٥ كانت دار الإسلام تدَّعى أن لديها أكثر من ٣٠ من الجماعات الإسلامية السنية التى تتخذ مقرها فى المساجد. وعند هذه النقطة، وقبل أن يبدأ وارث الدين بتحويل أعضاء جماعة «أمة الإسلام» السابقة نحو الإسلام الصحيح، كانت دار الإسلام هى أكبر منظمة للإسلام السنى بين السود فى البلاد حيث امتدت مساجدها إلى الغرب فى كولورادو ثم فى جزر الهند الغربية فضلا عن أونتاريو بكندا وألاسكا. ورغم أن كل فرع من فروعها له إمامه الخاص فقد كان الزعيم هو الإمام يحى عبد الكريم من مسجد بروكلين وتنضوى الفروع المختلفة تحت لواء اتحاد صاغوه على أساس معاهدة المدينة المنورة التى كان قد وضعها النبى محمد.

فى ذروتها ظلت حركة دار الإسلام تأخذ الديانة الإسلامية على محمل الجد وكان يُطلب من أعضائها لدى التحاقهم بها أن يؤدوا قَسَمًا يستمر به التزامهم مدى الحياة بل كان يطلب منهم بإلحاح أن ينخرطوا فى سلك دورات فعَّالة من التعليم الدينى بما فى ذلك التدريب على العربية الفصحى وعلى القرآن وعلى السنَّة النبوية. وبالتدريج بدأوا يتلقون كذلك عناصر من الطرق الصوفية الإسلامية باعتبار أن الإمام يحيى فَهِم هذه الأمور من خلال دراسة على يد شيخ صوفى باكستانى من الطريقة القادرية.

ومع تطور جماعة دار الإسلام بدأت تتحول عن الأجندة السابقة التى كانت تقضى بالانفصال برغم أن قضية العنصرية والاعتقاد بأن الإسلام يمكن أن يكون هو القوة التحريرية أمور ظلت قائمة باستمرار. ولما كانت الجماعة عازفة عن نشر بعض من النظريات التى جعلت من حركة أمة الإسلام غير مرغوب بها بالنسبة للإسلام الوسطى، فقد عمدت دار الإسلام بالفعل إلى التمسك بصورة أكثر صرامة بتعاليم وممارسات الإسلام مما قد يعده مسلمون كثيرون أمرًا لازمًا. وهكذا شجعوا الأعضاء على ارتداء لباس على الطريقة الإسلامية وعلى تجنُّب التواصل مع غير المسلمين. وفى بعض الأحيان نجمت عداوات عميقة بين المتشددين والمتزمتين من حركة دار الإسلام وبين غيرهم من المسلمين ولا سيما المهاجرين الذين بدوا فى عين أعضاء دار الإسلام وكأنهم يبيعون أنفسهم لحساب النظام

الأمريكى. وفى عقد السبعينيات عاود بعض الأعضاء الانفصال لإنشاء جماعة منفصلة وشديدة التزمت وعرفوا أنفسهم بأنهم الفقراء.

وبحلول عام ١٩٨٠، أعلن الإمام يحيى، متأثرًا فى ذلك بأستاذه الصوفى، نهاية جماعة دار الإسلام بوصفها حركة انفصالية وكان بذلك أقرب إلى ما فعله وارث الدين مع أتباعه ومن ثم كان الإعلان عن استيعاب الحركة ضمن صفوف الإسلام الصوفى. وعليه تنازل الإمام عن دوره القيادى وتوقف مسجد ياسين فى بروكلين عن أداء مهامه وتم بيعه.

ثمة عضو من جماعة دار الإسلام فى مدينة أطلنطا عارض هذا الاستيعاب ضمن صفوف الصوفية وقاد محاولات لإعادة تجميع أعضاء دار الإسلام إذ كان هو الرئيس السابق للجنة الطلابية لتنسيق اللاعنف وهو هـ. راب براون. وقد ساعد براون فى ظل هويته الجديدة بوصفه الإمام جميل عبد الله الأمين على تشكيل وقيادة اتحاد أصغر بكثير يسمى الآن الجماعة الوطنية. وهذه الجماعة، فضلاً عن الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية، والدائرة الإسلامية فى أمريكا الشمالية والجمعية الإسلامية الأمريكية التى يقودها وارث دين محمد تشكل حاليا مجلس الشورى الوطنى فى أمريكا وتضم حركة الإمام جميل الأمين نحو ثلاثين فرعا فى أنحاء شتى من أمريكا وكذلك من منطقة البحر الكاريبى.

ومن بين جماعات الإسلام السنى الأفرو- أمريكية التى أبدت معارضة ضد تعاليم حركة «أمة الإسلام» جماعتان تستحقان ذكرًا مختصرا. فقد بدأ الشيخ خالد أحمد توفيق مسجد الإخوة الإسلامى فى عام ١٩٧٠ فى هارلم والشيخ توفيق وهو عضو سابق فى المعبد العلمى المغربى أصبح من أتباع مالكولم إكس دون أن يقبل قط المبادئ العنصرية لأمة الإسلام. وفى ظل إشراف مالكولم غادر إلى حيث الدراسة فى القاهرة بالجامع الأزهر وهو حصن الإسلام السنى. ولدى عودته إلى هارلم بدأ جماعة مسجد الأخوة الإسلامية فى محاولة لتكييف ما فهمه على أنه التعاليم الإسلامية الحنيفة حسب الاحتياجات المحددة للأفرو -أمريكيين. وفى هذا الصدد عمل على المزج بين تعاليم جماعة ماركوس جارفى وتعاليم حسن البنًا وجماعة الإخوان المسلمين المصرية. وقد توفى توفيق فى عام ١٩٨٨ وظل مسجد الأخوة الإسلامية يعمل بوصفه حركة صغيرة نسبيا فى ضاحية هارلم.

وهناك أيضًا جماعة أخرى نشأت خلال الفترة نفسها وهى الحزب الإسلامى الذى بدأ على يد د. س. مظفر الدين وكان من عازفى موسيقى الجاز فى عام ١٩٧١. كان متأثرًا بدوره بمالكولم إكس وشأنه شأن خالد توفيق سافر إلى الشرق الأوسط ليتعلم المزيد عن الإسلام. وبالإضافة إلى تأثره بالإخوان المسلمين فقد تأثر أيضًا بتعاليم مولانا المودودى الداعية الباكستانى وبدأ الحزب الإسلامى فى واشنطن العاصمة لكى ينشر فهمًا أفضل عن الإسلام ويواجه ما كان مظفر الدين يراه بأنه تقاعس المسلمين المهاجرين الذين لم يعملوا بالصورة الملائمة عن النهوض بمهمة نشر العقيدة. أما الفروع فقد تم إنشاؤها بعد ذلك فى مدن أمريكية كبيرة أخرى مثل شيكاغو ونيويورك وهيوستون. وخلال عقد السبعينيات اكتسبت الحركة قوة يعتد بها وانضم عدد كبير من طلاب جامعة هاورد إلى جهود الدعوة ورأى الكثيرون فى الحزب بديلاً عن جهود حركة الحقوق المدنية التى كان قد دب فيها الوهن. وفى عام ١٩٧٥ تلقى الحزب الإسلامى هدية كبيرة من العقيد الليبى القذافى. وجاء قرار الجماعة فى أواخر السبعينيات بالانتقال إلى ولاية جورجيا للحياة ضمن سياق ريفى ليؤكد انفصام عراها فعانت من سلسلة من الانشقاقات واضطروا إلى إغلاق المكاتب فى عدد من المدن الكبرى الأخرى، وفيما بقى منها فصيل على قيد الحياة فقد انتقل إلى ترينيداد وأخيرًا إلى جمهورية الدومينيكان. ثم عاد مظفر الدين إلى أمريكا حيث توفى فى عام ١٩٨٣ بينما آلت الحركة إلى نهاية حاسمة ولم يبق منها سوى قلة من أتباعها الذين اجتذبتهم الثورة الإيرانية فأصبحوا منتسبين إلى مذهب الشيعة.

الحركات الطائفية الأفرو - أمريكية

فى الوقت نفسه كان عدد من الحركات الأخرى الأفرو- أمريكية قد انفصل عن أيديولوجية «أمة الإسلام» حيث طرحوا أنفسهم على أنهم شبه إسلاميين بعد أن استعاروا بعض العناصر من الإسلام الوَسَطى فيما تجاهلوا العناصر الأخرى. والحق أنه يصعب قياس الدرجة التى يمكن بها قبول هذه الجماعات الطائفية من جانب المسلمين لتشكل جزءًا من نسيج الإسلام، إضافة إلى أنهم يتعرضون للاتهام من المسلمين السنة الأفرو- أمريكيين فضلاً عن اتهامات المسلمين من صفوف المجتمع المهاجر بأنهم بعيدون عن الحدود المقبولة إسلاميا.

وقد استمر النظر إلى آسيا و/أو أفريقيا كمصدر للهوية وهى نظرة شاركت فيها الحركات الطائفية للسود فى الجزء الأخير من القرن العشرين على نحو ما كان عليه الحال بالنسبة لأفراد مثل نوبل درو على وإليجا (إيليا) محمد. وهناك مثلان يمكن أن يصلحا لتصوير طابع بعض هذه الجماعات.

جماعة «أنصار الله» هى مذهب للسود تأسس منذ نحو ثلاثين عامًا على يد عيسى محمد الذى كان ملمًا بتعاليم كل من «المعبد العلمى المغربي» و «أمة الإسلام». وعلى غرار هاتين الجماعتين، ظل «الأنصار» يؤكدون باستمرار على أهمية تحرير السود الأمريكيين وتخليصهم من وضعهم المتدنى الذى ألزمهم إيَّاه البيض فى محاولة لكى يثبتوا كرامتهم وجدارتهم على أساس تعريف يعتمده السود وليس تعريفًا يفرضه البيض. إلا أن عيسى محمد رفض ادعاءات درو على (الذى كان يسخر من قرآنه) وكذلك إليجا محمد الذى كان يدعى النبوّة. وفيما بذل بوضوح جهدًا لكى يكفل لنفسه موقعا فى إطار الرسالات «الإسلامية» المتنافسة على نيل اهتمام الأفرو- أمريكيين، فقد أعلن أن رسالته تفوق رسالة هؤلاء الأفرو- أمريكيين بل وغيرهم. وتبدو أصول عيسى محمد غامضة بصورة متعمدة برغم ما قاله من أن مولده كان فى السودان عام ١٩٤٥ أى بعد قرن واحد بالضبط من مولد جده محمد أحمد بن عبد الله المهدى السودانى. كما أنه يدعى كتابة أكثر من ٣٦٥ كتابًا وكرَّاسة بفضل قوة الله الذى كان يتكلم من خلاله. والواقع فإن كثيرًا من تلك الأعمال مازالت متوافرة. ومنذ عام ١٩٩٠ ظهرت جميع أعماله المكتوبة تحت اسم السيد عيسى الهادى المهدى.

بيد أن هذه الجماعة التى كانت تُدعى فى الأصل باسم أنصار الصوفية الخالصة فى أخر الستينيات وكانت تتخذ رمزًا لها نجمة داود وعلامة عنخ (علامة الحياة) عند قدماء المصريين، ما لبثت أن غيرت اسمها لتصبح جماعة النوبيين ومن ثم إلى جماعة العبرانيين النوبيين الإسلاميين. ثم أضيف إلى رموزها هلال المهدى الإسلامى وطلب إلى أعضائها أن يرتدوا ملابس أفريقية طويلة. وسرعان ما بدأوا فى نشر صحيفة وعدة دوريات فيما ذهب عيسى نفسه إلى ترينيداد فى جزر الهند الغربية لإنشاء المزيد من فروع الجماعة. وفى عام ١٩٧٣ سافر إلى مصر والسودان وهناك يقول إنه زاره الخِضْر (الرجل الأخضر) الذى يقال إنه

المرشد الروحى للزهاد المسلمين. ومن هذه النقطة بدأت تعاليمه تبدو أكثر تحديدًا من الناحية الإسلامية بل صور نفسه مسئولاً عن نشر الرسالة القرآنية فى الغرب. وعندما توفى إليجا محمد فى عام ١٩٧٥ لم يُضيِّع عيسى محمد وقتًا فى تعريف نفسه على أنه الوارث الشرعى لإليجا محمد. ثم جاء تأكيده على أهمية أن يكون المرء أسود مؤكدًا الإدانة المواكبة لذلك ضد أبناء الجنس "الشاحب البشرة" وكان ذلك ضمن سلسلة من التهجم على البيض تجاوزت حتى الأيدلوجية التى كانت قد سبقت إلى طرحها جماعة «أمة الإسلام» فى أيامها الأولى. هنالك تم حذف مصطلح «العبرانيون النوبيون الإسلاميون» وسميت الجماعة رسميًا باسم "أنصار الله" فى ضوء ما ورد فى الآية ١٤ من سورة الصف بالقرآن التى تشير إلى أنصار الله. وفى عام ١٩٨١ بدا أن عيسى محمد قد أعلن نفسه بوصفه المهدى المنتظر فى الإسلام وفى عام ١٩٨٨ استطاع أن يتقصَّى نسبه وصولاً إلى الحسين حفيد النبى محمد ومن ثم الانتساب للنبى نفسه.

ومع حلول أوائل التسعينيات، بدأ عيسى محمد يبدو أكثر التزامًا بصحيح الإسلام فى مواعظه وتعاليمه حيث شرع فى تعديل هجماته الأولى على البيض. ومع ذلك ظل يشير إلى الأمريكان السود على أنهم سودانيون أو نوبيون فيما كان يشير إلى مهمته فى رعاية الأفراد الوحيدين الباقين على قيد الحياة من قبيلة بنى إسرائيل. ويُوضِّح قدر كبير من الأدبيات التى طرحت فى مرحلة تالية كيف أنه كان يعلن أن «أنصار الله» يتبعون ما جاء به القرآن بشكل أوثق مما يفعل أى مسلمين آخرين ولاسيما مسلمى العربية السعودية.

جماعات أنصار الله موجودة حاليًا فى كثير من مدن الولايات المتحدة فضلاً عن عدد من الأقطار فى أفريقيا والبحر الكاريبى بل وأوروبا ويوجد مقرهم فى بروكلين، نيويورك فى مسجد يسمى مسجد المخلصين. ويضم المسجد مدرسة تشمل فصولاً تضم طائفة واسعة من العلوم الإسلامية إضافة إلى قاعات للمحاضرات ومرافق للألعاب الرياضية ومكتبة ومتحفًا للآثار الإسلامية القديمة.

على أن التلاسن الذى دار بين بعض المسلمين السعوديين وعيسى محمد اشتدت حدته على مدار السنين فقد اتهم عيسى العرب بأمور شتى من بينها التغريب والتحديث، بل وساوى بينهم وبين الذين خضعوا لنفوذ المسيحية. وبرغم

أنه تقاعد كإمام لجماعة الأنصار فى عام ١٩٨٨ حيث أفسح المجال لقيادة جديدة، إلا أن الهجمات التى اشتدت ضده من جانب بعض المثقفين السعوديين جعلته يقطع سياق تقاعده من أجل غرض واضح يدافع فيه عن نفسه وعن جماعته فضلاً عن توجيه وابل من الهجمات المضادة.

هذه الجماعة، رغم صغر حجمها، مازالت تعيد تعريف نفسها، ورغم تحولها صوب الإسلام السنى إلا أنها تبدو الآن وكأنها تنكص على عقبيها حيث أوضح عيسى محمد أن المسلم بحق هو أيضًا مسيحى بحق، وأن «الأنصار» هم أتباع عيسى المسيح الذين ينتظرون قيامته الثانية. ومنذ عام ١٩٧٤ بدأ الأنصار يتغيرون بصورة ملموسة وباتوا يعرفون الآن بأنهم دعاة المعبد المقدس حيث ازداد اهتمامهم بأمور من قبيل البدايات الغيبية للشعوب النوبية ويحمل قائدهم الآن اسم الدكتور مالاشى ز.يورك وبهذا يجسد الأنصار نموذجًا شديد الجانبية للمزج بين الإسلام وبين القومية والهوية السوداء إضافة إلى عدد من الملل التى تصنع فيما بينها نسيج الدين فى أمريكا.

ثمة جماعة أخرى انشطرت عن «أمة الإسلام» وتدعى باسم أمة الله من بنى الخمسة فى المائة[١٥] وتتم الدعوة لرسالة هذه الجماعة بطرق شتى ومن ذلك مثلاً ما يتم من خلال الأنغام المتقطعة لموسيقى الراب. وتم تأسيس الجماعة فى هارلم فى عام ١٩٦٤ على يد كليرانس «بودنج» ١٣إكس العضو السابق فى جماعة «أمة الإسلام» ومن ثم انتشرت على مستوى المناطق الحضرية فى أمريكا وهى توجد حاليًا فى المدن الكبرى ما بين نيويورك إلى لوس أنجيلوس. على أن دعوتها المباشرة تؤكد، بل وتفوق مبادئ جماعة أمة الإسلام فى التأكيد على قيمة السواد وهى تجذب بالذات الشباب الأفرو- أمريكيين. وعلى مدى سنوات كان كليرانس داعية متحمسًا لأمة الإسلام ولكنه بدأ علانية فى معارضة تعاليم تلك الجماعة التى كانت تقضى بأن و.ر. فارض هو الله. ولأن تعاليم الجماعة ذاتها كانت تبشر بأن الرجل الأسود الأصلى هو الله ولم يكن فارض أسود من قريب أو بعيد فإن فارض لم يكن سوى بشر. ولذلك فإن كليرانس وصل إلى حد أن آمن وعلم بأن المسألة لا تقتصر على أن الله أسود بل وبمنطق القياس فإن جميع السود هم أنفسهم الله(*).

(*) تأمل! «المترجم».

وبعد أن تلقى توبيخًا من جانب جماعة «أمة الإسلام» غادر كليرانس صفوفها مصحوبًا ببعض أتباعه ليبدأ التبشير بين صفوف شباب الشوارع من السود.

كان كليرانس خطيبًا لطيفًا ومفوها على طول الخط. وقد بدأ يطور ما أصبح رسالة الراب الشعبية السريعة لأهل الخمسة فى المائة وكل شاب يتعلم هذه العقيدة كان يكلف بنقلها إلى فرد آخر ويستحسن أن يكون أصغر سنا وعلى مدى أكثر من عقدين كانت الحركة تتخذ مقرها فى هارلم تحت اسم «مدرسة الله فى مكة».

وفى يونيه من عام ١٩٦٩ لقى كليرانس نفس مصير مالكولم إكس ومن سواه حيث أطلق عليه الرصاص من جانب قتلة مجهولين. وقد ألقى البعض اللوم على عاتق «أمة الإسلام» باعتبارها انتقمت لمغادرته صفوفها، برغم أن لويس فرقان، الذى كان وقتها رئيسًا لمعبد هارلم رقم ٧، أنكر ذلك بقوة وكما حدث بالنسبة إلى مالكولم فإن قاتل كليرانس لم يقبض عليه قط.

إن عقيدة الخمسة فى المائة تمثل تركيبية معقدة تجمع بين الرمزية الإسلامية الغامضة وبين نظرية تفوق السود ممزوجة بالثقافة الشعبية. لقد أضاف كليرانس إلى تعاليم جماعة «أمة الإسلام» بشأن الرجل الأصلى الأسود تصنيفًا للبشر طبقًا للنسب المئوية. فأكبر فئات البشر هى نسبة الـ ٨٥ فى المائة من سكان العالم الذين لا يعرفون الله بل يعملون فى نهاية المطاف على تدمير أنفسهم ودمار الآخرين ومن ثم فهم أبعد ما يكونون عن الخلاص. أما نسبة العشرة فى المائة التالية فلديهم المعرفة والقوة ولكنهم يمارسون الاضطهاد ويبشرون بأن الله هو «كائن أثيرى» ولا سبيل إلى رؤيته رأى العين. وهذه المجموعة تضم المسلمين السلفيين والمسيحيين البيض. أخيرًا تأتى جماعة الخمسة فى المائة وهم المؤمنون بيقين الذين يفهمون أن الإله الحى هو الرجل الأسود ومن ثم فهم يبشرون بالحرية والعدالة والمساواة وعليه فإن نسبة الخمسة فى المائة لابد وأن يكونوا أفضل من يُعلِّم الجميع.

بالنسبة لجماعة الخمسة فى المائة يمثل الإسلام طريقة للحياة قبل أن يكون عقيدة دينية. وتستعير الجماعة من المذهب الصوفى علم تفسير معانى حروف الأبجدية العربية التى تطوره إلى نظام مفصل يحمل اسم الأبجدية العليا، وهذا العلم

يتوازن مع علم الرياضيات العُلوى وهو بدوره نظام غامض من العد يتصل كذلك بتفسيرات مماثلة واردة فى أجزاء من التصوف الإسلامى. وتنطوى الأعداد كذلك على رسائل أخلاقية معينة تتصل بالطرق التى يفهم بها الأعضاء أنفسهم وتستقيم بها مقاصدهم. وهم يعترفون بمكانة الذكور بوصفهم آلهة عندما يبشرون بأن الاسم الصحيح للرجل الأسود هو الله ويفسرون ذلك على أن حروف لفظ الجلالة - الله تتأتى من الحروف الأولى (فى الإنجليزية) للأسماء التى تعرف بها أعضاء وجوارح الجسم على أساس أن الذراع (آرم - ألف) والساق (لج - لام) ثم الساق (لج - لام) والذراع (آرم - ألف) وأخيرًا الرأس (هد - هاء) ومن ثم تتكون حروف كلمة الله. وكثيرًا ما يتخذ الرجال السود أسماء تعكس مكانتهم الإلهية من قبيل «الله الأعلى» (الله سوبريم) أو عقل الرب الله «جود الله مايند».

هذه الجماعة تسمى أيضًا باسم «أمة الآلهة والأرضين» وفى إطار هذا التصنيف فالرجال هم الآلهة والنساء هم الأرضين أو أحيانًا الرجال هم الشموس والنساء هن الأقمار التى تعكس نور الشموس.

والذى يجعل من المرأة عندهم سيدة مسلمة هو فى حقيقة الأمر شهادتها بأن رَجُلها هو الله «بالفعل». ويتم التأكيد على أهمية التكاثر على وجه الأرض وخاصة حمل طفل من صلب «إله» ويطلب إلى الأرضين تغطية شعورهن وارتداء ملابس سابغة طويلة ومن ثم يمكن اعتبارهن فى بعض الأحيان من أهل السنة. على أن ذلك لا يشكل مدعاة لغبطتهن لأنهن يعترضن كثيرًا على استخدام جماعة «الخمسة فى المائة» لأى مصطلحات تفضى إلى تعريفهن على أنهن مسلمات وبالنسبة إلى أمة الآلهة والأرضين، فإن المسلمين السنة ممن يشكلون جزءًا من نسبة العشرة فى المائة يتحملون، شأنهم شأن المسيحيين، وزر إدامة الفكرة الزائفة بشأن إله «أثيرى» لا تدركه الأبصار.

وفيما يصعب تحديد الحجم الدقيق لعضوية حركة الخمسة فى المائة إلا أنه لا جدال فيما تتمتع به من شعبية بين صفوف شباب الأفرو- أمريكيين. ذلك لأن وسيلة موسيقى الراب هى أداة فعَّالة لنشر رسالة تقوم على أساس سرعة الخطاب وإعادة تفسير الأشياء على نحو يخيم عليه الغموض إضافة إلى أن عدداً كبيرًا من

فنانى موسيقى الراب الشعبية أصبحوا بصورة ملموسة مرتبطين بأيديولوجية الخمسة فى المائة بل وعملوا على الترويج لها. إن موسيقى الراب لا يمكن أن تبور قط لأنها تظل فى حالة استيعاب لأحدث التعبيرات السوقية فى الشارع، كما أنها تطور تفسيرات جديدة وطازجة لكى تلائم ظروف كل شخص أو فئة من الأشخاص ممن يمكن أن ينضموا إليها.

هكذا فإن المهاجرين والأفرو- أمريكيين والمتحوّلين من جماعات أخرى يشكلون فى مجموعهم وبطرق شتى، أبعاد الصورة التى يمكن أن يقال عنها إنها صورة المسلم فى أمريكا وبقدر ما تميز بينهم كثير من الخصائص، تجمع بينهم كذلك كثير من العوامل المشتركة. وفى الفصول التالية نتطرق إلى بعض من القضايا التى يواجهها أعضاء كل هذه الجماعات فى غمار سعيهم لتعريف من هو المسلم ومن ليس المسلم، وأيضًا لتقييم ما هى الأدوار الملائمة والضرورية اللازم القيام بها فى سياق غربى، فضلاً عن تحديد ما يشاركون به بوصفهم أمريكيين فى غمار محاولتهم تشكيل أمة إسلامية فى الغرب.

الحواشى

١- ألكس هيلى، جذور (جاردن سيتى، نيويورك: دار دبلداى، ١٩٧٦).

٢- مقتبس من ألبرت رابوتو، ديانة العبيد (نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٧٨) فى أديب رشاد، الإسلام، القومية السوداء والعبودية (بلتسفيل كتّاب ولاية ميريلاند، ١٩٩٥).

٣- مقتبس بواسطة بختيار، المرأة الصوفية فى أمريكا.

٤- نوبل درو علي ذكرى مئوية (١٨٨٦-١٩٨٦).

٥- ملاحظة المؤلفة. انظر لينكولن، المسلمون السود فى أمريكا.

٦- بربوزا، الجهاد الأمريكى.

٧- ورد ذكرها خلال اجتماع مع هيئة التدريس فى مجمع هارتفورد وأعضاء المسجد، يونيه ١٩٩٧.

٨- مالكولم إكس، فى هالى، السيرة الذاتية لمالكولم إكس.

٩- مالكولم إكس، «الحقيقة عن المسلمين السود» خطاب فى كلية أصول الدين بجامعة بوسطون، ٢٤ مايو ١٩٦٠ ومذكور فى لينكولن، المسلمون السود فى أمريكا.

١٠- جارديل، باسم إليجا محمد.

١١- هيلى، السيرة الذاتية لمالكولم إكس.

١٢- بربوزا، الجهاد الأمريكى.

١٣- المرجع السابق.

١٤- ر. مختار كورتيس، «مسلمو المدن: تكوين حركة دار السلام» فى حداد وسميث، المجتمعات المسلمة فى أمريكا الشمالية.

١٥- يوسف نور الدين «جماعة الخمسة بالمائة: أمة مراهقى الآلهة والأرضين» فى حداد وسميث، المجتمعات المسلمة فى أمريكا الشمالية.

الفصل الخامس

المرأة والأسرة الأمريكية المسلمة

تنبأ بعض مراقبى الظاهرة الإسلامية على الساحة الدولية بأن القضايا التى تتعرض لأدوار وهوية المرأة المسلمة سوف تصعد إلى صدارة اهتمامات المجتمع، ومن ثم ينبغى للمسلمين المعاصرين أن يولوها اهتمامًا جادًا فى العقود المقبلة. والحق أن الحركات الداعية إلى إقرار حقوق المرأة وإصلاح قوانين الأحوال الشخصية التقليدية تتم فى كثير من أرجاء العالم. وفى هذا المجال كما فى غيره من مجالات التغيرات فى الشأن الإسلامى يمكن أن تثبت أمريكا أنها مكان للتجريب وأيضًا لتأكيد الكثير من القيم المتوارثة. فالرجال والنساء فى الولايات المتحدة أصبحوا يوجهون اهتمامهم باطراد إلى السبل التى تستطيع بها المرأة أن تساهم فى تشكيل الإسلام الأمريكى بقدر ما تشارك فى المجالات العامة والخاصة من حياة المسلمين فضلاً عن نشاطها فى الميدان الأكاديمى وفى مختلف جوانب الحياة المهنية وكذلك فى مواقع العمل على صعيد أمريكا.

وثمة مجالات كثيرة كانت تقتصر فى العادة على الرجل وحده ولكنها الآن أصبحت تعد مجالات مشروعة لمشاركة المرأة. وبالطريقة نفسها فإن ميادين العمل التى كانت تعد تقليديا مجالاً للمرأة وحدها ومن ذلك مثلاً البيت والأسرة بدأ الناس ينظرون إليها فى حالات كثيرة بأمريكا على أنها تتيح فرصًا لتقاسم المسئولية والمشاركة فى تحملها. ولسوف نتناول فى هذا الفصل طائفة متنوعة من القضايا التى تتعامل تحديدًا مع حقوق المرأة وأدوارها، كما أنها تصور ما يبدو وكأنه حركة متنامية فى أمريكا نحو التعاون والمشاركة باعتبار أن الرجال والنساء يتولون أمر عائلات تعكس قدر الإمكان القيم الإسلامية الموروثة وفى الوقت نفسه تظل متأثرة بالبيئة الأمريكية الجديدة.

وفى المجموعة المترابطة من القضايا التى تواجه المسلمين الأمريكيين يوميا فإن ثمة قضايا أصبحت محورية بما يتجاوز مجرد التعامل مع الأسرة؛ فبالنسبة للمهاجرين والأفرو- أمريكيين أيضًا، بات الحفاظ على الروابط الأسرية العميقة

أمرًا له أهميته الجوهرية بما يتجاوز أى أمور أخرى مهما كانت ضرورتها. وعلى سبيل المثال فإن مسألة عمل المرأة سواء فى المواقع المهنية المتفرغة أو فى أعمال غير متفرغة لمساعدة الأسرة من النواحى المالية كثيرًا ما تطرح على أساس النظر فى إمكانية تحقيق التوازن بين هذا العمل وبين المسئوليات الأسرية التى تضطلع بها. فمسائل رعاية الطفل تهم كثيرًا النساء الأخريات اللائى يتعين عليهن أن يعملن لمجرد إبقاء الأسرة طافية على السطح من الناحية المالية ولاسيما العائلات التى تنحدر من ثقافة تضمن فيها العائلة الممتدة إمكانية أن يظل الأطفال مكفولين برعاية أقرباء من البالغين الكبار.

وبالنسبة إلى بعض المسلمين سواء من الأفرو- أمريكيين أو الأنجلو- متحولين يمكن أن تتسم قضايا الأسرة بأبعاد مختلفة وعلى سبيل المثال فالذين أتوا فى الأصل من عائلات مسيحية كثيرًا ما يجدون أن قرارهم باعتناق الإسلام يصعب إلى حد بالغ على آبائهم وسائر أقربائهم أن يتقبلوه. بل قد يفضى بهم الأمر إلى أن تقطع وشائج المؤازرة التى كانوا يلقونها ممن يحبون. وفيما لا تحدث باستمرار هذه القطيعة إلا أن هناك ما يفيد بأن هذه القطيعة تتواتر لدرجة أن يتعين أخذها على محمل الجد باعتبارها مشكلة إضافية يتعين أن يواجهها من يتحولون مجددًا إلى الإسلام. وبقدر ما أن الأفرو- أمريكيين أو غيرهم قد يصعب عليهم الدخول إلى صفوف جماعة مسلمة تتألف فى أغلبها الأعم من عائلات مهاجرة، بقدر ما يصبح هذا الشعور بالعزلة أمرًا هو من الصعوبة بمكان. وفيما يمكن لمثل هذا الوضع أن يولِّد إحساسًا بالتضامن الاجتماعى فيما بين المسلمين من الأفرو- أمريكيين إلا أنه قد يعوق سهولة قيام جماعة أو أمة (مسلمة) تتمتع بعلاقات حميمة بين الأعراق والثقافات.

أدوار المرأة ومسئولياتها

يرتفع باستمرار صوت المرأة الأمريكية المسلمة المتعلمة فيما يتعلق بإصرارها على أن الإسلام يكفل حقوقًا متساوية وفرصًا متكافئة للمرأة والرجل على السواء برغم أن أدوارهما يمكن أن تعد مكملة لبعضها البعض وليست متطابقة مع بعضها البعض. وفى بعض الحالات فإن هذا التكامل يمكن أن ينطوى على

الفصل بين الجنسين فى الحياة العامة. وعلى سبيل المثال، من الواضح فى الممارسة الشائعة إلى حد كبير للرجل والمرأة أسلوب الفصل بينهما فى أماكن العبادة وفى الاجتماعات وفى سائر التجمعات العامة. صحيح أن ليس هناك ما يلزم بالتأكيد بضرورة الحفاظ على حيز مختلف لكل منهما بل إن كثيرًا من المسلمين لا يراعون هذا الأمر إلا أن هناك من يؤكدون أن المرأة لها الحق كل الحق فى أن تحدد المكان الذى تتواجد فيه شأنها شأن الرجل بحيث تكون مرتاحة عندما تجلس أو تتفاعل مع سائر النساء. وبالنسبة لكثير من النساء فإن هذا الأمر لا يعوق بحال من الأحوال سبل مشاركتهن بالرأى فى المنتديات والمناقشات العامة. وقد علقت سيدة شاركت فى مؤتمر إقليمى عن المرأة عقد فى منطقة نيو إنجلاند(*) فى عام ١٩٩٧ فقالت: «لم يكن ذلك فصلاً إجباريا بين الجنسين وكل ما هنالك أننا كثيرًا ما نشعر بمزيد من الارتياح عندما تتاح لنا أن نسترخى بصحبة صديقاتنا دون أن نهتم بما عساه أن يحدث لو تلامست سيقاننا بسيقان الرجال الذين يجاوروننا فضلاً عن أننا نتمتع بفترة من الإحساس الرفاقى بل وقد ينطوى الأمر على مساحة ولو محدودة من الثرثرة بين الصديقات. إضافة إلى ذلك فإذا ما اعترضن على ما يقال فى الاجتماع يصبح بمقدورنا أن نمارس هذا الاعتراض ككتلة أو كجماعات صغيرة». على أن هناك الكثيرين من المسلمين من نساء ورجال ممن يؤيدون تكامل أدوار الجنسين ولكنهم لا يرون فائدة يعتد بها من الحيلولة دون حرية الاختلاط الحر بين الرجال والنساء فى معظم المجالات العامة بخلاف أماكن العبادة.

وغالبًا ما تحيل الأمريكيات المسلمات إلى نموذج «أمهات المؤمنين» وهن زوجات النبى بوصفهن القدوة فى مجال السلوك بل وفى مجال المشاركة المهنية. فالسيدة خديجة أولى زوجات النبى كانت تملك عملاً تجاريا ناجحًا يقوم على تجارة القوافل ولذلك فإن اسمها يرد كنموذج على أوائل المسلمات من «صاحبات الأعمال التجارية» ويقال كذلك إن عائشة، وهى أحب زوجاته، كانت بدورها أول سيدة تعمل بالسياسة وذلك بحكم دورها فى معارضة قيادة على (ابن أبى طالب) فضلاً عن دورها كمرجعية دينية وروحية جليلة حتى إنها تعد من أهم مصادر رواية

(*) شمال شرقى الولايات المتحدة «المترجم».

أحاديث النبى نفسه. وهكذا فإن المحاولات التى ترمى إلى دفع النساء بعيدًا لكى يلتزمن نطاق الحياة الخاص أو إلى إبعادهن عن المشاركة الفعالة سواء فى المجالات المهنية أو الجماهيرية وحرمانهن من شغل مواقع السلطة الدينية تقابل جميعًا بمعارضة نشطة بوصفها أمورًا تتنافى أدبيا مع مقاصد النبى نفسه ومع الطريقة التى كانت تؤدى بها جماعة السلف الصالح دورها. وفى هذا الصدد يحال إلى القرآن الذى يرى معاملة الرجال والنساء معاملة على قدم المساواة حيث يؤكد أن كلاً من الرجل والمرأة يتحمل المسئوليات الدينية نفسها فى حياته كما يؤكد على أن كليهما سوف يحاسَب بنفس المعايير يوم القيامة. ويشير المسلمون بعامة إلى أن هذه المساواة تمثل خطوة متقدمة بكثير عن الظروف التى كانت تعيشها المرأة قبل الإسلام مؤكدين على أن القرآن وثيقة منصفة بشكل مرموق بالمقارنة مع الكتب المقدسة للأديان الأخرى.

كما يدافع المسلمون بشكل عام عن الآيات القليلة التى وردت فى القرآن التى يعدها غير المسلمين (نصيرات المرأة فى الغرب بالذات كما نتصور) على أنها تشير إلى مركز أدنى للمرأة مطالبين بتدبُّر هذه الآيات ضمن سياقها.

لا ترث المرأة سوى نصف ما يرث الرجل كما أن شهادة امرأتين مطلوبة من أجل معادلة شهادة رجل واحد أمام المحكمة. وهذه التعاليم يتم تفسيرها على أنها أمور عملية فى ضوء مسئولية الرجل المسلم عن رعاية المرأة والقوامة عليها. وكثير من المسلمين من رجال ونساء يقولون بأن التكافؤ بين الجنسين ربما يكون مصطلحًا أفضل من المساواة عندما يقارنون ما يُتوقع من جانب الرجل وما ينتظر من جانب المرأة فضلاً عن أن عوامل التمييز بين دور كل منهما، وما ينجم عن ذلك من اختلافات فى بعض المسئوليات، كل هذا لا يعنى أن هناك من هو أفضل من الأخر أو من يتمتع بميزات أكثر من الآخر. على أن هناك بعض الأصوات الأكثر تقدمية يمكن سماعها حين يقول أصحابها إن بعض هذه المواضع من القرآن التى قد توحى بما يبدو على أنه وضع أدنى للمرأة لابد من إعادة تفسيرها فى ضوء السياقات الجديدة والأدوار المتطورة التى باتت المرأة تؤديها. أما الميزة الوحيدة للذكور التى لا يجادل فيها أحد بشكل عام فهى تولى موقع الإمامة أو

القيادة الدينية لتجمع تعبدى من المسلمين. وفى هذا السياق يرد باستمرار السبب الذى لا يزال يجد من يؤيده متمثلاً فى أن المرأة يعوق أداءها فترات المحيض مما يحول دون تطهرها ومن ثم عدم ملاءمتها لإمامة الصلاة ولا تشارك النساء عادة فى الأنشطة الدينية بما فى ذلك الصيام خلال شهر رمضان خلال فترات الدورة الشهرية(*).

وفى كل حال يزداد إصرار النساء والرجال باستمرار على أن النساء يؤدين دورًا ديناميكيا فى صياغة الإسلام الأمريكى. وحتى فى حالة النساء ربات الأسر فهن يشجعن على التماس الوسائل التى تكفل مشاركتهن فى هذه الأمور دون استغلال مبرر المسئوليات التى يتحملنها فى البيت وإن كان ذلك أمرًا لا سبيل إلى تجاهله لكنه لا يحول دون أن يضطلعن بأدوارهن على مستوى الجماعة بشكل عام. وفيما لا ينجم سوى القليل من الاختلاف على أن المرأة المسلمة يتاح لها أن تنخرط كلية فى سلك الحياة المهنية (معظم المسلمين الأمريكيين يعترفون بأن المرأة فى بعض الأقطار المسلمة مازالت محرومة من هذه الفرص) وهم يعربون عن أسفهم إزاء هذا الوضع. وتدور مناقشات واسعة النطاق بشأن نوعية المهن الملائمة للمرأة وبشأن مدى ما تتحمله أسرتها من تضحيات إذا ما اقتضى الأمر أن يتاح للمرأة أن تزاول عملاً على سبيل التفرغ. وتلاحظ كثير من المهاجرات أن من الصعوبة بمكان مزاولة العمل على سبيل التفرغ فى الولايات المتحدة لأنهن يفتقرن إلى عائلة ممتدة تساعد فى رعاية الأطفال. وعليه فلسن متحمسات لترك أطفالهن فى مراكز الرعاية النهارية مما يدفع كثيرًا منهن إلى خيار البقاء فى البيت مع الأطفال عندما يكونون صغارًا من أجل تهيئة بيئة أسرية ودعم أسرى يرونه أمرًا جوهريا فى السنوات التى يترعرع فيها الأبناء. فإذا سئلن عما إذا كنَّ على استعداد للانتفاع من خدمات الرعاية النهارية فى حال إدارتها من قِبَل مسلمين تجيب الكثيرات بنعم وتؤكدن على ضرورة «الإدارة بأسلوب إسلامي» بينما تعرب الأخريات عن شعورهن بأن وجودهن فى البيت مع أطفالهن الصغار أمر لازم.

(*) يلزم النظر إلى هذه السطور فى ضوء ما قامت به أستاذة أمريكية مسلمة من إمامة صلاة الجمعة فى نيويورك يوم ٢٠٠٥/٣/١٨ (يرجى أيضًا مراجعة السير الشخصية فى ختام الكتاب) «المترجم».

وهناك من النساء المهنيات من هن على استعداد للمخاطرة بأن يتم تجاوزهن في ميادين الخبرة التي تفوّقن فيها بل حتى للتعرض لخطر إعادة انخراطهن في سلك المهنة من جديد بدلاً من أن يتركن أطفالهن في رعاية أفراد لا ينتمون إلى الأسرة.

ومع ذلك تجادل نساء أخريات بقوة على أساس أن هذا الاستعداد من جانب بعض النساء للتضحية بمستقبلهن المهني لصالح أطفالهن هو نوع من التنازل إلى حيث الاكتفاء بالأدوار التقليدية التي من شأنها إبقاء المسلمين الأمريكيين بعيدًا عن المشاركة الكاملة في المجتمع. والإصرار هنا يتمثل في أن ما تدعو إليه الحاجة هو تنمية إمكانات التعاون بين صفوف المسلمين من أجل كفالة رعاية الطفل والاعتراف بأن البقاء والاستمرار في المجتمع الأمريكي أمر لا يعني التراجع بل يعني المشاركة الشجاعة. وثمة آراء مخالفة يطرحها أصحابها بقوة حيث تقول امرأة مصرية شابة: «يبدو بالنسبة لي أن بوسعنا أن نتعلم كثيرًا من الأمريكيات الأخريات اللائي حاولن أن يسرن في طريق التقدم المهني فكان أن اكتشفن أن لا سبيل إلى الاستمرار في هذا الطريق في ظل الاضطلاع بالمسئوليات الأسرية. إن معدلات الطلاق في ارتفاع مما يخلق مشاكل تصيب الأطفال وفي هذه الحالة فإن الطموح إلى نموذج هيكل أسرى بديل يكفله الإسلام الحق لا يلبث أن يتبدد ويذهب أدراج الرياح»[1].

ولا يكاد يختلف المسلمون الأمريكيون على أهمية كفالة التعليم المناسب للفتيات والنساء وكثيرًا ما يرددون أن أول كلمة أنزلها الله على نبيه محمد كانت «اقرأ» مما يوضح أن جميع المسلمين من ذكور أو إناث لابد وأن يتلقوا تعليمًا جيدًا قدر الإمكان. وثمة رأى يذهب إلى أن من مسئوليات المرأة الدينية أن تقبل التحدى الذى يدفعها إلى توسيع معارفها وأن الله سوف يحاسبها يوم القيامة لأنها لم تفد من جميع الفرص التي أتيحت لها كي تتعلم. وثمة رأى آخر بأنه لو لم تصر المرأة على تعليم نفسها فإن في ذلك ما يتيح استمرار الأعراف التمييزية بين الجنسين أو الأعراف القمعية التي تتنافى مع الإسلام. وينطوى هذا الرأى على الافتراض بأن الرجل لن يعمل على إصلاح أحوال المرأة بل إن الإصلاح لابد وأن ينبني على مبادرة من جانب المرأة نفسها. ويصر النساء والرجال على السواء على ضرورة تمكين المرأة من تعليم أبنائها بأسلوب ذكي وأن المرأة المتعلمة عنصر

ضرورى للدعوة إلى حض الآخرين على اتباع نهج الإسلام (يؤكد الكثيرون هذه القناعة ومفادها أن المرأة (المسلمة) هى أفضل من يبلغ رسالة الإسلام إلى المرأة غير المسلمة) مع ضرورة تمكين النساء من المشاركة الفعالة فى إجراءات الشورى التى تمثل نموذج الأسلوب الإسلامى فى تنظيم أحوال المجتمع. ومازالت الآراء محتدمة فى كثير من أرجاء العالم بشأن المواضيع التى يمكن أن تكون ملائمة لكى تدرسها المرأة، ولكن هذه الآراء لا تبدو وكأنها تحتل أولوية عليا بين صفوف المسلمين الأمريكيين.

ومن أكثر المواضيع مدعاة للجدل بين صفوف مجتمع المسلمين الأمريكيين مسألة الزى الملائم الذى ترتديه المرأة. ومن الواضح أن هذا موضوع تهتم به كثير من النساء اهتمامًا عميقًا بطريقة أو بأخرى، كما يزداد هذا الاهتمام فيما يتعلق بالقرار الذى يتوصلن إليه بعيدًا عن الخطاب السائد فى الحركة النسائية الغربية أو ما يتصل بالدوائر العلمانية. وثمة اتفاق بشأن نقطتين مهمتين فى هذا السياق: أولاً أن الحشمة فى اللباس أمر مناسب للرجال والنساء على نحو ما يوضحه القرآن ذاته. وتبقى القضية بالطبع هى ما الذى يمثل هذه الحشمة (القرآن، وعلى خلاف ما قد تظن بعض النساء المسلمات لا يحدد بالفعل وبدقة أجزاء الجسم التى ينبغى سترها)، ثانيًا أن خيار الثياب أمر يخص المرأة. ولا يمكن، أو على الأقل لا ينبغى، فرضه عليها من جانب أبيها أو زوجها أو أى قريب آخر من الذكور. وبالنسبة للمسلمين فى كثير من أرجاء العالم، وبخاصة مسلمى أمريكا، فإن ما يشار إليه على أنه «اللباس الإسلامي» لا يمثل بالضرورة اللباس التقليدى نفسه الذى قد ترتديه نساء من ثقافات أخرى. والذى يسمى بصورة مناسبة باسم الرداء المحافظ بدأ فى واقع الأمر فى الظهور بعد عام ١٩٦٧ وهو عام الحرب العربية الإسرائيلية التى كان النظر إليها بوصفها حدثًا مدمرًا لقضية المسلمين. لقد لاحظ المراقبون السياسيون أن الهزيمة حَملت كثيرًا من المسلمين على أن يتأملوا بعمق ما الذى يعنيه أن يعيش المرء حياة إسلامية لكى يضمن النصر والنجاح بهدى من الله. وهكذا بدأت كثير من النساء فى ارتداء الحجاب (غطاء الرأس) بعد ذلك الوقت آية على التزامهن بالإسلام وسرعان ما أصبح ذلك أحد مظاهر الصحوة الإسلامية التى شهدتها كثير من أرجاء العالم.

وتبقى القضية الرئيسية بالنسبة للمسلمين الأمريكيين وهى تتعلق بما إذا كان ينبغى لجميع النساء أن يتبعن فى لباسهن الأسلوب المحافظ أو الأسلوب الإسلامى حتى يدخلن فى عداد المسلمين الأتقياء، وما الذى يشكل فى الواقع وبالضبط شكل هذا اللباس. وكثيرًا ما يكون الأفرو - أمريكيين وبعض الأنجلو - متحولين هم الأكثر اتساقًا من حيث ارتداء الثياب التى تغطى كل شيء اللهم إلا اليدين والوجه فضلاً عن اتخاذ نوع من أنواع أغطية الرأس. وهناك قلة تختار إسبال النقاب الكامل على الوجه وما حقيقة ازدياد عدد من المحال ومتاجر الجملة التى تتخصص فى الزى الإسلامى، بما فى ذلك الأردية الطويلة (التى تسمى أحيانًا الجلباب) والأوشحة وأنواع أخرى من أغطية الرأس الأنيقة وحتى الأحذية التى تنسجم مع كل ذلك، إلا أن الأمر بات يمثل مصدرًا لارتياح كثير من النساء وإن كان يمثل قلقًا للأخريات فعندما تبدأ تجارة الملابس وكأنها تتجه أكثر نحو اتباع أحدث موضات الأزياء يشعر البعض بأن ذلك سبب يستحق الانشغال..

وتدور بين كثير من الدوائر الإسلامية مناقشات تتسم بحيوية شديدة بشأن دور الملبس الإسلامى فى نجاح المرأة فى موقع العمل أو افتقارها إلى تحقيق هذا النجاح. وتصر نساء كثيرات على أن ارتداء الملابس المحتشمة يجعلهن يشعرن بإمكانية الانخراط الكامل فى الحياة العامة وهن متأكدات بأن الناس سوف يحترمونهن كنساء يتحلين بالتقى والورع. وهناك من يصل إلى حد القول بأن الرداء الإسلامى ييسر على المرأة أن تتحرك بسهولة فى ميدانها المهنى. على أن كثيرين يطرحون التجربة المعاكسة تمامًا حيث تقول امرأة فلسطينية فى منتصف العمر: عندما كانت الترقية من حقى استدعانى رئيسى وقال لى بصراحة إنه فى ضوء جوانب العلاقات العامة التى ينطوى عليها المركز الجديد فلسوف يكون من الأفضل بكثير إذا لم ألبس ما كان يسمّيه باستمرار «تلك القبعة» وأجبته بأن «القبعة» لها أهميتها بالنسبة لى أكثر من الترقية ولم أفاجأ عندما لم أحصل على الترقية»[٢]، وهناك من يورد أمثلة صارخة أكثر عن التحيُّز حيث تسمى المرأة التى ترتدى الحجاب فى العمل باسم «القلنسوة» بل و «الممسحة». وإذا ما كان لمثل هذه الحوادث أن تجعل بعض المهنيات من المسلمات يتوقفن عن التقدم، إلا أن تلك الحوادث ذاتها بدت وكأنها تدفعهن إلى مزيد من النشاط بل وإلى مزيد من

الإصرار على ما يرتدينه من ملابس. ومن الواضح أن القضية الرئيسية التى تتعلق باللباس لا تتصل من قريب أو بعيد بالأكمام الطويلة أو بتغطية السيقان بصورة أو بأخرى بل إنها تتركز على غطاء الرأس الذى يضمن عدم ظهور الشعر. وقد كان الشعر يعد تقليديا أكبر عوامل جاذبية المرأة بحيث لا يجوز الكشف عنه سوى لزوجها أو لمحارمها الأقربين.

ومن الواضح أن كثيرًا من هذه المناقشات تؤيد حق المرأة فى حرية الخيار بالنسبة لأمور اللباس، برغم أن كثيرات يشعرن أن الاختيار يتعلق بـ «متى» قبل أن يتصل بـ «ما» إذا كانت سترتدى الحجاب. وتسوق سيدة مسلمة أفرو - أمريكية أمثلة عن معارفها من المسلمات ممن لم يرتدين الزى الإسلامى ثم صادفن أزواج المستقبل فى النوادى الاجتماعية بل وفى حانات وهى أماكن لم تكن هى نفسها تتردد عليها على الإطلاق وهى تنعى ذلك قائلة «فى الوقت نفسه فإن نساء مثلى ممن يعبرن عن إسلامنا فى الثياب التى نرتديها ربما يشكلن تحديًا للرجال الذين لا يتصورون أنهم لن يرقوا إلى ذلك المستوى وعليه فمازلت بغير زواج»[٣]، أما الأخريات فيصررن على أن الأزواج اختاروهن لأن ثيابهن بدت وكأنها تعكس التزامًا أصيلاً بالدين. وبطبيعة الحال فإن كثيرًا من المسلمات فى أمريكا يرفضن تمامًا الفكرة التى تقول بضرورة أن يرتدين ثيابًا بأكمام طويلة فضلاً عن استخدام وشاح أو حجاب. ومع التسليم بأن ارتداء ثياب كاشفة، على نحو ما تفعل بعض النساء الغربيات، أمر غير مناسب إلا أنهن يؤكدن أن الحشمة هى مسألة ترجع إلى تقدير الفرد. وأن آية المرأة المسلمة بحق ينبغى أن تتمثل فى سلوكها وليس فى مظهرها. وثمة امرأة مصرية عاشت فى أمريكا على مدار عدة عقود وقد أعربت عن شعور عدد من المسلمات الأمريكيات إزاء ارتداء الحجاب فتقول: «فى البيت لم يحدث أن ارتدت أى سيدة فى عائلتى حجابًا أو غطاءً للرأس منذ الجزء الأول من القرن العشرين. وأنا أجد أن من الأمور المؤلمة إيلامًا شديدًا أن آتى إلى هذا البلد فأخضع لضغوط شديدة لكى أتبع شكلاً معينًا من أشكال اللباس فى حين أدرك أنه قد اقتضى الأمر قدرًا كبيرًا من شجاعة رائدات الحركة النسائية المسلمة لكى يتخلصن منه منذ سنوات طويلة خلت»[٤]، ويمثل دور المرأة فى المساجد قضية أخرى حازت اهتمامًا واسع النطاق من جانب الأمريكيين المسلمين. وبغير شك ظلت المرأة تشارك بعمق فى الأنشطة المتصلة بتنظيم وإنشاء المساجد على مدى

العشرات من السنين. وثمة قوائم تذكر أسماء النساء إلى جانب الرجال كمؤسسين لبعض المنشآت التى تم تشييدها فى مراحل مبكرة. وكثيرًا ما لعبت النساء أدوارًا فعالة فى مجالات التنظيم. ولا عجب أن شاركن فى الجانب الاجتماعى من أنشطة المساجد، ومن ذلك مثلاً تنظيم مآدب العشاء ومبيعات المخابز وغير ذلك من المناسبات التى كانت تقصد إلى جمع الصفوف على صعيد واحد. ومع ذلك ففى وسط مجتمع المهاجرين نجد أن الأدوار التى اضطلعت بها النساء من الناحية المؤسسية ما برح يعوق نموها إلى حد كبير التوقعات الثقافية النابعة عن البلد الذى جاءت منه المرأة أو جاءت منه أسرتها فى الأصل. والمسلمون الذين يتجهون بقوة نحو مراعاة تقاليد بلد منشئهم قد يجدون أن من الصعب اتباع نهج المرونة فى فهمهم الأدوار القيادية للرجال والنساء داخل المسجد. وفضلاً عن ذلك فبعض المجتمعات المسجدية التى ظلت تعمل منذ مطالع القرن العشرين وشارك فى أنشطتها كثير من النساء بفاعلية ملحوظة اكتشفت أن تلك الفرص تعرضت للتحجيم بدرجة ما مع وصول المهاجرين والقادة الجدد من تلك البلدان التى لا يتاح فيها سوى فرص أقل أمام النساء فى الحياة العامة. كما شهدت حالات أخرى تلك الأدوار الفعّالة والجلية الوضوح التى قامت بها المرأة ثم واكبتها حركة على صعيد بعض المساجد نحو المزيد من المجتمعات المتنوعة والمزيد من المشاركة فى شتى أنشطة الاتصال ومن ثم يمكن أن تخدم المرأة كرئيس لمثل هذه التجمعات بين حين وآخر ولكن دون أن يكون ذلك هو النمط الغالب.

وهناك من المسلمين من لا يزالون يشغلون أنفسهم بقضية ما إذا كان للمرأة أن تشهد المسجد أصلاً. وكما رأينا، فبينما كان النبى محمد يشجع بالفعل على المشاركة الكاملة للنساء فى الحياة العبادية لجماعته الفتية، فسرعان ما أتى حين من الدهر بعد ذلك حالوا فيه بين المرأة وبين الحياة العامة. وهكذا أصبح المسجد، إذ كان محور التعبير العام عن العقيدة، مكانًا مقصورًا على الرجال فى معظم المواقع. أما النساء فعلى فرض أدائهن أصلاً للصلوات فقد حكم عليهن بأن يؤدينها أساسًا فى البيت. وفى كثير من بقاع العالم اليوم، يتعرض هذا النموذج حاليًا لمعارضة شديدة. وبالتأكيد هذا هو الحال فى الولايات المتحدة حيث يتزايد اتخاذ المسجد والمركز الإسلامى محورًا لنشاط العائلة بأسرها.

ويتعامل المسلمون مع قضية الزى الملائم والموقع الذى يؤدون فيه الصلوات باتباع أساليب شتى طبقًا لنوعية الجمهور ومقاصد المسجد وتوجهات قيادته. وبصورة عامة فإن نساء المهاجرين يرتدين ملابسهن بصورة محافظة عندما يشاركن فى أنشطة المساجد حيث الاهتمام بالذات بتغطية الشعر وكذلك ستر الذراعين والساقين. ولكثير من المساجد المشيَّدة حديثًا مداخل منفصلة للنساء، أما مكان جلوسهن خلال الصلوات فأمر يتصل بالتقاليد وباتجاه الإمام أو غيره من القائمين على أمر المسجد وكذلك بمرفق العبادة ذاته، فقد لا توفر الأبنية التى تحولت إلى مساجد إمكانية تخصيص مساحة منفصلة للنساء خلال أداء الصلاة. وثمة عدد من النماذج المختلفة تستخدم حاليًا فى المساجد الأمريكية برغم أن القاعدة العامة هى ألا يجلس الرجال والنساء معًا فى تجمعات مختلطة من أجل أداء شعائر العبادة. وأيا كان المبرر فإن السبب الأساسى هو الطابع الجسمانى المحدد لعمليات السجود فى الصلاة حيث تلمس الجبهة الأرض، بينما ترتفع بقية الجسم مما يفرض فصل الرجال عن النساء تجنبًا لتشتيت التركيز خلال الوقوف بين يدى الله.

وفى بعض المساجد «الليبرالية» قد يتواجد النساء فى جانب من صحن الصلاة فيما تتواجد النساء فى الجانب الآخر على مبعدة من مقدمة المكان وربما يفصل بين الجانبين حاجز منخفض. ويمكن أيضًا، استنادًا لما هو مفهوم من أن الرسول مارسه فى مجتمع المدينة، أن يتعبد الرجال فى مقدمة صحن الصلاة وأن تصلى النساء فى الصفوف الخلفية. وفى عدد من المساجد، ولاسيما تلك التى تم تشييدها فى الآونة الأخيرة مع اتباع الخصائص التقليدية، تتحرك النساء من خلال مدخلهن الخاص وينتقلن مباشرة إلى مرافق الوضوء ومن ثم إلى شرفات فى الطابق الثانى حيث يتجمعن ومعهن أطفالهن. وبصفة عامة يوجد سياج من نوع ما يستطعن الإطلال من فوقه فيتمكنّ من رؤية الإمام والرجال المجتمعين فى الطابق الأسفل. أما فى المساجد الأكثر محافظة فيمكن أن تتواجد النساء فى قاعة منفصلة تمامًا دون أن تتاح أى إمكانية للنظر إلى القاعة الرئيسية للصلاة وفى تلك الأماكن غالبًا ما يتم نقل شعائر الصلاة عن طريق دائرة تليفزيونية مغلقة أو عبر مكبر للصوت بحيث يتسنى للنساء متابعة الصلاة والإصغاء إليها والمشاركة فيها.

ما هى أنسب النماذج لأداء العبادات فى أمريكا؟ هذا سؤال ما برح مطروحًا

قيد النقاش، ومن المؤكد أن هذا النقاش سيواكبه محاولات للتجديد والتحسين. وفيما يمكن لبعض النساء المسلمات أن يعترضن إذا ما تم فصلهن تمامًا عن الرجال، ومن ثم لا يتمكن من رؤية الإمام خلال أداء الشعائر، فإن القليلات هن اللاتى سيطرحن الدعوة لاتباع ذلك النوع من الاختلاط الكامل المتبع بعامة خلال أداء الشعائر المسيحية.

الزواج والطلاق

يتسم الزواج بأهمية كبيرة فى الإسلام لدرجة أن المجتمعات التقليدية لم تكن تفسح مكانًا للرجل الأعزب أو المرأة غير المتزوجة. وتولى الأسر الإسلامية أهمية كبيرة لإعداد بناتها من أجل الزواج. ورغم أن الأهمية تتغير بطبيعة الظروف إلى حد ما فى الغرب إلا أن الاهتمام بالزواج والعائلة يظل فائقًا فى كل حال.

وبحكم نصوص الشريعة الإسلامية يجوز للرجال المسلمين أن يتزوجوا يهوديات أو مسيحيات على أساس أن رب الأسرة الذكر هو الذى يحدد الديانة التى سيتم على أساسها تنشئة الأبناء. لكن المرأة المسلمة من الناحية الأخرى لا يسمح لها بحكم الشريعة والعُرف بأن تتزوج أى فرد إلا أن يكون مسلمًا برغم أن القرآن لا يحدد هذا الأمر بهذه الطريقة. وهذه الحرية فى الاختيار التى تتاح للرجل دون أن تتاح للمرأة كانت سببًا فى بعض المشاكل التى شهدتها الثقافة الأمريكية حيث المسلمون مازالوا أقلية إلى حد كبير. وعندما يختار الشباب أن يتزوجوا خارج نطاق ديانتهم فإن النساء يجدن أحيانًا أن اختيارهن لشريك فى الزواج أمر تحده عوائق خطيرة. وفى بعض الأحيان كان يتعين على عائلات الفتيات المسلمات المؤهلات للزواج أن تلتمس الأزواج المناسبين فى أوطانهم الأصلية.

وبرغم أنه ليس من الغريب فى أمريكا أن يتزوج مسلم امرأة غير مسلمة فإن الضغوط مازالت قوية بالنسبة للرجال والنساء من أجل اختيار شريك من صفوف المجتمع المسلم. أما قناعة كثير من العائلات التى لا تريد لبناتها الدخول فى علاقات عاطفية فلا تنبع فقط من الرغبة فى حماية الفتاة ولكن من الخشية من أن هذه العلاقات العاطفية من شأنها أن تفضى بالحتم إلى المزيد من حالات الزواج من ديانات أخرى. وفى كثير من الأحيان فإن اشتداد الرغبة التى تدفع الشباب إلى

الزواج من صفوف الجماعة الاثنية أو الثقافية المعينة التى ينتمون إليها تؤدى إلى مزيد من تعقيد مسألة الزواج. وعلى سبيل المثال يشعر بعض الأنجلو - أمريكيين الذين تحولوا إلى الإسلام بالإحباط فى محاولاتهم الزواج من مهاجرات مسلمات لأن عائلاتهن لن تسمح بذلك. وبصفة عامة ينزع الأفرو - أمريكيين والإسبانيو الأصل وغيرهم من جماعات الأقليّات الاثنية المسلمة إلى أن يتزوجوا من بين صفوف الجماعات التى ينتمون إليها. وليس من الغريب على امرأة غير مسلمة تكون قد تزوجت فردًا من عائلة مسلمة أن تشعر بقدر من الضغوط التى تمارس من أجل تحويلها إلى الإسلام برغم أن هذا أمر ليس ضروريا من الناحية الشرعية. بعض النساء فى هذه الحالة يتحولن إلى الإسلام أملاً فى التواصل بصورة أيسر مع أسرة الزوج. أو قد يكون لديها من الأسباب الشخصية ما يحملها على أن تختار أن تصبح مسلمة. ومع ذلك فالمشاكل لا يستهان بها أيا كان السبيل الذى تختاره زوجة شابة وهى تسهم فى إثارة المشاعر سواء من جانب المسلمين أو غير المسلمين ومفادها أن حالات الزواج المشتركة بين دين وآخر ربما يفيد تجنبها قدر الإمكان وأنه ينبغى الدخول فى غمارها بأقصى قدر من الحذر وتدبر العواقب.

على أن الأسر المسلمة تظل مشغولة بأحوال شبابها، ولاسيما الفتيات، وذلك فى حالة زواجهم خارج إطار الديانة. وبنفس المعيار فالآباء من غير المسلمين كثيرًا ما يشعرون بالجزع عندما يعلن أبناؤهم عن عزمهم الزواج من مسلم أو مسلمة. وقد كتبت كارول أنوى عن تجاربها الخاصة لمساعدة الآباء الآخرين فى التعامل مع مواقف من هذا القبيل حيث تسجل المعاناة التى شعرت بها فى البداية عندما أفضى زواج ابنتها من غير دينها إلى أن اعتنقت ابنتها الإسلام.

- «ماما، أنا احتاج إلى أن أتكلم معك»

استدرت وتوجهت صوب المطبخ. كانت الدموع تغرق عيونى. لا، لن أتكلم معها. لست قادرة على تحمل ما تصورت أنها ستقوله. «ليس الآن» هكذا أجبتها دون أن انظر نحوها.

- «لا أريد أن أسمع ما تقولين».

- «لابد أن تسمعينى يا أمى أرجوك،» أخيرًا استسلمت وجلسنا معًا.

- «أمى لقد تحولت إلى الإسلام...»(٥)

ومن الآباء من يشعرون بقلق لأن من شأن زوج مسلم للابنة أن يريد بعد الزواج العودة إلى بلده الأصلى حيث يمكن أن تكون الظروف أصعب بكثير بالنسبة لزوجته غير المسلمة. ولا سبيل إلى التهوين من مخاوفهم هذه لدى مشاهدة أعمال من قبيل فيلم «ليس دون ابنتي» وهو من بطولة سالى فيلدز، ويدور حول رجل مسلم من إيران يقوم حرفيا باختطاف ابنته منها ويعيدها إلى أسرته بعيدًا عن أمها الحقيقية. مثل هذه القصص، وقد تكون حقيقية للأسف فى بعض الأحيان، كثيرًا ما يهوِّل من وقعها تصادم القيم التى تنطوى عليها حيث تسبب ألمًا بالغًا للمسلمين الأمريكيين الذين يجدون فى مثل هذه الأحداث أمورًا باعثة على قلق عميق وهى ليست إسلامية على وجه التأكيد.

ومن الطبيعى أن حالات الزواج بين رجال مسلمين ونساءٍ مسيحيات كثيرًا ما تصادف في واقع الأمر مشاكل خطيرة برغم النوايا الحسنة التى ينطلق منها الطرفان وأحيانًا حتى برغم ما قد يلقونه من مؤازرة من جانب عائلاتهم. ومن أصعب الحقائق ما يتمثل فى أن الزواج ضمن السياق الأمريكى عادة ما يعنى اتحادًا بين فردين حيث إن العائلات لا تتلاقى معًا إلا مصادفة وأحيانًا بصورة غير مضمونة فى المناسبات الأسرية. ومع ذلك فبالنسبة للمسلمين لا يزال الزواج ينظر إليه على أنه اتحاد بين أسرتين حيث الوالدان أو سائر الأقارب يقومون باتخاذ جميع الترتيبات على نحوٍ ما جرى عليه العرف. وبرغم أن حالات الزواج هذه التى تسمى بالزواج المرتب أصبحت أقل شيوعًا الآن فى كثير من المناطق الحضرية من البلدان الإسلامية فإن كثيرًا من الأسر المهاجرة تأتى وفى جعبتها توقعات من شأنها إعاقة رابطة الزواج في المشهد الأمريكى بين المسلمين وغير المسلمين. ولا يزال التقاء الأسرتين، بدلاً من بساطة التقاء الفردين، هو الفهم السائد الذى يتم التكيف معه ولكن دون استبعاده تمامًا فى أمريكا.

ويحرص المستشارون المسلمون العاملون فى حرم الكليات وفى المراكز الإسلامية لإسداء مشورة بشأن الزواج بعامة، وكذلك بشأن حالات الزواج من دين آخر على تحذير شركاء المستقبل مما قد يصادفونه من مشاكل على الطريق. وثمة قناعة ماثلة فى أذهان كثير من الشباب المسلم بأنهم يريدون زواجًا يقوم على أساس

مساواة الشريكين اللذين يتقاسمان المسئولية عن البيت والأسرة ويساهمان معًا من الناحية المالية فى ميزانية هذه الأسرة وهم فى هذه الحالة يبدأون فى الشعور بالضغط من جانب المهاجرين المسلمين الآخرين سواء فى المسجد أو فى المجتمع المحيط بهم ممن لا يوافقون على هذه المعايير الأمريكية «الليبرالية» المعاصرة. أو قد يعود هؤلاء الرجال إلى الوطن فى زيارة مطولة أيا كان موقع هذا الوطن، ودون إدراك ما يجرى، يجدون أنفسهم وقد ارتدوا إلى الأساليب التى كانت متبعة فى الماضى. ورغم أن هذه الأمثلة ليست حتمية إلا أنها تحدث بتواتر يكفى للتحذير مما قد تنطوى عليه من عواقب خطيرة. وقد بُذلت محاولات لإنشاء شبكة من رجال الدين المسلمين على المستوى القومى ممن يمكنهم إسداء المشورة لشركاء الزواج من دين آخر عندما تنشأ المشاكل كما ظل بعض القساوسة المسيحيين يعملون مع القادة المسلمين لاستجلاء إمكانية التعاون فى هذه المشاورات.

على أن العلاقات التقليدية بين الرجال والنساء فى إطار هيكل العائلة مازالت محل اهتمام عميق للغاية فى أمريكا ومن الآيات القرآنية التى ما برحت موضع نقاش واسع النطاق ما ورد فى سورة النساء، الآية ٣٤ التى تقول: «الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ [لإعالة النساء] فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللّهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ»

وكما توضح الآية فقد درج الأمر على أن يظل الرجال المسلمون مسئولين ماليًا عن النساء. وعليه فإما أن يكون الزوج أو فرد آخر من أقارب المرأة الذكور هو المسئول عن تلبية احتياجاتها، فهذه العادة، على الأقل من الناحية النظرية، تؤكد أن المرأة سوف تجد دائمًا من يرعاها. والمسلمون حريصون على تأكيد أن الحقيقة الأمريكية التى تفيد بأن كثيرًا من النساء العزباوات والأمهات غير المتزوجات يعشن تحت مستوى الفقر إذ لا يجدن رجالاً يقومون بإعالتهن أمر ليس بالمتصوَّر فى ظل نظام إسلامى حقيقى. وبيت القصيد هنا أن هذه المسئولية المالية تعنى أن يظل اتخاذ القرار النهائى فى يد الرجل. وكثير من النساء المسلمات اللائى يولين هذه المسألة فكرًا عميقًا حتى فى السياق الأمريكى يرين أن هذا ثمن ضئيل يدفعنه لقاء الشعور بهذا الأمن. وقد سئلت مصرية شابة من جانب صديقة أمريكية: ألا

يضايقك حقيقة أن تتصورى أن زوجك فى المستقبل سوف تكون له الكلمة الأخيرة؟» فأجابت الفتاة المسلمة قائلة: «أجل هذا أمر يدعو للإحباط ولكننى أظن بأمانة أنك لو لم تبالغى فى جعلها مشكلة، فإن هذا هو النظام الوحيد الذى يصلح فى نهاية المطاف». بيد أن كثيرًا من المسلمين المعاصرين، ولاسيما الذين تربوا أو تعلموا ضمن السياق الأمريكى بدأوا يجادلون فى مسألة السلطة النهائية «وعلى المسلمين أن يبادروا ببساطة إلى طرح أنماط جديدة من التفاسير التى تحترم ما يقصد إليه النص القرآنى ولكنها تتيح هذا النوع من الأخذ والرد الذى تصر عليه المرأة الغربية بشكل عام. والواقع أنه فى معظم زيجات المسلمين اليوم، وأيا كانت الشعارات المرفوعة بشأن سلطة الرجل، فإن المرأة تعرف بالضبط كيف تمارس السلطة وهو أمر ظلت تدركه باستمرار»[٦].

لكن ينبغى القول بأنه برغم ما يبدو من أن «الضرب» أمر مسموح به فى الجزء الأخير من هذه الآية القرآنية، فليس هناك من المفسرين المسلمين الثقات من يشير إلى أنه ينطوى على أى شيء أكثر من نقرات خفيفة للغاية، نقرات تقصد إلى تذكير الزوجة بمسئولياتها الزواجية. ولا سبيل على الإطلاق إلى الاحتجاج بذلك على أنه يرى فى ضرب الزوجة أمرًا مشروعًا برغم أن الرجال المسلمين، شأنهم فى ذلك شأن المسيحيين وغيرهم من الرجال، لجأوا إلى تلك الأفعال فى بعض الأحيان. بيد أن العنف المنزلى لم يلق سوى مناقشة محدودة للغاية ضمن صفوف المجتمع الإسلامى الأمريكى اللهم إلا فى الآونة الأخيرة. والآن يسود اعتراف أكثر علانية بأن العنف المنزلى فى نطاق العائلات المسلمة يزداد برغم أن المسلمين يعترفون بأنهم أقل اقترافا له بالمقارنة مع جيرانهم من غير المسلمين. وتشجع المقالات المنشورة فى الصحف الإسلامية قراءها على مواجهة حقيقة تصاعد هذا العنف وعلى أن يتفهموا عوامل التوتر التى تسهم فى الإقدام عليه وأن يعملوا على تجنبه. وفى هذا السياق يكتب صحفى مناشدًا أن يهتم المسلمون بهذه المشكلة الناشئة فيقول «الشخصية الإسلامية القوية التى تدين الغضب وتؤكد على التسامح والتعاطف هى وحدها التى يمكنها أن تقلل هذا الاتجاه نحو العنف»[٧].

أما الأمريكيون من غير المسلمين فكان يصعب عليهم دائمًا تبرير ما يرونه بمثابة إباحة إسلامية لتعدد الزيجات أو من الناحية الأكثر فنية تعدد الزوجة (أى

زواج أكثر من واحدة). أما المسلمون فيعملون جاهدين على التفسير بأن القــرآن، وإن يقضي بالفعل بأن للرجل في ظل ظروف معينة أن يتزوج ما يصل إلى أربــع زوجات إلا أنه ينص على ضرورة أن يعدل الزوج بين زوجاته جميعًا. وكثير من المفسرين المُحدَثين للقرآن فسر هذا الشرط على أن الله لا يريــد فــي الحقيقــة أن يتزوج الرجل أكثر من واحدة وإلا ما كان ليفرض هذا الشرط الصعب فــي حالــة تعدد الزوجات. ويشير آخرون إلى أنه وقت نزول الوحي القرآني كانــت النســاء يفقدن أزواجهن في المعارك والغزوات الكثيرة التي كانت تشهدها الأمــة المســلمة الناشئة حين ذاك. وعليه ففي رأيهم أن حكم اتخاذ الزوجات الأربع جاء من منطلق الإحسان إلى هؤلاء النساء اللائي فقدن أزواجهن. وفي أي حال، فــإن قلــة مــن الرجال المسلمين في أي مكان في العالم هي التي تستطيع من الناحية المالية زواج أكثر من امرأة واحدة في وقت واحد برغم أن وجود زوجة إضــافية فــي بعــض البلدان الأشد فقرًا يفيد في واقع الأمر في تخفيف العبء المالي عندما يضيف إلــى الدخل المكسوب خارج المنزل. وبعض المسلمات الأمريكيات، وهو أمــر يصــدق أيضًا على نظيراتهن المتعلمات في أقطار أخرى، يفهمن أن من حقهن النص فــي عقد الزواج على ألا يتزوج الزوج من امرأة أخرى. وعلى مدار القرون، فإن تعدد الزوجات خلق في غالب الأحيان ظروفًا صعبة للزوجة الأولى بل إن تهديد الزوج باتخاذ زوجة أخرى كان بمثابة أداة فعالة لفرض السيطرة الذكورية.

والحاصل أن حالات تعدد الزوجات لا تمثل بصورة عامة مشكلة في أمريكا لسبب بسيط هو أنها محظورة بحكم القانون برغم أنها ليست بالمجهولة أيضًا. ومع ذلك فإن المسألة ليست غير ذات صلة في هذا السياق الغربــي. وبعــض النســاء مازلن يعربن عن الخشية بأن يجدن أنفسهن زوجة ضمن عدة زوجات. وفي هــذا الصدد تكتب زوجة قلقة في عمود طلب المشورة قائلــة: «عزيــزي [المستشــار الإسلامي] لقد أسرّ زوجي إلى أنه يريد اتخاذ زوجة ثانية... وأنه يريدنا أن نساعد أرملة وأبناءها من خلال زواجه منها». وهكذا فإن الكاتبة تعتــرف بأنهــا تشــعر بالذنب إذ يراودها الأسف على حال المرأة الأخرى ولكنها لا تريدها أن تشــاركها زوجها، ومن ثم فهي تسأل عما تفعله في هذا الصدد ويجيبها المستشار قــائلاً: لأن تعدد الزوجات غير مشروع في الولايات المتحدة فلن يستطيع زوجها اتخاذ زوجــة ثانية، أما اهتمام الزوج بمصلحة المطلقة أو الأرملة فلابد من موازنتــه باهتمامــه

بالسلامة النفسية لزوجته[٨]، وأحيانًا ما يرّد المسلمون على سخرية الغرب من تعدد الزوجات فيوجهون الاتهام بأن عددًا أكبر من الأمريكيين لهم زوجات متعددات أكثر من المسلمين ويقولون إن الفرق هنا هو أن الأمريكيين يتخذون زوجاتهم في إطار من التسلسل حيث يبدأون بالطلاق ثم إعادة الزواج بدلاً من أن يفعلوا ذلك مرة واحدة.

هذا ويمكن تجنب المشاكل التي قد تثور ويواجهها الرجال والنساء في إطار الزواج على نحو ما يقول المستشارون والناصحون للشباب المسلم إذا ما أولوا الاهتمام الملائم لمسألة اختيار الشريك المناسب في رابطة الزواج. وتعمل المنظمات الإسلامية القائمة سواء على الصعيد المحلي أو القومي بصورة أو بأخرى على أداء وظيفة «الخاطبة» أو بوصفها نوعًا من الأسرة الممتدة التي تساعد الأفراد على إيجاد شريك الزواج الملائم. وكثير من الجرائد الإسلامية وغيرها من وسائل الميديا الإعلامية المسلمة بما في ذلك شبكة الإنترنت تضم أبوابًا منشورة خاصة بالزواج. وفيها يورد الرجال والنساء وصفًا لأنفسهم وشمائلهم واهتماماتهم معربين عن أملهم في العثور على أليف مناسب. «ويحتفظ معظم المسلمين الذين يتاح لهم استخدام شبكة الإنترنت بصداقات مع طلاب ما كان بوسعهم أن يلتقوا بهم بغير هذه الطريقة على الإطلاق. ولقد سمعت عدة قصص عن اجتماعات تتم بين الشباب المسلم وعلاقات عاطفية وعن قرارات للزواج وكلها تمت من خلال اتصالات البريد الإلكتروني وربما يمثل ذلك نهاية المطاف في التفاعل المناسب من الناحية الإسلامية»[٩]، وعادة ما يتصدر قائمة المؤهلات المرغوب بها العزم على أن يحيا المرء حياة إسلامية طيبة وجديرة بالاحترام.

وفي ظل سيناريو نمطي من هذا القبيل يمكن لرجل أو امرأة أن يرد على إعلان منشور في جريدة أو في أي مصدر آخر مماثل وقبل اللقاء يتبادلان المزيد من المعلومات المفصلة وبعدها ينخرطان في عملية تدقيق المصادر التي تعرّف بكل منهما وعندما يتم لقاؤهما بالفعل فقد يكون ذلك في ظل وجود الأصدقاء أو الأسرة بدلاً من أن يتم وهما منفردان. فإذا ما اتفق الطرفان، وغالبًا إذا ما شعرت العائلتان المعنيتان بأن الأمر مبشر بالخير تبدأ على الفور علاقة الخطوبة.

ويرى بعض المسلمين أن المرأة التى ترغب فى الزواج ينبغى أن تسمّى أحد أفراد عائلتها ليكون وكيلها أو وليّها فى إتمام مفاوضات ما قبل الزواج. وينبغى لها ولوكيلها التدقيق بأعمق صورة ممكنة فى المعلومات الأساسية عن المسلم الذى سوف ترتبط بخطبته فى ضوء الفهم أن أهم عنصر من عناصر الزواج الناجح هو المشاركة فى المعتقدات والالتزامات الدينية. ويمكن طرح الأسئلة المناسبة عن العريس المرتقب إما بصورة شخصية من جانب الوكيل أو كتابةً. فإذا ما جرى التأكد من تقوى العريس يتحول الأمر إلى البحث فى حياته الشخصية بما فى ذلك موارده المالية التى تكفل له إعالة زوجة ومدى استعداده لإنجاب أطفال. فى ضوء هذه التحوُطات يعتقد الكثيرون أن الغرض هنا هو التأكد من ألا ينتهى الزواج بالطلاق على نحو ما يبدو حادثًا فى الغالب فى أمريكا. وحتى فى هذه الحالة يحذر بعض الاستشاريين من أن كل هذا قد لا يكون كافيًا لضمان زواج ناجح. وفى هذا الصدد يقول أحد الصحفيين «ليس حرامًا أن تدقق الأخوات بأنفسهن فى الخلفية التى جاء منها الإخوة. وفى صدر قائمة الأمور التى تحتاج أخت أن تعرفها طرح السؤال: «هل يستطيع إعالتك؟»[١٠]، وهو يؤكد لقارئيه أن ليس هناك زواج كامل ولكن يمكن للمرء أن يعيش أفضل زواج ممكن إذا ما توخى القدر المناسب من الدقة والحرص.

وتتزايد أعداد الأزواج المسلمين الذين ينصُّون على شروط الزواج والطلاق فى اتفاقات مفصلة تُبرم فى مرحلة ما قبل الزواج. والزواج هو ترتيب قانونى فى الإسلام وليس أمرًا مقدسًا بالمعنى المسيحى ومن ثم يجرى تأمينه من خلال عقد مكتوب. وبينما يعارض بعض المسلمين الأكثر محافظة النص على بنود اتفاقات ما قبل الزواج، يرد آخرون أنه من خلال مواجهة المشاكل المحتملة قبل أن تنشأ فإن ذلك يزود الزوجين بمزيد من القدرة على التصدى لمشاكل الزواج فى الحياة اليومية. وهذه الاتفاقات المسبقة ينظر إليها البعض على أنها تتسم بأهمية خاصة عندما يأتى الزوجان من بلدين مختلفين ومن نشأتين مختلفتين من الناحية الاجتماعية ومن شأنها أن تفيد كثيرًا فى استباق المشاكل التى يمكن أن تنجم وتفضى بسهولة شديدة إلى الطلاق.

كذلك يولى المسلمون الأمريكيون مزيدًا من الاهتمام لمسألة الطلاق. وما

أسرع ما يلاحظون أنه فيما يتهم المسلمون بفرية «الطلاق السهل» فإن الإحصاءات بين صفوف المسلمين فى طول العالم وعرضه إنما توضح فى حقيقة الأمر معدلاً أقل بكثير من نظيره بين صفوف المسيحيين الغربيين. ومع ذلك فحقيقة أن كثيرًا من الرجال فى تاريخ الإسلام قد تخلّصوا من زيجات غير مرغوب بها بمجرد التفوه بما يسمونه بأنه الطلاق ثلاثًا أو الطلاق البائن، كانت بغير جدال لعنة أصابت كثيرًا من النساء. وفيما يظل الطلاق ممارسة هي من أبغض الحلال إلا أنه يظل بإمكان الزوج أن يرمى ببساطة يمين الطلاق ثلاثًا «أنت طالق، أنت طالق، أنت طالق». وطبقًا للشريعة الإسلامية فإن الممارسات لا تقتصر على كونها مطلوبة أو ممنوعة ولكنها تندرج ضمن فئات المباح وغير المباح و المكروه. أما «الطلاق بالثلاثة» وإن كان شائعًا من الناحية التاريخية إلا أنه مكروه بمعنى أنه لا يكاد يكون مقبولاً. ويسارع المسلمون الأمريكيون إلى إيضاح أن النبى محمدًا كان يعد الطلاق فى أى حالة من حالاته أبغض الحلال وينبغى تجنبه بأى ثمن كان. فإذا ما تعيَّن على المرء فى نهاية المطاف أن يطلق ينبغى أن تتم العملية على مدار فترة ثلاثة أشهر طبقًا لأحكام الشرع الإسلامى الأكثر قبولاً وهذا يكفل ألا تكون المرأة حاملاً بينما يعطى الرجل فرصة لإعادة النظر فى قراره ويكفل تجنب إمكانية فصم عرى الزواج فى سورة من غضب.

أما السؤال الذى يطرح فى كثير من الأحيان فيتعلق بما إذا كان الزوج هو الذى يبدأ الطلاق أو إذا كانت الزوجة التى لديها من الأسباب ما يجعلها لا تستطيع مواصلة الحياة مع زوجها فتبدأ هى إجراءات الطلاق. وفيما يبدو النظام وكأنه يحابى الرجل الذى يستطيع الطلاق عندما يريد برغم أن ذلك لا يخلو من قيود، إلا أن للمرأة بالفعل أن تلجأ إلى إنهاء رابطة الزواج إذا ما طرحت سببًا وجيهًا لذلك. على أن المشكلة التى تواجهها كثير من النساء، ولاسيّما غير المتعلمات، هى أنهن لا يعرفن ببساطة مالهّن من حقوق. وفى كثير من الأقطار الإسلامية يعد الاهتمام بمساعدة المرأة على فهم حقوقها القانونية واجبًا له أهميته. وهناك إشكالية مهمة أخرى تواجهها النساء المطلقات فى كثير من الثقافات وهى مصير الأبناء من زوجين مطلقين. وفيما تختلف المذاهب الرئيسية الأربعة فى الشريعة الإسلامية بشأن عمر الطفل إلا أنها تعطى الحضانة عن الأبناء والبنات للأب ولكن مثل أى

شيء آخر فإن هذه الأحكام خاضعة لتعديلات القانون المدنى الأمريكى وكثيرا ما يتم تفسيرها على نحو مختلف فى السياق الغربى.

الأطفال والشباب

كما هو الحال بالنسبة للثقافات الإسلامية عبر العالم فإن إنجاب الأطفال أمر يكتسى أهمية كبيرة للمسلمين الذين يعيشون فى أمريكا. وبينما تؤثر حقائق معينة ومنها مثلاً عمل الزوجة فتفرض قيودًا على عدد الأطفال الذى يقرر الزوجان إنجابهم فإن عدم الإنجاب أو حتى إنجاب طفل واحد كثيرًا ما يعد بمثابة خيبة أمل عميقة تمنى بها العائلة الأوسع. كما أن الأطفال يشكلون جانبًا غاية فى الأهمية من أنشطة الأسرة منذ مولدهم وهم يصحبون آباءهم خارج المنزل وداخله أغلب الأوقات قدر الإمكان. وفى معظم المناسبات الاجتماعية، داخل القسم المخصص للنساء فى المسجد أو حتى فى اجتماعات ومؤتمرات الجماعة الإسلامية يتواجد الأطفال وقد شغلوا أنفسهم باللعب حول أمهاتهم. ولا يستخدم المسلمون جليسات الأطفال إلا عندما تفرض ذلك الضرورات القصوى لأنهم يرون أنه كلما أمضى الأطفال معهم وقتًا أطول كان ذلك أفضل من حيث فهمهم ومن ثم تشكيلهم جزء من الفعاليات التى تتم على نطاق المجتمع المحيط. وعليه فإن ما قد يسببه الأطفال فى بعض الأحيان من اضطراب ومن إزعاج وصراخ أو مطالبات لوالديهم، كل ذلك ينظر إليه بعامة على أنه أمر عادى ومقبول تمامًا. وبصفة عامة فالأطفال المسلمون يتصرفون بصورة لائقة ويتعلمون منذ نعومة أظفارهم كيف يتسلون فى إطار التجمعات الجماهيرية أو الاجتماعية التى قد تبقيهم يقظى بما يتجاوز مواعيد نومهم المعتادة.

على أن أسلوب تربية الأطفال فى المجتمع الأمريكى وفى إطار الثقافة الأمريكية لا يزال شاغلاً مستمرا يساور جميع الآباء المسلمين. إن كثيرًا من العائلات التى تشعر بقلق عميق إزاء تأثيرات التليفزيون الأمريكى على سبيل المثال تفرض قواعد صارمة على عدد ونوعيات البرامج التى يسمح لأطفالهم بمشاهدتها وتحاول التماس بدائل مقبولة لهذه البرامج. ويفيد كثير من الآباء من الكميات الهائلة من المواد التى باتت متاحة حاليًا من خلال الوكالات الإسلامية

المختلفة لمساعدة الأطفال على التركيز على القضايا الإيجابية المطروحة فى سياق هوية إسلامية، ومن ذلك مثلاً أشرطة الفيديو المطروحة للبيع التى يبدو فيها شخصيات من العرائس مثل آدم مرتديًا زيا إسلاميا ويحادث الأطفال الصغار عن بهجة الرحلة التى يمكن القيام بها لزيارة الكعبة فى مكة و كيف ينبغى أن نشكر الله على نعم الحياة التى أسبغها علينا. وهناك فيديو باللغة العربية يعلم الأطفال قصص القرآن كما تعرض مغامرات الكشافة المسلمين لتحل محل الصور المتحركة التى يعرضها التليفزيون الأمريكى وقد احتشدت بمشاهد العنف فضلاً عن أن أبطال التاريخ الإسلامى ومنهم «فاتح» فى قصة السلطان محمد الثانى حكاية تستأثر بالخيال(*). وهناك أشرطة منها مثلاً شريط ألف (أول حروف الأبجدية العربية) هى أول حروف كلمة أسد وهى تقدم الدروس الأولى فى تعلم اللغة العربية. وتقدم مجلة المسلم الشاب المصممة خصيصًا لليافعين من القرّاء (وتنشر بالصوت والصورة) فتبث قصصًا وألغازًا ومواد كوميدية ومقابلات مع مسلمين مشاهير مثل محمد على وحكيم أولاجون.

ويحرص كثير من الآباء المسلمين على أن يناقشوا فيما بينهم سبل تعزيز الهوية الإسلامية وغرسها فى نفوس أبنائهم من المراهقين. وإذا كان التفاعل مع الأطفال والشباب من غير المسلمين أمرًا محتومًا من ناحية بل وأمرًا مفيدًا فى رأى معظم المسلمين من ناحية أخرى، إلا أنه قد يفضى إلى مشاكل إذا افتقر شباب الجماعة المسلمة إلى السُبُل التى تساعدهم على فهم الاختلافات بينهم وبين غيرهم فضلاً عن النظر إلى تلك الاختلافات كأمر يستدعى الاعتزاز والأهمية الشخصية.

ولكن عندما يصل الأبناء إلى سن البلوغ فكثيرًا ما تزداد مسائل الهوية تعقيدًا بالنسبة لشباب المسلمين فهم يشعرون أحيانًا بقدر من الضغط لكى يعيشوا حياة مزدوجة: ففى البيت يرتاحون إزاء هويتهم الإسلامية أو على الأقل يظلون على استعداد معقول للوفاء بما يتوقعه منهم كبار السن عندما يكونون بصحبة الأقارب ومع ذلك فقد يجدون ما يغريهم بأن يتخلوا عن هويتهم بالنسبة إلى الجوانب المنفتحة أكثر من حياتهم ولاسيما عندما يتعاملون اجتماعيا مع أصدقاء

(*) المقصود هو السلطان العثمانى محمد الثانى (فاتح القسطنطينية) عام ١٤٥٣ «المترجم».

من غير المسلمين، بل إن بعض الفتيات قد يصلن إلى حد مغادرة البيت مرتـديات الحجاب الإسلامي ولكن عازمات على أن يتخلصن منـه فيمـا بعـد. وتحـرص الصحف الإسلامية كل الحرص على نشر شهادات تدلي بها الشابات اللائي يؤكدن أنهن يرين في الحجاب مصدرًا للاعتزاز والتميز عندما يحرصن على ارتدائه فـي المدرسة.

وفي بعض الأحيان تتعارض بصورة مباشرة التوقعات المختلفة بين المجال الخاص والمجال العام على نحو ما يحدث على سبيل المثال عندما يريد شاب مسلم التواصل العاطفي مع طرف آخر أو حضور المناسبات الاجتماعية التـي تقيمهـا مدارسهم أو التردد على حفلات خاصة يقيمها أصدقاؤهم مـن غيـر المسـلمين. ويناضل الآباء المسلمون التماسًا للأسلوب الذي يستجيبون به إلى هـذه الحـالات. ومرة أخرى تختلف ردود الفعل في هذا المجال اختلافًا واسعًا، فبعضـهم يـرفض ببساطة السماح لأبنائهم أو بناتهم بالتفاعل الاجتماعي خارج البيت أو خارج جماعة المسجد وتكون النتائج متباينة. وقد تزداد مخاوفهم بفعل ما ينشر من مقـالات فـي الصحف الإسلامية التي تعرب عن القلق إزاء ما يوصف في بعض الأحيان بـأنهم «الدنيويون« أو الذين تغرهم متع الحياة على أساس أن تلك آفة أصابت كثيرين من الشباب الأمريكي المسلم[١١]، والعائلات التي تدعو إلى الفصل بين الجنسين تريـد أن يتعلم أبناؤها في مدارس إسلامية وألا يتفاعلوا اجتماعيا سوى مع أبناء عائلات إسلامية أخرى ومن ثم في ظل إشراف كبار السن وكأنها تسعى بشكل عـام إلـى تحصينهم إزاء المشاكل الكامنة في صميم الحياة بالمدارس العامة وفي ثقافة الشباب بأمريكا. وفيما يمتد القلق ليشمل البنين والبنات إلا أن هـذا القلـق ينصـب علـى الفتيات بصورة أوضح وأدق. وكثير من المقالات المنشورة في الدوريات الإسلامية تخصص لحث المسلمين على أن يوحدوا صفوفهم فـي مواجهـة أدواء المجتمـع الأمريكي «كمسلمين علينا أن تتضافر جهودنـا وننسـى اختلافاتنـا العرقيـة أو اختلافاتنا اللغوية ونساعد أبناءنا على أن يظلوا بمنأى عن انحرافات هذا المجتمـع بمعنى أن نعينهم على أن يرفعوا رءوسهم باعتزاز بوصفهم مسلمين أتقياء.»[١٢]

أما الآخرون المستعدون للتكيف مع النظام الاجتماعي الأمريكي فيأملون في أن تؤدي القيم الإسلامية التي بثوها في نفوس أبنائهم إلـى حمايـة الأبنـاء مـن

الإغراءات التى سوف تصادفهم بالحتم. وهم يصدرون عن رأى أكثر اعتدالاً بالنسبة إلى التفاعل الاجتماعى للبنين والبنات ومن ثم يرسلونهم للتعلم فى المدارس الحكومية دون أن يسمحوا لهم بإنشاء علاقات عاطفية أو المشاركة بعامة فى الأنشطة التى تتم خارج المدرسة. إلا أن بعض الشابات يتمردن على هذه الأوضاع حيث يشعرن أنها تتحيز إلى الشبان الذكور. وفى هذا الصدد تشكو فتاة باكستانية مراهقة فتقول «معظم الفتيات المسلمات اللائى أعرفهن حالهم مثل حالى ولا يسمح لهن بالتلاقى مع الشباب بل وحتى المشاركة فى الأنشطة الاجتماعية بالمدرسة مثل مناسبات الرقص أو الحفلات. آباؤنا يبدون متغافلين عندما يخرج الأولاد ولكن الباب لا يلبث يحكم رتاجه حتى عندما تريد مجموعة من الفتيات الخروج للذهاب معًا إلى مركز التسوق أو فى ما حكمه من أماكن»[١٣]، وفى كل حال فإن إسباغ الحماية العائلية على البنات فى المجتمع الإسلامى ظل باستمرار تراثًا له أبعاده الإيجابية والسلبية بالنسبة إلى شباب المسلمين فى أمريكا. ومن الطبيعى أن أبشع مخاوف الأسر الإسلامية ما يتمثل فى أن تحمِل البنت سفاحًا خارج رابطة الزواج بكل ما ينطوى عليه ذلك من شعور بالرعب والعار ومن ثم فالعائلات تتخذ طائفة واسعة من التدابير للحيلولة دون أن يحدث ذلك يومًا ما.

ومع ذلك فهناك من الآباء من يتخذ موقفًا أكثر اتسامًا بالطابع «الاندماجي« حيث يتساءلون عما جاء بهم إلى هذا البلد إذا ما تعيَّن عليهم ببساطة أن ينعزلوا عن مسار الحياة فيه ويقولون إن على المسلمين أن يتعلموا مباشرة كيف يعيشون فى أمريكا وكيف يتعاملون معها بدلاً من التماس الوسائل التى تعزلهم عنها. ومن ثم ينبغى أن يتاح للأبناء تدريبًا كأصلب ما يكون على اتباع الأخلاقيات الإسلامية فى البيت وفى مدرسة المسجد قدر الإمكان وبعدها توضع الثقة فيهم من حيث صواب الحكم عندما يتفاعلون مع أصدقائهم فى المدرسة الحكومية بل إن من الآباء مَن يصر على أن يسمح للفتيات بالتلاقى مع الشباب بعد سن معينة برغم أن هذه المسألة ما برحت موضوعًا مثيرًا لجدل عميق بين صفوف المسلمين الأمريكيين.

وهناك مؤسسات مثل «مينا» (الشباب المسلم فى أمريكا الشمالية) التى تمولها الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية (إسنا) وهى تقوم بدور مهم فى تنظيم مؤتمرات وأنشطة ذات محور إسلامى وتتفرع منظمة «مينا» إلى أربع مناطق

تغطى كندا والأجزاء الشرقية والوسطى والغربية من الولايات المتحدة. وفى كل صيف يتجمع الشباب من جميع أنحاء الولايات المتحدة وكندا للالتقاء ببعضهم البعض وسماع خطباء لهم مكانتهم، فضلاً عن تبادل الأحاديث بشأن قضايا الاهتمام المشترك. وتكفل هذه الاجتماعات فرصة لشباب المسلمين فى التفاعل الاجتماعى وسط «بيئة إسلامية». وتصمَّم كثير من الأنشطة المخططة لصالح الشباب المسلم بما يتيح الفرص أمامهم للالتقاء مع شركائهم الصالحين للزواج. وفى كثير من الأحيان يؤكد الشباب على الأمور المشتركة فيما بينهم وخصوصًا على أهمية أن يكون المرء مسلمًا وسط الأمة الأمريكية مع رفض محاولات عائلاتهم التركيز على الهويات المهاجرة أو العرقية. كما تشدد منظمة «مينا» على فوائد الترفيه حيث يتلقى الشباب توجيهات بشأن الأنشطة الملائمة للفتيات والبنين والشبان والشابات كما أنها تنظم حلقات دراسية وخلوات على مدار العام فضلاً عن المؤتمرات الشتوية التى تعقد فى عطلات عيد الشكر والكريسماس.

وهناك فرص عديدة أخرى تملأ فراغ الشباب المسلم الأمريكى، فبعض المدارس الثاوية تسمح بوجود نواد إسلامية كجزء من أنشطة ما بعد اليوم الدراسى وفى هذا المجال تكتب شابة مسلمة «أنا طالبة فى الصفوف النهائية بالثانوية ولدينا ناد إسلامى أقمناه منذ بضع سنوات وهذا النادى يمثل ميزة حقيقية لنا إذ نساعد فى إطاره بعضنا البعض على أن نبقى أقوياء ونكون على أهبة الاستعداد لمد يد المساعدة عندما يحتاجها فرد منا»[١٤]، من ناحية أخرى تكفل الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية للمتدربين خلال فصل الصيف تكاليف السفر وسُبُل الإقامة والمصاريف بما يتيح لهم فرصة العمل مع موظفى الجمعية المذكورة فى ميتشيغن حيث يتلقون مهارات مهنية وتنظيمية. كذلك فإن فرق الكشافة المسلمين والزهرات المسلمات التى تنظم صفوفها عبر أمريكا تمثل قطبًا جاذبًا بالذات لشباب الأفرو-أمريكيين ولاسيما الذين نشأوا فى الأحياء الفقيرة بالمدن. وثمة منظمة تابعة للدائرة الإسلامية لأمريكا الشمالية وهى «منظمة الشباب المسلم» وتتخذ مقرها فى حى جامايكا بنيويورك وهى عبارة عن شبكة للشباب عبر أمريكا الشمالية من الناشطين فى مجال الدعوة إلى الإسلام بين صفوف أقرانهم. وفى كتيب مصقول يضم صورًا لقارب ومجاديف، يحث مديرو المنظمة الشاب المسلم من المشاركين المحتملين

على أن «يستقل القارب ويلتقط المجاديف ثم يبدأ رحلته فى خضم تيارات الحياة... وعلى المرء أن يستجمع فى يده مجاديف القرآن والسنة لكى يتفادى الأخطار المحدقة به إلى أن يصل إلى مرافئ الفردوس» وثمة منظمات أخرى مثل منظمة الشباب العربى المسلم (مايا) التى تنتسب إلى منظمة «الإسنا» وهى تنظم الاجتماعات الإقليمية وتعمل سنويا على جمع صفوف الشباب المسلم للحديث عن الشريعة والآثار المترتبة عليها بالنسبة لحياتهم فضلاً عن قضايا الزواج والحياة الاجتماعية والثقافة الإسلامية ومواضيع كثيرة أخرى تتصل بالمشاركة فى حياة الأمة الإسلامية.

خلف هذه الجهود جميعًا يكمن الأمل فى أن يستطيع الشباب المسلم الإطلالة على الإسلام من منظور إيجابى مستنير بدلاً من النظر إليه من زاوية تبعث على الخجل، أو تحول بين المرء وبين الاستمتاع بسنوات شبابه الأولى على نحو ما يرون من سلوك الشباب الآخرين الذين ينعمون بذلك على نحو لا يخفى.

ويكتب مستشار فى هذا الصدد قائلاً «بدلاً من مواصلة الحديث إلى المراهقين عما هو حرام وعما لا يجوز لهم فعله بحكم الإسلام، يظل مهما أن نبين لهم مدى المتعة التى يمكن أن يجنوها بينما يظلون على التزامهم بالدين. وما علينا سوى أن نُبقى المراهق مشغولاً بأنشطة مفيدة ولكنها ممتعة مما يزيل عنه الضجر ونواجه بذلك جاذبية الثقافة الأمريكية التى تشده نحو أنشطة تتنافى والإسلام. كما أن من شأن ذلك أن يُبقى المراهقين بمنأى عن التبرم بالإسلام بدعوى أنه يكبت استمتاعهم بحياتهم»[١٥].

رعاية المسنين

شأن سائر المسلمون يظل المسلمين على بينة عميقة إزاء المشاكل التى تواجه عائلاتهم فيما يتعلق برعاية المسنين. ولما كانوا يعيشون فى ظل أحوال مختلفة عن حال العائلة الممتدة التى نشأوا بين صفوفها، فإن كثيرًا من المهاجرين يفتقرون إلى دعم الأعداد الكبيرة من أفراد العائلة الذين يعيشون على مقربة منهم. وإذا ما كان الزوج والزوجة يعملان فقد يجد الوالد المسن نفسه أو نفسها وحيدًا لفترات طويلة بل وقد يعيش رهين عزلة خانقة وهذه العزلة تتفاقم بطبيعة الحال

عندما لا يتكلم المهاجرون المسنون سوى النذر اليسير من الإنجليزية ومـــن ثـــم لا يستريحون حتى لدى مشاهدة التليفزيون. وقد جاء كثير من المهاجرين الأكبر ســـنا فى أمريكا أساسًا من ظروف شهدتهم إذ كانوا ناشطين فى أداء العمل ولكنهم فـــى حياتهم الجديدة لا يعملون خارج البيت ومن ثم يشعرون بالعزلة بل وبأنهم أصبحوا بغير فائدة وإذا لم يستطيعوا قيادة السيارة فقد يشعرون أيضًا بأنهم محبوسون بـــين جدران المنزل.

من هنا تدرك المساجد والمراكز الإسلامية مدى الحاجة إلى تقديم خـــدمات خاصة للمسنين، فبعضها ينظم أنشطة للجمع بين أفراد الجيل المُسِن كى يتفـــاعلوا اجتماعيا ويشعرون بالترحيب فى موقع إسلامى الهوية وهذا الجهد قد يشمل تهيئـــة وسائل خاصة للمواصلات. وكثيرًا ما يشعر المُسِن، وخاصة من الـــذين وصـــلوا حديثًا إلى أمريكا، بأقسى أنواع الألم إزاء التحيز ضد المسلمين الذى يعاينونه مـــن خلال متابعة الصحافة والميديا. ومن ثم فإن المشاركة فى نشاط المسجد يتيح لهـــم ملجًا مرحليا على الأقل بعيدًا عن الوحدة والعزلة الاجتماعية. كما أن الأئمة الـــذين يتعين عليهم باستمرار الاضطلاع بأدوار مماثلة لأدوار الكهنة المسيحيين يقومـــون أحيانًا بـــ «زيارات منزلية» من أجل آباء الأفراد الناشطين فى تجمعات مساجدهم، كما يركز الأفراد وتشدد البرامج على تقديم المشورة للمسنين فى أمور مـــن قبيـــل الرعاية الصحية والأمور المالية والتغذية.

هذا ويتوقع الآباء المُسِنون، وخاصة الذين لا يزالون يتبعون الأعراف التـــى كانت سائدة فى ثقافاتهم الوطنية، أن يعيشوا مع أبنائهم الكبار حيث يتم ذلـــك فـــى العادة مع الابن وعائلته. وتحاول العائلات المسلمة قدر الإمكان أن تلبى هذا التوقع إلا أن هذا الأمر لا يلبث يسفر عن مشاكل لا تخفى فالأسر ذات الـــدخل المحـــدود كثيرًا ما لا تملك سوى حيز إضافى ضيق فى بيوتها فضلاً عن أن الدور التقليـــدى للحماة بوصفها «الرئيس المهيمن» على ابنها ولاسيما على زوجة الابـــن لا يلقـــى سوى قدر محدود للغاية من الموافقة فى معظم العائلات الأمريكية الاتجـــاه. ومـــع ذلك ففى كثير من الحالات يكون وجود الأجداد فى البيت مصدرًا رائعًا للمـــؤازرة ولتشكيل هوية الأبناء. وكثير من البالغين المشغولين خارج البيت يعتمـــدون علـــى الآباء المسنين لا من أجل خدمات مجالسة الأطفال فحسب ولكن أيضًا مـــن أجـــل

تهيئة التعليم التأسيسى فيما يتعلق بمعنى أن يكون المرء مسلما. ومن ناحية أخرى فأحيانًا ما يحار كبار السن إزاء جوانب من الثقافة الأمريكية حيث يبدون متبرمين بأمور الملابس والأنشطة والآراء التى يعتنقها أفراد الأجيال الأصغر سنا عن أوضاع العالم. ومن ثم فممارسة الضغط بقصد عدم «الأمركة» وهو ما قد يستشعره المراهقون بالذات من جانب جدودهم يمكن أن يُفضى إلى توترات تحتدم بين الأجيال بل وإلى المزيد من مشاعر الوحدة التى قد تراود كبار السن بالذات.

بيد أن الاستجابة الأولية من جانب معظم المسلمين إزاء العادة الأمريكية المتنامية التى تنحو نحو نقل الأقارب المسنين لإيداعهم فى دور التقاعد أو حتى دور الرعاية تجسد شعورًا بالضيق والتشكك بل والغضب أيضًا. وهم يصرون على أنه ليس من الإسلام عزل الكبار وحرمانهم من رفقة الأسرة. وفى هذا يقول مهاجر من الجيل الأول: «ولا فى أحلامى يومًا أن أودع قريبًا مسنا لى فى أحد بيوت الرعاية. وسواء كنت أنت مسلمًا أو لم تكن فلا أتصور أنه يجدر بك أن تضع والديك فى أحد بيوت الرعاية اللهم إلا إذا كانا لا سمح الله، مصابين بمرض خطير ويحتاجان إلى رعاية شخص محترف»[١٦]، ومع ذلك ومادامت الأسر تواجه حقائق وجود شخصين مشغولين بعملهما بعيدًا عن البيت لفترة طويلة كل يوم، أو بحكم عجزهما عن تلبية احتياجات الرعاية الصحية لمن هم فى سن الشيخوخة باعتبار أنهما عاجزان عن تلبية هذه الرعاية، فضلاً عن الحقيقة البسيطة التى تفيد بأن البشر طالت أعمارهم عن السابق، فإن المجتمعات الإسلامية تحاول جاهدة إيجاد حلول إسلامية فى هذا المضمار وتعمل قلة من المراكز الكبرى على إقامة مساكن خاصة للمسلمين المسنين قرب المسجد بحيث يتسنى لساكنيها أن ينعموا بمؤازرة أوسع نطاقًا من جانب الجماعة.

وتحرص الكتابات والمطبوعات الصادرة عن المنظمات الوطنية على تذكير الأفراد المسلمين والعائلات والمجتمعات المسلمة بأنه بقدر ما يحتاج الأطفال إلى رعاية دائمة، بقدر حاجة المسنين أيضًا إلى أقصى قدر ممكن من المحبة والاهتمام. ويقول أحد خبراء الرعاية الصحية «الرضيع الذى لا حول له ولا قوة يحتاج أبويه وبالقدر نفسه يحتاج المسن أبناءه لكى يوالوه برعاية محبة متواصلة. وإذا كان الرضيع لا يستطيع أن يشرح احتياجاته بالكلمات فما أكثر اللحظات التى

تمر على المسنين بدورهم وهم يجدون من الصعوبة بمكان التعبير عن احتياجاتهم. ويرجع الأمر إلى مقدم الرعاية فى استكشاف الاحتياجات الحقيقية للذين يخـــدمهم. وفى كل حال فالمسنون بحاجة إلى الحب والعطف ومن المهم بالتـــالى أن يتبنـــى المجتمع المواطنين الأكبر سنا الذين يفتقرون إلى أبناء كبار على استعداد لتقديم هذه الخدمات»[١٧]

تلك إذًا هى بعض الشواغل التى تواجه بعض المسلمين فى أمريكـــا وهـــم يتدبرون فى أمر حقوق وأدوار المرأة، أو يعملون على إقامـــة وصـــيانة هياكـــل اجتماعية سليمة ويناضلون لتربية أبنائهم ورعايتهم ويلبون احتياجات المسنين ممن وصلوا إلى نهاية أيامهم المُنتِجة. علينا من ثم أن نتحول إلى النظـــر فـــى بعـــض القضايا التى لابد وأن يواجهها خارج نطاق العائلة المسلمون الذين يعيشـــون فـــى الغرب. وبالنسبة للبعض فإن هذه القضايا ليست ضاغطة ولا هى تتسم بالأهميـــة القصوى. ولكن بالنسبة لأعداد متزايدة ما زالت هذه القضايا تمثل مجموعة معقـــدة من المشاكل التى ينبغى التصدى لها يومًا بعد يوم.

الحواشى

١- تعليق سمعته المؤلفة فى حديث خاص فى عام ١٩٩٧.

٢- جاء على لسان مشارك فى مؤتمر إقليمى عُقد بشأن المرأة عام ١٩٩٧.

٣- تعليق استمعت إليه المؤلفة فى حديث خاص فى عام ١٩٩٨.

٤- هذه الملاحظة التى أبديت بصورة خاصة للمؤلفة تشير بالذات إلى الجهود الشجاعة لرائدات مثل هدى شعراوى وزميلاتها فى المراحل الأولى من القرن العشرين وقد بادرن فور عودتهن إلى مصر من مؤتمر فى روما إلى تحدى التقاليد فنزعن حجابهن وألقين به فى مياه الميناء.

٥- أنوى، بنات الطريق المختلف.

٦- من محادثة دارت بين نساء مسيحيات ومسلمات فى كلية (ديفنيتى) بجامعة هارفارد فى أواخر عقد الثمانينيات.

٧- م. رياض خان «العنف المنزلى: الأسر المسلمة الأمريكية ليست محصَّنة»، إسلاميك هورايزونز (يوليه / أغسطس ١٩٩٥).

٨- عمود المشورة بقلم الدكتور نصيحة السكينة فى ذى ميناريت (أغسطس ١٩٩٦).

٩- شاهد أمان الله «المسلمون على الفضاء الإلكترونى والإنترنت»، ذى ميناريت (فبراير ١٩٩٦).

١٠- أم الخير تواب «اختيار رفيق: الخطوة الأولى إلى زواج ناجح»، ذى مسدج (مارس ١٩٩٦)

١١- انظر على سبيل المثال: سلطانة روزا أوكاسيو «نشأة المسلم فى أمريكا الشمالية»، ذى مسدج (يونيه ١٩٩٦).

١٢- فرحاد آرا بويان «تربية الأطفال المسلمين فى أمريكا الشمالية»، ذى مسدج (مارس ١٩٩٧).

١٣- حكتها للمؤلفة ابنة أصدقاء مسلمين فى عام ١٩٩٨.

١٤- رسالة إلى المحرر، إسلاميك هورايزونز (نوفمبر - ديسمبر ١٩٩٦).

١٥- أمة ف..شباز، التماس الخيارات الحلال للحفاظ على ديننا، ذى مسـدج (يوليه ١٩٩٧).

١٦- حداد وسميث، القيم الإسلامية فى الولايات المتحدة.

١٧- الدكتور شاهد آثار، «رعاية المسنين والرُضَّع»، ذى ميناريت (ديسـمبر ١٩٩٧).

الفصل السادس

حياة المسلم فى المجتمع الأمريكى

التعليم

تعليم أعضاء الجماعة المسلمة يعد من أهم القضايا التى تشغل الأمريكيين المسلمين ما بين الحوارات التى تدور حول التربية الدينية الإسلامية للأطفال إلى التعليم فى المساجد إلى أشكال من التعليم المستمر للكبار. والحق أن تحصيل المعارف ظل دائمًا يحتل مركز الاهتمام الأول فى الإسلام. وغالبًا ما يشير الأمريكيون المسلمون إلى تأكيد الرسول على أن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، وأن على المسلمين أن يطلبوا العلم ولو فى الصين. وهذا التشجيع يدعم تصميم المسلمين من جميع الأعمار على تحصيل التعليم ما بين الشباب إلى شيوخ المهاجرين ممن قد يحتاجون ببساطة إلى تحسين لغتهم الإنجليزية. ويركز الحوار الراهن الذى يدور بين صفوف المسلمين فى الولايات المتحدة على تحسين فرص التدريب لشباب المسلمين فى مجالات التاريخ والتكنولوجيا والعلوم البحتة ومواضيع أخرى كثيرة من شأنها أن تتيح لهم تحقيق النجاح على الصعيدين الشخصى والمهنى. على أن التعلم بشأن أركان الإسلام والشريعة أمور لها بدورها أهميتها فى الحياة فى إطار ذلك المجتمع ومن ثم فهى تُعطَى الأولوية العليا لجميع الفئات العمرية فضلاً عن أن دراسة اللغة العربية تلقى منهم كثيرًا من التشجيع ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

وكم دأبت الكثير من العائلات المسلمة على الانشغال بشأن تجربة أبنائها فى المدارس الحكومية. ويكتب أحد نقاد التعليم بالمدارس الحكومية قائلاً: «فى الأيام الخوالى كان من السهل بالتأكيد أن نثق فى نظام التعليم الحكومى وقدرته على أداء وظيفته. لكن الحياة تزداد تعقيدًا باستمرار وأصبحت مسئوليات [الوالدين] تشمل المشاركة فى البيئة التعليمية وفى المناهج الدراسية المتاحة لأبنائنا»[١]. ويساور القلق الوالدين بشأن نوعية التعليم المقدم لأبنائهما ولاسيما فى بعض المناطق الحضرية الكبرى. وكما رأينا فإن هذا القلق يتركز حول تأثيرات المجتمع التى

يتعرض لها أبناؤهم ما بين العلل المجتمعية ومنها مثلاً المخدرات والجريمة إلى الضغوط التى تمارس على الشباب لكى يصبحوا «متأمركين» أكثر وأكثر. ويرى البعض مشاكل المدارس الأمريكية وكأنها تمثل تخليًا من جانب أمريكا المسيحية (واليهودية) عن قيمها الدينية الأساسية. ومن منطلق الاعتقاد بأن من شأن نظام إسلامى للتربية والتعليم أن يخدم بصورة أفضل فيما يتعلق بالمحتوى الأكاديمى والارتقاء بنوعية التدريب، يفكر الكثيرون فى أمر العمل على إنشاء مؤسسات تربوية إسلامية خاصة. ومن ناحية أخرى تختار بعض العائلات المسلمة تعليم أبنائها وبناتها فى المنزل. وينشر المسلمون الذين يدعون إلى هذا التعليم المنزلى مقالات بشأن ما يمكن أن نسميه حرف «التاء» بمعنى عملية التنشئة أو التفاعل أو التطبيع الاجتماعى وما ينجم عن ذلك من أخطار. وهم يردون بذلك على الآخرين الذين يقولون إن إبقاء الأطفال فى البيت سوف يحول بينهم وبين معرفة أساليب التفاعل مع أطفال الديانات والخلفيات الأخرى ويقولون فى ذلك إن «مستوى عملية التنشئة والتطبيع الاجتماعى يمكن أن يكون مفيدا للأطفال»[٢]، وتمتد الحوارات أيضًا فتناقش ما إذا كانت مدارس التعليم المنفصل للبنين أو للبنات أمرًا مرغوبًا أو أنه أمر غير واقعى فى سياق الثقافة الأمريكية. فبعضهم يحيل إلى دراسات لاختصاصيين فى التربية تدعى أن الفتيات يتعلمن أكثر عندما يتم الفصل بينهن وبين الفتيان. وهناك قلة من الأسر التى مازالت مشغولة بما يكفى بشأن التعليم الأمريكى وبشأن الاتصالات الملائمة بين الأطراف والموارد المالية وهذه الأسر تختار إرسال أبنائها كى يتعلموا فى الخارج. إلا أن أفرادًا من عائلات أخرى، وبرغم ما قد يساورهم من شواغل عن المدارس الأمريكية يقولون بعدم إخراج أبنائهم من الساحة العامة. وإذ يشعر هؤلاء الآباء بالقلق إزاء عزل عملية الدراسة سواء الخاصة أو المنزلية باعتبار أنها لن تهيئ الأبناء لخوض مرحلة التحول فى نهاية المطاف إلى حيث التعامل مع الحياة الأمريكية العامة إلا أنهم يأملون فى أن يكفل التعليم الإسلامى المناسب فى البيت والمسجد أو فى المركز الإسلامى عملية «تسليح» كافية لأبنائهم تكفل الترشيد لما يتخذونه من قرارات.

وأيا كان شكل التعليم الذى يقع عليه الاختيار فإن أهل التربية يحضون الآباء المسلمين على توفير الموارد وتهيئة البيئة فى البيت مما لا يساعد الطفل فقط على

أن يتعلم بصورة أكثر فعالية بل أن يتعلم كذلك «بصورة أكثر إسلامية». وفى مقال بعنوان «وصفة الآباء المسلمين لنجاح الأبناء فى المدرسة» يحث مدير مجلس المدارس الإسلامية فى أمريكا الشمالية (سيسنا) الآباء على أن يراعوا إنجاز أبنائهم واجباتهم المنزلية لمدة ساعة كاملة قبل موعد الصلاة وبعد ذلك يكون الوضوء وأداء الصلوات مما قد يبدو وكأنه شكل من أشكال الاستراحة. وهو يقترح كذلك أن تتوازى الدراسات مع التعاليم الدينية قائلاً «على الآباء أن يحتفظوا بنسخة من القرآن ومن سيرة النبى والأحاديث النبوية بحيث يكون هذا كله متاحا. وعندما يعكف الطفل على دراسة التاريخ أو الجغرافيا أو العلوم البحتة أو علم الاجتماع يتعيّن على الآباء أن يراجعوا فهرس القرآن والحديث لالتماس مواد مقارنة مع تبيان الأفكار الموازية المطروحة من وجهة نظر إسلامية».

وفى الوقت نفسه، وفيما تتواصل مسألة التعليم المناسب وسُبُل التصدى لها، يتزايد عدد المدارس الإسلامية. وتحفل الصحف الإسلامية بإعلانات تطلب مدرسين ومديرين للمدارس. ويتوقع من أفراد الهيئات العاملة فى تلك المؤسسات أن يكونوا على مستوى جيد من التدريب وأن يحوزوا المؤهلات الأكاديمية والتربوية المناسبة وأن يكونوا ملتزمين بالتعليم الذى يتم بروح إسلامية. ومعظم هذه المؤسسات موجهة من أجل إتاحة سُبُل التعليم من روضة الأطفال وحتى الصف السادس أو الثامن، وبعضها يضم أيضًا صفوف المدرسة الثانوية. وطبقًا لما يفيد به مدير سيسنا، وهى واحدة من أربع منظمات تعليمية إسلامية قائمة فى الولايات المتحدة وكندا، يوجد أكثر من مائة مدرسة إسلامية تقدم حاليًا التعليم فى بيئة مستندة إلى القرآن والسنة. وبرغم أن معظم الولايات لا تتطلب حاليًا اعتمادًا للشهادات الصادرة عن المؤسسات التعليمية الخاصة فإن منظمة سيسنا تقول بأن هذه الحالة فى تغير وأن التصديق على المدارس الإسلامية سوف يعنى ارتفاع الأداء بها. ويعمل بعض المسلمين حاليًا بنشاط من أجل العمل بنظام للكفالة من شأنه تزويد المدارس الإسلامية الخاصة بالمساعدة المالية من جانب الحكومة كما يشجع المسلمون على جعل تمويل التعليم الإسلامى جزءًا أساسيا مما يقدمونه لأغراض البر والإحسان.

ويتاح كمٌ كبير متزايد من المواد التعليمية للذين يرغبون فى بدء تدريب

الشباب فى البيت أو فى المؤسسات الخاصة. وثمة إعلان نشرته جريـدة إسـلامية كبرى يحث القارئ قائلاً «لا تضيِّع الوقت الثمين بل اتخذ الخطـوة الأولـى نحـو الحصول على المساعدة التى تحتاجها». وهكذا تقدم منظمات إسلامية دورات شتى بالمراسلة إلى جانب مقترحات لوضع مؤلفات ومناهج جديـدة وإصـدار كتيبـات تصلح أدلة للعاملين فى المجال التربوى وغير ذلك من الأدوات المفيدة والمعلومات النافعة. وبين حين وحين تعقد المؤتمرات السنوية لتلك المنظمـات حيـث تـنظم دورات خاصة بشأن التدريس فى البيت بوصفه أسلوبًا يزداد شيوعًا وخاصـة لأن الخدمات الإلكترونية باتت تهيئ سُبُل الحصول على المواد التربوية المهمة[٣].

ويختار بعض الآباء تكميل التعليم الحكومى العام لأبنائهم بدورات تدريبيـة خاصة تتم بعد اليوم الدراسى وفى أيام العطلات فى بيوتهم حيث يتـاح باسـتمرار نسخ من القرآن والحديث وغير ذلك من وسائل الثقافة الإسلامية، التى تعبر عـن روح الإسلام وتضىء الظروف المناسبة لهذا التعليم الإسلامى. وهنـاك جماعـة أخرى تعمل على تحسين التعليم الأمريكى الحكومى العام فالمعهد الـدولى للفكـر الإسلامى فى هيرنيدون، فرجينيا ينشر على سبيل المثال «وحدات تدريسية تكميلية للدراسات الاجتماعية» وقد تم إعدادها للصفوف الدراسية المختلفة فى مجال المنهج الموحد للدراسات الاجتماعية. وفيما تقدم كثير من مقررات الدراسات الاجتماعيـة بالمدارس الأمريكية الحكومية سردًا أوروبى التركيز للتاريخ الغربى فإن هذه المواد تقدم منظورًا أوسع من ذلك وأشمل وهى مصممة لكى تبث روح الهويـة والقـيم الإسلامية فى جميع أجزاء المنهج الدراسى. والكثير من هذه المواد التدريبية تعزز أسلمة المعرفة على أساس النموذج الذى سبق إلى طرحه أصلاً إسماعيل الفاروقى (انظر السير الشخصية). وإذا ما لم يستند تعليم الشباب المسلم إلى أساس وطيد من المبادئ الإسلامية، فإن دعاة هذا النموذج، يقولون إنه لن يكون مرضيا بالكامل فى سياق مجتمع تعددى علمانى مثل مجتمع أمريكا الشمالية.

كما تبذل جهود مطردة لمساعدة معلمى المـدارس الحكوميـة مـن غيـر المسلمين على عرض الدين الإسلامى من زاوية فهم أفضل وأسلوب أدق. ويمثـل مجلس التعليم الإسلامى منظمة علمية وطنية تعمل مع ناشـرى الكتـب الدراسـية للصف الأخير فى الثانويات من أجل إنتاج كتب ونصوص مقررة أكثـر شـمولا

وتوازنًا فيما يتعلق بالأديان فى العالم فضلاً عن تنظيم حلقات عمل تدريبية أثناء الخدمة للمدرسين ضمن إطار مؤتمرات قومية للدراسات الاجتماعية إضافة إلى إنتاج وحدات تدريسية تلقى الضوء على مختلف جوانب الحضارة الإسلامية. ومن بين الموارد المتاحة من مجلس التعليم الإسلامى دليل لتوجيه المربين بعنوان «التدريس عن الإسلام والمسلمين فى صفوف المدارس الحكومية». ويشمل الدليل معلومات عن المعتقدات والممارسات كما يضم فصلاً عن القضايا التى قد يشعر معها الطلاب المسلمون فى الصف الدراسى بالمدرسة الحكومية بحساسية خاصة، إضافة إلى صحائف نشاط للطلاب الذين يتعلمون عن الإسلام ثم معلومات مستكملة عن الكتب وأشرطة الفيديو وغير ذلك من المواد التعليمية. ويحرص المجلس المذكور أعلاه على أن يضم ممثليه من واقع التجمعات الثقافية العديدة للمسلمين الأمريكيين (المهاجرون والأفرو- أمريكيين والهسبانيون والأمريكيون الأصليون) كى يتحاوروا بشأن السبل التى يتسنى بها أن تعبر كتب التاريخ الأمريكى المدرسى المقررة الثقافات المختلفة. كما يتعاون أعضاء المجلس مع عدد من الناشرين على تشجيع التغطية الأوسع والأكثر تمثيلاً، فضلاً عن تصحيح الأخطاء والتصورات المغلوطة عن الإسلام والشعوب المسلمة. ويشاركهم فى هذا الجهد مسلمون وغيرهم من أعضاء الدوائر التربوية من أجل استبعاد الصور النمطية المقولبة الجامدة والعروض المتحيزة التى تشوب المواد المستخدمة فى المدارس الحكومية.

وفى الوقت نفسه يتكاتف بعض المسلمين مع جماعات مسيحية محافظة وغيرها من الجماعات التى تبذل جهودًا للدعوة إلى إقامة الصلوات فى المدارس الحكومية. وفى هذا السياق يقول أحد المعلقين على التعليم المقدم للأطفال المسلمين «ثمة تغير يطرأ على الائتلاف المؤيد لإقامة الصلوات بالمدارس. فهو اليوم يضم مسلمين وقادة ملونين من المناطق الحضرية وكهنة مسيحيين بل إن هناك ساسة ليبراليين يؤازرون المحافظين المتدينين، لأن الزيادة التى طرأت على الجرائم الفظيعة التى ترتكب بين صفوف الشباب فضلاً عن ظاهرة الانفلات الجنسى جاءت لتدق ناقوس الخطر فتفضى إلى توسيع قاعدة مؤيدى إقامة الصلوات حيث بات من المهم أن يتاح للشباب لحظات للتأمل»[٤] كذلك فإن برنامج التعليم الإسلامى فى أمريكا يوفر سُبُل التدريب للشباب والبالغين فى المساجد وفى مدارس عطلة نهاية

الأسبوع التابعة للمراكز الإسلامية. ومرة أخرى فإن الصحف والمنظمـات تتـيح قدرًا كبيرًا من المواد والمساعدات فى هذا الصدد. ويتراوح التعليم ما بين القـرآن والسنة والتاريخ الإسلامى إلى قضايا الزى الملائم والسلوك المناسب للمسلمين فى مختلف الظروف. ومن خلال النظرة الواقعية بشأن الأسباب الممكنة التى قد تحمل شباب المسلمين، أو قد لا تحملهم، على حضور هذه الدورات التعليمية بعد المدرسة أو فى أيام العطلات بالمسجد، يعمل الكبار على وضع إستراتيجيات لإضفاء مزيـد من المتعة على تلك الأنشطة. فبعض المراكز الإسلامية الأكبر تتيح علـى سـبيل المثال مرافق رياضية مثل ملاعب كرة السلة أو الكرة الطائرة لكى تتوازن مع مـا يتم من تعليم داخل حجرات الدراسة. وتلقى دراسة اللغة العربية تشـجيعًا خاصـا بالذات بالنسبة للذين لم يأتوا من عائلات ناطقة بالعربية وقد تعقد المساجد مسابقات للشباب والكبار لتلاوة ومعرفة القرآن. وثمة عدد من الجهود الجيدة التنظيم تـدعم حاليًا التعليم الإسلامى للأمريكيين المسلمين، فهناك خطط موضوعة من أجل معهد إسلامى للعلوم الدينية والاجتماعية فى ولاية جورجيا ليكون منظمة تشـمل علـى سبيل المثال مسجدًا ومرافق تعليمية وترفيهية وإمكانيات للإقامة والسكن الـداخلى. أما المعهد نفسه فيمثل هيئة غير سياسية وغير طائفية وغير ربحية ويتركز مقصده بالذات فى أن يكون سبيلاً لتهيئة التدريب الدينى والتربـوى للشـباب الأمريكـى المسلم. كما يأمل المعهد أن يتمكن من خلال اجتذاب الشباب مـن جميـع أنحـاء البلاد، من أن يخدم بوصفه حلقة وصل روحية وثقافية بين الشباب وبين آبائهم.

ومع نهاية القرن العشرين كان من المواضيع التى تحظى باهتمام خاص بين صفوف الأسريكيين المسلمين ما يتعلق بأهمية تعليم المسلمين الأخلاقيات الإسلامية وتزويدهم بما يجعلهم يعيشون حياة تتسم بالمسئولية الأخلاقيـة. وهـذا الاهتمـام بالأخلاقيات التى يتم تعريفها على أساس إسلامى يعكس انشغالاً إزاء ما يتصورونه من انحلال أخلاقى للمجتمع الأمريكى ومن ثم فالتشديد على هذا الجانب يؤدى إلى طرح بديل جاد أمام المسلمين الأمريكيين، كما يدلل لسائر الأمريكيين على الأهمية الكبرى التى يوليها المسلمون للنهج الأخلاقى والمناقبى فى الحيـاة. وقـد نشـرت الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية (إسنا) مؤخرًا موسوعة عن السـمو الأخلاقـى من اثنى عشر مجلدًا وهى متاحة على قرص ليزرى (سى دى روم) ومترجمة إلى

عدة لغات. واتخذ الاجتماع السنوى الذى عقد مؤخرًا لرابطة الطــلاب المســلمين موضوعه تحت عنوان «التماس السمو الأخلاقى فى إطار الطموح نحو التغييــر» وتظهر حاليًا مقالات وكتب لتؤكد على ضرورة التكامل بين المســئولية الأخلاقيــة وبين التعليم الأكاديمى. وفى هذا الصدد يكتب أحد الاختصاصــيين فــى التربيــة والتعليم قائلاً «من المنظور الإسلامى، يتمثل الغرض من التعليم بعامة فى تنشــئة مسلمين أتقياء وهذه التقوى تبث فى نفس الطفل المسلم مجموعة من القيم الأساسية التى تؤدى بدورها إلى دفعه لكى يفى بواجباته فضلاً عن اتباعه المعايير الصحيحة للسلوك فى المجتمع بصورة طبيعية»(٥).

كما تولى الجماعة المسلمة اهتمامًا متزايدًا للتعليم الإسلامى علــى مســتوى الكليات والجامعات برغم أنه لا يوجد حتى الآن سوى عدد قليل مــن المؤسســات التى تتسم بطابع إسلامى خالص، ومن بينها الكليــة الإســلامية الأمريكيــة التــى تأسست فى شيكاغو فى عام ١٩٨٣. وهذه الكلية هى أول مؤسسة من نوعها تمنح درجة الليسانس التى يعتمدها مجلس ولاية إلينوى للتعليم العالى وتقدم مجموعة من الدراسات فى العلوم الاجتماعية والفيزيائية وعلوم الحاسوب والاقتصاد والتــاريخ ومجالات أخرى فضلاً عن عدد من المقررات فــى اللغــة العربيــة والدراســات الإسلامية.

إلا أن عام ١٩٩٦ شهد إنشاء أول كلية إسلامية للدراسات العليا فى أمريكــا لتحمل اسم مدرسة العلوم الاجتماعية والإسلامية فى ليسبيرغ بولاية فرجينيا. وهذه المدرسة تتيح فرصة للدراسة على يد هيئة تدريس مسلمة وعلى أسس إسلامية فيما يتمثل هدفها فى تدريب القادة الذين يكرسون جهودهم من أجل إرساء دعائم ثقافــة وحضارة إسلامية فى أمريكا الشمالية. وهذه المؤسسة تقدم مسارين للدراسة: الأول برنامج للماجستير فى الدراسات الإسلامية وبرنامج للماجستير لإعداد الأئمَّة مــن أجل تدريب المسلمين أو إمامة الصلوات. وقد تلقت المدرسة بالفعل تصريحًا مــن مجلس فرجينيا للتعليم العالى لكى تقدم مناهجها الدراسية على مســتوى الدراســات العليا برغم أنه ليس هناك منظمة معتمدة فى الولايات المتحدة مختصــة لاعتمــاد برنامجها فى مجال إعداد الأئمَّة. هناك كذلك معهد الإمام على الدينى فــى مدينــة بنيويورك، وهو مدرسة شيعية مكرسة لإعداد المعلمــين للمســاعدة علــى النمـ

الشخصى والمجتمعى للمسلمين المقيمين فى أمريكا. أما الطلاب المسلمون الملتحقون بالكليات والجامعات الأمريكية الأخرى فيزداد نشاطهم بشكل ملحوظ فيما يبذلون من جهود لاكتساب الاعتراف بأنفسهم وبالجماعة المسلمة التى ينتمون إليها. وهذه الجهود التى تدعمها الجماعات الوطنية مثل رابطة الطلاب المسلمين بدأت تثمر نتائجها. وقد اعترفت جامعة سيراكيوز بعيد الفطر فى نهاية شهر رمضان بوصفه عطلة مدرسية رسمية وتغلق الجامعة أبوابها جميعًا احتفالاً بذلك اليوم. وفى جامعتى سيراكيوز وهارفارد تتاح اللحوم المذبوحة إسلاميًا للدارسين عند الطلب. وفى كلية ماونت هوليوك يجوز للطلاب المسلمين واليهود أن يختاروا مرة فى الأسبوع تناول وجبة مشتركة يتم إعدادها فى مطبخ بحيث تكون وجبة من الحلال الإسلامى أو الكوشر اليهودى. وفى الوقت نفسه تركز الدوريات والصحف الإسلامية على منجزات الشباب المسلم فى الكليات والجامعات وكثير منها يضم أبوابًا خاصة ومكرسة تحديدًا لأغراض التعليم، كما تقدم معلومات تفيد طلاب المستقبل عن كل شيء ما بين تحرير استمارات طلب المعونة المالية إلى اختيار شريك مناسب فى السكن.

وقد شرع الطلاب المسلمون أنفسهم فى كتابة مقالاتهم فى الصحف المدرسية وفى المجلات الإسلامية الوطنية محذرين من صعوبات الحياة الإسلامية فى الكليات ومؤكدين على أهمية مصادقة شباب المسلمين آخرين. ويكتب طالب فى جامعة رودجرز قائلاً «أريد إن أقول أن سر الحفاظ على إيمانك وتعزيز دينك عندما تكون فى الكلية إنما يكمن فى الوشيجة التى تربط بين الإخوة والأخوات فالمسلمون فى حرم الجامعة ينقصهم الورع اللازم لكى يعيش كل منهم كفرد فى المجتمع الكافر (غير المؤمن). وعليه فإن القوة تكمن فى عددنا لأن الشيطان يشق عليه أن يوسوس لجماعات بأسرها فيما يسهل عليه أن يُضِل الفرد الواحد المعزول»[٦].

الاقتصاد

من المشاكل الكثيرة الصعبة التى تواجه المسلمين الذين يريدون أن يعيشوا طبقًا لتعاليم الشريعة الإسلامية مشكلة الخدمات المالية الحلال. ولهذه المشكلة عدد

من الأبعاد لعل أشدها تعقيدًا هو ما ورد فى القرآن من تحريم مراكمة الفائدة (الربا). ويثور الكثير من القضايا بالنسبة للمسلمين الأمريكيين الذين يحاولون أن يظلوا على إخلاصهم لهذه الأحكام. ويكتب قارئ متحمس إلى منبر الحوار فى جريدة قومية طارحًا السؤال بشأن الفتاوى: هل المال الذى يكسبه المسلم من العمل فى بنك يعد حرامًا؟ ويأتيه الجواب ومفاده «أن العمل فى أى بنك يتعامل بالربا حرام لأنه يتأتى من إعانة آخرين على ارتكاب الخطأ الجسيم والضلال»[٧] ومن منطلق التفسير الصارم يمكن فهم المصطلح على أنه يشير إلى الفائدة الربوية أو الفائدة التى تتجاوز المعدل القانونى. إلا أن من المسلمين من يطالب بتفسير أكثر مرونة للقانون الذى يسمح بمراكمة فائدة معقولة على الأموال المستثمرة. على أن الآراء التفصيلية فى هذا الصدد تقتضى فهمًا أعمق للشريعة الإسلامية وتفسيرها ولكن الآثار المترتبة على ذلك مهمة بالنسبة للمسلمين الذين يريدون الالتزام بالشرع التزامًا نابعًا من الضمير. ومن السبل الواضحة التى أدى إليها تحريم الفائدة بالنسبة للمسلمين ما يتصل بالحصول على قروض رهنية لتمويل شراء البيوت والمساجد وغير ذلك من المنشآت التى تدوم إلى أجل طويل. وفى بعض الحالات تقوم الجماعات فى أمريكا ببساطة بجمع كل الأموال المطلوبة لبناء مؤسسة إسلامية بما يكفل تجنب ضرورة الحصول على قرض عقارى ومن ثم التعامل فى أموال الربا، ويساعد على طرح بعض الحلول فى هذا الخصوص زيادة المصارف الإسلامية بطول العالم وعرضه ووجود بعضها أيضًا فى أمريكا ذاتها.

وهناك مسألة مالية أخرى تجتذب اهتمامًا متزايدًا فيما يتعلق بما إذا كانت أرباح رأس المال المتحصلة على الاستثمارات مقبولة إسلاميا فالبعض يقول إن أرباح رأس المال لا ينبغى السماح بالحصول عليها من قريب أو بعيد بينما يدعى آخرون أنها لا ينبغى حظرها إلا عندما تؤدى إلى زعزعة الأداء السلس للنظام الاقتصادى. ويوجد فى أمريكا مزيد من البنوك التى تعمل على أساس نظام «الودائع المصرفية» و «الودائع الإسلامية» وفى ظله يعهد إلى البنك بالأموال من أجل حفظها فى الخزينة ومن ثم إعادتها دون فائدة عند الطلب أو بعد تلبية شروط معينة ومثل هذه الودائع يمكن الحصول عليها عن طريق حسابات بالشيكات أو يمكن وضعها فى حسابات محددة بآجال زمنية ومن ذلك مثلاً شهادات الإيداع.

وفيما يمعن المسلمون الأمريكيون فى تحليل مشاكلهم الاقتصادية، يلوح المزيد من الفرص المتاحة من خلال الإعلانات المنشورة عن خدمات المشورة والمساعدة فى مجال الاستثمار الإسلامى. وعلى سبيل المثال فإن مؤسسة الترست الإسلامية بأمريكا الشمالية تقدم المشورة للمستثمرين بشأن السبل التى يمكن أن يحققوا من خلالها نموا ماليا طويل الأجل وفى الوقت نفسه يتجنبون الحصول على الفوائد أو احتمال استثمار أموالهم فى أنشطة تجارية تتعامل فى الكحوليات أو الدخان أو المصنفات الإباحية أو القمار.

مثل هذه المشاكل يلزم تسويتها من جانب الذين حصَّلوا معارف واسعة النطاق بشأن الاقتصاد وكذلك بشأن الشريعة الإسلامية. وفى الوقت نفسه فالمسلمون بالولايات المتحدة يثيرون تساؤلات عملية عن التمويل ويولى اهتمام متزايد للأدبيات الشعبية المتاحة لمساعدتهم على التفكير من خلال استجابات مقبولة إسلاميا. وفى هذا الصدد يفتتح مقال منشور فى جريدة الجمعة بسؤال يقول «هل سقطت فى براثن الديون مؤخرًا؟» وذلك فى معرض تحذير القراء وتنبيههم إلى أهمية تجنب الديون الواجبة الاستحقاق وحتمية سداد الفوائد المترتبة على تلك الديون. وهناك أمثلة محددة تصور الطرق العملية التى يمكن بها لأقوال النبى وأحكام الشريعة أن تفيد فى اتخاذ قرارات مالية صائبة فى الحياة اليومية؛ فبالنسبة للعائلات التى تعيش على حافة الهامش الاقتصادى غالبًا ما تنشأ مشاكل صعبة وخاصة انطلاقًا من القناعات الدينية عندما يشعر الزوج بأن من غير المقبول إسلاميا أن تشارك زوجته فى موقع العمل وتساهم فى دخل الأسرة. وهكذا فالرسائل الموجهة إلى المستشارين الدينيين فى الجرائد الإسلامية كثيرًا ما تتعرض لكيفية أن يكون المرء مسئولاً من ناحية الالتزامات الإسلامية ثم من ناحية واجبات توفير الاستقرار الاقتصادى للأسرة ضمن السياق الأمريكى.

وثمة استجابة يزداد الترويج لها باستمرار وتتمثل فى أن يدير الفرد أموره المالية من خلال أندية الاستثمار. وفى هذا يقول اقتصادى مسلم «هناك اختيار متاح أمام المسلمين الذين ينشدون سُبُلاً تكفل الحلال والأمان والعائد المجزى لتنمية أموالهم ويتمثل فى أحد «أندية الاستثمار»[٨]، وتعمل هذه الأندية على أساس اتفاقات لشراكة منظمة قليلة المخاطر وفى إطارها يقوم الأعضاء بتجميع أموالهم

لاستثمارها كما يجتمعون بانتظام لاكتشاف فرص جديدة ويتم خفض تكاليف الإدارة والسمسرة ويتاح للأعضاء فرصة المشاركة فى عمليات تستند إلى خبرات واسعة وتقصد إلى تعظيم عوائد الاستثمار.

ويلاحظ أن فى مقدمة القضايا التى تفوق مسائل الفائدة والرهنيات قضية تأثير الأمور المالية على زيادة عدد المساجد وصيانتها. وقد درج أعضاء المجتمعات الإسلامية على ألا يتعهدوا بدعم مؤسسة دينية ما لأن مثل هذا الدعم يأتى من جانب الدولة (المسلمة). كما أن المسلمين فى أنحاء العالم يشهدون المسجد فى ضوء احتياجاتهم واهتماماتهم دون أن يعتبروا أنفسهم "أعضاء" فى تلك المساجد(*). بيد أن الأمر يختلف اختلافًا بينًا ضمن السياق الأمريكى، فعادة ما تعمل المساجد والمراكز الإسلامية بوصفها وحدات ذاتية التمويل، وغالبًا ما تكون معتمدة على مساهمات الجماعة المسلمة المحلية وعلى أنشطة جمع التبرعات من أجل صيانتها واستمرار الخدمات التى تقدمها. ولكن أحيانًا ما تبدر استجابة تنم عن الضيق من جانب الذين يشهدون المساجد إذا ما طلب إليهم «التبرع» دعمًا للمسجد بدعوى أن تلك عادة مسيحية وليست إسلامية. والمسلمون الذين يحرصون كل الحرص على إخراج الزكاة وهى الضريبة المطلوبة إسلاميا لرعاية المحتاجين قد يشعرون بأنهم معرضون لضغوط مضاعفة عندما يطلب منهم كذلك المساهمة فى المسجد أو فى المركز الإسلامى، وفى الوقت نفسه فهم يدركون باستمرار أن مثل هذا الدعم المؤسسى لا غنى عنه فى أمريكا مما يدعو إلى التفكير بشأنه من خلال أساليب جديدة. وكثير من المساجد تجد نفسها مضطرة إلى مواصلة اتباع العادات الأمريكية بالتماس الدعم المالى ومزاولة أنشطة جمع الأموال من قبيل تنظيم مآدب العشاء وبيع النثريات وتنظيم فعاليات خاصة فضلاً عن المناشدات المباشرة عن طريق البريد. وتصبح مسألة التمويل أكثر تعقيدًا عندما تعرض حكومات أجنبية كإيران أو السعودية مثلاً تقديم الدعم إلى جماعات مقيمة فى هذا البلد. وفيما يظل ضخ الأموال موضع ترحيب فإن الأمر الذى قد لا يكون مدعاة للترحيب هو التوقعات بأن يتخذ المستفيدون من تلك الأموال مواقف اجتماعية وسياسية معينة فى مقابلها.

(*) على خلاف عضوية الابرشيه أو الكنيسة المحلية عند المسيحيين «المترجم».

وفى كل حال فإن المنظمات الإسلامية القومية تبذل جهوذا متناسقة لمساعدة المسلمين فى أمريكا على التفكير بصورة ابتكارية بشأن الخيارات المالية المتاحة أمامهم. وهى تطرح إستراتيجيات للمساعدة على إحراز التقدم الاقتصادى ومنها مثلاً الدخول بصورة أفضل فى المسار العام للاقتصاد الأمريكى وممارسة النشاط الاقتصادى فى إطار جامع وشامل للمسلمين (بذل محاولات قدر الإمكان للبيع والشراء بين المسلمين فقط) بل وإبداء التضامن الاقتصادى الدولى الإسلامى. ويدعو البعض إلى ضرورة أن يكون لـ «الأمة» الأمريكية بيت مالها الخاص من أجل جمع الزكاة وغيرها من أنواع البر والأموال الخيرية على صعيد المنطقة المحلية أو الولاية أو المستوى القومى. ويتمثل الأمل فى هذا السياق فى أن وكالة مركزية من هذا القبيل لا تقتصر قدرتها فقط على توزيع الأموال أو جبايتها بصورة أفضل ولكن سيكون بوسعها تحقيق فائض فى مواردها للمساعدة على تمويل المشاريع الإسلامية.

ويقول المدير الإدارى لأول مصرف إسلامى يقدم خدمة كاملة فى مجال الاستثمار ويتخذ مقرًا له فى دوائر المال للأعمال فى وول ستريت إن من المهم إنشاء كرسى للمالية الإسلامية فى إحدى الجامعات الكبرى. وفى معرض تسليمه بأن كثيرًا من الكليات تقدم مقررات دراسية عن الإسلام إلا أنه يقول «الآن أصبح من الأهمية بمكان اتخاذ الخطوة المنطقية التالية التى تتمثل فى إنشاء كرسى للمالية الإسلامية، والأمر هنا لا يقتصر فقط على خلق وتلبية الطلب بين صفوف شبابنا (مستقبلنا) لكنه سيفسر كذلك السبب الذى دفع المؤسسات المالية التقليدية الشهيرة... إلى إنشاء «نوافذ» مالية إسلامية من أجل خدمة الأعمال التجارية»(٩).

ولا يزال الحوار دائرًا على نطاق واسع فى المحافل الوطنية والمحلية حيث يجرى تدارس قضايا من قبيل ما إذا كان يتعين على المسلمين محاولة الإفادة من برامج التوظيف التى تنبثق عن مبدأ العمل الإيجابى(*) لتعويض الفئات المحرومة مادامت هذه البرامج قائمة. إلا أن بعض القادة يحثون المسلمين على أن يمعنوا

(*) لمبدأ الذى يكفل قدرًا من التميز فى فرص العمل وغيرها لصالح الفئات الاجتماعية التى عانت من التمييز فى الماضى ومنها الملونون والمرأة والمعوقون. «المترجم».

النظر فى تاريخ اليهود فى أمريكا كنماذج على كيفية تحقيق النجاح المالى فى وجه التحيزات التى صادفتهم وهم فى موقع الأقلية. ومن الواضح أن العوامل الكثيرة التى ترتبط بالاقتصاد ستظل موضعًا للدراسة بمزيد من الجدية فى السنوات القادمة.

التغذية والصحة

لوقت طويل ظل المسلمون الأمريكيون مشغولين بألا يتمكنوا من الانصياع إلى النواهى التى يفرضها الإسلام فى مجال الطعام. وهم يفهمون هذه التعاليم، ومنها تحريم منتجات لحم الخنزير وتناول الخمر على أنها تستند أولاً إلى أوامر الله كما وردت فى القرآن، كما أنها تعكس الاهتمام بالصحة والنظافة الشخصية، وهكذا فإن الأفرو- أمريكيين الذين تحولوا إلى جماعة «أمة الإسلام» منذ منتصف القرن العشرين وما بعده كانوا يحثون بأقوى العبارات على التخلى تمامًا عن جميع ما سبق اتباعه من عادات ومنها تناول أى جزء من أجزاء لحم الخنزير. وما زالت المكتبات الإسلامية تحوى كتبًا وكرّاسات تحذر من الآثار الوخيمة الناجمة عن تجاهل هذه القواعد وهى مزودة بصور صارخة عمن يخضع لمثل هذا الإغراء ومن ثم فإنه يبدأ فى الاتصاف بخصائص خنزيرية. وقد بُذلت جهود واسعة النطاق على مدار العقود العديدة الأخيرة وكان من شأنها تحديد العناصر المُستخدَمة فى صناعة الخبز والحلوى وغير ذلك من المنتجات المطروحة فى البقالات وفى محال الوجبات السريعة وفى الأماكن الأخرى التى قد يُقدِم فيها المسلمون على شراء طعامهم. وهذه المحاولة أفضت إلى وقف استخدام عدد من المنتجات ومنها على سبيل المثال شحم الخنزير. وعليه تزداد اتساعًا الدعوة إلى تركيز الرأى العام على أهمية الغذاء السليم فى الإسلام وهى تشمل تحذيرات بشأن ضرورة توخى الاعتدال والحكمة فى استهلاك المنتجات الصيدلانية أيضًا.

وفى السنوات الأخيرة حظى بمزيد من الاهتمام أيضًا طقوس الذبح (الشرعى) للحيوانات المعدة للاستهلاك. وقد شهدت الفترات السابقة المسلمين الذين كانوا يريدون أن يتناولوا لحومهم وقد ذبحت حلالاً وهم يضطرون إلى شرائها من محلات الكوشر اليهودية. أما الآن فهناك مزيد من المحلات التى تبيع لحومًا مذبوحة على الطريقة الإسلامية وتعرف باسم الحلال بمعنى المسموح به شرعًا.

ومن المعروف أن الذبح الإسلامى السليم للحيوان له أبعاد صحية ودينية فى آن واحد فلابد من توخى النظافة عند ذبح الحيوان من رقبته وبآلة حادة مرهفة بحيث يتم قطع القصبة الهوائية والمريء والأوردة الوداجية. وبعد هذا القطع لابد من تصفية الدماء قبل فصل الرأس تمامًا. وهذه الطريقة تتناقض مع الطريقة الأمريكية المتبعة عادة فى الذبح الذى يتم فى إطارها صعق الحيوان بصدمة كهربائية قبل قتله فيما لا يتم تصفية دمائه بالكامل، فى حين أن اللحوم التى يتم تصفية الدم منها تصبح أقل عرضة للتخثر أو لتراكم البكتريا. وبالإضافة إلى ذلك فبينما يكون الحيوان قيد الذبح يذكر عليه اسم الله على نحو ما ورد فى الآية ١١٨ من سورة الأنعام التى تقول: «فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾» ومن المباح بصفة عامة إدارة شريط يتلو القرآن كبديل عن شخص يؤدى هذه المهمة. ولا تقتصر مسألة اللحم الحلال على ذبح الأبقار والأغنام بل تمتد لتشمل الدواجن أيضًا. وتقوم ولاية نورث كارولينا، وهى ولاية منتجة للدجاج على نطاق واسع، بتصدير الطيور المذبوحة على الطريقة الإسلامية إلى البلدان المسلمة ولاسيّما فى الشرق الأوسط. وهناك جماعات مثل المجلس الإسلامى للأطعمة والتغذية فى أمريكا ويتخذ مقره فى بيد فورد بارك بولاية إلينوى ويقوم بإعداد ملفات للمعلومات التى تقصد إلى مساعدة المسلمين المستخدمين فى مختلف فروع صناعة الأغذية الأمريكية.

وثمة مسألة تتسم بأهمية خاصة لكثير من المسلمين الأمريكيين ويقدم لها العلماء المسلمون عددًا من الإجابات وهى تتعلق بما إذا كان يتاح للمسلمين أن يأكلوا طعامًا من إعداد غير المسلمين وتحديدًا المسيحيين واليهود. ويقول بعض العلماء الأكثر محافظة إن الإجابة هى بالنفى لأن المرء لا يستطيع أن يتأكد من أن الطعام تم إعداده بالطريقة المناسبة فيما يوافق آخرون مع المصلح المصرى المرحوم رشيد رضا الذى قال فى مطالع القرن العشرين بأنه إذا كان القرآن يسمح للرجل أن يتزوج امرأة من أهل الكتاب فإن المؤكد أنه ليس عليه جناح فى أن يتناول طعام المسيحيين أو اليهود. ومن الواضح أن زيادة التفاعلات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين من خلال الأعمال التجارية وغيرها من الصلات يجعل من الصعب الالتزام بأكثر القيود الغذائية صرامة.

ويرفض بعض المسلمين شهود أى مناسبة تقدم فيها الكحوليات، بينما يكتفى الآخرون بالامتناع ببساطة عن احتسائها بأنفسهم تاركين جيرانهم لكى يتخذوا قراراتهم فى هذا الشأن. ويتساءل البعض عما إذا كان من اللازم تقديم الكحول إلى الضيوف، ويقول مسلم من أعالى ولاية نيويورك «فى عائلتنا...تعودنا أن نقدم المشروب لضيوفنا الأمريكيين وكل ما هنالك أننا كنا نضعه على الطاولة ونتركه هناك لكى يخدموا أنفسهم بأنفسهم ولكننا توقفنا عن ذلك نتيجة تعليقات أبدتها ابنتى الكبرى قائلة: «إذا كنا لا نشرب فلماذا نقدم المشروبات؟» كذلك فمسألة عمل المسلم فى متجر أو مطعم يبيع المشروبات الروحية كانت بدورها موضع اهتمام واسع النطاق بين بعض المسلمين وخاصة عندما يكون العمل لازمًا لإعالة عائلاتهم ومن ثم فقد تباينت القرارات المتخذة فى هذا الشأن، كما تساءل البعض عما إذا كان يسمح للمسلمين بتناول أى عقاقير قد تحتوى آثارًا من مواد محرمة مثل الكحول وهنا أيضًا تختلف الإجابات حيث يؤكد معظمها أن هذا الاستخدام إذا ما كان ضروريا لحياة المريض ولم يتوافر بديل متاح فإنه مباح. أما القاعدة العامة فهى أن المواد التى تؤثر على عقل الفرد أو تؤدى إلى تغييب قدرته على الحكم على الأشياء ينبغى تجنبها بأى ثمن اللهم إلا إذا كانت الحياة ذاتها معرضة للخطر.

وثمة مسألة أخرى تحظى باهتمام كبير بين صفوف جماعة المسلمين الأمريكيين تتعلق بفرص الرعاية الصحية السليمة. وفى بعض الحالات تعكف المنظمات على التخطيط لتوفير الرعاية المجانية للمحتاجين على نحو ما تقدمه العيادة الصحية المجانية التابعة لرابطة الجامعة الطبية الإسلامية فى لوس أنجيلوس التى يديرها أطباء وطلاب كليات الطب المسلمون. وتقع هذه العيادة فى منطقة الجنوب من وسط لوس أنجيلوس الذى تسوده أنشطة العصابات الإجرامية ولكنها تركز على قضايا الرعاية الصحية والرفاه الاجتماعى. وهى تموّل من العطايا الخيرية من الأموال والإمدادات اللازمة التى تقدمها المستشفيات ودوائر التجارة والأعمال وغير ذلك من الوكالات، إضافة إلى ما يتبرع به العاملون الطبيون ومساعدوهم من وقتهم الخاص. وفى حالات أخرى تبذل جهود لتكفل معالجة المسلمين الخاضعين للرعاية الطبية فى المستشفيات العامة والخاصة بأمريكا بطريقة تتفق مع معتقداتهم.

وقد تعاون مؤخرًا مستشفى ريفر فيو فى ديترويت، بولاية ميتشيغن مع المنظمة الإسلامية للخدمات الصحية والإنسانية على اتخاذ قرار لم يسبق له مثيل ويكفل ممارسة الأعراف الإسلامية لتشكل جزءًا منتظمًا من خدمات المستشفى. وهكذا هتف صحفى مسلم فى معرض وصفه لنتائج هذا القرار قائلاً: «الحمد لله: هذا ليس حلمًا لأنك لست فى بلد مسلم بل أنت فى ديترويت...»(١٠). هكذا يرفع الأذان همسًا فى أذن الطفل الوليد، ويعد الطعام الحلال فى مطبخ المستشفى، ويتاح للمرضى والعاملين المسلمين أداء الصلوات فى قاعة التأملات، ويقدم المصحف عند الطلب، ويُسمح للعاملات من موظفات المستشفى بأداء عملهن وقد ارتدين الحجاب كاملاً بناءً على اختيارهن. كذلك فإن قوائم المرضى تضم الإشارة التى تفيد بكلمة «مسلم» للدلالة على الأسماء عند الاقتضاء. ورغم أن مستشفى ريفر فيو هو الأول من نوعه الذى يقدم رعاية إسلامية كاملة إلى المرضى المسلمين لكنه بالتأكيد لن يكون الأخير.

العطلات

مع ازدياد وعى المسلمين بحقيقة وجودهم فى أمريكا الشمالية بوصفهم كيانًا دينيا محدد المعالم، يتسع إدراكهم لأهمية التمييز بين مواسمهم وأعيادهم وبين المواسم والأعياد المسيحية أو العلمانية فى أمريكا. وكثيرًا ما يصعب على بعض الأطفال المسلمين أن يفهموا لماذا لا يُسمح لهم بالمشاركة فى الإجازات التى يستمتع بها رفاقهم فى الفصل الدراسى. وبالنسبة إلى المسلمين الأكثر تمسكًا بعقيدتهم تزيد وطأة المشكلة عندما ينعم كثير من رفاقهم المسلمين بجميع المواسم والأعياد بمعنى أن يستمتعوا بما هو مبهج ويتجاهلوا تحديدًا الآثار الدينية المترتبة عليه. وهناك من الآباء المسلمين من يريدون تشجيع أبنائهم على أن "يمتلكوا" أعيادهم وإجازاتهم التى تخصهم متباعدين بذلك عن المواسم والأعياد الأمريكية التى يشعرون أنها تخص بالذات اليهود والمسيحيين أو أنها تتسم بطابع دنيوى يبعدها بذلك عن أن تصبح جزءًا من الإسلام.

من هنا تثور تساؤلات وخاصة وقت حلول أعياد الكريسماس ومنها مثلاً: لماذا لا نسمح لأبنائنا أن يكون لهم شجرة عيد الميلاد وأن يتبادلوا الهدايا؟ وهكذا

ما يطرحه البعض وخاصة أن المسلمين يشاركون المسيحيين فى تكريم مولد السيد المسيح وهناك من يحاولون التوفيق بين الأمرين أو تحاشى الاحتفال بذلك اليوم من الأساس فى حين أن هناك آخرين يقررون أن الاحتفال بيوم عيد الميلاد له بعض المزايا وفى هذا تقول إحدى السيدات: «نحن نحتفل بالكريسماس لسببين حيث من المهم أولاً مشاركة المجتمع الأمريكى. وإذا لم تحتفل بالكريسماس وإذا لم تحتفل بيوم عيد الشكر فإن هذا الأمر بالنسبة لى كمن يقول حقيقة إنك لا تشكل جزءًا من المجتمع الأمريكى... أما السبب الثانى فيتعلق بأننا نؤمن عن حق بالسيد المسيح: نحن لا نعتقد أنه إله معبود ولكننا نؤمن بأنه كان رسولاً نبيا»[١١]. وهكذا فالآباء المسلمون الذين لا يسعدهم أن يأتى إليهم أطفالهم فى البيت وهم ينشدون أغانى عيد الميلاد قد يصيبهم مزيد من الروع إذا ما سمعوهم وهم يترنمون بأناشيد عن «عيد الهانوكا اليهودى السعيد».

ومن الأعياد والمواسم ما ينطوى على مشاكل مباشرة أقل وقعًا. فمن الواضح أن عيد الفصح يمثل اعترافًا بيقين مسيحى ينكره الإسلام وهو قيامة المسيح، ومن ثم فالأمر بسيط اللهم باستثناء التساؤل عما إذا كان يسمح للأطفال بتلوين البيض أو إحضار سلال بالمخبوزات اللذيذة. وقد يرى المسلمون فى يوم الرابع من يوليو (عيد الاستقلال) موعدًا لتأكيد مشاركتهم فى الحياة المدنية الأمريكية. أما احتفالات يوم المساخر (الهالاوين) فينظر إليه فى معظمه على أنه لا ينطوى على ضرر يذكر برغم أن معظم الآباء لا يريدون لأطفالهم أن يتجولوا بين المساكن طلبًا للحلوى كما تقضى بذلك تقاليد هذا العيد الأمريكى فى حين أن عيد الشكر يمكن فهمه بسهولة على أنه حدث إسلامى بحق باعتبار أنه الوقت الذى يقف فيه البشر (المهاجرون) شاكرين نعمة الله وسط عائلاتهم وأصدقائهم.

مع هذا كله فهناك مناسبات فى التقويم تشارك فيها الغالبية العظمى من الأمريكيين بصورة أو بأخرى ولكنها ما برحت تثير مشاكل. وقد تتفاقم حدة هذه المشاكل إذا ما نمت أواصر الصداقة بين المسلمين وغير المسلمين الذين يدعونهم إلى الاحتفال بأعيادهم. فالشباب بشكل خاص قد يصعب عليهم أن يفهموا لماذا لا يستطيعون المشاركة فى الأعياد التى يحتفل بها أصدقاؤهم من غير المسلمين ومن ذلك مثلاً أعياد الميلاد أو ما فى حكم ذلك من مناسبات. أما الرد المحافظ فيحتج

بتعاليم الفقهاء المسلمين على مدار القرون وهو رد سلبى قاطع، بل إن البعض يصر على أن لا يجدر بالمرء حتى أن يهنئ المسيحيين أو اليهود أو غيرهم وقت حلول أعيادهم ومواسمهم. لكن صرامة مثل هذا القرار لا تروق لجميع المسلمين ومنهم حتى الذين يحاولون جاهدين أن يعيشوا حياة مقبولة من الناحية الإسلامية. ويكتب رجل مهموم بالأمر إلى مستشار مسلم قائلاً: «طُلب منى مؤخرًا تنظيم حفل زفاف لأحد أصدقائى من الهندوس لأن معظم أقربائه كانوا خارج البلاد. وكنت أقرب شخص يعرفه الصديق ويمكنه أن يثق فيه. كذلك فقد كنت نشطًا فى المشاركة فى أعياد الميلاد ومناسبات الوفاة لأفراد آخرين من الهندوس والسيخ بل وكذلك فى حفلاتهم الدينية مثل هولى وديوالى وبيساخى. فهل هناك ما يحول دون مشاركة المسلم عن كثب فى مثل هذه المناسبات والطقوس؟»(١٢)، وجاءت الإجابة على نحو أكثر محافظة من إجابات أخرى كثيرة لتقول إن التنظيم والمساعدة فى مثل هذه المناسبات أمر لا غبار عليه لأنه يساعد على إنشاء علاقات مجتمعية طيبة ولكن للأسف فالمشاركة الفعلية فيها أمر محظور تمامًا. على أن كثيرًا من المسلمين يحاولون إدخال تعديلات على التعاليم الإسلامية الصارمة بحيث يمكنها أن تريح ضمائرهم من ناحية وأن تلبى رغبتهم فى ألا يعزلوا أنفسهم أو يعزلوا أبناءهم بغير مبرر معقول عن تأثيرات ثقافة يشغلون فيها حقيقة موقع المواطنين والمشاركين.

وهناك عنصر مهم يتمثل فى إعادة التفكير فى أساليب الاحتفال بالأعياد الإسلامية التقليدية فى السياق الغربى. وبرغم أن عيد الفطر الذى يختتم به صيام رمضان على نحو ما سبق وصفه فى الفصل الأول قد يكون أشهر تلك الأعياد ومن ثم أبرز الأعياد الإسلامية فى نظر الأمريكيين من غير المسلمين إلا إنه يعتبر فى الواقع بمثابة العيد الأصغر أو الاحتفال الأقل لأن العيد الأكبر هو عيد الأضحى الذى يحتفل فيه بمحاولة إبراهيم التضحية بابنه الذى يعتقد المسلمون أنه كان إسماعيل وليس إسحاق ويحل هذا العيد بنهاية الحج إلى مكة. وقد درج المسلمون على التضحية بذبيحة أو شراء لحم حلال لتوزيعه على فقراء الجماعة ويحتفل المسلمون فى أمريكا بهذه المناسبة فى الوقت نفسه الذى يكون الحجاج قد أكملوا فيه حجهم فى مكة. كما يختار كثير من المسلمين الاحتفال بمولد النبى حيث يتم

ذلك فى الغالب الأعم طبقًا للعادات الخاصة المرعية فى البلد أو المجتمع الذى جاءوا أساسًا من صفوفه. ومن أهم المواسم السنوية التى يحتفل بها الشيعة الأمريكيون ما يعرف باسم محرم، وهم يستعيدون فيه بل ويعيدون تمثيل الأحداث التى وقعت وقت مقتل الحسين حفيد النبى محمد فى كربلاء. والشهر نفسه من الأشهر المقدسة عند المسلمين كافة باعتباره الوقت الذى قام فيه محمد بتغيير قبلة المسلمين وقت أداء الصلوات من بيت المقدس إلى مكة. وتعمل «مجالس المحرم (مجالس العزاء) على أن تزود كل جيل لاحق بالتعاليم الدينية اللازمة لاستمرارية الهوية الشيعية. وعلى مدار العام تتواصل إعادة التأكيد على حقيقة التجربة المشحونة بالعواطف فى كربلاء وهو أمر يبدأ مع أيام الطفولة»[١٣] والحق أن الشيعة يتفننون سواء فى إحياء هذه المناسبة أو فى ترجمتها لكى يفهمها على نحو أفضل جيرانهم من غير المسلمين.

ولقد أصبحت المدارس الحكومية فى أمريكا على وعى أفضل بالنسبة إلى جميع هذه المواسم والأعياد، وكثيرًا ما تشجع طلابها المسلمين على أن يحكوا لسائر رفاقهم فى الصف المدرسى عن مغزى تلك الاحتفالات. كما أن تقويمات المدارس فى المؤسسات ذات الطابع التقدمى الأعمق تسجل الأعياد الإسلامية الرئيسية إضافة إلى أعياد المسيحيين واليهود.

«المنتجات» الإسلامية

المسلمون الذين يريدون أن يأكلوا ويلبسوا ويعتزوا بسلوكهم بطرق إسلامية معترف بها يمكنهم الحصول على طائفة واسعة من السلع المصمَّمة للمساعدة على تعزيز ونشر هويتهم. وفى معظم المناطق الحضرية من أمريكا اليوم يمكن للمرء أن يجد منتجات عديدة مطروحة فى الأسواق والمحلات وهى مصمَّمة خصيصًا لاستهلاك المسلمين. وكثير من هذه المنتجات متوافرة أيضًا بالطلب البريدى على النحو الذى تشهد به زيادة الإعلانات فى الدوريات والصحف الإسلامية إضافة إلى المنشورات الأخرى وأيضًا عن طريق ميديا الإعلام. وتتضاعف كل يوم المواقع الإلكترونية والصفحات المنشورة على شاشة الحاسوب لتقدم بيانات عن المواد الإسلامية بحيث يواجه المرء مزيدًا من المعلومات والمنتجات بأكثر ما يمكن أن

يتخيله. وفى مقدمة تلك المواد الأعداد الكبيرة من الكتب وأشرطة الفيديو وأقراص الليزر وحزم البرمجيات الحاسوبية والمواد التعليمية عن الإسلام. وكثير من هذه المواد التعليمية مصممة بطريقة تبعث على البهجة وفى الوقت نفسه تقدم التعاليم المطلوبة على نحو ما هو حاصل بالنسبة لأشرطة الفيديو التى تعرض أفلام صور متحركة إسلامية للأطفال. وثمة عددٌ متزايد من الألعاب والألغاز التى تجتذب العائلات التى ترغب فى ممارسة أنشطة جماعية بنَّاءة. وهناك نموذج كبير ثلاثى الأبعاد ودقيق من حيث النِسَب والزوايا لمكة المكرمة يتاح مزودًا بأكثر من ألف قطعة محشوة بالمطاط عن طريق الطلب الهاتفى وفى محلات الألعاب. وعند تجميع أجزائه يصل عرضه إلى أكثر من قدمين فيما يرتفع مسافة قدم واحد. كذلك فقد ترغب العائلات فى ممارسة لعبة الأسئلة والألغاز بشأن التاريخ الإسلامى أو الحقائق البارزة فى العقيدة وفى الممارسة الإسلامية مستخدمين فى ذلك أوراق لعب إسلامية وتنشر بعض الجرائد ألغازًا (فوازير) مطلوب حلها عن الإسلام ثم تورد الإجابات على صفحة مستقلة.

ويقصد بهذه المنتجات مساعدة المسلمين على تأكيد هويتهم وتيسير وتطويع حياتهم وهم يعيشون فى أوساط غربية. كما تنشر إعلانات عن رحلات جماعية خاصة إلى المملكة العربية السعودية وقت الحج لتقول «نقدم أعلى خدمة وأقل أسعار لأداء الحج» ويوجَّه بعضها إلى المسافر الذى يرغب فى اقتصاد النفقات فى حين أن الرحلات الأخرى تضم الإقامة فى فنادق فاخرة مع تأكيد حوافز الحج. وتقدم بعض وكالات السفر خدمات خاصة وأسعار زهيدة من أجل ترتيب رحلات العمرة (وهى أقل من فريضة الحج وتؤدى فى غير أوقات الحج) وتتاح المعلومات بشأن فرص أداء الحج على شبكة الإنترنت وعلى الموقع الإلكترونى عن الحج والعمرة. والمسلمون الذين يريدون معرفة مواقيت الصلاة بدقة وموعد الإفطار خلال رمضان يمكنهم شراء تشكيلة من الساعات والمنبهات المصممة خصيصًا لهذا الغرض. وفى هذا السياق تعلن شركة كاسيو قائلة «لا تصلِّ حسب ذاكرتك، بل صلِّ عندما يحين وقت الصلاة» وهناك ساعة يطلق عليها وصف «ساعة العصر الإسلامية العجيبة» وهى تشير إلى مكة من أى موقع دون استخدام بوصلة كما تحدد وقت الصلوات لأكثر من مائتى مدينة حول العالم وتبين تقويمًا هجريًا على أساس ثلاثين يومًا لكل شهر.

وبوسع المسلم الذى يريد التأكد من أن غذاءه أو غذاءها موافق لتعاليم الشريعة أن يطلب الوجبات من عدد من شركات إنتاج الأغذية التى تقدم أطباقًا خاصة مثل الشاورمة (صنف شرق أوسطى من اللحم المشوى والتوابل) أو المقانق الرفيعة أو اللحم البقرى المحفوظ والبسطرمة ولحم الرومى بل ومستلزمات فطيرة البيتزا وكلها معدة طبقًا لمعايير الحلال الصارمة. وقد أصدر مركز الكتاب الإسلامى فى ريتشموند هيل، نيويورك كتيبًا بعنوان «دليل منتجات الحلال والحرام» وهو يحوى أكثر من ستة آلاف قائمة ومادة توجه الفرد إلى كيفية التدقيق فى اختيار الغذاء. وهناك مؤسسات مثل شركة ميدا مار فى سيدار رابيدز، ولاية أيوا، تؤكد لعملائها أنها قد عملت لسنوات عديدة مع عدد منتقى من الشركات المعتمدة لدى وزارة الزراعة بالولايات المتحدة لكفالة جودة ونقاء المنتجات التى تقدمها. بل تتوافر حلوى المارشمالو الإسفنجية الحلال بأحجام كبيرة وصغيرة بعد أن تم إعدادها بالأسلوب المناسب من جيلى البقر. وبالإضافة إلى الأطعمة بوسع المرء أن يطلب منتجات خاصة لرعاية البشرة ومنها مثلاً كريم إزالة تجاعيد الوجه وكريم المسك الليلى وكلها مصممة لتلبية المقتضيات الإسلامية من خلال تجنب استخدام الشحوم الحيوانية أو الكحول فضلاً عن ضمان عدم تجربتها على الحيوانات. وتعلن برامج إنقاص الوزن عن منتجات تتفق مع المقتضيات التغذوية الإسلامية بل يستطيع الرجال إصلاح ما فقدوه من شعر الرأس باستخدام منتجات مناسبة إسلاميا بالنسبة للشعر وفروة الرأس.

وبما أن مسائل الرداء المناسب وخاصة للنساء، وإن تعدت أيضًا إلى الرجال، قد ازدادت أهمية على مدار العقود الماضية فقد انعكست أهميتها فى إتاحة الكثير من أنواع اللباس الإسلامية. فالنساء الراغبات فى ارتداء زى إسلامى بوسعهن التوصل إلى طائفة واسعة من المنتجات المتاحة ما بين مختلف أنواع حجاب الرأس (ومن ذلك مثلاً شركة سمول كايين دينس التى تعلن عن أوشحة من القطن والحرير إضافة إلى أردية الخمار التى تغطى مزيدًا من أجزاء الجسم) إلى فساتين مزركشة تصل إلى الكاحلين والساعدين. وهناك أحيانًا ملابس للعمل أو ملابس للمجال الاجتماعى النهارى وغالبًا ما تُطرح بألوان رمادية أو قاتمة. لكن هناك مبتكرات أخرى مصمَّمة لارتدائها على مستوى أحدث الموضات. وعلى

سبيل المثال فشركة التكبير فى ريتشارد سون بولاية تكساس تعلن عن معاطف وتنانير شتوية رائعة لارتدائها فى الأمسيات المخملية. ومعظم شركات الملابس الإسلامية تستخدم مصطلح الجلباب كلباس عام والحجاب أو الخمار لتغطية الرأس والنقاب لستر الوجه كاملاً. وبعض الشركات تقدم ملبوسات المرأة بأسلوب أقرب إلى الهندى أو الماليزى وكثيرًا ما تطلق عليها تسمية شالوار وخميز وهى مزودة بسراويل فضفاضة ومعاطف. وبالنسبة للرجال هناك أردية بالغة الطول تسمى الثوب أو الجلابية أو القرطاس وبعض هذه الملابس عربية الطابع أو باكستانية الطراز بينما تم تعديل بعضها لتناسب أغراض الاستخدام فى الغرب ومن ذلك مثلاً أن الثوب يعلن عنه على أنه مزوَّد بقميص كلاسيكى تعلوه ياقة مندارين مناسبة وأساور ذات أزرار.

وبوسع المرء أن يشترى خواتم وأقراطًا ودبابيس وقلائد وغير ذلك من أنواع الحلى ذهبًا أو فضة وقد زينتها كتابات إسلامية مثل الله أكبر. وبالنسبة للذين يرغبون فى الملابس العفوية (الكاجوال) فيما يريدون الاحتفاظ بخصائص هويتهم تتاح أقمصة تى شيرت إسلامية وعربية وبدلات تفصيل لمواقع العمل والدرس وللمؤسسات الأخرى. وتطرح شركات مثل رحمان إمبورتس كتالوجات تعرض الأساليب الجديدة فى اللباس للنساء والرجال والأطفال.

المشاكل الشخصية والحلول الإسلامية

قيل الكثير بالفعل بشأن القضايا التى يثيرها المسلمون وهم يحاولون التوفيق بين مقتضيات عقيدتهم وبين ما تتوقعه منهم الثقافة الأمريكية. ولا يشكو أحد من قلة المساعدة المقدمة للأفراد على أن يلتمسوا إجابات على تساؤلاتهم عن طريق المساجد والمراكز الإسلامية وشبكة الإنترنت والجرائد والمجلات الإسلامية ومن خلال مصادر كثيرة أخرى. وتؤكد مجلة المنارة التى تنشر فى جنوبى كاليفورنيا لقارئيها أن الحصول على فتوى (وهى من الناحية الفنية عبارة عن رأى دينى/شرعى وليست حكمًا صادرًا) لا يكلف سوى مكالمة هاتفية. وهى تحث من لديهم مشاكل على أن يطلبوا رقمًا مجانيا هو 1-800-95-FATWA طلبًا للمساعدة لدى اتخاذ القرارات الحياتية المهمة. «مشيئة الله ليست بحاجة إلى أن نفتقدها أو

نبحث عنها ولا ضرورة لأن تعرض نفسك للمعاناة أو الألــم ولا إلـــى القلـــق أو الانشغال. وما عليك بدلاً من ذلك سوى أن تجرى مكالمة هاتفية»[١٤]، لكن المشكلة بالنسبة لكثير من المسلمين تتأتى من محاولاتهم التوصل فى حسم بشأن أى من هذه الإجابات هى الأصدق بالنسبة لجوهر الشريعة الإسلامية، وما إذا كانت تنطبـــق أو حتى يمكن أن تنطبق على السياق الأمريكى. وفيما يلى عدد قليـــل مـــن الأســـئلة الكثيرة التى تثار بين صفوف الجماعة المسلمة اليوم وبعض الإجابـــات الإســـلامية التى ردت عليها:

- هل يجوز قبول هدية من شخص كسب أمواله من فائدة فـــى بنـــك؟ إن الإجابة المحافظة هى لا رغم أن هناك من قد يجيب بأن الفكـــرة وراء الهدية هى التى تهم أكثر من كيفية اكتساب أموالها.
- هل يسمح للبنات ممن لم يصلن سن البلوغ أو حتى يشجعن على ارتداء وشاح (إيشارب) كحجاب فى المدرسة؟ إن الجماعة المسلمة مشـــغولة انشغالاً عميقًا بقضية رداء البنات. ومعظم قادتها يقولون إنها لا ينبغـــى تشجيعها على ارتداء الحجاب على الأقل حتى سن البلوغ وأيـــا كـــان قرار الفتاة فمن المهم أن توفر الأسرة بيئة داعمة وموافقة لها.
- هل من غير الإسلام الإصغاء إلى الموسيقى أو عزفهـــا أو الاســـتمتاع بها؟ جميع المذاهب الإسلامية الكبرى تحظر استخدام أنواع معينة مـــن الموسيقى، ولكن من الواضح أن هناك حلولاً وسطًا واســـعة النطـــاق بشأن هذه المسألة. فيوسف إسلام وهو «كات ستيفنز» مغنى موســـيقى البوب سابقًا يقترح الأخذ بالاعتدال أو الوسطية فى كل الأمور لتكـــون مفتاحًا للسلوك فى هذا الصدد، وهو يعتقد أن الأغانى وفنـــون الغنـــاء مقبولة إسلاميا إذا ما كانت مناسبة وإذا ما كان حمد الله دائمًا هو النيـــة الأساسية للموسيقى التى يتعامل معهـــا المـــرء «[إن التحـــريم بحكـــم الشريعة] لا يعنى أن يصبح المسلمون قردة لا تعرف معنى الـــنغم بـــل يتعين على المسلمين أن يشاركوا فى كل مجال من مجالات الحياة ومن ثم ينبغى إيلاء هذا الموضوع فكرًا عميقًا لأن هناك أناشيد وغناء فـــى الإسلام وهناك إيقاع ودفوف ولكن كل شيء ينبغـــى أن يظـــل ضـــمن

الحدود»[١٥]، بيد أن هناك آخرين أقل انفتاحًا مما سبق ويجنحون إلى إنكار الموسيقى إذا ما تم عزفها فى تجمع إسلامى.

- هل للمسلم أن يشهد جنازة فرد غير مسلم من عائلته وهل يدعو من أجل روح المتوفى؟ هنا معظم الإجابات كانت بنعم.

- إذا لم يسمح رب العمل بوقت أو مكان يصلى فيه المسلم خلال يوم العمل هل يجوز أداء الصلوات بعد ميقاتها؟ إن الإسلام يعترف بأن الصلاة يمكن أن تكون مشقة بقدر ما أنها بهجة وإذا ما أتيحت كل الإمكانيات ينبغى للمرء أن يؤدى الصلاة فى وقتها، لكن إذا استحال ذلك يصبح الموقف ضمن ما تسميه الشريعة بالضرورات ومن ثم يمكن أداء الصلاة فى وقتها قضاءً.

- هل يجوز للمسلمين تلاوة أدعية فى مستهل الوجبات أو أن ذلك مجرد تقليد نمطى لعادة مسيحية؟ وكانت الإجابة أنه برغم أن تلك لم تكن عادة إسلامية دارجة إلا أن الدعاء عند تناول الطعام مقبول بصفة عامة بل إنه يكتسب شعبية على مستوى بعض الأسر الأمريكية المسلمة.

يتضح من مطالعة أعمدة الأسئلة والإجابات المنشورة فى الصحف الإسلامية أو لدى المشاركة فى المحادثات التى تجرى على موقع الشبكة العالمية أن الإجابات لا تأتى قاطعة الوضوح باستمرار وأحيانًا يجنح الناصحون إلى التوسع فى القياس على أمثلة مستقاة من الماضى لدرجة تجعل صلتهم بالحياة فى أمريكا المعاصرة غامضة وملتبسة إلى حد ما. ومن الواضح فى بعض الحالات أن مثل هذا الاتجاه يحاول مساعدة المؤمن على التوصل إلى الإجابة بنفسه أو بنفسها. وكثير من المسلمين فى المجتمع الأمريكى يتساءلون على سبيل المثال عما إذا كان مقبولاً أو محظورًا اتخاذ غير المسلمين أصدقاء أو أولياء. وفيما يقول البعض بأن من المستصوب تمامًا أن يحدد المسلمون دائرة أصدقائهم ويقصرونها على أفراد عقيدتهم إلا أن هناك من يستعيد نموذج النبى الذى كان يهتم كثيرًا حتى بمشركى مكة ويعرب عن انشغاله بأحوالهم على نحو ما اتضح من اهتمامه بمراعاة الجيران غير المسلمين. وفى كل حال تظل القضايا المشتركة بين الديانات معقدة بالنسبة

لكثير من المسلمين الأمريكيين ولسوف تمثل جزءًا مهما من أجندة الاهتمام ســواء في الحاضر المُعاش أو في المستقبل.

ثم تطفو على السطح بانتظام قضايا المرأة وفي هذا الصدد تكتب سيدة لتقول «أنا مسلمة أستمتع في واقع الأمر بممارسة الرياضة البدنية وبرغم أنني أرتدى ملابس فضفاضة وغطاءً للرأس عندما أؤدى التمرينات أو أمارس الركض فقد قيل لي إن أي شكل من أشكال التمرينات الرياضية تمارسه الأخوات المسلمات علانية محظور، فهل يتعين عليَّ أن أبقى رهن المنزل لكي أمارس هذه التمرينـات؟»[١٦]. إن هذا السؤال يضم شواغل مختلفة ما بين اللباس ومشاركة المرأة في النشاط العام وسلوك المرأة بشكل عام فضلاً عن مسألة محـددة تتعلـق بممارسـة التمرينـات الرياضية. ومن الواضح أن ليس ثمة رد إسلامي، لكن الحقيقة هي أن الفتيات فـي المدرسة يشجعن كثيرًا على المشاركة في الألعاب الرياضية، وخاصة إذا ما كانت ملابسهن ملائمة. وأحيانًا تتنافس اللاعبات المسلمات رسميا في ميـادين الرياضـة البدنية والألعاب الرياضية بل وأحيانًا في مضـمار دورات الألعـاب الأوليمبيـة ويستطعن بشكل عام تطويع الزي الإسلامي لكي يلبي مقتضيات الحشمة من ناحية وأصول اللعبة الرياضية ذاتها من ناحية أخرى.

وعادة ما تثير المسلمات تساؤلات بشأن مسائل تتعلق بـزواجهن، فأحيانًـا تكون هذه الأسئلة روتينية بحيث تتصل بإدارة شئون الأسرة المعيشية، ومن ذلـك مثلاً ما إذا كان ينبغي للزوج أن يساعد في عمليات التنظيف ورعايـة الأطفـال. ومما يثير الاهتمام أن الإجابة ضمن السياق الأمريكي تكون بنعم على طول الخـط تقريبًا. وكثير منها يورد أمثلة من سلوك النبي محمد إذ كان يسـاعد فـي أعمـال البيت. والبعض يسأل إذا ما كانت الديون التي تتكبدها المرأة قبل الـزواج تصـبح بعد ذلك مسئولية زوجها الجديد لكن الإجابة بشكل عام تقضي بأن هذه الديون تظل ديونها هي برغم أن من شأن زوج مسئول ومحب أن يعرض المساعدة. والنسـاء المسلمات اللائي لا يشعر أزواجهن أن من الملائم بالنسبة لهن العمل خارج البيـت كثيرًا ما يلتمسن المشورة عن كيفية تغيير فكر الزوج أو كيف يشعرن بالمسـاهمة في نشاط الجماعة في حين أنهن باقيات في المنزل.

هل يجوز للمرأة المسلمة أن تسلم باليد على الرجال ممن ليسوا من أسرتها؟

هنا تتباين الإجابات. وثمة سؤال أكثر إلحاحًا يطرحه الكثيرون بشأن تحديد النسل وهل هو مقبول إسلاميا. ويبدو أن أغلبيةً من المسلمين الأمريكيين باتت تشعر بأنه ينبغي أن يتاح للمرأة استخدام شكل من أشكال التحكم في الإنجاب. برغم أن الأمر ينطوى في غالب الأحيان على اختلاف بشأن الأشكال التي يمكن إقرارها في هذا المجال. ويصعب أكثر أن تدور علنًا المناقشة حول الإصابة بفيروس نقص المناعة البشرية بين ظهرانى الجماعة المسلمة برغم أن البعض بدأوا يتشجعون على خوض مثل هذا النقاش، فضلاً عن أهمية التثقيف المستنير والمبكر للتوعية بشأن هذا الخطر الاجتماعي. وتقول زوجة واحد من متعاطى المخدرات «عندما بدأنا نسمع عن فيروس الإيدز كان الأمر مقترنًا بالشذوذ الجنسى ثم أصبح مرضًا جاء من هايتى ومن ثم شرعوا يكتشفون أنه يصيب كذلك مدمنى المخدرات عن طريق الحقن. ومضت فترة كنت أردد فيها قائلة حسنًا أنا لا أتعاطى المخدرات فأنا مسلمة وأصلى خمس مرات في اليوم ولكن هذا لم يفدنى بشيء لأن حقيقة أنك تصلى لا تعنى أنك بمنأى عن الخطر»[١٧]، هذه المرأة الشجاعة التي اكتشفت بعد الفحص أنها وزوجها مصابان بوباء الإيدز تعمل على نشر المعلومات بين صفوف المسلمين بشأن حقيقة هذا المرض، وتحث سائر المسلمين ممن يعيشون وهُم مصابون بالفيروس على إجراء الاختبار الطبى وتشكيل جماعات المؤازرة والتصدى لتلك الأخطار التي قد يجلبها الإيدز إلى صفوف الجماعة المسلمة.

والذين يشغلون مواقع القيادة ضمن الجماعة الأمريكية المسلمة يحثون أعضاءها على أن يفتحوا عيونهم جيدًا إزاء السُّبُل المختلفة التي تضفى طابعًا إسلاميا على التحولات التي تطرأ على حياة الإنسان فهم يسدون النصيحة بشأن إقامة الاحتفال بمولد طفل جديد برغم أن مثل هذا الاحتفال أمر مندوب إليه وليس مسئولية ملزمة شرعيا بما في ذلك ما جرى عليه العرف من ذبح خروفين عن طفل ذكر وخروف واحد عن طفلة أنثى. والرجال المسلمون الذين يرغبون في الزواج من نساء مسيحيات تسدى إليهم المشورة بشأن الاستعدادات والاحتفالات الملائمة وأيضًا بشأن أهمية الوفاء بشروط الزواج الإسلامي ومن ذلك مثلاً تقديم العروس بواسطة ولى أمر العروس وموافقة العريس أمام شهود. أما قوانين الإرث التي يحرص القرآن على تحديدها بدقة فيتم تفسيرها للمسلمين الأمريكيين. ويحث

مزمل صديقى رئيس الجمعية الإسلامية بأمريكا الشمالية المسلمين الأمريكيين على إعداد وصيتهم فى مرحلة مبكرة قدر الإمكان وهو بذلك يقدم التوجيهات طبقا لنصوص القرآن والحديث ويقول «بما أن الإنسان لا يعرف متى يحين أجله فإن عليه أن يكون مستعدا فى جميع الأوقات». وطبقا لذلك أعدت المنظمة «ملف وصيَّة" يقصد إلى المساعدة على توزيع تركة المرء بأفضل الطرق الممكنة»(١٨).

أما الطقوس الختامية للوفاة فتلقى باستمرار مزيدا من الاهتمام وخاصة فيما يتعلق بالمدفن المناسب. ولأكثر من نصف قرن ظل المسلمون من شتى أنحاء البلاد قلقين بشأن ضرورة تكييف شعائر الدفن الإسلامية والعادات الإسلامية فى هذا المجال مع مقتضيات القانون الأمريكى. وهم يحرصون باستمرار على اقتناء الأرض لاستخدامها كمدافن إسلامية. وجرى العرف على تكفين جثة المسلم ومن ثم يسجَّى على أديم الثرى دون صندوق موجهًا نحو القبلة طبقًا للتعاليم الإسلامية وبرغم أن القانون الأمريكى يتطلب صندوقًا يستخدم للدفن فإن المدافن المصممة لتكون إسلامية تسمح بحفر المقبرة بحيث يواجه المتوفى اتجاه مكة. وعلى مدار النصف الأول من القرن العشرين تم إنشاء المزيد من المدافن الإسلامية ومن بين القضايا العديدة التى تواجه المسلمين فيما يتعلق بالموت والاحتضار قضية ما إذا كان المسلم الذى لم يشهد مسجدًا محليا قط ولا عرَّف نفسه أو نفسها على أنه يمارس الشعائر يستحق تشييع جنازته كمسلم كى يدفن فى مقبرة للمسلمين.

كثير من هذه الشواغل التى تساور أفراد الجماعة المسلمة فى أمريكا يتم التصدى لها ويجرى التعامل معها فى إطار مناسبات عامة تعقدها المنظمات والمؤسسات على الصعيدين الإقليمى والقومى. بقى أن نتحول الآن للنظر فى كيفية تجمع المسلمين معًا من أجل الممارسة العلنية لديانتهم إضافة إلى الأساليب التى تتم بها الدعوة إلى الإسلام وطرحه بصورة أفضل لكى يفهمه الجمهور الأمريكى فضلاً عن المعلومات التنظيمية وأوجه الدعم المتاحة لمساعدة المسلمين على أن يعيشوا دينهم وأن يمارسوه.

الحواشى

١- جميلة الهاشمى «نظام المدرسة الحكومية مقابل المدرسة الإسلامية»، إسلاميك هورايزونز (يونيه/يوليه ١٩٩٧).

٢- سنثيا ر. سليمان حرف «التاء» يعنى التفاعل: الأكاديميون والجامعة: أسئلة مطروحة على عائلات التدريس المنزلى المسلمة"، إسلاميك هورايزونز (يونيه/يوليه ١٩٩٧).

٣- صباح كرم، «وصفة الآباء المسلمين لنجاح الأطفال فى المدرسة، إسلاميك هورايزونز، (يونيه/يوليه ١٩٩٧).

٤- مهدى دراى «صلوات المدارس: الحاجة إلى مشاركة إيجابية للمسلمين، إسلاميك هورايزونز (يناير/فبراير ١٩٩٥).

٥- عالية عامر وعبد الهادى هرمان شاه «المبادئ التوجيهية للسلوك الاجتماعى الإسلامي» الجمعة (٤ و ٥، ١٤١٨ هجرية).

٦- جهان زائب حسن جيلانى، «الشباب المسلم فى الجامعة" ذى مسدج (نوفمبر ١٩٩٧).

٧- عبد العزيز الفوزان، «فتاوى» الجمعة (٧، ١٤١٨ هجرية).

٨- «ضاعف أصولك عن طريق أندية الاستثمار»، إسلاميك هورايزونز (مارس/أبريل ١٩٩٧).

٩- رشدى صدّيقى «الغلبة للتمويل» ذى مسدج (نوفمبر ١٩٩٧).

١٠- جودى محمد «الرعاية الإسلامية بالمستشفيات تأتى إلى ديترويت» إسلاميك هورايزونز (سبتمبر/أكتوبر ١٩٩٦).

١١- حداد ولوميس، القيم الإسلامية فى الولايات المتحدة.

١٢- الإسلام بين يوم ويوم، ذى مسدج (يوليه ١٩٩٦).

١٣- فرنون شوبيل «مجالس المحرم: دور الطقوس فى الحفاظ على الهوية

الشيعية» يرد فى ووهو، أبو لبن وقريشى، محررون، العائلات المسلمة فى أمريكا الشمالية.

١٤- ذى ميناريت (أكتوبر ١٩٩٧).

١٥- يوسف إسلام «الموسيقى: الطيـب والفاسـد»، إسـلاميك هـورايزونز (سبتمبر/أكتوبر ١٩٩٧).

١٦- «الإسلام من يوم إلى يوم» ذى مسدج (مارس ١٩٩٦).

١٧- تراجى عبد الرحيم «الحياة مع الإصابة بفيروس نقص المناعة البشـرية فى المجتمع المسلم»، ذى مسدج (مايو ١٩٩٦).

الفصل السابع

الإسلام فى الحياة العامة

المساجد

فى عام ١٩٦٠ جاء من باكستان للدراسة فى الولايات المتحدة مهندس معمارى مسلم. وهو يصف محاولاته لإنشاء مسجد فى منطقة بيتسبرج إذ كانت الأسرة المضيفة له حريصةً على أن تجعله يحس بأنه لم يفارق وطنه، ولذلك أخذوه إلى أقرب جهاز استطاعوا العثور عليه لكى يتواصل مع ذويه. ويكتب جولزار حيدر قائلاً «ما إن تحولنا إلى شارع صغير فى حرم جامعة بيتسبرج حتى أشار مضيفى إلى لافتة أفقية بالنيون تقول بعبارات شديدة الوضوح «مسجد سورية»... وبدأت أتطلع إلى أقواس البواكى وإلى القطبان الأفقية التى تنتظم أحجار البناء المختلفة الألوان وتزينها إطارات الزخرفة من الأرض إلى السقف وكلها كانت أساليب تستدعى إلى الذاكرة فن العمارة المغربية. وفى سورة من حماس الشباب الدافق اتخذت خطواتى إلى البهو وهنا استدار إلىَّ مضيفى قائلاً: «ليس هذا نوع المسجد الذى تركعون فيه وتتخذون قبلتكم إلى مكة. إن هذا مسرح للاجتماعات بناه زوار الأضرحة... هؤلاء الذين يرتدون عباءات من الساتان وسترات مزخرفة وطرابيش فوق الرءوس»(١).

وفى كل حال فقد أدى ذلك، إضافة إلى محاولات أخرى بُذلت بلا جدوى، إلى إنشاء مسجد أمريكى يتخذ سمت الجامع الحقيقى ويؤدى وظيفته إلى أن كرس هذا المعمارى مستقبله المهنى لتصميم مساجد إسلامية تؤدى وظيفتها ضمن السياق الغربى. وفى عام ١٩٧٩ وجهت إليه الدعوة لوضع خطط لإنشاء المسجد القائم فى المقر الوطنى للجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية (إسنا) فى بلين فيلد، إنديانا. وتتسم الحركة التى تدعو إلى اتباع نهج المعمار الإسلامى فى البيئة الأوروبية بصفات تجمع بين الإبهار والتحدى لدرجة أنها تمثل فى واقع الأمر أحدث فصل فى تاريخ النضال الطويل بين صفوف المسلمين الأمريكيين لإيجاد أو ابتكار أماكن للعبادة تتلاءم والاحتياجات الخاصة لجماعاتهم وللديانة التى يعتنقونها.

وقبل أن يمضى وقت طويل بدأ عدد من المجتمعات الإسلامية المهاجرة فى التفكير على المستوى القومى فى اتباع أساليب أكثر اتساقًا لأداء شعائر دينهم وضمان استمرارية هذه الشعائر، وساورهم القلق إزاء صعوبة إيجاد مكان ملائم يتعبدون فيه ويقيمون بالذات صلاة الجمعة. وفى بعض الأحيان كانوا يقيمون الشعائر فى منازل بعضهم البعض. ولكن مع نمو الجماعة أصبح هذا الترتيب أقل جدوى باستمرار ومن ثم عمدت بعض التجمعات إلى استئجار المبانى المهجورة وغيرها من الأماكن، بينما كانت الجماعات الأخرى تتقاسم بين حين وحين مساحات فى الكنائس المحلية. وغالبًا ما كانت هذه المرافق سيئة وفى أفضل حالاتها كانت لا تناسب عملية الجلوس والصلاة على الأرض دون مقاعد أو كراسٍ وهو ما تقضى به الأعراف الإسلامية. وهكذا بدأت أعداد متزايدة من المسلمين يفكرون بتأنٍ ويحلمون بإنشاء مساجدهم الخاصة بهم. ومن الطبيعى أن امتلاك مبنى من هذا القبيل من شأنه تيسير تجمع الناس وأداء الشعائر حسب الأصول. وفوق ذلك كان المبنى يتيح للجماعة أن تعتز بهويتها الإسلامية وبقدرتها على توفير المرافق الخاصة بها وأخيرًا كان سيخدم كوسيلة لإضفاء الشرعية على الإسلام كجزء من المشهد الدينى الأمريكى بمعنى أنه يتيح هياكل ومؤسسات مرموقة تستطيع «أن تقف وتحظى بالاحترام» كما قد نقول جنبًا إلى جنب مع الكنائس والمعابد اليهودية المنبثة فى طول أمريكا وعرضها.

ولقد لاحظنا بالفعل الجهود الرائدة التى شهدتها نيويورك وماساشوستس ومنطقة وسط الغرب فى بناء المساجد الأولى فى عقدى العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضى وبعدها بدأت حركة المساجد تكتسب قدرًا من قوة الدفع ومع منتصف القرن جاء افتتاح المركز الإسلامى فى واشنطن العاصمة الذى تم إنجازه فى عام ١٩٥٧ علامة مهمة بالنسبة للمسلمين وغير المسلمين على السواء بأن الإسلام صار محل اعتراف من جانب الأقطار الإسلامية فى الخارج بوصفه وجودًا له أهميته فى السياق الأمريكى. وقد تم تشييد المركز المذكور كمشروع تعاونى بين مسلمى الولايات المتحدة وحكومات إسلامية عبر البحار. وبوصفة المبنى الأول فى أمريكا الذى تم تصميمه فنيا ليصبح مسجدًا فقد ظل منذ ذلك الحين يجتذب الزائرين وكبار الشخصيات من جميع أنحاء العالم الإسلامى. وما بين

مئذنته وأسقفه المعقودة وعواميده السامقة إلى صحن المسـجد الفسـيح المفـروش بالسجاجيد فإن جامع المركز الإسلامى تم تشيده طبقًـا لأرفـع معـايير العمـارة الإسلامية. ولما كان مصممًا بالذات لخدمة السلك الدبلوماسى فى واشنطن فقد ظـل منذ ذلك الحين محورًا للدعوة والأنشطة التربوية على السواء فيما ظلت الحكومات عبر البحار تدعم المركز برغم أن الانخفاض فى عوائد النفط أفضى إلى انخفـاض فى المعونة المالية التى يتلقاها هذا المسجد شأنه فى ذلك شأن مساجد أخـرى فـى الولايات المتحدة.

ومنذ إنشاء مسجد العاصمة واشنطن، تم تصميم وبناء أكثر من مائة مبنـى قُصِد بها معماريا أن تؤدى وظيفة المسجد أو المركز الإسلامى إضافة إلـى عـدة مئات من المبانى الأخرى التى جرى تحويلها لتستخدم كمساجد. ولما كـان يوجـد حاليًا نحو ثلاثة وثلاثين مسجدًا فى منطقة واشنطن العاصمة وحدها، فذلك يصـور النمو الهائل لحركة المساجد فى أمريكا على مدار نصف القرن الأخيـر، لدرجـة يوجد معها حاليًا أكثر من ١٣٠٠ مؤسسة تعرِّف نفسها بوصفها جوامع أو مراكـز إسلامية فى الولايات المتحدة. كما جرى بناء ما يقارب ٨٠ فى المائة مـن هـذه المؤسسات منذ عام ١٩٨٠. ويوجد فى نيويورك أكبر عدد من تلك المساجد حيـث يزيد على ١٣٠ مسجدًا وتليها ولاية كاليفورنيا التى تضم نحو ١٢٠ مسجدًا ثم كـل من إلينوى ونيوجيرسى وتكساس وميتشيغن وجميعها تحـوى عـددًا كبيـرًا مـن المساجد. ولذلك فقلة قليلة من الولايات هى التى لا تستطيع تحديد أى هيكل يعمـل بهذه الصفة. ومن ناحية الهوية الاثنية، يمتلك الأفرو - أمريكيين والهندوباكستانيين معظم المساجد ويليهم فى ذلك العرب برغم أن هذه التمييزات أصبحت أقل أهميـة ومغزى بعد أن بدأت الهويات العرقية - الاثنية تفسح الطريق للمزيد من التكامـل بين التجمعات.

وفيما يتَّبع كثير من الهياكل المصممة كمساجد الأسلوب الكلاسيكى للعمـارة الإسلامية فإن أسلوبًا أمريكيا جديدًا فى العمارة يبدو وكأنه ينشأ بالتدريج كى يتصل بالمواقع المعيَّنة التى تقوم فيها تلك الصروح. وقد أعد مشروع معهد ماساشوستس للتكنولوجيا لتوثيق نمو المساجد فى الولايات المتحدة وكندا، معرضًا متنقلاً للصور الفوتوغرافية التى تصور هذه الظاهرة الأمريكية. والـذى حـدث أن المعمـاريين

المسلمين لم يصمموا فى واقع الأمر سوى قلة من هذه المساجد فى حين شهدت بعض الحالات بذل جهود حسنة النية ولكنها أفضت إلى قيام أبنية لا تتوخى كما ينبغى تلبية الاحتياجات المتنوعة لهذه التجمعات. وبوسع الذين يرغبون فى تصميم وبناء مساجدهم الخاصة بهم، التماس المساعدة من خلال شركات مثل شركة كينو «وينطلق رؤساؤها بوصفهم مسلمين من اهتمام مباشر ومعارف محددة بالمعايير المعاصرة والتقليدية المهمة بالنسبة إلى برمجة وتخطيط وتصميم وتشييد المساجد والمراكز الإسلامية وذلك على نحو ما تؤكده كينو لعملائها المحتملين»[٢] وعليه يزداد «استيعاب» المسلمين أنفسهم لمهمة تصميم المسجد أو المركز المجتمعى فى إطار الجهود التى يبذلونها، عن وعى، من أجل «خلق حيِّز إسلامي» ضمن إطار القارة الأمريكية.

وعلى ذلك تعددت الأساليب المختلفة التى تميز المساجد الأمريكية فبعضها عبارة عن واجهات محلات أو مكاتب أو منازل تم تحويلها لكى تبدو فى أبسط الأحوال ذات مظهر إسلامى بشكل ما من خلال إزاحة المقاعد وسائر قطع الأثاث وإضافة آيات قرآنية معلقة على الجدار ثم علامة ما تشير إلى اتجاه القبلة للصلاة. لكن ثمة مواقع أخرى جيدة التمويل وهى بالتالى مساجد مكتملة الأغراض وقد تم تشيدها طبقًا للمعمار الملائم للشرق الأوسط أو لأجزاء أخرى من العالم الإسلامى: بعضها يؤكد على الهوية العرقية أو الاثنية وهى تعمل كمراكز يجتمع فيها أعضاؤها من أجل مواصلة حياتهم ضمن سياق أمريكى مناوىء فى بعض الأحيان. أما البعض الأخر فهى متنوعة فى طابعها ولا يقتصر الأمر على أنها تستخدم كمراكز للصلاة أو الأنشطة الاجتماعية بل إنها تهيئ باستمرار خدمة التواصل الفعّال للجماعة المحيطة بها بحيث تقدم خدمات اجتماعية من أنواع شتى. وكثير منها يعمل فى إطار المدارس وسائر السياقات العامة من أجل نشر التعليم حول المعتقدات والممارسات الإسلامية إضافة إلى العمل على تحسين التفاهم فيما بين الأديان. بعضها أيضًا أصبح شبيهًا بما يعرف باسم الكنائس المسيحية الجامعة أو العملاقة (ميجا - كنيسة) بمعنى المؤسسة الضخمة التى تجمع أصولاً عرقية واثنية متنوعة وتقدم تشكيلة مختلفة من الخدمات التربوية والاجتماعية وهذه المساجد والمراكز الإسلامية الكبرى غالبًا ما تقدم التعليم عند مستويات شتى

للأطفال والبالغين لأنها مزودة جيدًا بحجـرات الدراسـة والمكتبـات والمرافـق الاجتماعية والرياضية المناسبة بل يصل الأمر إلى أن يوجد بها فى بعض الأحيان مرافق إسلامية ما بين البقالات والمطاعم ودور تجهيز الجنازات والمكاتـب التـى يتم تأجيرها للأعمال التجارية ذات الاتجاه الإسلامى. ويشجع المسلمون بسُبُل شتى على المساهمة فى تشييد هذه المراكز الإسلامية الكبيـرة مـع التأكيـد علـى أن مساهماتهم هذه يتم خصمها من الضرائب فضلاً عن أنها حيوية من أجل تهيئة بيئة إسلامية للعبادة والتعلم.

ومن الأمثلة العديدة على هذا النوع من المساجد الجامعة (الميجا – مسـجد) توجد قلة مثل المركز الإسلامى لمنطقة سنسناتى الكبرى وهو يمثل نموذجًا مرموقًا بالذات على الأرض الأمريكية فهذا الجامع مجاور لمركز أوهايو الكبير فى توليدو وكلاهما يسترعى النظر مليا بالنسبة للذين لا يتوقعون أن يشـاهدوا هـذا الـدليل الناصع تجسيدًا للوجود الإسلامى فى تلك الولاية. والمسجد الجامع المذكور أعلاه نموذج مهم على الطريقة التى بدأت بها هذه النوعية من المساجد تدخل إلى الساحة الأمريكية. لقد جاءت نشأته فى أوائل عقد الستينيات عندما بدأت مجموعة صـغيرة من المسلمين يلتئم عقدها للصلاة فى سنسناتى. ومع نمو هذه الجماعة بدأت تضغط بشكل مطرد لإيجاد مرفق لا يقتصر فقط على أن يتيح لهم مكانًا للعبادة بل مكانًـا لتعليم الجماعة. وكان أن أثمرت تلك الجهود المتواصلة فى مجال التخطيط وجمـع التبرعات مع مساعدة جاءت من الشرق الأوسط إلى أن تجسدت فى ذلك المركـز الذى يضم طائفة متنوعة من المرافق: يقع فى قلبه مسجد جميل يستطيع اسـتيعاب أكثر من ألف من العابدين أما المرفق الأكبر فيضم مركزًا مجتمعيا وساحة رياضية ومدرسة ومركز ترفيه ومنزل الإمام المقيم. وتوضع حاليًا الخطط من أجل إنشـاء دار لكبار السن قرب المركز بما يتيح للمسنين فرصة المشاركة فى أنشـطة التـى يقوم بها.

وبرغم الطابع المرموق لهذه المؤسسات الكبيرة، فإن الغالبية العظمـى مـن المبانى المستخدمة حاليًا كمساجد لم يتم بناؤها لهذا الغرض ولا لكى تضم المرافق التى تكفى لتلبية مختلف احتياجات التجمعات التى تتردد عليها:كان معظمها عبـارة عن منازل ومكاتب بل وكنائس قديمة تم تحويلها، أو كانت مبانى شيدت فى الأصل

لأغراض مختلفة. وفى كل حالة تبذل الجهود من أجل إضفاء الطابع الإسلامى عليها بمعنى «أسلمة» المبنى قدر الإمكان بما فى ذلك تمهيد الأرضية وإضافة عدد من الأبسطة فى أكبر القاعات لكى تصبح صحن الصلاة مع ضمان مرافق الاغتسال لأغراض الوضوء وتعيين اتجاه القبلة بطريقة مميزة وتزيين الجدران بلوحات بالخط العربى وتحويل الغرف إلى حجرات للدراسة ورفع لافتة فى أعلى المبنى توضح استخدامه الراهن وربما يتم رفع هلال فى مكان لا يخطئه الناظرون. وفى الغالب الأعم، وإن لم يشمل هذا جميع الحالات، فإن جهود صيانة هذه المرافق تتأتى من واقع خدمات المتطوعين من أعضاء الجماعة نفسها.

الأئمة

من الناحية الفنية، لا يوجد فى الإسلام ما يضاهى الكهنة الذين تمت رسامتهم فى المسيحية أو اليهودية ومع ذلك فقد تعددت أشكال العبادة الدينية على مر تاريخ الإسلام وتباينت لتبلغ درجات عالية من التخصص. ومع نمو الإسلام فى الولايات المتحدة وتطوره تزايدت حاجة الناس إلى قدرات من يؤدى الخدمات الدينية من موقع القيادة. وفى العادة فالشخص الذى يؤدى وظيفة قيادة الصلاة فى مسجد ما أو فى تجمع إسلامى يعرف باسم الإمام (مع تمييز هذا المصطلح عن نظيره الذى يسبغه الشيعة على الإمام الغائب) ولم يعد من الغريب أن نجد اليوم من هم داخل الجماعة المسلمة الأمريكية وخارجها ممن يرون أن الأئمة يعملون بطرق تعكس مهام الكهنة فى الأديان الأخرى إن لم تقارن بها. هناك بعض جماعات المساجد التى ظلت تنشط منذ بدايات القرن العشرين عندما لم يكن يساورهم قلق عميق إزاء دقة بعض الأنشطة التى كانوا يقومون بها. وبعدها تبينوا لدى وصول المتدينين الجدد الأكثر محافظة أن بعض أنشطة وممارسات مساجدهم وجدت من يفندها. وفى بعض الحالات فالأئمة الذين تلقوا تعليمهم وتدريبهم فى أماكن مثل القاهرة أو العربية السعودية أدخلوا تغييرات فى هذا المضمار. ثم عملت الأقطار الإسلامية المنتجة للنفط من منطلق حرصها على دعم نمو الإسلام فى المناطق التى لا يزال فيها الإسلام دين الأقلية على تقديم التمويل وإيفاد هؤلاء الأئمة إلى أمريكا. ولما كانوا قد تلقوا تعليمًا تراثيا وكانوا فى الغالب هم أول قادة متعلمين أوفدوا إلى تلك المساجد التى طال الأمد على إنشائها فربما أصرُّوا على تفسيرات

أشد صرامة لاستخدام المساجد وللممارسات التى تتم على صعيدها بأكثر مما كان قد جرى عليه العرف بين المسلمين الأمريكيين. وعلى نحو ما عبر إمام منهم "إذا كنت تتكلم عن إقامة عرس فى المسجد فليس فى الإسلام ما يعارض ذلك فالنبى اعتاد أن يفعل ذلك فى المسجد ولكن إذا كنت تتكلم عن حفل زفاف على شكل موسيقى ورقص فى المسجد فلن نسمح بذلك. وأى امرئ يريد أن يفعلها بوسعه أن يذهب ويستأجر صالة فى الخارج ولكن هذا لن يكون مقبولاً داخل المسجد"(٣)، أما الأئمة الذين يأتون إلى الولايات المتحدة بغرض صريح هو خدمة وتعليم الجماعات المسجدية على صعيدها فقد يجدون تحديًا من جانب الأعراف التى تواضعت عليها بالفعل الجماعات التى طال استقرارها، وغالبًا ما يؤدى افتقارهم إلى إتقان الإنجليزية إلى الحد من فعالية الأدوار القيادية التى يضطلعون بها.

وفيما استطاع بعض الأئمة أداء مسئولياتهم مزودين بتعليم إسلامى كامل فإن هناك آخرين دُفعوا دفعًا لكى يؤدوا الخدمة قبل أن يستعدوا لها جيدًا وذلك تحت ضغوط احتياجات الجماعة لقيادة شعائرها. وفى المجتمعات الأقل ثراءً بالذات وهى غالبًا مجتمعات الأفرو- أمريكيين يخدم الأئمة تجمعاتهم دون أن يتوافر لديهم سوى معرفة جزئية باللغة العربية أو بالقرآن أو بالشريعة والسنة. وأحيانًا يعملون فى وظيفة الإمام دون أن يتلقوا عن ذلك أجرًا من مريديهم من الفقراء فيجدون أنفسهم مضطرين لأداء تلك المسئوليات مع الاشتغال بعمل متفرغ آخر. وفى واقع الأمر فهناك قلة قليلة نسبيا من المساجد فى أمريكا هى التى لديها بالفعل إمام متفرغ ومتعلم: فإذا ما كانت جماعة المسجد تقع قرب جامعة فقد يخدم الطلاب المبعوثون من الأقطار الإسلامية كأئمة مؤقتين أو يساعدون فى تعليم اللغة العربية والقرآن. وثمة إدراك واسع النطاق للحاجة إلى تحسين مرافق تدريب الأئمة فى الولايات المتحدة برغم أن الفرص المتاحة حاليًا لتلقى التدريب ما زالت محدودة للغاية وخاصة عندما ترزح التجمعات تحت ضغوط مالية قاسية.

على أن المراكز الإسلامية الكبيرة والقليلة التى تستطيع أن تتحمل خدمات إمام متفرغ طول الوقت تصر على توافر مجموعة واسعة من المؤهلات. وثمة إعلان منشور على سبيل المثال فى جريدة إسلامية وطنية يشير إلى ضرورة أن يكون المتقدم لشغل وظيفة إمام - مدير دارسًا للقرآن والحديث والشريعة الإسلامية

ومتقنًا للعربية والإنجليزية وحائزًا لإقامة شرعية فى الولايات المتحدة ومزودًا بخبرة فى التعامل مع قضايا الأسرة والمجتمع ويتحلى بمهارات ممتازة فى مجال التواصل مع جميع الأعمار فضلاً عن مهارات جيدة فى المجالين الإدارى والمالى. وفى الغالب فالذين ينشطون أكثر من غيرهم فى المساجد الكبرى والمراكز الإسلامية، والذين يعدون من أقوى مسانديهم ماليا هم مهنيون مسلمون مدربون فى مجالات العلوم البحتة (وخاصة الطب) ولا يتوافر لديهم تعليم دينى واسع النطاق. وفيما يشعر المسلمون فى الولايات المتحدة بالعرفان إزاء الدعم الذى يأتى من المجتمع الإسلامى الدولى على شكل ابتعاث قادة دينيين مدربين إلى المساجد الأمريكية، فإنهم على وعى عميق أيضًا بالضرورات الملحة التى تؤكد أهمية تنمية قيادة أمريكية دينية أصيلة تتمتع بتعليم إسلامى على مستوى راق.

ومع ذلك فالأئمة الذين حصّلوا بالفعل تدريبًا إسلاميا كلاسيكيا غالبًا ما يجدون أن توقعات مريديهم تختلف عما هو متوقع فى المجتمعات الإسلامية التقليدية. وبما أن المساجد تتولى مهمات وأنشطة تجعلها فى الغالب أقرب إلى الكنائس المسيحية والمعابد اليهودية الأمريكية أكثر من كونها مساجد إسلامية، فكذلك يطلب إلى الأئمة أداء مجموعة من المسئوليات التى تكاد تقارب فى خصائصها مسئوليات القسس والحاخامات أكثر من تماثلها مع مهام قادة الصلوات المسلمين: إن كلمة إمام فى حد ذاتها تعنى «الشخص الذى يتصدر صفوف المصلين ليقود الصلاة» وفى المجتمعات المسلمة التقليدية هناك مهنيون آخرون يقومون بوظيفة عقد الزواج وشهود الجنازات وإسداء المشورة الشرعية وتقديم التعليم فى مسائل العقيدة والممارسة وما إلى ذلك، ولكن الأئمة فى أمريكا مطلوب منهم أن يؤدوا كل هذه الأشياء وأكثر، بل يتعين عليهم فى الغالب جمع التبرعات من أجل صيانة المسجد وبسط المتابعة الرعوية وإسداء المشورة لأفراد مجتمع المسجد من ذوى الاحتياجات المعينة وزيارة المرضى والمسنين وتنظيم صفوف الجماعة من أجل تطهير الأحياء من تعاطى المخدرات وغيره من الأمور غير المشروعة، ثم تدريب أعضاء الجماعة لكى يتولوا التعليم فى الدورات الدراسية التى تعقد بالمسجد بعد اليوم الدراسى وفى أيام العطلات والفصل فى أمر الإجراءات المتبعة عندما تثور خلافات بين هؤلاء الأعضاء ومكافحة التحيز

المناهض للإسلام وتعزيز الفهم الأفضل للإسلام والمشاركة فى الأنشطة المشتركة اجتماعيا بين الديانات فضلاً عن أداء أمور كثيرة أخرى لا تشكل جزءًا من الدور التقليدى للإمام. وهذه التوقعات غالبًا ما يكون من الصعب تلبيتها، ليس لأن الإمام قد ينقصه التدريب عليها فقط ولكن لأنه فى حالات كثيرة يعمل فى المسجد على أساس غير متفرّغ فى أفضل الأحوال. وفى بعض الحالات هناك نماذج جديدة مازالت قيد التجريب ومنها مثلاً أن يكون ثمة «فريق» من القادة يتناوبون تحمل المسئوليات ومن ثم إمامة المتعبدين خلال الصلوات.

الوعّاظ

ثمة ظاهرة حديثة ومتنامية طرأت على المشهد الأمريكى وتتمثل فى وجود أفراد مسلمين يخدمون بمثابة وعاظ فى المؤسسات التعليمية وفى السلك العسكرى ونظام السجون وفى بعض الأحيان يتمتع هؤلاء النفر بمكانة الإمام فيما لا يتمتعون بهذه المكانة فى أحيان أخرى.

عدد قليل من الجامعات بات يدرك ولو ببطء أن الحاجة لا تدعو فقط إلى منظمات للطلاب المسلمين تقوم فى إطار الحرم الجامعى ولكن أيضا إلى وعاظ يعملون مع الطلاب ويتولون إمامة الصلوات. لكن عددا من الكليات الأصغر حجما، والعاجزة من ثم عن تمويل وظيفة واعظ مسلم متفرغ، باتت تنشد سُبلا أخرى لتربية طلابها من المسلمين. وعلى سبيل المثال قامت كلية ماونت هوليوك وهى مؤسسة نسوية، بتعيين سيدة مسلمة لتعمل على أساس غير متفرغ بوصفها واعظة ومستشارة دينية. ومن جانبها تقدم جامعة ألبرتا فى كندا نموذجا قد ترغب بعض الكليات الأمريكية فى احتذائه، إذ أنشأت الجامعة هيئة للوعظ الإسلامى داخل حرمها يعمل فيها أستاذ جامعى متقاعد واعظا. وهذا المهاجر المخضرم الذى يقدم خدماته متطوعا يعمل مع الطلاب الدوليين وهم يواجهون القضايا العاطفية والشخصية فضلاً عن المشكلات الروحية التى قد تصادفهم فى مجتمع الغرب. وتعمد مؤسسات كثيرة إلى التماس خدمات الأساتذة أو الخريجين المسلمين للعمل كمستشارين للطلاب المسلمين. وتقوم مؤسسات أخرى مثل جامعة هارفارد فى ماساشوسيتس أو جامعة توسكيجى فى ألاباما بدعوة المسلمين لإمامة الصلوات فى التجمعات الإسلامية على صعيدها ضمن البرامج الرسمية للجامعة.

وقد شهد عقد التسعينيات عددا كبيرا من أوائل الوعاظ المسلمين فى القوات الأمريكية المسلحة حيث يقدر أن عدد المسلمين والمسلمات العاملين حاليا فى جميع فروع القوات المسلحة الأمريكية بنحو عشرة آلاف فرد ونحو ثلث هذا العدد يقال إنهم اعتنقوا الإسلام خلال حرب الخليج الثانية. وبرغم أن عددا صغيرا نسبيا يتم تعريفه بالفعل تحت صفة مسلم فى السجلات العسكرية إلا أن الفروع العديدة بالقوات المسلحة بدأت فى الاعتراف بأهمية تقديم المساعدة للمسلمين والمسلمات المنتظمين فى سلكها. وبالإضافة إلى تلبية الاحتياجات الروحية، يساعد الوعاظ على إيجاد سياقات مناسبة يمكن فى ظلها أن يؤدى المسلمون فرائض دينهم سواء على مستوى الشعائر أو الطعام أو اللباس كما يعملون لضمان حصولهم على ما يناسبهم من حقوق.

وفى عام ١٩٩٣ أصبح الكابتن عبد الرشيد محمد أول واعظ إسلامى برتبة ضابط فى الجيش الأمريكى يحمل على سبيل المثال لقب الإمام. ولما كان منخرطاً فى سلك الجيش بصفة رسمية كواعظ للمسلمين وغير المسلمين فإنه يتحمل مسئولية إيجاد السُبل التى تتيح للأفراد من جميع العقائد الدينية ممارسة الدين الذى يعتنقونه برغم أن عمله الأساسى يتم بين صفوف المسلمين. ولما كان يقدم خدماته للمسلمين والمسلمات على السواء، فقد دعا إلى حق الرجال فى إرسال اللحية إضافة إلى الحق فى الظهور بالزى الإسلامى المناسب ومن ذلك مثلاً الحجاب أو الكوفية وكذلك السماح للنساء بارتداء أزياء رسمية معدلة خلال التدريب البدنى لأغراض الحشمة فضلاً عن تخصيص مساحات بعينها لأداء الصلوات والحق فى إقامة حفلات الزفاف الإسلامية وخدمات الدفن الإسلامية. كما يعمل أيضًا على تطوير إعداد وجبات إسلامية «جاهزة للتناول» تتألف من اللحم الحلال وغير ذلك من الأصناف الملائمة للغذاء الإسلامى. ويقول عبد الرشيد محمد «أظن أن قيام الجيش باستخدام واعظ مسلم رمز يدل على ازدياد المراعاة للدين الإسلامى ومن ثم فقد اتخذت القوات المسلحة خطوات مهمة لاستيعاب التعاليم التى ينادى بها الإسلام»(٤).

المسلم الثانى الذى تم تجنيده كعضو فى فيلق الوعاظ العسكريين كان الملازم (الفخرى) منجى ملك عبد المطاع(*) على نويل الابن من السلاح البحرى للولايات

(*) رأينا أن هذه أقرب ترجمة مقبولة للفظة «عبد الموتا» (muta) الواردة حرفيا فى الأصل «المترجم».

المتحدة وقد تم تعيينه بعد سلفه عبد الرشيد محمد بثلاث سنوات. ويحمل الواعظ نويل درجة الماجستير في الدراسات الدينية من كلية أصول الدين اللوثرية في شيكاغو التي شاركت في منحه الدرجة مع الكلية الإسلامية الأمريكية.

وبفضل أعمال أفراد مثل محمد ونويل، وبفضل الجهود المتواصلة التي يقدمها في مجال المساعدة مكتب القوات المسلحة وشئون قدامى المحاربين في المجلس الإسلامي الأمريكي، يُسمح للمسلمين بالقوات المسلحة بأداء صلاة الجمعة والتوجه إلى مكة لأداء فريضة الحج وبصفة عامة بممارسة عقيدتهم على النحو المناسب. وخلال شهر رمضان من عام ١٩٩٨ استضاف البنتاجون أول مائدة إفطار لجميع المسلمين من العسكريين العاملين في القوات المسلحة أو المستخدَمين في وزارة الدفاع. (لا يزال اللباس قضية مطروحة في السلك العسكري وفي عام ١٩٩٦ سُرحت جندية مسلمة بعد أن رفضت التوقف عن ارتداء حجاب الرأس وإن جاء تسريحها بدرجة مشرِّفة).

وثمة حاجة واسعة النطاق لأئمة مدرَّبين من أجل العمل مع أعداد كبيرة من نزلاء السجون الذين يريدون أن يعرفوا المزيد عن الإسلام وعن ممارساته الدينية. وفي كثير من الحالات فإن الوعاظ من الكاثوليك والبروتستانت يجدون أنفسهم وقد تم استدعاؤهم لإلقاء مواعظ إلى المسلمين وهم يحاولون جاهدين تثقيف أنفسهم عن الإسلام فضلاً عن التماس الوسائل التي يستطيعون من خلالها توفير مواد دينية للنزلاء المسلمين. وعلى سبيل المثال فإن قسيسًا من الروم الكاثوليك يعمل في إصلاحية أمريكية في ولاية كولورادو كتب إلى الجرائد الإسلامية ملتمسا المساعدة على توفير مصاحف قرآنية وشرائط فيديو وكاسيت وكراسات وغير ذلك من المواد الدراسية.

وتذكر صحيفة قومية إسلامية «أن الرابطة القومية للوعاظ المسلمين عاكفة على عمليات تجنيد على المستوى الوطني للإخوة المسلمين والأخوات المسلمات الذين يعملون في خدمة النزلاء المسلمين في سجون المقاطعات والولايات أو المرافق العقابية الاتحادية سواء بأجر أو على سبيل التطوع[٥]» وقد تشكلت هذه الرابطة في عام ١٩٧٩ وهي تؤكد أنه عندما يعمل المزيد من الأفراد بوصفهم دعاة من أجل حصول السجناء المسلمين على ما لهم من حقوق ومزايا،

تستطيع المنظمة أن تكسب مزيدا من قوة الضغط فى مواجهة مديرى المؤسسات العقابية. وفى إطار انتساب أعضاء إليها من كثير من الولايات فهى تكفل نظام مؤازرة إسلامى للسجناء المسلمين كما تتفاعل مع الهيئات الحكومية لإقرار حقوق السجناء وتهيىء التعليم الإسلامى للمحبوسين داخل جدران السجون.

وينشط الكثير من المساجد المحلية والمراكز الإسلامية، بما فى ذلك مساجد ومراكز الجماعات الصوفية، للعمل على تزويد السجناء فى مناطقها بسُبُل الدعم والتوعية. وفى بعض الحالات يعمل أعضاؤها بصفة أئمة أو وعاظ فى هذا الصدد. وفى حالات قليلة يسمح للنساء المسلمات بالعمل فى المؤسسات العقابية النسوية فيقدمن سُبل التثقيف والمشورة للنزيلات من المسلمات مع مساعدتهن على إيجاد حلول إسلامية للمشاكل المزمنة التى يعانينها ومنها مثلاً تعاطى المخدرات أو إدمانها أو مزاولة البغاء أو مواجهة الفقر مما أدى إلى إيداعهن غياهب السجون.

نشر الدعوة

يشعر المسلمون فى أمريكا بمسئولية خاصة عن نشر عقيدتهم التى رأينا أنها حرفيا تحمل اسم الدعوة (إلى الله وإلى العقيدة أى إلى الإسلام) وقد وجدت هذه الجهود من يشبِّهها بالجهود التبشيرية بالمسيحية وبعض الأديان الأخرى برغم أنها تحمل معانى مميزة ضمن السياق الإسلامى. فالدعوة بالنسبة للبعض تعنى النشاط فى نشر الإسلام حيث الغاية هنا تحويل عدد من الأفراد إلى هذا الدين ويعمل عدد من الجماعات المهاجرة بصورة منتظمة فى الولايات المتحدة على نشر العقيدة. وبالنسبة لآخرين تنطوى الدعوة على جهود لهداية المسلمين الذين ضلوا الطريق لكى يعاودوا مسيرتهم على النهج القويم. وقد يشمل هذا تشجيع المسلمين الذين لا يؤدون الفرائض أو الذين لا يشاركون سوى فى المواسم الكبرى على أن يؤدوا الصلوات بانتظام وأن يشهدوا المساجد وأن يؤدوا ما يستحق عليهم من زكوات. ومع ذلك فهناك آخرون تمثل الدعوة بالنسبة لهم مسئولية تجعلهم يعيشون ببساطة حياة هادئة من الورع بما هو خليق بأى مسلم أملاً فى أن يكونوا بذلك القدوة التى يمكن أن تشجع الضالين من بنى عقيدتهم، فضلا عن الآخرين، لكى يفهموا أن الإسلام هو الرابطة الحقة والقويمة مع الله. وكثيرا ما يتمثلون فى هذا الصدد بالآية

٢٥٦ من سورة آل عمران التى تقول «لا إكراه فى الدين» وذلك تأييدا لعزوفهم عن ممارسة الضغط من أجل تحويل الآخرين. والحق أن أيا من هذه التفسيرات لكلمة الدعوة يمكن أن يجد تأييدا له عبر ساحات شتى بما فى ذلك المساجد والمراكز الإسلامية ذاتها والسجون ومناسبات الحوار بين الديانات والمدارس والجامعات.

وبقدر ما يصبح المسلمون أكثر وعيا بأهمية إقرار وتعزيز الإسلام فى أمريكا، يُنشر عدد متزايد من الكتب والمقالات الصحفية بشأن موضوع الدعوة. أما المسلمون الذين ينشطون للعمل من أجل الدعوة للإسلام، والذين يتكلمون علانية عن إمكانية أن تصبح الولايات المتحدة بلدا إسلاميا فى المستقبل المنظور فهم فى الغالب أكثر من يعارض أى شيء ينحو نحو أى استيعاب من قريب أو بعيد للمسلمين ضمن المجتمع الأمريكى. ومن عجب أن كثيرا من المهاجرين الذين ما كانوا ينطلقون بمثل هذا الحماس بشأن الإسلام فى أوطانهم الأصلية يجدون أنفسهم وقد شاركوا بجهد عميق فى تعريف ونشر العقيدة الإسلامية فى الغرب «نحن نتحمل المهمة الأساسية عن أسلمة أمريكا: لقد تعيَّن علينا أن نختار بعناية أولوياتنا وأن نحدد أهدافنا المنشودة وأن نركِّز عليها... نحن نتحمل رسالة الله وهدفنا هو مجموعة كبيرة من الإفراد قوامها ٢٥٠ مليون نسمة»[٦]. وعليه تصبح الدعوة جزءًا من الجهود الرامية إلى تحسين فهم الإسلام وممارسة الضغوط والإقناع لإقرار الحقوق السياسية للمسلمين وما فى حكمها من الحقوق فضلاً عن طرح أسلوب حياة إسلامى يشكل بديلا عمليا عن المخاطر المتصورة التى تحف بالحياة العلمانية فى أمريكا.

وكثير من الذين يصنفون فى خانة الناشطين فى سبيل الدعوة المتواصلة جاءوا متأثرين بكتابات عدد من القادة المسلمين فى القرن العشرين مثل أبى الأعلى المودودى فى باكستان وسيد قطب فى مصر. وهم يقولون بأنه مع زيادة المسلمين عددا فى أمريكا تزيد الفرص التى تتاح أمامهم لرفع أصواتهم فى الحياة العامة. كما يتاح أيضا فرص أفضل للمسلمين بعامة لكى يناهضوا التحيُّز الأمريكى ضد الإسلام. كذلك فمع انتشار الإسلام فى بقاع أوسع من العالم فإن المسلمين المشاركين فى الدعوة الفعالة فى أمريكا يركزون على عقلانية الإسلام وبساطة

عقائده ومقتضياته وجوهره الأخلاقي وتشديده على تحمل المسئولية عن الحياة في هذا العالم فضلا عن مثله العليا المجسدة في التواؤم العرقي والأخوَّة بين البشر.

والمهم أن الدعوة لنشر الإسلام في أمريكا ظلت تحتل مكانة الصدارة على أجندة عدد من مسلمي البلدان الأخرى. وتوفد جماعة التبليغ (تبليغي جماعت) بانتظام عددًا من المبعوثين الذين يمارسون التبشير بالدعوة وممارستها في الولايات المتحدة وكندا من خلال ما يعقدون من اجتماعات وما يلقونه من محاضرات مستخدمين في ذلك المساجد المحلية قاعدة للأنشطة التي يضطلعون بها. وهذه الجماعة هي حركة للتجديد الروحي بدأت في الهند في الجزء الأول من القرن العشرين في محاولة لتقليد ما كان الرسول محمد يمارسه في مجتمع المدينة. وقد بدأوا أعمالهم التبشيرية في الولايات المتحدة في عام ١٩٥٢، ومنذ ذلك الحين ظلوا يبشرون بالانبعاث الروحي والتفرد الاجتماعي مستهدفين المسلمين الضالين عن الطريق إضافةً إلى الذين يأملون في التحول إلى اعتناق الإسلام. وهم يحثون مسلمي أمريكا على تجنب أي اتصال بغير لزوم مع الذين لا يشاركونهم عقائدهم فضلاً عن تبشيرهم بمقاومة الثقافة الغربية أينما كان ذلك ممكنا ومعارضتهم القوية لمشاركة المسلمين في أي نشاط سياسي اللهم إلاّ ما يتصل بالدعوة إلى عقيدتهم. وهناك عدد صغير من المساجد ينتسب مباشرة إلى جماعة التبليغ برغم أن نفوذها يمتد إلى مناطق تتجاوز تلك المساجد بكثير كما يتمتع أعضاء هذه الجماعة بمستوى راق من حيث استخدام تقنيات الميديا الحديثة. وابتداءً من عام ١٩٨٠ دأبوا على عقد اجتماعات سنوية دورية التأم أولها في شيكاغو في عام ١٩٨٨ حيث يُعتقد أنه كان أكبر تجمع للمسلمين على الإطلاق في أمريكا حيث بلغ من حضروه نحو ٦٠٠٠ فرد.

ويمكن القول بأن جهود الدعوة أفادت إلى حد كبير من دعم هذه الجماعات المسلمة التي تتبنى فكر الصحوة إلى حد ما وتستهدف الأمريكيين المسلمين بوصفهم المستفيدين من المساعدات المالية. وهناك الحركة السلفية التي تتلقى دعما من "دار الإفطار" في المملكة العربية السعودية وهي تتشابه من الناحية الأيديولوجية مع جماعة التبليغ وإن اختلفت من حيث تشديدها على العودة قدر الإمكان إلى ما كان عليه المجتمع السلفي. والسلفيون بدورهم غير مسيسين برغم

أنهم، بوصفهم مسلمين محافظين، يتخذون موقفا فعالاً من حيث العمل على شجب الحركات الشيعية فى أمريكا وخارجها. وبعد قيام الثورة الإيرانية ظهرت توترات بين صفوف رابطة الطلاب الإسلاميين بشأن مسألة الهوية السنية مقابل الهوية الشيعية. وعندما نشأت مجموعة ناطقة بالفارسية فى رابطة الطلاب المسلمين لتقديم الدعم للطلاب الشيعة، قدمت العربية السعودية تمويلا للطلاب فى محاولة تبغى إلى «تحصينهم» ضد نفوذ الإمام الخمينى. ويرى كثيرون أن التوترات الناجمة عن ذلك شجعت على نشوب الانقسام بين السنة والشيعة فى أمريكا ولم يتم بعد التئام جروحه. أما شيعة أمريكا أنفسهم، فيتلقون على نحو ما لوحظ، قدرا كبيرا من الاهتمام عن طريق مؤسسات مثل مؤسسة الخوئى التى كانت فى السابق تحت قيادة الإمام الخوئى من النجف فى العراق. وبطبيعة الحال فهذه الجهود لا تصور فقط مدى ما تحظى به أنشطة الدعوة من عون خارجى فى أمريكا ولكنها تصور التوترات التى يتم استغلالها فى الغرب فتعكس الانقسامات والخصومات التقليدية بين صفوف الإسلام التى كانت قد نشأت وتطورت على مستوى التاريخ والجغرافيا على السواء.

وفيما تتواصل جهود الدعوة فى أمريكا فإن نتائجها أصبحت بادية للعيان. ويشهد بذلك الأعداد المتزايدة من الأفرو -أمريكيين ولا سيما الرجال الذين يعلنون أنفسهم كمسلمين. لكن ما زال الأمريكيون الآخرون المتحولون إلى الإسلام مجاميع صغيرة وإن كانت متزايدة العدد وهم يقدمون إسهاما لا يستهان به ضمن صفوف المجتمع المسلم. حقيقةً أن تجربة من نوع «لحظة التحوُّل» ما زالت أقل تجليا فى حالة الذين يختارون الإسلام فى أمريكا بمعنى أنها أقل فى الغالب عن حالة الذين يجدون أنفسهم وقد «لبُّوا الدعوة» إلى المسيحية، فكثير من المتحولين إلى الإسلام، أيا كانت خلفيتهم العرقية - الاثنية، يختارون أن يشار إلى العملية على أنها «عودة» بدلا من «تحوُّل». والذين يختارون اعتناق الإسلام يجنحون إلى رؤية تغيير ديانتهم وعلى أنه إدراك تدريجى لدين الفطرة الحق وللهوية الصحيحة. وهذا الفهم يعكس حركة قوية على صعيد تبرير الإسلام دوليًا وهى تؤكد العنصر الرئيسى والطابع الأساسى لكل إنسان بوصفه مسلما. فالقرآن يذكر فى الآية ١٧٢ من سورة الأنعام «إن الله أخذ من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ثم سألهم: «ألست بربكم؟» وبهذا أجبنا فى زمن ما قبل الزمن قائلين «بلى»

وهنا يؤكد المسلمون أن هذا برهان على أن أبناء آدم جميعا هم مسلمون (المسلم هو على الأقل الشخص الذى أسلم لله). وإذا ما اعتقدوا غير ذلك فلأنهم هكذا أنشأهم آباؤهم وأقوامهم. وإسلام البشر لوحدانية الله وجلاله كما يقولون هو الذى يتسم به الأتقياء منذ آدم. وعليه فإن المرء عندما يقرر اعتناق الإسلام فهو لا يغير ببساطة عقيدته من دين إلى آخر ولكنه بالأحرى يراجع مسيرته حيث يعود إلى الأمر الأساس. وبالنسبة للأفرو- أمريكيين فإن كلمة العودة لها معنى مضاف يفيد الرجوع إلى دين أسلافهم فربما كانوا مسلمين جاءوا بهم مجلوبين إلى هذا البلد فى غمار تجارة الرقيق.

وفى إطار جهود الدعوة التى يتم بذلها وسط الإسلام الأمريكى، بما فى ذلك إسداء المشورة وتقديم النصيحة للذين اعتنقوا الإسلام مُجددًا، ثمة جانب يمارسه هؤلاء الأعضاء الجدد أنفسهم حيث يفهمون أن الضغوط التى قد يتعرضون لها ربما تأتى من جانب العائلة أو موقع العمل أو الثقافة السائدة بشكل عام.

ورغم أنه ليس من السهل أن يعيش المرء مسلما فى الغرب، تزداد الصعوبة أحيانا بالنسبة للشخص المتحول الذى يريد أن يشعر بالبهجة والحماس وقد دخل فى دين جديد واتخذ هوية جديدة حيث يسأل البعض: كم مضى عليك من الزمن بعد أن نطقت بالشهادتين وقبل أن تُعد من جانب الآخرين مسلما "بحق"؟ وهل من الضرورى أن تتخذ اسما إسلاميا أو بوسع المرء ببساطة أن يختار أن يدعوه الناس باسمه أو اسمها فى شهادة الميلاد ثم يظل مسلما أصيلاً حقيقيا؟ (ينزع الأفرو- أمريكيين إلى التشدد لاتخاذ اسم إسلامى جديد بأكثر مما يفعل الأنجلو- متحولين. ويختار البعض الجمع بين اسمهم الإسلامى واسمهم السابق فى الثقافة الإنجليزية بحيث يصبح مثلاً (روبرت مصطفى فيلد أو نعيمة لويس مارشال). وهناك أسئلة أخرى من قبيل «لماذا يبدو المستجدون على الإسلام فى كثير من الأحيان أكثر اهتماما بفهم الشريعة بنصها واتباعها حرفيا بأكثر من الذين وُلدوا ونشأوا فى أقطار إسلامية؟ ولماذا يجد المتحولون من الأفرو - أمريكيين أنفسهم فى بعض الأحيان وقد عوملوا من جانب إخوتهم وأخواتهم المهاجرين وكأنهم أقل «أصالة» حتى برغم أن هؤلاء المتحولين قد يعرفون أكثر من سواهم عن القرآن والسنة.

لقد أفضت جهود الدعوة التى مارسها عدد من المنظمات الإسلامية إلى

توضيح الإسلام بجلاء في مواقع عامة وبأساليب مستحدثة. وفي يناير من عام ١٩٩٦ أصبح مطار دنفر الدولي الجديد أول مؤسسة من نوعها في أمريكا تضم مسجدًا. وهذه المساحة التي خُصصت لشعائر المسلمين موجودة في الطابق السادس من الدور الأرضي (الميزينين) المطل على المدرج الرئيسي والمتاخم لمبنى يضم زاوية للعبادتين المسيحية واليهودية. وقد جرت في أول الأمر مناقشة بشأن حيِّز مشترك للعبادة يخصص للأديان الثلاثة جميعا ولكن المسلمين اختاروا الاحتفاظ بمسجد منفصل وله مدخله الخاص وكانت أسبابهم في ذلك تجمع بين الأسس العملية (لا يضم صحن الصلاة للمسلمين كراسي أو مقاعد) والدينية (كثير من المسلمين لا يتحمسون لارتياد مكان للعبادة يضم رموزا مسيحية أو يهودية). وأدت الهبات الخاصة إلى تمويل نصف مجمع العبادة بأكمله، أما النصف الآخر فجاء من شركات الطيران التي تعمل في المطار. كما يخطط المطار الدولي في كولومبوس بأوهايو لإنشاء قاعة تأملات مشتركة بين الأديان ومن شأنها أن تضم مساحة منفصلة لصلاة المسلمين. أما مباني مطار جون ف. كنيدي الدولي في نيويورك، فضلاً عن عدد من المباني العامة الأخرى في تلك المدينة فتضم الهلال والنجمة الإسلاميين على إحدى راياتها المرفوعة. ولا تقصد مثل هذه الجهود فقط إلى تقديم خدمات للمسلمين الأمريكيين ولا للذين يسافرون من الخارج ولكنها تقصد إلى زيادة وضوح الإسلام في أمريكا وتلك وسيلة إضافية لتعزيز الجهود الرامية لتبني الإسلام وفهمه على نحو أفضل(*).

ويعد نظام السجون واحدا من أغنى ميادين نشر الدعوة وبالذات بين صفوف الأفرو- أمريكيين وإن لم يقتصر عليهم بالطبع. وبمعنى من المعاني فإن تجربة مالكولم لتل التي أوصلته إلى الإسلام عندما كان محبوسا والطريقة التي تغيرت بها حياته بحق ما لبثت أن تكررت ولو بطرق أقل درامية في حياة كثير من مئات البشر على مدار نصف القرن الأخير. وبالتأكيد فإن قصة مالكولم أصبحت ذائعة ومؤثرة بين صفوف شباب السود الذين يحدوهم الأمل في أن يجدوا في الإسلام سبيلاً لإضفاء تغييرات جادة وعميقة على نهج حياتهم. إن كفاحهم من أجل ممارسة

(*) في ضوء هذه الإيجابيات جميعًا، يمكن أن نتفهم فداحة الآثار التي نجمت عن تدبير وتنفيذ حادثة سبتمبر/أيلول عام ٢٠٠١ «المترجم».

الإسلام وهم مودعون بالسجون يتسم بعدد من الأبعاد المثيرة للاهتمام. فمن ناحية، ظلوا يكافحون من أجل تحقيق الحرية أو التعبير السليم عن ديانتهم وكان هذا الكفاح موازيا لكفاح أفراد القوات المسلحة (من المسلمين) فيما يتعلق بالزى والمساحة المخصصة والطعام الحلال والفرصة المتاحة. وقد بذلوا فى ذلك جهودا حثيثة وإن لم يحققوا بعد ما يرجونه كاملا. ومن الناحية الأخرى، يدرك حرس السجون وسائر موظفيها بأن المسلمين الذين يلتزمون بتعاليم عقيدتهم ويصدرون عن قيم أخلاقية يكونون فى الغالب الأعم أقل «مشاغبة» من سائر النزلاء. وعليه فكثيرا ما يحاولون مؤازرة وتشجيع ممارستهم لتعاليم الإسلام بدلا من أن يقفوا فى طريق هذه الممارسة.

وفيما يظل من الصعب تحديد الأرقام ذات الصلة فمن المقدر أن أكثر من ثلاثمائة ألف سجين تحولوا إلى الإسلام وأن معدل التحول قد يزيد على ٣٠٠٠٠ فرد سنويًا(*). وترد النسبة الأعلى بين صفوف الأقليات الاثنية فى نظام السجون الأمريكية بأكثر من نسبة السكان ككل بمن فى ذلك الهسبانيون والأمريكيون الأصليون فضلاً عن السود. ومن الدراسات ما يوضح أن معدل العود بمعنى الرجوع إلى حياة الجريمة والسجن ما زال أدنى بين صفوف المسلمين عنه فى الفئات الأخرى برغم أن اعتناق الإسلام لا يشكل بالتأكيد ضمانا أكيدًا يشهد بأن الحبس أصبح صفحة من صفحات الماضى. وفى كل حال فقد أثبت المسلمون نسبيا مزيدا من النجاح فى عمليات التأهيل والعلاج من إدمان المخدرات والكحوليات. وفى ضوء الأعداد الكبيرة من المسلمين الذين يتحولون فى السجن، فالذين يعاد دمجهم فى صفوف المجتمع يشكلون شريحة متزايدة من السكان المسلمين الأمريكيين. وفيما يفتقر الأمر حتى الآن إلى البرامج التى تقصد إلى إعانة الأفراد المتحولين إلى الإسلام من بين صفوف المُفرج عنهم حديثا، فإن الجماعة الأمريكية المسلمة تدلل على مدى وعيها المتزايد باحتياجات هؤلاء السجناء السابقين وهى تتخذ من المبادرات ما يكفل مواصلة تثقيفهم عن الإسلام ومساعدتهم على الاندماج ضمن صفوف الجماعة.

وعندما يقبل سجين ما الإسلام، فهو – أو هى – ينطق الشهادتين بمعنى إعلان إسلامه أمام شهود فى أى مرفق بالسجن يخصص للممارسة الإسلامية. وفى

بعض الحالات، فإن جاذبية الهوية الجديدة تكون من القوة لدرجة أن يرغب النزلاء المسجونون فى «نطق الشهادة» قبل أن تتكون لديهم فكرة واضحة عما يعلنونه فى واقع الأمر. ويتمثل جزء من الجهد التعليمى فى السجون فى أن يحظى النزلاء بتمهيد كاف لتعريفهم بالإسلام قبل أن يقرروا ما إذا كانوا يرغبون فى التحول نحو اعتناقه. وما أن يتم النطق بالشهادتين حتى تتجمع عوامل مختلفة لكى تؤكد الهوية الجديدة للفرد. وبصفة عامة يتبنى الفرد اسمًا إسلاميا ويبدأ فى ارتداء أى شكل من اللباس يُسمح به فى أى مرفق بالسجن. ويجرى على الفور قبوله ضمن صفوف جماعة المسجونين الذين أصبحوا بالفعل مسلمين فضلاً عن أن المشاركة فى الصلوات الجامعة وغيرها من الأنشطة الإسلامية تساعد على تأكيد شعور المتحول الجديد بهويته وانتمائه. وفى بعض المرافق الأوسع، يمكن رؤية صفوف من المسلمين وهم يؤدون صلاة الجماعة فى ساحات الرياضة البدنية أو فى قاعات خاصة منفصلة عن بقية مجمع السجن. وفى كثير من الأحيان فإن زنزانة السجين المسلم تعكس قبوله أو قبولها للدين الذى اعتنقه من خلال مظهرها النظيف وغياب الصور الإباحية وربما إضافة بعض الرموز الإسلامية. وبدلا من ذلك يصبح نهج التواضع الفردى والنظافة الشخصية له أهميته الكبرى بقدر ما يتسم أيضا المظهر العام من أهمية فى ظل جميع الجهود التى تبذل للتدليل على أن الفرد قد انخرط فى سلك الجماعة المسلمة. ويختار الكثيرون الإقلاع عن التدخين ويستخدمون مواد تجميلية خاصة مثل الزيوت المعطرة لتجميل صورة المسلمين بوصفهم مختلفين عن سائر النزلاء. وتصمم برامج فعالة للدراسة والصلاة لصرف الاهتمام عن المغريات الجنسية ومثل هذه البرامج تتسم بأهمية خاصة فى مرافق السجون المشددة أمنيا للمساعدة على احتفاظ الأفراد بشعور من الاعتزاز والجدارة والانتماء.

ويضطلع بجهود الدعوة أفراد عديدون ممن يعملون كوعاظ أو مبشرين أو معلمين من جماعة المسلمين خارج السجون إضافة إلى المساجين الذين تقبلوا دين الإسلام وأصبحوا يشاركون رفاقهم من النزلاء الحماس نفسه لديانتهم ومذهبهم الجديد. ومع تنامى نفوذ الإمام وارث الدين وفى ضوء الزيادة الكبيرة التى تطرأ على عدد المسلمين الأفرو –أمريكيين الذين يقبلون باتباع مذهب السنة فى الإسلام بدلاً من تعاليم جماعة «أمة الإسلام»، سيشهد الأمر حتما مزيدا من التشديد على

تعليم وتعلم أسس العقيدة. فالأعداد المتزايدة من الأئمة والقادة المسلمين المدربين العاملين فى السجون والذين يتفاعلون مع الكهنة المسيحيين واليهود بما يكفل الفرص المتكافئة لممارسة الديانة يشجعون مثل هذه الدراسة. كما أن الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية (إسنا) تتبنى عقد مؤتمر قومى يعنى بموضوع الإسلام فى السجون الأمريكية بحيث يجمع على صعيد واحد الأفراد المشاركين فى جهود الدعوة مع تقديم المساعدة إلى من لا يزالون رهن محابس السجون. ومن شأن الفعاليات التى يشهدها مثل هذا المؤتمر أن تساعد العاملين فى هذا المضمار على طرح رسالة الإسلام وعلى بذل جهود نشطة لتحسين الفرص التى تتاح لممارسة تعاليم وشعائر العقيدة وتطوير التقنيات اللازمة لعمليات إعادة تأهيل المفرج عنهم وتقديم الدعم وتوفير فرص العمل لهم بعد الإفراج.

مع ذلك يشعر بعض النزلاء بأن الجماعة المسلمة بصفة عامة لا تبذل ما يكفي من أجل المساعدة لمعالجة محنة المسلمين المودعين فى السجون. وفى هذا الصدد يكتب سجين من ولاية ساوث كارولينا قائلاً: «أشعر، كما سبق وشعر مالكولم إكس... وكذلك جمع غفير من المساجين السياسيين/الدينيين السابقين، بإحباط شديد يزيد من وطأته... المواقف غير المبالية فيما يتعلق بموقف المسلمين إزاء المسلمين المحبوسين... وأرجو ألا تصبح الأمة كالأصم والمقعد والأعمى إزاء المعانى التى ترددها شعارات من قبيل علينا: «أن نشدد النكير على الجريمة» أو «نحن بحاجة إلى المزيد من السجون ومزيد من تغليظ الأحكام» لأن هذه الشعارات هى فى واقع الأمر دعوات مستترة لسجن أكبر عدد ممكن من غير الأوروبيين وبالتالى تحجيم شعوب الأقليات والحيلولة بينها وبين أن تنعم بالقوة التى تتاح للأغلبية فى هذا البلد[٧]».

بيد أنه تُبذل جهود ملموسة، ولا سيما بين صفوف شباب نزلاء السجون من المسلمين. وعلى سبيل المثال تم إنشاء رابطة شباب المسلمين فى سجن سنج سنج فى عام ١٩٩٤ تحت قيادة الإمام وارث دين محمد. وأول برنامج من نوعه لتلك الرابطة مصمم لخلق إحساس بالمسئولية بين الشباب المسلم وتدريبهم على اتباع أركان الإسلام وتزويدهم بالأدوات التى تكفل إعادة انخراطهم فى المجتمع من جديد. والنزلاء دون الخامسة والثلاثين هم المستهدفون من البرنامج وربما يضاف

إليهم آخرون ممن يبدون اهتماما باعتناق الإسلام. أما الرسالة فهي أن الإسلام يرسم الهيكل الذى يمكن فى إطاره تحويل حياتهم ليصبحوا قادة فى المجتمع بعد الإفراج عنهم. وتأمل الرابطة المذكورة التى تشكل جسرا مهما بين حياة السجن وحياة المجتمع فى توسيع نطاق أنشطتها لتمتد إلى المؤسسات العقابية الأخرى.

هذه الفرص تزيد بالتأكيد مع مرور الزمن برغم أن الكفاح الدائر للاعتراف بالإسلام كديانة تستحق الحماية الدستورية ليس بالأمر السهل بحال من الأحوال. فعلى مدار عقود عدة، كان المسلمون المودعون فى السجون ينتمون بالذات إلى جماعة «أمة الإسلام» وتعدهم الدولة نحِلة عرقية خطيرة. ولكن منذ الستينيات بدأت المحاولة التى استهدفت ببساطة احتواء المسلمين فى السجون والسيطرة عليهم تتغير تدريجيا لتصبح اعترافا بالحرية الدينية وبحق المسلم كمواطن أمريكى فى ممارسة عقيدته. وهكذا تم حل عدد من القضايا حيث يرجع ذلك بالذات إلى ما قام به نزلاء السجون المسلمون من رفع قضايا فى هذا الشأن إلى المحاكم. توصلت المحاكم وببطء إلى الاعتراف بأن الإسلام ديانة تستحق نفس الضمانات الدستورية كالمسيحية واليهودية سواء بسواء. ولقد حارب المسلمون وفازوا فى كثير من الحالات لإقرار الحق فى الحصول على الطعام الحلال وإرسال اللحى والتجمع لأداء صلاة الجمعة وصيام رمضان وتقديم وجبات الإفطار فى نهاية يوم الصيام.

وكثيرا ما تعيَّن على المحاكم أن تنظر فى القضايا التى وجه فيها المساجين المسلمون الاتهام إلى السلطات بأنها ارتكبت انتهاكات خالفت فيها التعديل الأول للدستور بشأن التمييز بل والاضطهاد الدينى ثم جاءت الأحكام لتؤيد بصفة عامة تلك التهم. وفى قلة من المؤسسات العقابية جاء استحداث ما أصبح يوصف بأنه "حيِّز إسلامي" ليتيح للمساجين المسلمين الشعور بأن دينهم يسمح لهم بالفعل بالتواجد فى إطار معزول جيدا عن رفاقهم النزلاء وبمعنى من المعانى بعيدا عن المؤسسة ذاتها التى تقوم على حبسهم. وبالإضافة إلى إتاحة سُبُل الوصول إلى مرافق أداء الصلوات والسماح بمراعاة مقتضيات الإسلام الأساسية الأخرى مثل الطعام واللباس، أصبح البعض يدرسون الآن القرآن واللغة العربية فضلاً عن عناصر المالية الإسلامية ارتقابا لتحقيق الاستقلال الذاتى المالى فى نهاية المطاف. بيد أن هناك من لا يزال يقول بأن المسلمين المتحولين فى نظام السجون لا يحظون

بعد بالحقوق الدينية التى يتساوون فيها مع ما يحظى به المسيحيون واليهود من حقوق. إلا أن الأمر ينطوى بالتأكيد على أن تقدمًا واسع النطاق قد حدث بالفعل على مدى العقود العديدة الأخيرة من الزمن.

المنظمات الإسلامية

وراء كثير من الجهود المبذولة لتيسير الحياة على المسلمين المقيمين فى أمريكا تكمن المنظمات العديدة التى أقيمت من أجل توجيه الجماعة المسلمة ومؤازرتها. وقد بدأت أولى الحركات من أجل إنشاء مثل هذه المنظمات فى منتصف القرن العشرين بمحاولة للجمع على صعيد مؤتمر قومى بين العدد الصغير ولكن المتنامى من المساجد التى كانت بدورها قد بدأت فى أنحاء شتى من البلاد. وفى عام ١٩٥٢ شهدت بلدة سيدار رابيدز بولاية أيوا نحو ٤٠٠ مسلم يمثلون الولايات المتحدة وكندا وقد التأم جمعهم بهدف تشكيل منظمة قومية. وجاءت فكرة مثل هذا الاتحاد من مسلم اسمه عبد الله إكرام وكان يعمل فى الجيش الأمريكى خلال الحرب العالمية الثانية ثم شعر بالإحباط لأن القوات المسلحة لم تعترف بهويته كمسلم ولا أتيح له إعلان ذلك على الشارة العسكرية التى يعلقها. وبعد العودة إلى الوطن بدأ يعمل من أجل الاعتراف بالمسلمين فى أمريكا. وعقب اجتماع ثان وثالث تشكل اتحاد المنظمات الإسلامية برئاسة إكرام وعضوية اثنين وخمسين مسجدا كان معظمها لبنانيا وسوريا. وبعد ذلك، ومع توسع الاتحاد ليتخذ اسم اتحاد الرابطات الإسلامية فى الولايات المتحدة وكندا وبفضل مساعدة تمويلية من العربية السعودية نقلت المنظمة مقرها إلى ديترويت حيث لا تزال تواصل أداء مهمتها. وقد لعب الاتحاد دورا رئيسيا فى توفير إطار موحد يجمع بين المساجد الأمريكية عند منتصف القرن العشرين وكان بمثابة المحاولة الأولى لتوفير سُبُل الحوار والتعاون بين جماعات المسلمين فى الولايات المتحدة. ولكن بعد سلسلة من الاجتماعات القومية تخلى عن دوره بوصفه أكبر منظمة إسلامية أمريكية لصالح جماعات أخرى كان أكثرها نفوذا «رابطة الطلاب المسلمين».

وبينما كان الاتحاد يميل إلى التأكيد على الهويات الاثنية بين المهاجرين المسلمين تشكلت رابطة الطلاب المسلمين لتعزيز العلاقات الوطنية والأممية بين

جماعة المسلمين على اختلاف الأصول والهويات القومية. وانطلاقا من عقيدة الإخوان المسلمين فى مصر والجماعة الإسلامية فى شبه القارة الهندية تم إنشاء رابطة الطلاب التى كانت بمثابة هيكل تستطيع من خلاله رابطات الطلاب المسلمين التى كانت قد بدأت فى الظهور فى عدد من الجامعات الأمريكية أن تتواصل مع بعضها البعض. وسرعان ما تطورت إلى حيث أصبحت هيئة تتمتع بنفوذ واسع النطاق فى المساعدة على إعادة تعريف الهوية الإسلامية فى أمريكا على أنها تجسد انتماءات تتجاوز الأصول القومية والعرقية واللغوية. ثم عُقد مؤتمرها القومى الأول فى جامعة إلينوى فى عام ١٩٦٣ وحضره طلاب من جميع أقطار العالم الإسلامى. ولم يأت هؤلاء الطلاب وقد حملوا بين جوانحهم آمالا لأمة أمريكية يتم فيها التنازل عن الهويات الوطنية تحت راية الإسلام، بل جاءوا بما تبقى من تجاربهم فى بلدانهم التى تعرضت لاضطرابات سياسية ودينية على مدى ردح طويل من القرن العشرين.

وقد خطط معظم الطلاب فى أمريكا للعودة إلى أوطانهم ليشاركوا بوصفهم متعلمين وواعين ومؤثرين فى عملية تعزيز الإسلام الأممى. وسرعان ما نما هيكل تنظيمى واسع النطاق ينبثق عنه فروع محلية من رابطة الطلاب المسلمين فى طول أمريكا وعرضها مع إقامة صلات بينها على الصعيدين القومى والإقليمى. وفى كل عام يعقد مؤتمر سنوى بما يشهد بمضاعفة الأنشطة وتوسع نطاق النفوذ الذى تتمتع به الرابطة. وفى عام ١٩٧٥ تم إنشاء مقر قومى لها فى بلين فيلد بولاية إنديانا مزودًا بأمانة عامة وعدد كبير من موظفى الدعم.

وفى ظل الهيكل العام لمنظمة الطلاب المسلمين، أنشئ عدد من المنظمات الفرعية ومنها مؤسسة الترست الإسلامية فى أمريكا الشمالية التى تتولى المسائل المالية بما فيها الاستثمارات والقروض وصناديق الاستثمار وخدمات الحسابات وما إلى ذلك. كما أن المركز التعليمى الإسلامى يعالج المسائل المرتبطة بالتربية والتعليم للمسلمين الأمريكيين من خلال إعداد وتطوير المطبوعات ومؤلفات الدعوة والترويج وغير ذلك من وسائل نشر المعلومات بشأن عقيدة وشريعة الإسلام. وقد نشأت سلسلة من الجماعات تحت إشراف رابطة الطلاب المسلمين فركزت على الخبرات المهنية للذين تخرجوا من الجامعات واختاروا الإقامة للعمل فى الولايات

المتحدة. ومن بين هذه المجموعات الرابطة الطبية الإسلامية التي تعقد مؤتمرات سنوية لمناقشة مختلف جوانب مهنة الطب والصحة ورابطة علماء الاجتماع المسلمين الأمريكيين وهي جماعة مخصصة للربط بين بحوث علم الاجتماع وبين التراث الإسلامي من خلال إصدار مطبوعها بعنوان المجلة الأمريكية للعلوم الاجتماعية الإسلامية وهناك كذلك رابطة رجال الأعمال والمهنيين المسلمين وتهدف إلى توفير الصلات للمسلمين العاملين في مجال الأعمال والتجارة إضافة إلى رابطة العلماء والمهندسين المسلمين الأمريكيين. ومع مرور الزمن ونمو رابطة الطلاب المسلمين أصبح من الواضح أنها لم تعد تصلح فقط كوسيلة لتوحيد الجماعات الطلابية والعمل في حرم الجامعات بل أصبحت كذلك أقوى هيكل إسلامي في أمريكا الشمالية.

وبحلول عام ١٩٨١، وبعد مشاورات مستفيضة، طُرحت خطة لإنشاء منظمة تعكس التنوع في أنشطة واهتمامات الأمريكيين المسلمين التي كانت رابطة الطلاب المسلمين تنفذها بالفعل رغم أنها كانت في الأساس تستهدف تلبية احتياجات الطلاب. ومن ثم أصبحت المنظمة تعرف منذ ذلك الحين باسم الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية (إسنا). وفي واقع الأمر أصبحت هذه الجمعية هي الهيئة المهيمنة على عدد كبير من المنظمات الإسلامية الناشئة التي تشمل منظمات محلية مكرسة لخدمة المجتمع المحلي في مواقع بعينها وكذلك لجماعات الطلاب في حرم الجامعات (ولا يزال يشار إليها على أنها رابطة الطلاب المسلمين بوصفها أكبر وأفضل التجمعات الإسلامية) فضلاً عن منظمات تقصد إلى تبني أنشطة المهنيين المسلمين وتلك المكرسة لخدمة جماعة المسلمين في أمريكا وفي الخارج (مثل رابطة الجماعة الإسلامية) وللشباب (الشباب المسلم في أمريكا الشمالية). على أن هذا التنظيم الشامل يتسم بالتعقيد والتوسع في حين أن الجماعات التي تؤلف هيكله تعمل في ظل مجالس إداراتها ولجانها الخاصة وإن كانت مسئولة بشكل عام أمام الإسنا ومجلسها التنفيذي الذي يحمل اسم مجلس الشورى. وتتولى الإسنا تنظيم مؤتمرات وطنية في عطلات نهاية الأسبوع كل عام فتجتذب عددًا كبيرًا من المسلمين من الولايات المتحدة من أجل الاستماع إلى المحاضرات ومناقشة القضايا التي تتسم بأهمية أخلاقية أو اجتماعية أو دينية. والذين يشهدون صلوات الجماعة والعبادات المشتركة في ظلها يجتمعون ويختلطون مع مسلمين من أوطانهم وكذلك

من أنحاء أخرى من العالم ويعيشون شعورا قويا ومطمئنا بالقوة والمنعة للجماعة المسلمة فى أمريكا. ويشارك كثير من الشباب فى هذه الاجتماعات القومية كما تتاح لهم فرصة الحوار إلى بعضهم البعض ومع قادة مسلمين حول ما يتعلق بظروف النشأة فى أمريكا مع عدم المساس بالقيم الإسلامية. كما أن رابطة الطلاب ذاتها تعقد مؤتمرات سنوية للطلاب على صعيد أمريكا بأسرها. وتتباين أنشطة الإسنا تباينا واسعا لأنها تتولى أمر ما يكاد يكون كل جانب من جوانب الإسلام فى أمريكا منذ سنوات القرن العشرين. وتكفل سُبل التعليم وأحيانا المساعدات المالية للجماعات المحلية التى ترغب فى تنظيم صفوفها حول قضايا معينة لها أهميتها الإسلامية. كما تشمل خدماتها الوطنية مجموعة واسعة من المواد التعليمية وحلقات العمل التدريبية ومرافق المكتبات ومساعدات السكن ومكتبًا للزواج يتولى تشغيل قاعدة بيانات حاسوبية من أجل الجمع بين شركاء الزواج وإصدار شهادات الزوجية وتلقى الشهادتين للدخول فى الإسلام وإدارة صندوق للزكاة وإصدار أدبيات الدعوة ودائرة للكتب الإسلامية ومركز المواد السمعية البصرية وإدارة الصندوق الاستئمانى التابع لمنظمة الشباب المسلم فى أمريكا الشمالية ولجنة الإسنا للمرأة. ومن الدوريات التى تصدرها المنظمة: جريدة «الآفاق الإسلامية» و«المجلة الأمريكية للدراسات الإسلامية» و «الاتحاد».

وفيما قصدت الإسنا إلى أن تكون منظمة لجميع المسلمين الأمريكيين حيث تتسم كما هو واضح بنطاق أوسع شمولاً من اتحاد الرابطات الإسلامية (فيا) فما زال بعض الأفرو- أمريكيين ينظرون إليها على أنها مخصصة أساسا لتلبية احتياجات أعضاء المجتمع المهاجر. وبرغم أن الإمام وارث دين محمد عضو فى مجلس شورى الإسنا إلا أن أتباعه فى الجماعة الأمريكية المسلمة لا يتحمسون لحضور مؤتمرات الإسنا بل يعقدون اجتماعاتهم الوطنية الخاصة بهم للتطرق إلى المواضيع التى تهم بالذات المسلمين الأفرو- أمريكيين. بل يشعر السود فى بعض الحالات بأنهم ليسوا موضع ترحيب ولا تقدير من جانب المشاركين فى أنشطة الإسنا. وبرغم ذلك فهناك من يعتقد أن التحرك الواضح من جانب معظم الأفرو- أمريكيين لاعتناق الإسلام السُنى يفيد فى تخفيف حدة هذه المشكلة.

وتعد «الدائرة الإسلامية لأمريكا الشمالية» منظمة قومية أخرى للمسلمين

ما برحت مطروحة على المشهد الأمريكى لأكثر من عقدين ولكنها لا تضم سوى عدد أقل بكثير من المنتسبين بالمقارنة مع الإسنا. وتشتهر الدائرة الإسلامية بالتزامها الصارم بروح ونص الشريعة على نحو ما تشهد به اجتماعاتها القومية التى تحرص على تنظيم جلسات منفصلة للنساء. ومعظم أعضاء تلك المنظمة ينتمون إلى الساحل الشرقى لكندا. وفيما تنجم توترات بين حين وحين بين الدائرة الإسلامية وبين منظمة الإسنا، تُبذل جهود متواصلة لبناء جسور بين المنظمتين. ويشهد ممثلو كل جماعة بصورة عامة اجتماعات ومؤتمرات الجماعة الأخرى كما تُبذل جهود تهدف إلى التخطيط الذى يتجنب التضارب فى مواعيد المؤتمرات والحلقات الدراسية والتدريبية التى تنظمها كل منهما. ويقل تركيز الدائرة الإسلامية على الشواغل الاجتماعية والسياسية الضاغطة بعكس ما تشدِّد عليه الإسنا. وفى مقابل ذلك تركز على الصحوة الروحية للمسلمين الأمريكيين وعلى توجيه الشباب إلى حياة التقوى كما تنشر مطبوعات تتصدَّرها مجلتها الشهرية بعنوان «الرسالة».

هناك منظمة أخرى تم تشكيلها فى عام ١٩٩٣ وتهدف بالتحديد إلى ممارسة أنشطة الدعوة فى الولايات المتحدة وهى «الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية». ويتمثل هدفها المعلن فى تجميع كل الطاقات والموارد المتاحة سواء كانت بشرية أو مالية لإحياء عقيدة الإسلام وتلبية احتياجات المسلمين.

كما تنمو بسرعة فى أمريكا المنظمات الوطنية للنساء المسلمات، ومنها منظمة «كرامة» وهى لجنة المحاميات المسلمات لحقوق الإنسان التى تكرس نفسها لمساعدة المرأة المسلمة على فهم حقوقها القانونية والعمل من أجل إقرارها. أما مجلس النساء المسلمات فى أمريكا الشمالية الذى يتخذ مقره فى شمالى ولاية فرجينيا وكذلك المجلس الكندى للنساء المسلمات ومقره تورنتو فيعملان على تعزيز رفاه المرأة المسلمة الأمريكية ويستضيفان مؤتمرات سنوية معنية بقضايا من قبيل العنف الممارس ضد المرأة والقوانين والسياسات المنطبقة على المرأة وقضايا الشباب وما إلى ذلك بسبيل. وثمة رابطات أخرى متنوعة تتولى تهيئة سُبل الثقافة الإسلامية لنساء المجتمع.

وبالإضافة إلى ذلك فقد تهيأت روابط التواصل بين النساء على نطاق دولى من خلال جماعات منها مثلاً «إيمان» وهى الشبكة الدولية للفنانات المسلمات التى

أنشأتها الفنانات المسلمات لتحقيق مصالحهن، إضافة إلى المجلس العالمى لمؤسسة المرأة المسلمة وهو منظمة غير ربحية تتمثل أهدافها فى توعية النساء بحقوقهن وبالعمل من أجل السلام العالمى والتثقيف المشترك بين الأديان من منظور يسع العالم كله. كما أن النساء الأمريكيات المسلمات ينشطن فى الجماعات النسائية التى لا تتوجه بالضرورة نحو الإسلام ومنها مثلا معهد الأخوات العالمى فى بيثيسدا بولاية ميريلاند.

ويعمل عدد كبير من المنظمات على المستوى القومى للجمع على صعيد واحد بين جماعات خاصة ولتعزيز قضايا معينة تتصل بالحياة الإسلامية فى أمريكا. وأحدث ما تم تشكيله مؤخرا فى هذا المضمار هو رابطة أمريكا الشمالية للمهنيين والعلماء المسلمين وهى تقصد إلى اجتذاب المثقفين والمفكرين المسلمين المنتمين إلى أصول اثنية وثقافية مختلفة ولكنهم يهتمون بمناقشة التحدى الذى يواجه حياة الجماعة المسلمة فى أمريكا. وبعض المنظمات موجهة إلى هويات اثنية ومهنية بعينها ومنها مثلاً رابطة الأطباء الباكستانيين فى أمريكا الشمالية وهى تتيح لأعضائها الفرص التى تكفل تطوير مهاراتهم التنظيمية ضمن سياق إسلامى، وتعمل الرابطة كذلك على تنظيم أنشطة على صعيد القواعد الجماهيرية ومن ذلك مثلاً إنشاء العيادات المجانية للمجتمعات المحلية للتأكيد على أن الإسلام يبشر بالمحبة وبمراعاة الجار.

وسواء كان المسلمون يستعينون أحيانا بالمنظمات الوطنية أو كانوا يعملون فى استقلال عن تلك المنظمات فهم حريصون على تشكيل الجماعات على الصُعد المحلية والإقليمية. فالمجالس الإسلامية فى كثير من أنحاء الولايات المتحدة تخدم بوصفها وحدات تنظيمية للمراكز والمساجد. وفى كثير من الحالات تشكل رسوم العضوية فى التجمعات المحلية ميزانية الصرف على الاجتماعات السنوية والخدمات المقدمة من أجل المساعدات المالية والمشورات العائلية ودعم القضايا الدولية للمسلمين. كما يتزايد على المستويين المحلى والإقليمى عدد من مجالس الشورى ومن ذلك مثلاً مجلس الشورى الإسلامى فى نيويورك وقد تطور من مجرد جماعة دراسية صغيرة لقادة مسلمى المدينة فأصبح أعضاء المجلس الآن يلتقون شهريا للعمل على رفعة الإسلام وتحسين ظروف السجون للنزلاء المسلمين

ولمكافحة المخدرات وغير ذلك من أشكال الخدمة المجتمعية. وقد عمد وارث دين محمد مؤخرا إلى إعادة تنشيط مجلس شورى الأئمة فأعاد تشكيله فأصبح مجلس الشورى الجديد فى إلينوى بحيث يتولى دعم دائرة الأئمة على مستوى الولاية بأكملها ويشرف على أعمال عدد من اللجان الفرعية التى يترأسها قادة مسلمون من ذكور وإناث كما يعمل على إنشاء المدارس والمساجد فى جميع أنحاء الولاية.

ويركِّز العدد المتزايد للمنظمات سواء على الصعيد القومى أو المحلى تركيزا محددا على الساحة السياسية، على نحو ما يفعل مثلاً المجلس الإسلامى الأمريكى فى واشنطن العاصمة وهو منظمة غير ربحية تتسم بالطابع الاجتماعى السياسى وقد تم إنشاؤه عام ١٩٩٠ ليعمل على نشر القيم الأخلاقية بين صفوف المسلمين وعلى توعية الناخبين بشأن العملية الانتخابية. ولأن المجلس مهتم بتنمية المزيد من النفوذ السياسى لصالح المسلمين فهو يعقد مؤتمرات قومية حول قضايا من قبيل «أمريكا المسلمة: كيف تصبح حقيقة سياسية»، كما ينظم المجلس حملات منتظمة لتسجيل الناخبين بالتنسيق مع المجموعات المسلمة المحلية. وقد دأبت هيلارى كلينتون حين كانت السيدة الأولى فى البيت الأبيض على دعوة أعضاء المجلس إلى الاحتفال بعيد الفطر فى البيت الأبيض. وينظم المجلس حملات من أجل الاعتراف الرسمى بالعيدين الإسلاميين كإجازتين على المستوى الوطنى، ظل يعمل على أن تنشر مصلحة البريد فى الولايات المتحدة طوابع للعيد فى عام ٢٠٠٠. أخيرًا نعرض لمجلس الشئون العامة الإسلامية وهو منظمة تضم أفرادا من الحزبين الكبيرين فى الولايات المتحدة ويركز بدوره على تثقيف الناخبين ومساعدة المسلمين على فهم القضايا واستيعاب أساليب اتخاذ القرارات السياسية ضمن سياق الإسلام. وهذا المجلس يتواجد باستمرار فى المؤتمرات التى يعقدها كل من الحزبين السياسيين.

مكافحة التحيُّز ضد المسلمين

من المهام الأساسية لكثير من المنظمات الإسلامية السابق ذكرها العمل على تحديد السُبل التى يتواصل من خلالها التحيُّز ضد الإسلام والمسلمين على مسرح الحياة الأمريكية. وعلى نحو ما لاحظنا، تُبذل جهود متواصلة لضمان أن تكون

المعلومات بشأن الإسلام التى تحتويها الكتب المدرسية المقررة وغيرها من مواد المناهج الدراسية فى المدارس الحكومية دقيقة وغير متحيِّزة. وتعمل بعض المنظمات من أجل التعرف على السُبل التى دأبت بها وسائل الإعلام الجماهيرية على تشويه المعلومات عن الإسلام فى أمريكا وكذلك على المستوى الدولى وطرح هذه المعلومات بصورة مغلوطة. كما أنها تسترعى الانتباه العام إلى الحالات التى يواجه فيها مسلمو الولايات المتحدة وكندا معاملة تقوم على أساس من التحيُّز المغرض أو الظلم سواء فى مكان العمل أو فى ساحات أخرى من الحياة العامة. وتساور الجماعة المسلمة الأمريكية عوامل من القلق العميق لأن المشاعر المناهضة للإسلام من جانب الجمهور العام فى حال من التزايد بدلا من أن تخف حدتها وقد تفاقمت تلك المشاعر السلبية بفعل حوادث العنف التى جرت على الصعيد الدولى باسم الإسلام وأدت إلى زيادة الإمعان فى إساءة تصوير الإسلام والمسلمين فى وسائل الإعلام. لدرجة أن عامة القرَّاء ممن يفتقرون إلى أى معلومات لا يجدون صعوبة تذكر فى التعرُّف على المسلمين على نحو ما تصورهم به رسوم الكرتون المتحركة. حيث المسلم دائمًا يبربش بعينيه ويتوسط وجهه أنف هائل الضخامة ويرتدى كوفية ويفرك يديه قبل أن يسأل عن إمكانية حصوله على شاحنة صغيرة (بيك أب) وبعض الديناميت. أو أن المسلم يقف حاملاً لافتة عليها عبارة «الموت للكافرين جميعا» وبجانبه قسيس يحمل بدوره لافتة مكتوبا عليها «صلوا من أجل السلام» أو أن المسلم يشير إلى خارطة عليها أهداف محددة ما بين دور الحضانة أو دور المسنين أو عنابر الولادة ويسأل عما إذا كانت هناك أماكن أخرى مرشحة تحظى بأولوية الاختيار لكى يبدأ بقصفها[٨]. وأصبح بعض المراقبين من مسلمين وغير مسلمين يتعرفون على هذا التشويه المنهجى للإسلام ويطلقون عليه وصف رهاب الإسلام (إسلاموفوبيا) أو الخوف من كل شيء إسلامى. ويشعر الكثيرون أن هذا الأمر يلقى تشجيعا عندما تعمد عناصر معينة فى الحكومة الأمريكية إلى تصوير الإسلام على أنه «العدو الجديد» حيث تحله محل الشيطان القديم وهو الشيوعية على الساحة الدولية بوصفه خطرًا رهيبًا يتهدد الديمقراطية النيابية[*].

(*) تفاقمت هذه الحالة أيضًا بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١ فى ظل شعار «محاربة الإرهاب» وهيمنة فكر

كذلك يشعر المسلمون بقلق خاص بشأن احتمال اتساع نطاق التضليل الإعلامى ونشر أهواء التحيُّز مع التطور السريع لاستخدام شبكة الإنترنت. وفيما تزداد إمكانية اطلاع الأطفال والمراهقين بالمدارس على محتويات «الشبكة» التماسًا للتقارير المدرسية والمشاريع الأخرى فهم كثيرا ما يصادفون الدعايات التى تنشر صورة سلبية عن الإسلام. وثمة كتاب متاح على شبكة الإنترنت ويحمل نذيرًا بالتحذير قائلا إن خطر الإسلام حقيقى وأفدح من تهديد الشيوعية لأن المسلمين على الاستعداد للموت فى سبيل الإسلام وفى سبيل نشر دعوتهم من خلال «الجهاد أو الحرب المقدسة». ويواصل المؤلف تحذيره قائلاً إن «علينا أن نعمل لوقف نشر الإسلام قبل أن يفوت الأوان». والذين يساورهم القلق إزاء سهولة نشر مثل هذه المواد يلاحظون أن الإسلام هو الدين السماوى الوحيد الذى أصبح هدفا لمثل هذه الإهانات والاتهامات الباطلة. كذلك يمكن التعرف على هذه التحيُّزات المناهضة للإسلام ولكن معبرا عنها بصورة أقل اتساما بالطابع الرسمى ولكنها ليست أقل من حيث الفعالية إذا ما دخل المرء إلى غرفات الثرثرة على شبكة الإنترنت.

ومن المنظمات التى تكرِّس جهودها تحديدا من أجل التعرُّف على هذا التحيُّز المناهض للمسلمين فى الولايات المتحدة وكندا ومكافحته، «مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية» (كير) فى واشنطن العاصمة. ويقوم مركز البحوث الأمريكى المسلم التابع للمجلس بتوثيق الحوادث والفعاليات التى تؤثر على ما للمسلمين من حقوق مدنية فى أمريكا ومن ذلك مثلا التحرشات والسلوك العنيف الذى أعقب حادثة التفجير فى مدينة أوكلاهوما عام ١٩٩٥ التى تم فى أعقابها فورا استهداف المسلمين (بصورة خاطئة) كمسئولين عنها. ومن منطلق إدراك مركز البحوث المذكور أن معظم الأمريكيين للأسف الشديد يجهلون أى شىء عن الإسلام أو يتلقون معلومات مشوشة عنه فهو يشجع المجتمعات المسلمة المحلية على أن تتواصل وتعمل على توعية القطاعات الأخرى من المجتمع الأمريكى من خلال نشر المعلومات الدقيقة فى هذا الخصوص. كما دأبت منظمة «كير» على استخدام الإنترنت كى تنشر بانتظام الحوادث التى عومل فيها المسلمون بالولايات المتحدة

المحافظين الجدد على الساحة السياسية والفكرية فى الولايات المتحدة «المترجم».

معاملة مجحفة أو متحيِّزة (لأى فرد أن يطلب الاتصال بشبكة كير وقائمتها البريدية المخصصة للقراءة فقط).

وكثيرًا ما يعقب وصف هذه الحوادث تقديم معلومات محددة عن الجهة التى يوجه القراء كتاباتهم إليها أو يتصل بها حيث يكون هذا الاتصال مع طرف ملائم بما يؤثر على إمكانية اتخاذ قرار إيجابى بشأن المسألة. وفيما يلى نوعيات من القضايا التى قررت منظمة كير أن تتقاسمها مع قرائها:

كاريكاتور فى صحيفة كندية يصور كلبا مسعورا يرتدى كوفية عربية ويمكن التعرف عليه بوضوح على أنه يجسد التطرف الإسلامى وهو يرتبط تحديدًا بقتل سواح فى مصر. وتحت الرسم عبارة كتب عليها «مع اعتذاراتنا للكلاب فى كل مكان»، وقد اتصلت «كير» بالصحيفة معربة عن قلقها العميق وطالبة نوعا من الاعتذار وهو ما حصلت عليه بالفعل.

فُصلت عاملة من وظيفتها وكانت تعمل فى إحدى سلاسل محلات الكعك الوطنية لأنها رفضت التخلى عن غطاء رأسها على أساس أن دينها يقتضى ذلك وبعد تدخل «كير» أعيدت إلى وظيفتها وسمح لها بارتداء حجاب للرأس بما يتسق مع مقتضيات الصحة والسلامة.

بعد حادثة أخرى قيل فيها إن موظفة مسلمة تعرضت للضرب بينما كانت تؤدى الصلاة فى موقع العمل. وبناء على إلحاح «كير» أمرت الشركة بإجراء تحقيق دقيق أدى إلى تقديم اعتذار رسمى والتأكيد على مراعاة الحساسية إزاء الآخرين فى عمليات تدريب المشرفين.

معلِّمة فى إحدى ثانويات ولايات الجنوب أبدت ملاحظات تفوح بالكراهية العنصرية إزاء تلميذة فى الرابعة عشرة من العمر بشأن زيّها الإسلامى. وبعد تدخل «كير» قُدِّم اعتذار رسمى للطالبة وأدى ذلك إلى أن وافقت المدرسة على تيسير إجراء مناقشة عن الإسلام وضرورة احترام عقائد الآخرين وتنظيم تدريبات لمراعاة الحساسية بشأن الإسلام وتخصيص غرفة يستخدمها الطلاب المسلمون خلال شهر رمضان.

كما أعربت منظمة «كير» عن عميق امتنانها إزاء استجابة الرئيس (السابق) كلينتون للعبث الذى تعرض له الرمز الإسلامى، وكان قد عُرض لأول مـــرة فـــى عام ١٩٩٧ فى بهو البيت الأبيض جنبًا إلى جنب مع شجرة عيد المـــيلاد الوطنيـــة وثريا المينورا اليهودية وكانت النجمة قد أزيلت من الرمز الإسلامى ووضع محلها علامة الصليب (النازى) المعقوف.

وفى عام ١٩٩٥، وفى ضوء ردود الأفعال إزاء حادثة التفجير فـــى مدينـــة أوكلاهوما، أصدرت «كير» تقريرًا خاصا بشأن مناهضة المســـلمين مـــن حيـــث تصويرهم ضمن قوالب نمطية جامدة (ستريو تايب) أو تعرضهم لتحرش أو لجرائم الكراهية، وحمل التقرير عنوان "التسرع فى الأحكام" وتبع ذلك تقارير أخرى عـــن أوضاع حقوق الإنسان للمسلمين فى الولايات المتحدة بما فى ذلـــك تقريـــر حمـــل عنوان «ثمن الجهل» (١٩٩٦) وعنوان «كشف الستار عـــن التحيُّـــز» (١٩٩٧). وهذه التقارير المطولة تعمل فى آن واحد على توثيق الاستمرار المؤسف للحوادث التى تكشف عن الصعوبات التى ما برح المسلمون يواجهونها باستمرار فى أمريكا فيما تقدم فى الوقت نفسه أملاً للمسلمين الذين يشهدون بذل جهود مطـــردة منظمـــة وفعَّالة من جانب جماعات مثل «كير» من أجل التصدى لتلك المشاكل. ويعمل مع كير عدد من العلماء غير المسلمين إضافة إلى دعاة للإسلام ويتم التنسيق الوثيـــق بين أنشطتهم وبين عمل المنظمات الأخرى مثل الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية (إسنا) والدائرة الإسلامية لأمريكا الشمالية.

ومن الطبيعى ألا يكون جميع المسلمين المقيمـــين فـــى الولايـــات المتحـــدة مشغولين بجهود تبذل على نحو ما عرضنا لحماية الإســـلام وتعزيـــزه. وهـــم لا يشاركون فى مختلف أشكال الحياة الدينية للمسلمين التى تتضح معالمها باســـتمرار فى مجتمعات أمريكا بأسرها. ومع ذلك فبالنسبة لعدد متزايد من الـــذين يعتبـــرون الإسلام دينهم عن وعى وبحق ويريدون أن يعيشوا حياتهم بطرق تؤكد فهمهم هـــذا للدين ومقتضياته، فإن الأمر يشهد زيادة فى إقامة المؤسسات التى تعينهم على ذلك. وفى كل حال فالتحيُّز ضد دينهم ما زال حقيقة لا بد وأن يتعامـــل معهـــا مســـلمو أمريكا بطريقة أو بأخرى وإن كان هناك أفراد ومنظمات مـــن المســـلمين وغيـــر المسلمين يعملون على الكشف عن نماذج التضليل وحوادث المعاملة المجحفة التـــى

تتم فى هذا الشأن من أجل التصدى لها. وتهيئ الجماعات المحلية والوطنية سُبُل التوعية والدعم وتتيح المعلومات بأشكال شتى لمساعدة المسلمين على معالجة أى مشكلة تصادفهم معالجة حقيقية. وفى الوقت نفسه يجد المسلمون تأييدًا متزايدا فى كثير من قطاعات المجتمع الأمريكى لجهودهم من أجل طرح الإسلام بصورة نزيهة ومعقولة، ولقد يأتى اليوم الذى يجدون فيه أن مكافحة التحيُّز ضد الإسلام وطرح صورة لجماعة دينية معقولة تعمل من أجل صالح المجتمع الأمريكى هى مهمة أيسر من الآن وذلك بمساعدة زملائهم فى مجالات التعليم وفى المنظمات الدينية الأخرى بل وفى بعض قطاعات المؤسسة السياسية ذاتها.

الحواشى

١- جولزار حيدر «الحيِّز والممارسة المعمارية للمسلمين» فى ميتكالف، محرر، تخصيص حيِّز إسلامى فى أمريكا الشمالية وأوروبا.

٢- من إعلان منشور فى مجلة «المسلم» ذى موسلم ماجازين (أبريل ١٩٩٨).

٣- حداد ولوميس، القيم الإسلامية فى الولايات المتحدة.

٤- بون لفلاس، «الجيش الأمريكى يعيِّن أول واعظ مسلم، إسلاميك هورايزونز (مايو/يونيه ١٩٩٥).

٥- «مطلوب عناصر مسلمة للعمل فى السجون »، ذى مسدج (أغسطس ١٩٩٧).

٦- عمر أفضل «ما بعد السُمر والسود والبيض: المسلمون فى أمريكا الشمالية، ذى مسدج (يوليه ١٩٩٧).

٧- تحريم س جهاد فى «رسائل »، ذى مسدج (فبراير/مارس ١٩٩٨).

٨- جون وودز، «تصوير وتنميط الإسلام» فى: المسلمون فى أمريكا: الفرص والتحديات (شيكاغو: معهد الإستراتيجية والسياسة الدولية، ١٩٩٦).

الفصل الثامن

التطلع نحو المستقبل

«إن أثر الإسلام على مستقبل المجتمع الأمريكي سوف يتوقف إلى حد كبير على مدى أهمية المبادئ الإسلامية بالنسبة لهذا المجتمع؛ فالأفكار والمُثُل العليا الإسلامية بحاجة إلى طرحها بدقة وبلغة تفهمها الجماهير، على أن تتولى تنفيذها المؤسسات التى تستطيع أن تعالج بفعالية القضايا التى تتسم بالاتصال الوثيق بحياة الناس ويتمثل هدفنا فى هذا الصدد فى أن نصل إلى عقول وأفئدة الذين يطمحون إلى مستقبل أفضل»(١).

هكذا يتكلم الدكتور ماهر حتحوت من المركز الإسلامى فى جنوبى كاليفورنيا باعتباره واحدًا من الأفراد البارزين المعبرين عن الإسلام الأمريكى المعاصر، وذلك فى مقالة حدد فيها المجالات التى يشعر بضرورة إدراجها ضمن أجندة للحوار على مدار السنوات القادمة. وبيت القصيد هنا هو تعبير «الاتصال الوثيق». وكما رأينا فإن عقيدة الإسلام وشعائره فى الولايات المتحدة تحددها طائفة واسعة من التفسيرات. ومن الواضح أن ليس ثمة فهم غالب يستطيع جميع الذين يصفون أنفسهم بأنهم مسلمون أن يوافقوا عليه، بل إن كل مجموعة يتعين عليها أن تواصل التساؤل عما إذا كان تفسيرها الخاص للإسلام وما يتصل بذلك من آثار مترتبة بشأن أسلوب الحياة والاستقامة الذى يختاره أعضاؤها، أمرًا يتفق بالضرورة مع المجتمع الأمريكى المعاصر. ومن تلك الأسئلة أيضا ما يتعلق بما إذا كان شباب هذه الجماعة سوف يواصلون النظر إلى دينهم فى ضوء الأهمية التى يتسم بها. أما الذين حاولوا حتى الآن أن يعيشوا حياتهم فى إطار من العزلة النسبية خشية أن يؤدى الإفراط فى التواصل مع أمريكا للقضاء على عقيدتهم وثقافتهم، فقد يضطرون إلى التساؤل عمًا إذا كانت الأجيال القادمة ستجد أن من الضرورى أن تصبح أكثر انفتاحًا وأكثر تلقيا للثقافة التى وجدوا أنفسهم بمنأى عنها. أما الذين اختاروا الارتباط الكامل بأمريكا ومن ثم تخلّوا عن كثير من أركان

الممارسة الإسلامية: قد يكتشفون أنهم فقدوا جزءًا من الوضوح والتميُّز اللذين يتسم بهما معنى أن يكون الإنسان مسلما.

وفيما يبدو الحوار وكأنه يستقطب المشاركين فيه إلى حيث الانقسام إلى فئتين هما: «دعاة العزلة» من جانب و«دعاة الاندماج» من الجانب الآخر، فإن المسلمين يسعون إلى مقاومة هذا النوع من المصطلحات فلا العزلة ولا الاستيعاب ينظر إليهما بعامة كهدف فى الحوارات التى تدور بين المسلمين بحثا عن توجيهات يستلهمونها أو مبادئ يسترشدون بها على نطاق أغلبية أعضاء الكيان المعقَّد الذى يجسده الإسلام الأمريكى. وإذا كان من المستبعد بطبيعة الحال أن يتحقق الإجماع فى مثل هذه الأمور، فإن هناك جهودًا متزايدة تستهدف تحديد القضايا التى يمكن التوصل بشأنها إلى توافق بين الآراء. ويعتقد الكثيرون أن من الواجبات الرئيسية بالنسبة للمسلمين العمل على توضيح ما يتسم بالمرونة من تلك القضايا ومن ثم يمكن إعادة تفسيره ضمن السياق الغربى، وما يدخل فى حكم الأقدار التى من الواضح أن الله كتبها على البشر فى حياتهم واستجاباتهم ومن ثم لا يمكن الأخذ والرد بشأنها. وفى هذا المجال يقول فتحى عثمان وهو مسلم بارز ومؤلف لموسوعة ضخمة عن القرآن: لا بد من التمييز بين الثابت (الإلهى) والمتحول ولا سبيل لأن يحل أحدهما محل الآخر»[٢].

حول هذا لا يكاد يثور الخلاف. بيد أن المشكلة تتأتى لدى التطرق إلى تحديد ما يندرج ضمن أى من هاتين الفئتين. وهنا تظل الأسئلة مطروحة: متى يكون مستصوبًا، على سبيل المثال، اتباع التفسير الكلاسيكى للسنَّة والشريعة فى سياق المعيشة فى الولايات المتحدة، ومتى يكون واجبًا إضفاء تعديلات وتحويرات فى هذا المضمار؟ ما هى عناصر القانون والعرف المُلزِمة للمسلمين المؤمنين بصرف النظر عن المكان الذى يعيشون فيه، وما هى العناصر التى تتيح مواصلة التفسيرات المرنة؟ إن المسلمين على مستوى كل التجمعات فى أمريكا يطرحون هذه الأسئلة باهتمام وشغف. كما أن الحكماء الذين يمثلون طائفة واسعة من الرؤى والثقافات والتفسيرات يحاولون بدورهم تقديم الإجابات. وقد درج المسلمون على أن يروا العالم منقسمًا إلى دارين: الأولى هى دار الحرب التى تنطبق على الأقاليم التى لا يسود فيها الإسلام، بينما الثانية هى دار الإسلام حيث يمثل المسلمون

الأغلبية ومن ثم يتمتعون بحرية اتباع شريعة الإسلام. وفى بعض الأحيان يحل مصطلح دار الكفر محل مصطلح دار الحرب(*). وبالنسبة لبعض المسلمين فإن تلك الفئات ما زالت منطبقة. وبوصفهم أعضاء أقلية دينية فهم يشعرون بتعارض وتوتر إزاء الثقافة الأمريكية. وإذا ما نظر المرء إلى أمريكا على أنها سياق غريب يتوجب على صعيده تجنب المشاركة فى مسار المجتمع قدر الإمكان، حينها تسود استجابات «أكثر محافظة» على الأسئلة الأساسية. «ويؤكد البعض أنه لولا ما تتسم به ثقافة الغرب من طابع «انحلالى» أو كافر بشكل عام، لما تعيَّن على تجمعات المسلمين أن تعانى ما تعانيه من مشاكل التشرد وادعاءات الاعتداء على الأطفال وارتكاب العنف المنزلى وإدمان المخدرات وإيداع الأبناء فى إصلاحيات»[٣]. والذين يختارون الاعتقاد بأن أمريكا هى أرض الإسلام حتى ولو لم يشكِّل المسلمون أغلبيتها يجنحون إلى الأخذ بمزيد من المرونة فى تفسيرهم للحلول الواجبة للمشاكل التى يواجهها المسلمون فى أمريكا. ومن المفكرين من يقارن بين هجرة المسلمين إلى الولايات المتحدة على سبيل المثال وبين حدث الهجرة التى قام بها النبى محمد من مكة إلى المدينة. وبقدر ما تمكن النبى من إقامة مجتمع إسلامى فى تلك البيئة التى كانت غريبة عنه فى الأساس فإن هؤلاء المفكرين يقولون بأن على المسلمين أن يعملوا لتحقيق مثل هذا الهدف فى أمريكا.

وكثير من المسلمين المقيمين بالولايات المتحدة، سواء الذين وفدوا فى مراحل متأخرة أو أفراد العائلات المسلمة من أفراد الجيلين الثانى والثالث يريدون بحق أن يُستوعبوا بالقدر نفسه ضمن سياق الثقافة الأمريكية ولا يحاولون تأكيد عناصر هويتهم مما قد يفرق بينهم وبين الآخرين. وهذا العزوف عن الغلو فى تأكيد الهوية الإسلامية اتسمت به أعداد كبيرة من المسلمين الأمريكيين منذ الأيام الأولى للهجرة الوافدة حيث نمت هذه الاتجاهات، كما رأينا، من واقع عوامل منها مثلاً التماس فرص العمل وعقد الزيجات المشتركة بين الأديان وعدم الرضا عن قيادات المساجد فضلاً عن أشكال شتى من الصلات التى أنشأوها مع الثقافة الأمريكية. وبالنسبة للبعض فإن الزيادة فى مشاعر التحيُّز ضد المسلمين فى ضوء

(*) هذا التقسيم فيه نظر كما يقال فى ضوء تطورات العصر الحديث «المترجم».

الأنشطة الإرهابية والمشاعر المؤيدة لإسرائيل والشعارات المناهضة لأمريكا التي يرفعها كثير من الزعماء العرب المسلمين إضافة إلى عدد من الحقائق الأخرى الشديدة الانتشار في العقود العديدة الأخيرة كل ذلك أدى إلى تشجيع استيعاب هؤلاء المسلمين.

وبالنسبة إلى أفراد آخرين ضمن مجتمع مسلمي أمريكا فإن هذه العوامل ذاتها، بما في ذلك ارتفاع مدِّ الصحوة الإسلامية في كثير من أنحاء العالم، أعادت تنشيط وعيهم ومسئوليتهم الدينية. وشجَّعهم في ذلك التحدي بأن الإسلام يقف دوليًا في مواجهة العلمانية الدنيوية الغربية فضلاً عن القلق الذي يساورهم بشأن مؤثرات هذا الاتجاه الدنيوي العلماني ذاته على أبنائهم في أمريكا ومن ثم فقد ظلوا يتطلعون باستمرار إلى الإسلام ويروجون له بوصفه عقيدة ومنهجًا للحياة في آن واحد. وبالتأكيد فإن كثيرًا من أفراد الأجيال الأول والثاني والثالث من المسلمين يريدون بالفعل الاقتران علانية بالمجتمع الأمريكي خوفًا من أن يصبحوا، أو أن يصبح أبناؤهم، هدفًا للتحيُّز والتمييز. لكن أفرادًا كثيرين آخرين سئموا مما يرونه صورًا متحيِّزة ومجحفة للإسلام والمسلمين تعرضها الميديا الأمريكية، ومن ثم فهم يغتنمون الفرصة لتصحيح تلك الصور من خلال القدوة التي يجسدونها في حياتهم بشأن جوهر «الإسلام الحق» عندما يمارسه المؤمنون به عن ورع وتقوى. وبالنسبة لهؤلاء المسلمين، وهم يضمون مهاجرين وأفرو -أمريكيين وغيرهم من المتحولين إلى الإسلام، يظل من الجوهري التماس السُبل التي يعيشون بها دينهم ويعبرون عنه وعن هويتهم الإسلامية فيما يعترفون بضرورة التكيُّف مع الحياة الأمريكية والمشاركة فيها. وهم ينطلقون من واقع أساليب عديدة ومتباينة من المشاركة حتى بات الإسلام الأمريكي على مشارف مرحلة فاصلة في ضوء سعي المسلمين المضي قدما نحو مستقبل يمكن تحقيقه ضمن السياق الأمريكي.

ويبقى بعد ذلك السؤال: ما هي القضايا الأخطر المطروحة على الأجندة العامة للمسلمين في أمريكا؟. إن هناك ما يشير إلى وجود عدد من القضايا التي يتم تعريفها بوصفها مجالات تستحق الاهتمام وذلك في ضوء استعراض للمؤلفات المطروحة في هذا الشأن وإطلالة على جداول أعمال الاجتماعات والمؤتمرات التي تعقد على الصعيدين القومي والإقليمي والحوارات التي تمت مع الذين يتبوأون

مواقع قيادية فى قطاعات شتى فى مجتمع مسلمى أمريكا. ومن بين هـذه القضـايا نلاحظ ما يلى، علمًا بأنها ليست قضايا حصرية ولا تبادلية وإن كانت تعكس كلهـا وبدرجة ما مجموعة مشتركة من القضايا التى تدعو إلى الانشغال.

السلطة المرجعية

فى مجتمع يعيش حالة الشتات بعيدًا عن الوطن الأصلى على نحو ما يتسـم به بالضرورة مجتمع الإسلام فى أمريكا لا بد وأن يُطرح السؤال: لمن الحق فـى مرجعية تفسير الحياة الإسلامية «القيّمة» أو «القويمة»؟ بالنسبة للأفرو - أمريكيين تتسم هذه القضية بأبعاد شتى. فالذين كانوا يوما ما أعضـاء فـى جماعـة «أمـة الإسلام» وعاشوا حتى وفاة رسولهم المحبوب، المكرم إليجا (إيليا) محمـد، تَعَّـين عليهم أن يحسموا الأمر فيما إذا كانوا يتبعون قيادة لويس فرقان وجماعـة «أمـة الإسلام» المعاد تشكيلها أو يولون ثقتهم للمبادرات الجسورة التى اتخذها وارث دين محمد وفهمه الجديد لما يعنيه أن يكون الإنسان أسود ومسلمًا. وكثير من الزعمـاء الأفرو- أمريكيين الآخرين نشأوا عبر العقود العديدة الأخيرة ومنهم من اتبع مذهب السنّة ومنهم طائفيون وهم يدَّعون سلطة يمارسونها على أتباعهم ويلتمسون تعزيـز وزيادة عضوية جماعاتهم. أما الجانب الآخر من قضية المرجعية بالنسبة لكثير من الأفرو -أمريكيين فيتعلق بمدى الحاجة إلى الإنصـياع إلـى السـلطة المرجعيـة للمهاجرين القادمين من بلدان عاشت قرونا طويلة من الأعراف الإسلامية فى حين أن الأفرو- أمريكيين هم فى معظمهم وافدون جدد نسـبيا إلـى سـاحة الإسـلام. ويتساءل أحد الأفرو- أمريكيين ممن اعتنقوا الإسلام سنوات طويلة قائلا: «أى حق يملكه باكستانى أو سعودى لكى يقول لى كيف أمارس إسلامي؟ لست أرى أن طول الأمد الذى عاشه الإنسان مسلما يعنى بالضرورة أنه يعرف كيـف يكـون مسـلما أفضل»[٤]. وفيما يتحرك وارث الدين وغيره إلى استلام زمام القيادة فـى مواقـع الجماعة المسلمة الأمريكية ككل فإن مثل هذه القضايا قد ينحسر مدها ولكنهـا مـا زالت مصدرًا لحالات من التوتر بالنسبة لبعض السود.

السلطة المرجعية أيضًا قضية تتسم بأهمية كبيرة بالنسبة لأعضاء الجماعات المهاجرة بين مسلمى أمريكا ولا سيما الوافدين إليها فى مراحل أقرب عهـدًا. لقـد

عرف الناس أمريكا على أنها مكان يتيح تطوير فهم جديد للإسلام ويصدق ذلك بالضبط لأنه مكان بعيد ومتحرر من رقابة السلطات الدينية المهيمنة على الأمور فى الأقطار الإسلامية. يقول الدكتور وحيد أكبر رئيس رابطة الأطباء الباكستانيين فى أمريكا الشمالية: «إن أمريكا... تتيح فرصًا هائلة للمسلمين لكى يعكفوا بحق على تطوير وتعزيز دينهم. وفى هذا البلد يتاح للمسلمين أن يمارسوا الإسلام كما تجدر ممارسته حيث لا قيود على الدين بمرسوم حكومى ولا سيطرة على العقيدة بعامل طائفي»(٥). ومع ذلك فهذه الحرية نفسها، رغم أنها تمثل انعتاقًا للبعض إلا أنها تصيب البعض الآخر بتوتر عصبى شديد. لقد نشأوا وتربوا فى ظل فهم عميق بأن من الشخصيات الدينية من يتمتع بسلطات مرجعية قوية (بل ومطلقة). ومن ثم فهناك الكثير سواء فى مجتمعات السنة أو الشيعة ممن جاءوا من أقطار إسلامية محافظة وممن لا يزالون ينظرون إلى تلك الشخصيات وإلى تفسيراتها للإسلام كمرجعية يستهدون بها فى حياتهم فى أمريكا.

كذلك يمكن أن تكون عوامل التمويل مهمة بدورها فى مسألة السلطة والنفوذ، ويمكن أن يتسم بتعقيد خاص أمر الحسم فيما إذا كانت بعض التفسيرات ملائمة أو غير ملائمة بالنسبة لممارسة العقيدة فى الغرب وخاصة عندما يأتى العون المالى الخارجى المقدَّم للمؤسسات الدينية والتعليمية للمسلمين فى أمريكا مرتبطا بالتفسيرات العقائدية والمصالح السياسية لمانحى تلك الأموال.

الوحدة

السعى نحو ما يوحِّد جميع المسلمين فى أمريكا، أيا كان شكل هذا التوحيد، ما زال شاغلاً مستمرا بينهم وهو يتسم بأبعاد واسعة شتى. وفى هذا السياق يطرح السؤال بأساليب مختلفة: هل هناك ما يميِّز الإسلام الأمريكى لدرجة يمكن بها تمييزه تحديدًا عن الأمة الأمريكية؟ لقد رأينا فى الفصول السابقة كثيرًا من الطرق التى كان فيها هذا المسعى نحو تلك الوحدة أمرًا بعيد المنال وكم تشدَّق المهاجرون باختلافات الثقافة والعرف فبعض الباكستانيين الذين وصلوا مؤخرًا قد يظنون على سبيل المثال أن المسلمين العرب من الجيلين الثانى والثالث أصبحوا ليبراليين للغاية فيما يتعلق بممارستهم الإسلام فيما قد يتحفظ العرب من ناحية أخرى على الأسلوب

«الفوقي» الذى يتبعه الباكستانيون وكأنهم يعلمونهم كيف يكون المرء مسلما. وكثير من أهل السنّة يؤكدون بحماس أن العلاقات بين السنّة والشيعة مثيرة للإعجاب فى أمريكا بينما هناك أصوات داخل المجتمع الشيعى نفسه تعارض ذلك بدعوى أن هذه العلاقات ليست منسجمة لا من قريب ولا من بعيد.

من ناحية أخرى يناضل السود والهسبانيون والأمريكيون الأصليون وغيرهم بحثًا عن هوية سواء تحت المظلة الأوسع للإسلام الأمريكى أو بصورة محددة كأعضاء فى التجمعات العرقية - الاثنية التى ينتمون إليها. والأفرو - أمريكيين من أتباع وارث الدين لا يشعرون بالرضا لأن جماعة «أمة الإسلام» بقيادة لويس فرقان التى يعدونها أبعد ما تكون بصورة خطرة عن صحيح العقيدة ما زالت تنعم بكثير من الشهرة لدى الصحافة الأمريكية. ولا يسعدهم كذلك حقيقة أنهم عندما يرتدون ملابسهم المحتشمة أو عندما يعرفون أنفسهم فى بعض الأحيان كمسلمين فإن هناك من يتصورهم فى غالب الأحيان أعضاء فى جماعة «أمة الإسلام». الإشكاليات نفسها تثور بالنسبة للمسلمين السنّة السود وتتمثل فى حركات طائفية مثل «أنصار الله» أو جماعة «الخمسة فى المائة» الذين يُنظر إلى معتقداتهم وممارساتهم بعامة على أنها أبعد ما تكون عن صحيح الإسلام القويم.

تأتى بعد ذلك المشاكل التى تتعلق بالروابط بين الأفرو- أمريكيين والمهاجرين المسلمين التى ألمحنا إليها آنفا. وتقول أمينة بفرلى مكلويد من جامعة ديبول: «لقد نشأ تمييز واضح بين التجمعات الباكستانية والهندية والعربية والأفرو- أمريكية بما يمكن رؤيته بجلاء من واقع المطبوعات الصادرة والهياكل التنظيمية والمناسبات الاجتماعية. لقد ذاعت بالنسبة للمهاجرين دعوى أن ثمة إسلامًا توحيديا فى العالم الإسلامى وهو المعيار الأساسى للقياس، بينما تجارب المسلمين الأفرو - أمريكيين ينبغى رفضها وبدلاً من ذلك فإن عليهم أن يطمحوا لممارسة شيء اسمه الإسلام السلفى الصحيح. وهذا التأكيد ما زال فى بعض قطاعات من المجتمع المسلم يشكّل حافزًا على الانقسام»[٦]. وهناك من المسلمين من يأسف أسفًا شديدًا، لا لأن المسلمين الأفرو - أمريكيين يشعرون بوطأة ضغوط من هذا القبيل، بل لأن الاهتمام ينصرف إليهم بدلاً من أن ينصبَّ على الجهود

الملموسة التى يجرى بذلها من أجل تضام الصفوف بين المهـــاجرين والأفـــرو - أمريكيين المتحولين وغيرهم بحيث ينضوى الجميع تحت لواء الإسلام الأمريكى.

وفيما تظل معظم المنظمات الإسلامية القومية بصـــورة غالبــة إمــا مــن المهاجرين أو الأفرو - أمريكيين، وبينما يساور بعض المسلمين السود شعور مــن الاستياء لأنهم لم يدعوا للمشاركة مباشرة فى أعمال هيئة مثل الجمعية الإســلامية فى أمريكا الشمالية (إسنا)، فالحق أيضًا أن عددًا من مجالس التنسيق بات يضم قادة من المهاجرين والأفرو -أمريكيين وهم يحتلون مواقع القيادة فى تلك المجالس. ولا جدال فى أن مواصلة الجهود المبذولة حاليا للتوصل إلى تقدير أفضل وفهم أعمــق وتعاون أوسع بين مختلف الجماعات التى تشكِّل فيما بينها الإسلام الأمريكــى مــا برح قضية ذات أهمية عليا تتصدر أجندة المسلمين فى الولايات المتحدة.

القيادة

بالنسبة لجميع المسلمين الأمريكيين، تتسم بأهمية فائقة مسألة اجتذاب قيــادة أمريكية أصيلة للمساجد والمراكز الإسلامية وتزويدها بسُبُل التدريب الملائم. ومــا يكاد يكون جميع الذين يعملون كأئمة فى المجتمعات المهاجرة وممن يُنظــر إلــيهم على أنهم مؤهلون جيدًا تلقوا تعليمهم فى الخارج وغالبا ما يكون ذلك فى مصر أو العربية السعودية أو إيران. ومن أسف أنه فى الغالب الأعم فالذين لم يحصّلوا فــى الولايات المتحدة سوى النذر اليسير من التعليم ومنهم من يفتقر إلى أى تعليم علــى الإطلاق استدعوا لقيادة الصلوات والنهوض بمسئوليات أخرى ملقاة حاليًــا علــى عاتق الأئمة الأمريكيين حيث يرجع ذلك ببساطة إلى الافتقار من الأساس إلــى أى قيادة حازت ما ينبغى من تعليم وتدريب. ومن الواضح أن من السُبُل التى يمكن بها للمسلمين الأمريكيين أن يشرعوا فى تخليص أنفسهم من تــأثيرات الإســلام عبــر البحار وللدرجة التى يرون أنها مرغوبة أو ضرورية، مــا يتمثــل فــى تطــوير مناهجهم لتعليم وتدريب الأئمة. وعندما سئل أحد قادة المجلس الإسلامى الأمريكى عن أهم قضية قائمة بذاتها وتواجه مسلمى أمريكا اليوم أجاب على الفــور: «إنهــا تهيئة سُبل إعداد الرجال لتولى مواقع القيادة الدينية وبالذات ليكونوا أئمة»[٧].

وكما رأينا فإن ثمة قلة من المؤسسات الإسلامية تجتاز حاليًا مراحــل مــن

النضج بما يؤهلها لتنفيذ برامج من هذا القبيل وفى مقدمتها كلية الإسلام والعلوم الاجتماعية فى فرجينيا. وفى حالات قليلة يتم وضع برامج تعاونية مع كليات المسيحية البروتستانتية ومنها مثلاً مجمع هارت فورد فى كونكتيكت وكلية أصول الدين اللوثرية فى شيكاغو من أجل تجميع الموارد اللازمة لتدريب قيادات للمسلمين. وبقدر ما زادت المهام المطلوبة من الأئمة، بقدر اتساع المجالات التى أصبح مطلوبًا أن يتدرب عليها الأئمة تدريبًا كافيًا. فبالإضافة إلى معرفة اللغة العربية والقرآن وأسس الشريعة الإسلامية وأصول الدين والتاريخ، ينبغى أن يكون الأئمة على معرفة بأساليب الوعظ وقيادة الفعاليات اللازمة لدورة الحياة الإسلامية وعليهم أن يلموا بأسس الاهتمام الرعوى وإسداء المشورة وفهم بنود التمويل المتصل بإدارة شئون المسجد فضلاً عن الدراية الفنية التى تتيح تنفيذ البرامج التعليمية الملائمة للأطفال والشباب والكبار. وبالإضافة إلى ذلك يُطلب من الأئمة فى غالب الأحيان المشاركة فى الأنشطة المجتمعية والحوار المشترك بين الأديان كما يلزمهم الإلمام بأسلوب أداء وظائفهم ضمن هذه السياقات الأوسع نطاقًا. ومن ثم فلا يزال الطريق طويلاً أمام مسلمى أمريكا من أجل التصدى الكامل لمعظم هذه التحديات.

المرأة

عبر العالم الإسلامى بأسره بدأ دور المرأة فى البروز، بهدوء أحيانًا وبصورة درامية أحيانًا أخرى بوصفها من العناصر الرئيسية فى إدارة شئون فى المجتمعات الإسلامية التى تنتمى إليها. ورغم أن كثيرا من النساء ما زلن غير متعلمات وغير عاملات (برغم أنهن يعملن ساعات طويلة فى أشغال غير مأجورة) وغير ملمات بحقوقهن الإسلامية، فإن نساء أخريات أصبحن يتكلمن ويكتبن بفصاحة عن أدوارهن كمشاركات فى الجمعيات المسلمة الناشئة كما يطرحن تفسيرات جديدة ولافتة للنظر لمواد من القرآن والحديث التى طالما فُهمت عبر العصور على أنها تعزل المرأة عن المشاركة فى الحياة العامة. وتُولى كثير من حركات الإحياء الإسلامى فى الخارج تشجيعها للمرأة لكى تطالب بحقها المشروع فى النشاط العام بين صفوف المجتمع كما تؤيد مشاركتها فى مجال السياسة وأمور الحكم فضلاً عن المجالات التى تتسم بطابع تقليدى أكثر كالتعليم والرعاية المنزلية.

وتتعرض النساء المسلمات فى أمريكا لمؤثرات ناشئة عن جوانب شتى: فبعضهن اقتنعن بأن التقاليد المحافظة التى ربما نشأن فى كنفها ما زالت توفر الفهم الأنسب للأسلوب الأمثل للسلوك وللأدوار التى ينبغى لهن أن يؤدينها. والبعض الآخر يستمعن ويتأثرن بعمق بالتفسيرات الجديدة المثيرة التى تأتى من مختلف أنحاء العالم الإسلامى ومن هؤلاء النساء أنفسهن مَنْ قدمن تلك التفسيرات فى سياقات شتى قبل المجيء إلى أمريكا. وعليه ترتفع أصواتهن باستمرار فى حوارات بشأن ما هو الأنسب والأجدر للمرأة المسلمة الأمريكية. ولا شك أن الحوارات التى تدور بين صفوف النساء الأمريكيات ممن يعرفن أنفسهن كنصيرات للحركة النسائية أو للمرأة تؤثر على الرجال والنساء بطرق شتى. وفيما تجد كثير من النساء المسلمات فى أول الأمر أن خطاب الحركات النسائية هو خطاب نخبوى وعنصرى وبعيد الصلة عن قضاياهن، فإن الأمر يشهد مزيدًا من المحاولات الكثيرة التى تبذلها نساء مسلمات وغير مسلمات للمشاركة فى الحوار الذى يدور بين الأطراف وينطوى على المزيد من الثراء الفكرى والفائدة. أما المدى الذى يمكن أن تؤثر به بعض هذه الأصوات المختلفة أو جميعها على دور المرأة فى الأمة الغربية فأمر بدأ فى الظهور مؤخرًا.

فى الوقت نفسه فإن قيادة المنظمات القومية باتت تشجع النساء المسلمات اللائى تلقين تعليما مهنيا واخترن البقاء فى البيت إلى أن يكبر الأطفال بصورة كافية، على التماس الوسائل التى تتيح لآرائهن أن تصبح معروفة ولمساهماتهن فى المجتمع المحيط أن تصبح بادية للعيان. وتشارك الكثيرات فى أنشطة المساجد لا فى البرامج التعليمية فحسب بل كثيرا ما ينخرطن فى عضوية مجالس المساجد وفى سائر الهياكل الإشرافية. وتتطوع نساء للمساعدة فى التعليم بالمدارس الحكومية التماسا لفرص لتعليم أبنائهن وكذلك تعليم الذين لا يعرفون سوى النذر اليسير سواء عن الإسلام أو عن مضمون العقائد والممارسات الإسلامية وعن فحوى المواسم والأعياد التى يجرى الاحتفال بها. وكما رأينا فهناك أخريات ناشطات فى برامج ما بعد المدرسة فى المسجد ويقمن بتطوير أشكال من التعليم المنزلى لأبنائهن. ومن الأدوار المختلفة التى تؤديها نساء أمريكيات مسلمات ما ترد أمثلته فى «السير الشخصية» وبقدر ما ينجح المسلمون فى رسم معالم محددة لإسلام أمريكى متميِّز فإن المرأة سوف تسهم كثيرا فى مثل هذا التعريف.

السياسة

حتى الآونة الأخيرة؛ ظل الأمريكيون المسلمون فى معظمهم بعيدًا عن المشاركة السياسية لعدد من الأسباب. فالمهاجرون القادمون من أقطار تشهد مشاركة سياسية ضئيلة أو غير فعّالة يمكن أن يصعب عليهم أحيانا أن يفهموا أن الأوضاع مختلفة فى أمريكا. كما أن بعض المسلمين اقتنعوا أن الصوت الذى يدلون به أو المشاركة من جانبهم أمور لن تحدث فرقًا وهم يعتقدون أن السياسات الوطنية والدولية الأمريكية لن تفيد المسلمين فى قليل أو كثير فيما شعر آخرون منهم بأن مشاركتهم فى مضمار السياسة حرام بالفعل.

مع ذلك فهذا الوضع يتغير بصورة درامية إلى حد ما حيث يدرك المسلمين أنهم إذا ما نظّموا صفوفهم فإن بوسعهم حقا التمتع بنفوذ ملموس فى السياسة الأمريكية. ويحال فى هذا الصدد إلى آية «إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ» (الآية ١١ من سورة الرعد) دليلاً على ضرورة أن يستلم المسلمون زمام المبادرة من أجل إضفاء التغييرات المفيدة بأنفسهم. ومن هنا شرع البعض يتكلم عن سلبية المسلمين باعتبارهم مسئولين عن كثير من المشاكل التى تواجهها جماعتهم حاليًا. وفى مقال بعنوان «تقرير مصير المسلمين - حان الوقت» على سبيل المثال يتحدى طبيب باكستانى المسلمين لكى ينهضوا لأداء مسئولياتهم قائلا:

«لقد أصبح المسلمون فى العالم بليون نسمة (عدد كبير منهم يعيشون فوق تلال من الموارد النفطية وغيرها من الموارد الطبيعية» إلا أن صوتنا ما زال أقرب ما يكون إلى الصمت المميت... وهكذا خسرنا الغابات من أجل الأشجار. ونحن ننشط كثيرًا لكى نختلف ونطلق الشعارات ويعوق بعضنا مسيرة الآخر سواء كان ذلك على مستوى الفرد أو مستوى الجماعة أو مستوى الدول... ويا قوم: ثمة أخبار جديدة، فالله يضمن رزق كل نفس وعليه فلسوف يأتيك نصيبك من الله سواء خرجت وكتبت رسائل إلى الصحف أو شاركت فى مسيرات الاعتراض أو كتبت إلى ممثليك السياسيين أو رشّحت نفسك لموقع جماهيرى أو اخترت أن تكتفى بالقعود رهينة الخمول الفكرى بين جدران البيوت الفاخرة أو على متن السيارات الفارهة. فما الذى يقتضيه الأمر لكى نوقظ مسلمى أمريكا من غفوتهم؟ وكيف

يتسنى لنا أن نعالج قصر النظر الجماعي الذي أصابنا؟ وما الذي نتخيله من معاناة أبنائنا بما يدفعنا إلى أن نتحول من مجرد متفرجين إلى حيث نكون مشاركين؟»[٨].

وقد عُقِد في الآونة الأخيرة اجتماع وطني لتحالف المسلمين الأمريكيين وهو منظمة يافعة مكرسة لتنظيم صفوف المسلمين إلى حيث يشكلون كتلة تصويت رئيسية على المستوى القومي وكان موضوعه الرئيسي هو «كيف نصل إلى انتخاب ٢٠٠٠ أمريكي مسلم للمناصب العامة بحلول عام ٢٠٠٠». وكان تركيز الاجتماع على نحو ما انعكس في الكتابات الصادرة والمناقشات التي دارت ينصب على تهيئة مرشحين مسلمين لمجالس إدارات المدارس ومناصب المجالس البلدية وإدارة الحملات اللازمة لانتخاب رؤساء بلديات مسلمين وأعضاء برلمانات الولايات مع التخطيط لوجود مسلم في نهاية المطاف في المحكمة العليا الأمريكية. ويقول الدكتور أغا سعيد مؤسس التحالف الأمريكي المسلم وأمينه العام: «أعتقد أن بوسعنا أن نصبح قوة كبرى من حيث الدفع بالمسلمين إلى تسجيل أسمائهم كناخبين ومن ثم المشاركة في النظام السياسي الأمريكي وأخيرا لكي يصبحوا ناشطين فعَّالين في المضمار السياسي»[٩]. ولذلك فهو يصر على ضرورة أن تتجاوز نظرة المسلمين هوياتهم الثقافية كي يركزوا على الأرضية المشتركة التي تجمعهم كمسلمين. وتبذل بعض الجماعات جهودا ملموسة لتشجيع النساء المسلمات على الترشح للمناصب العامة. ومنذ منتصف عقد الثمانينيات ظهر عدد من لجان العمل السياسية (الباك) ومنها مثلاً اللجنة التابعة للجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية (إسنا) مع إيلاء قدر كبير من الاهتمام لضرورة إعداد المزيد من الاختصاصيين العاملين على تشكيل لوبي إسلامي. ووصل الأمر إلى حد أن هناك من بات يسأل عمًّا إذا كان من المهم إيجاد عصبة مستقلة من الناخبين المسلمين.

كما تعمل كثير من الجماعات المحلية على تشجيع المشاركة السياسية من خلال جهودها في تقديم المساعدة على تسجيل الناخبين وتشجيع المرشحين المسلمين على خوض الانتخابات من أجل المناصب العامة. وبلغ الأمر كذلك إلى اتخاذ مستشارين محنكين يسدون النصيحة إلى الناخبين في الحالات التي يبلغ فيها التحمس من حيث التأييد الجماهيري من جانب أعضاء المجتمع المسلم حدا من الغلو لدرجة أن يفضي إلى إحراج حقيقي لمرشح ما ومن ثم يحول دون انتخابه أو

انتخابها. وتدل التقديرات الراهنة على أن المسلمين فى أمريكا منقسمون بصورة تكاد تكون متساوية بين الديمقراطيين والجمهوريين والمستقلين. وعلى المستوى السياسى بذلت جهود مركزة من أجل تنسيق المشورة التى تسدى إلى الناخبين المسلمين بشأن القضايا التى يطرحها المرشحون والمواقف التى يتخذونها. وتعمل لجنة تنسيق قومية تضم فى عضويتها ست منظمات بما فى ذلك المجلس الإسلامى الأمريكى ولجنة العمل السياسى ومنظمة «كير» من أجل تبادل ونشر المعلومات فى هذا الشأن كما قام وارث دين محمد وأعوانه بإنشاء ائتلاف الحكم الرشيد لتزويد الأمريكيين المسلمين بالرؤية السياسية. وقد أدت التغيُّرات التى أضفاها وارث الدين على عملية إدخال المسلمين فى زمرة الإسلام السنى، فضلاً عن شجبه سياسة جماعة «أمة الإسلام» التى كانت قد حثت أعضاءها على عدم المشاركة فى نشاط المجتمع الأمريكى، إلى نتيجة مباشرة تمثلت فى اتساع مشاركة المسلمين فى الحياة السياسية على الصعيدين المحلى والوطنى. وتشهد السنوات القادمة مشروعًا يكفل أن يشارك المهاجرون والأفرو – أمريكيين فى الاضطلاع بأدوار رئيسية على المسرح السياسى الأمريكى.

ويتمحور تفكير الذين يدعون إلى توسيع آفاق المشاركة السياسية حول أهمية التأثير فى الأساليب التى سوف تتعامل بها السياسة الخارجية (الأمريكية) مع الأقطار الإسلامية فضلاً عن أثر هذه السياسات على الطريقة التى ينظر بها عامة الأمريكيين إلى عقيدة الإسلام. وعليه فإن الهدف الذى يعمل من أجله الكثيرون يتمثل فى مزيد من التعاون بين المسلمين الأمريكيين والمؤسسة السياسية الأمريكية. وفى هذا الصدد يقول أحد المعلقين «إن قيام شراكة بين المسلمين وبين الولايات المتحدة فى الداخل وفى الخارج أمر ينطوى على إمكانات هائلة تفيد الطرفين معًا. ورغم أن المرء قد يكنُّ مزيدًا من الاحترام للإمكانيات التى ينطوى عليها النظام الأمريكى فى معرض استجابته لمصالحه الوطنية بيد أن إعادة طرح الإسلام كعنصر من عناصر تحقيق المصلحة الأمريكية وليس كتهديد لها إنما يقع على عاتق المسلمين الأمريكيين»[١٠].

وهناك أسئلة كثيرة تواجه الجماعة الإسلامية وهى تتطلع إلى مستقبلها القريب ومن ذلك مثلاً: كيف سيتغير المسلمون ومن ثم يتغير الإسلام الأمريكى

نفسه عندما تصبح الأجيال الثانى والثالث والرابع من المهاجرين أبعد أكثر وأكثر عن الجذور التى ينتمون إليها؟ فلم يعد باستطاعة الأمريكيين من غير المسلمين أن يتكلموا عن الإسلام بوصفه دينًا «أجنبيًا وافدًا» ولا حتى بوصفه ديانة «شرقية». لقد أصبح الإسلام جزءًا من أمريكا وهاهم المسلمون يشكلون باطراد شريحة حيوية من سكانها. ويبقى السؤال أيضًا هو: إلى أى حد سيؤثر ذلك على التصورات الخارجية والداخلية للإسلام والمسلمين؟ وهل سيعمد أغلبية المسلمين إلى تعريف أنفسهم بوصفهم أمريكيين أصبحوا بالصدفة مسلمين أو على أنهم مسلمون تصادَف أن عاشوا فى أمريكا؟ وما هو الفرق بين هذين التعريفين وما هو أثرهما فى حياتهم العامة والخاصة؟ وهل سيحقق الإسلام فى أمريكا هدفه المعلن بأن يصبح قوة سياسية يُعتد بها؟ وهل من المرجح أن تنحسر مشاعر السخط والتحيُّز الأمريكية تجاه الإسلام نتيجة توسع الصلات مع المسلمين وتطور فهم دينهم وممارساتهم؟ ومن الذى سيكفل تقديم الأصول المرجعية للمسلمين الأمريكيين وهم بسبيلهم باستمرار إلى التمكن من اختيار الاتجاه الذى يسيرون فيه؟

ما زال السعى نحو قيام أمة أمريكية بمعزل عن الهويات العرقية - الاثنية التى كثيرا ما أدت إلى تقسيم وتشتت البشر بدلاً من توحيدهم، أمرًا يحتل مكانة عالية على أجندة الكثير من مسلمى اليوم، بل هو يتسم بأهمية خاصة بالنسبة للشباب الذين سيصبحون القادة الجدد للجماعة. ولهذا فلسوف تكون العقود القادمة حاسمة باعتبار أن المسلمين فى الولايات المتحدة وكندا سوف تتضح أمامهم الصورة بشأن أوضاعهم واحتياجاتهم وضرورة أن ينظموا صفوفهم لكى تُسمع أصواتهم فى غمار الادعاءات المتنافسة لمجتمع أمريكى متعدد الأعراق. وأيا كان تطور أنماط الحياة الدينية أو الاجتماعية أو الشخصية فمن الواضح أنه سيظل من واجب المسلمين أن تتجسد فيهم استمرارية القدوة التى يستمدونها من سيرة وإيمان النبى وجماعته فيما ينشأ كيان جديد له صفاته وسماته الخاصة - إسلام أمريكى بحق.

الحواشى

١- ماهر حتحوت «طبيعة الخطاب الإسلامى فى أمريكـــا»، ذى ميناريـــت (يناير ١٩٩٨).

٢- المهنيون المسلمون يجتمعون لمناقشة القضايا موضع الاهتمام المشترك، ذى ميناريت (مايو ١٩٩٦).

٣- الخدمات الاجتماعية للمسلمين تتخذ خطـــوة إلـــى الأمـــام، إســـلاميك هورايزونز، (يوليه/أغسطس ١٩٩٦).

٤- وردت فى حديث خاص مع المؤلفة فى عام ١٩٩٨.

٥- عمر بن عبد الله «العيون تتابع مستقبل المسلمين فى أمريكا»، إسلاميك هورايزونز (مايو/يونيه ١٩٩٥).

٦- مكلود، الإسلام الأفرو - أمريكى.

٧- قيلت للمؤلفة فى يونيه ١٩٩٨.

٨- محجبين إسلام حسين «تقرير مصير المسلمين-حان وقتـــه!» واشـــنطن ريبورت أون ميدل إيست أفيرز (مايو/يونيه ١٩٩٨).

٩- ريتشارد كورتيس «الدكتور أغا سعيد: قائد دينـــامى لتوســـيع تحـــالف المسلمين الأمريكيين ذى واشنطن ريبورت أون ميـــدل إيســـت أفيـــرز (ديسمبر ١٩٩٧).

١٠- المسلمون الأمريكيون/تشكيل سياسة الولايات المتحدة: شراكة جوهريـــة حان وقتها، ذى مسدج (ديسمبر ١٩٩٥).

ملامح سير شخصية

مسلمون أمريكيون مرموقون

عرضت الفصول السابقة من الكتاب معلومات عن تاريخ الإسلام ومظاهره المختلفة فى أمريكا بأسلوب سردى قدر الإمكان فى محاولة ترمى لأن تعكس حياة الأفراد المسلمين حقيقة النطاق الواسع للخلفيات والاهتمامات والتفسيرات التى أسهمت وما زالت تسهم فى رسم صورة الإسلام فى الغرب. وفيما يلى نبذات من سير شخصية لاثنى عشر فردًا من رجال ونساء لم يتسن الإسهاب فى التطرق إليها فى الفصول السابقة فيما تشهد سيرة حياتهم بمدى الإسهامات التى قدمها المسلمون للحياة فى أمريكا: منهم مهاجرون ومنهم أفرو- أمريكيين ومنهم أنجلو- متحولين من ذكور وإناث ومنهم علماء ورياضيون وقادة دينيون ومنهم أحياء وراحلون. ولكنهم فى مجموعهم يمثلون على نحو أو آخر شخصيات عامة كما أنهم أسهموا جميعًا فى الجهود التى بذلت على مدار القرن العشرين لصياغة الإسلام الأمريكى والمشاركة فى مسيرته.

الكسندر وب

قام هذا الصحفى الأبيض، ويدعى إلكسندر راسيل وب، بإنشاء أول مؤسسة إسلامية موثّقة فى نيويورك هى «الإخوان المسلمون الأمريكيون» فى عام ١٨٩٣ كان وب من مواطنى نيويورك وعُيّن قنصلاً للولايات المتحدة فى مانيلا بالفلبين فى عام ١٨٨٧. وعكف لوقت طويل على التعمق فى دراسة الأدبيات الدينية فكان أن شُغف أيّما شغف بالدين الإسلامى على نحو ما كان يمارسه المؤمنون به فى الشرق. ويزعم أبناء الطائفة الأحمدية أن مراسلاته مع (زعيمهم) غلام أحمد فى ثمانينيات القرن التاسع عشر هى المفتاح الذى أفضى إلى تحوله إلى دين الإسلام. والمهم أنه قرر نطق الشهادتين وبهما تحول من مذهب المشيخية المسيحى إلى الإسلام وأعقبه على الفور زوجته وأبناؤه. وقد سعى وب للحصول على دعم مالى من أجل نشر الإسلام فى أمريكا الشمالية من المسلمين فيما وراء البحار وخاصة

من الهند والعربية السعودية. وبالإضافة إلى تأسيس أول دار إسلامية مسلمة للعبادة فى أمريكا كان من أنشطته العديدة نشر جريدة على مدى عدة سنوات حملت عنوان «العالم الإسلامي» إضافة إلى تأليف عدد من الكتب التى قصد بها تقـديم الإسـلام إلى الأمريكيين مع إنشاء أول صحافة إسلامية فى أمريكا وتمثيـل الإسـلام فـى المؤتمر البرلمانى العالمى للأديان فى شيكاغو المعقود فى عام ١٨٩٣.

على أن مسجد مانهاتن الذى أنشأه وب كان عمره قصـيرًا فقـد اشـتجرت خلافات بين أعضائه وكان ذلك على حساب المؤسسة كلها وجـاءت الانشـقاقات الداخلية فتسربت إلى الصحف التى سارعت إلى النشر عن ادعاءات بشـأن سـوء الإدارة المالية من جانب وب الذى اعترف بأنه لم ينجح سوى فـى تـأمين النـذر اليسير من التمويل الدولى وخلص أخيرًا إلى القول بأن جهوده لم تنجم عنها نتـائج لها أى صفة دائمة على الثقافة الدينية فى أمريكا. وبلغ الأمر أن نشـرت جريـدة نيويورك تايمز مقالا تحت عنوان «سقوط الإسلام فى أمريكا» فكان بذلك الخاتمـة الحقيقية لجهوده فى أن يطرح ديانته على الجمهور الأمريكى. ومع هذا كلـه فقـد كان وب رجلاً فى غاية الجدية من حيث إخلاصه للإسلام ورغبته فى نقل رسالته إلى مدينته التى ولد فيها وإلى بلده، ومن هنا فمازال المسلمون يوقّرونه باعتبـاره رائد الدعوة أو النشاط التبشيرى للدين الإسلامى إلى أمريكا البيضاء، وقـد تـوفى وب فى عام ١٩١٦.

بتى شاباز

زوجة، ومن ثم أرملة، الزعيم المحبوب والمثير للجدل مالكولم إكس التى لم تكن حياتها سهلة بأى وجه من الوجوه ففيما كانت تعلن كثيرا عـن قناعتهـا بـأن مالكولم أحبها بحق هى وأبناؤهما الخمسة فقد اعترفت أيضا بـأن فتـرات غيابـه الطويلة (رغم الرسائل والمكالمات الهاتفية) ومعاملته لها طبقا للأنماط التقليدية من السيطرة الذكورية كانت أمرًا صعبًا فى التعامل معه. وعندما أطلق الرصاص على مالكولم كانت بتى شاباز هى التى حمت بناتها بجسدها الحى. وثمة كاتـب حـاول واهمًا أن يثنى عليها وقد جلست مرتدية السواد فى الصف الثـانى خـلال جنـازة مالكولم وقد أحدقت بها الشرطة فأشار إليها على أنها «جاكلين كيندى سوداء». وقد

انتهت حياة بتى نفسها فى عام ١٩٩٧، ومرة أخرى جاءت النهاية وسط ظـروف مأساوية عندما أصيبت بحروق من الدرجة الثالثة فى معظم جسدها بعد أن أشـعل حفيدها النار فى السكن الذى كانا يعيشان فيه.

وكما هو مسجل فى دفاتر مكتب التحقيقات الفيدرالية، ففـى عـام ١٩٥٦، وكانت أيامها تعرف باسم بتى سوندرز، انضمت إلى معبد نيويورك السابع التـابع لجماعة «أمة الإسلام» فأعيدت تسميتها لتصبح الأخت بتى إكس. ويكتب مـالكولم فى سيرته الذاتية أنه لاحظها فقط لفترة بسيطة دون أن يعيرها أى اهتمام حقيقـى وأنها ربما لم تكن حتى تدرك أنه كان يعرف هويتها. وقد وصف بتى علـى أنهـا فتاة طويلة القامة بشرتها أشد سوادا من بشرته وأنها من مواطنى ديترويت وكانت تعمل فى مدرسة تمريض فى إحدى مستشفيات نيويورك وتُلقى محاضـرات عـن الصحة الشخصية فى فصول دراسية للفتيات والنساء المسلمات. وعندما اكتشـفت عائلة بتى أنها أصبحت مسلمة هددت بقطع إعانتها المالية التى كانت تقـدمها مـن أجل دراستها. ويفيد مالكولم أنه ناقش إمكانية زواجهما مع إليجـا (إيليـا) محمـد وحصل على موافقته وبعد ستة أعوام من الإفراج عنه من السجن تزوج مـالكولم بيتى وكان ذلك فى يناير من عام ١٩٥٨.

أما بتى نفسها فتقول إن مالكولم كان بارد الأعصاب بل وخشن الطباع فـى فترة الخطوبة ولكن كان يستطيع أن يكون عطوفًا لين العريكة كزوج. وطبقا لمـا تقول فقد أصبح يقدم العون ليعلمها كيف تحب كامرأة وكيـف تـنهض بـإخلاص بمسئولياتها كأم. ومع ذلك فإن فرض سلطته عليها فى إطار الزواج ورغبتـه فـى إظهارها قدوة للمسلمة الطيبة كان فيها ما يكفي لإغضاب بتى التى كادت فى واقع الأمر تتركه بعد مولد الثلاثة الأول من أبنائهمـا. واعترفـت بأنهـا ارتضـت أن تتقاسمه مع بقية الجماعة إلا أنه من جانبه كان ينزع إلى تملكها تمامًا ومع ذلك فقد ظلت ذكرياتها عن مالكولم بشكل عام تصدُر عن حب بل وامتنان. ثم أن بتى ظلت بعد وفاة مالكولم هى المصدر الذى عرفنا من خلاله الكثير عن الجوانب الشخصية الحميمة لزوجها وعن علاقته ومواقفه بالنسبة إلى إليجا (إيليا) محمد.

وفى أعقاب وفاة مالكولم، سافرت بتى شاباز لأداء فريضة الحج إلى مكـة

مقتفية أثر زوجها فى رحلته وظلت تبعث برسائلها من هناك إلى أصـدقائها فـى هارلم بشأن روعة مدينة الإسلام المكرمة فضلاً عن أجواء السـكينة التـى تخـيِّم عليها. وعلى مدار السنوات أصبحت محاضرًا له شعبيته وجمعت من حولها دائرة حميمة من الأصدقاء شملت كوريتا سكوت كنج(*) والشاعرة مايا أنجيلـو. وكـان يلتمس النصيحة منها ساسة وحركيون ناشطون واختصاصيون فى التعليم وغيرهم وكانت من جانبها تعلن أنها تتبع الإسلام السنى فعلّمت بناتها الست مـن مـالكولم تعليمًا إسلاميا وظلت تعمل من خلف الكواليس مع مسـئولى الحكومـة وممثلـى مختلف التجمعات المسلمة فى سبيل رفعة الإسلام.

فى المستشفى الذى فارقت فيه الحياة أمضت معظم وقتها وهى تنصت إلـى تسجيلات من المصحف المرتل. ونشرت جريدة الرسالة رثاءً لبتى شاباز اختتمتـه بقولها: «سيئول أمرها كما سيئول أمرنا جميعًا فى نهاية المطاف إلـى الله ولكـن المسئولية فى إسناد أمور الدعوة إلى أفراد أسرة شاباز تظل واجبًا دينيّـا يتحملـه الذين يستطيعون التعامل معهم ونسأل الله أن يهب الصبر للعائلة وأن يساعد الأمـة على أن تواجه تحديات الحاضر»[1].

إسماعيل ولمياء الفاروقي

أصيبت الدوائر المسلمة والأكاديمية بصدمة عنيفة فى أمريكا وانتابها الحزن العميق واستبد بها الغضب الشديد عندما جرى فى ٢٤ مايو من عام ١٩٨٦ اغتيال إسماعيل الفاروقى وزوجته لمياء فى منزلهما بولاية بنسلفانيا، بينما كانا يسـتعدان للاحتفال بعيد الفطر. تلاميذهما المسلمون كانا يطلقان عليهما وصف «ماما وبابـا» بعد أن اضطلعا بأدوار لها أهميتها الاستثنائية فى تعليم شباب المسلمين ومساعدتهم على النضوج الفكرى والأخلاقى. ولذلك فقد حضر الجنازة قادة قوميون ودوليـون فضلاً عن عدد كبير من زملائهما فى المجال الأكاديمى الأمريكى.

إسماعيل الفاروقى، من مواليد يافا فى فلسطين عام ١٩٢١ وينتمى إلى أسرة تجمع بين الدين والعلم. وبعد أن تلقى تعليمه العالى فى الولايـات المتحـدة درس

(*) أرملة زعيم حركة الحقوق المدنيّة مارتن لوثركنج «المترجم».

العلوم الإسلامية التراثية فى الأزهر بالقاهرة فجمع بذلك بين علوم الغرب وعلـوم الشرق. وأدَّى الوقت الذى قضاه فى معهد ماك غيل للدراسات الإسلامية فضلاً عن تأثره بالمناخ السياسى الذى نشأ فى ظله، إلى تنمية اهتماماتـه بالتخصـص فـى الاستعراب. وبالنسبة للفاروقى لم تكن الدراسات العربية مجرد انتماء قومى محدود بل كانت محورًا للوعى العروبى بوصفه جزءًا من عالمية الإسلام. وبعد اتصـاله برابطة الطلاب المسلمين فى عام ١٩٦٥ وما بعده كرَّس نفسه وأعماله بالذات إلى ما أطلق عليه وصف "أسلمة المعرفة" وإذ كان أحد مؤسسى رابطة علماء الاجتماع المسلمين ظل ملتزمًا بإعادة فهم التفوق الذى تحقق فى ماضى الإسلام مـن أجـل تسليط الأضواء على المضمون الفكرى لمستقبله. ومن عام ١٩٦٨ وحتـى وفاتـه عمل إسماعيل الفاروقى أستاذا فى جامعة تِمبل حيث أنشأ برنامجًا رئيسيا للدراسات العليا فى موضوع الإسلام والعلوم الاجتماعية.

- كان الفاروقى واحدًا من عدد قليل نسبيا من العلماء المسلمين الـذين أولـوا اهتمامًا أكاديميا جادا بالمسيحية بعد أن أنجز دراسـة شـاملة عـن الأخلاقيـات المسيحية. وعلى مدى سنوات ظل مشاركًا فى نشاطات فكرية مسيحية-إسـلامية. وظل يعمل بغير كلل من أجل نشر الدعوة الإسلامية بل كان أحيانًـا يقـول بـأن ميادين الأكاديميا الأمريكية كانت الساحة التى تنطلق منها أنشـطته فـى الـدعوة والاتصال. وشارك كذلك فى تأسيس الكلية الإسلامية الأمريكية فى شيكاغو وبـذل جهودًا واسعة النطاق لإنشاء المعهد الدولى للفكر الإسلامى فى هيرنـدون بولايـة فرجينيا الذى كان مكرَّسًا لأسلمة العلوم الاجتماعية والطبيعية. وقُبيل وفاتـه كـان عاكفًا على التخطيط لافتتاح فروع للمعهد المذكور فى بلدان أخرى مسلمة وغيـر مسلمة.

لمياء الفاروقى كانت أستاذة فى الدراسات الإسلامية وخاصة فـى مجـالات الديانة والفن والموسيقى وهى أمريكية تحولت إلى الإسلام وتضلعت فى علوم اللغة العربية ثم سافرت عبر أقطار العالم الإسلامى كـى تعلّـم وتلقـى المحاضـرات. وأصدرت نصوصًا تأسيسية عن المرأة فى الإسلام فأدانت التمادى فى الغلـو فـى الحركة النسائية الغربية وتبنت أمر التمييز بـين الأدوار والمسـئوليات المحـددة بوضوح لكل من الرجال والنساء. كرَّست لمياء حياتها لمساعدة المسـلمين علـى

استعادة تراثهم الفنى والثقافى وبخاصة أولئك الذين يعيشون ضمن سياق غربـــى أو يخضعون لوطأة ضغوط التغريب. لقد عمل كل من إسماعيل ولمياء الفاروقى بقدر هائل من القوة والهمّة والإخلاص من أجل إعداد الشباب المســلم للقيــام بمهمــة صياغة إسلام يجمع بين الحيوية والقدرة العملية على الحياة فى العالم المعاصــر. ولذلك فإن فقدهما جاء مصابًا فادحًا للإسلام الأمريكى.

محمد على (كلاى)

فى صدارة الشخصيات العامة فى أمريكا ممن يقتــرن اســمهم بالإســلام الملاكم محمد على الذى وُجِّهت إليه اهتمامات الميديا الإعلاميــة أكثــر مــن أى رياضى آخر فقد ظهر على غلاف مجلة المصور الرياضى (سبورتس إللســتراتد) أكثر من ثلاثين مرة كما أصبح اسمه ووجهه معروفين للناس فــى جميــع أنحــاء العالم.

وُلِد محمد على باسم كاسيوس مارسيلوس كلاى فى عام ١٩٤٢ فــى لــويز فيل بولاية كنتاكى من أم معمدانية المذهب وأب مــن الكنيســية الميثوديــة. بــدأ الملاكمة فى سن صغيرة لكى يتمكن من أن يشترى سيارة لوالديه، وعندما كان فى عشرينيات العمر اعتبره الكثيرون أعظم ملاكم على مر الزمان، وبعد أن فاز فــى أولمبياد روما فى عام ١٩٦٠ أصبح معبود الجماهير الأمريكية إذ كان أنيقًا جــذابًا وناجحا بشكل مرموق. وفى عام ١٩٦٣ سجّل ألبومًا عمد فيه إلى الإشادة بمزايــاه الشخصية («أنا الأعظم») وكانت تلك قفزة جلبت له المزيد من الشهرة وإن جلبــت عليه بعض السخرية.

وقبل ثمانية عشر يومًا من هزيمته سونى ليستون ليصبح بعــد ذلــك بطــل العالم فى الوزن الثقيل، كان كلاى قد انضم إلى جماعة «المسلمون السود» تحــت تأثير مالكولم إكس. وبعد تحوله إلى الإسلام بدا للعيان وكأنه تغيَّر، فقد خفف مــن غلواء تباهيه بشأن ما حققه من إنجازات مؤكدًا بدلاً من ذلك على أهميــة الإســلام بوصفه قوة روحية فى حياته. وظل مصرا على أن أهم ما حدث فى حياتــه هــو اتخاذه الاسم الإسلامى محمد على. مع ذلك فقد فعل هذا كله فى وقت لم تكن فيــه جماعة «أمة الإسلام» محبوبة فى الولايات المتحدة الأمر الذى اشتعل معه غضب

لجنة الملاكمة. ومن موقع البطل سرعان ما أصبح محمد على موضع الاشتباه. وفى الوقت نفسه، وعندما وقعت حالة الانشقاق فى صفوف «أمة الإسلام» بين إليجا محمد ومالكولم إكس، انحاز محمد على إلى صف إليجا وكان ذلك مدعاة لخيبة أمل عميقة وأحاسيس مجروحة ألمت بصديقه مالكولم إكس. ذلك لأن محمد على كان يعتقد بأن إليجا (إيليا) هو رسول الله. وفى عام ١٩٦٧ ومن منطلق معارضته لحرب فيتنام رفض محمد على التجنيد فى صفوف القوات المسلحة على أساس أنه واعظ فى دين الإسلام وما كان من لجنة ولاية نيويورك الرياضية إلا أن ألغت رخصة الملاكمة الخاصة به بل وسحبت اعترافها ببطولته.

ولقد اتسمت الحياة المهنية لمحمد على فيما بعد بالتفاوت الشديد بين النجاح والإخفاق وإن كان ثمة اعتراف عام بأنه ظل يقاتل حتى بعد المرحلة التى كانت تسمح بها حالته الجسمانية فقد انتهى الأمر إلى التشخيص بإصابته بمرض باركنسون الرعَّاش. فى الوقت نفسه كان قد ظهر فى مناسبات كثيرة ليتكلم أمام الجمهور عن حياته وعن الإسلام بينما كانت الحكومة ممعنة فى مراقبته كعضو فى جماعة «أمة الإسلام». ورغم أنه لم يكن يومًا ما داعية متحمسًا للمبادئ العنصرية للجماعة إلا أنه ظل يبشر بالاعتزاز العرقى فأصبح بطل الأمريكان السود. ما زال محمد على حتى اليوم يمارس شعائر الإسلام ويعير اسمه لتوزيع المواد التعليمية الإسلامية وكان مساهمًا كبيرًا فى تمويل مؤسسات إسلامية مثل مسجد الفاطر وهو أول مسجد يُبنى من أوله إلى آخره فى مدينة شيكاغو كما أنه يصلى خمس مرات فى اليوم ويرى أن هذا ينظف عقله بقدر ما أن الاغتسال يصفى بدنه ويقول إن عظماء التاريخ الحقيقيين لا يريدون أن يكونوا عظماء فى حد ذاتهم بل إنهم عظماء بقدر مساعدتهم للغير وبقدر قربهم من الله.

محمود مصطفى أيوب الفقيه

تعوَّد المشاركون فى الدورات التى تعقد عن الإسلام فى الأكاديمية الأمريكية للديانات وغيرها من التجمعات الأكاديمية والمهنية ولوقت طويل على متابعة مساهمات واحد من أكثر أعضاء الأكاديمية دقة وبلاغة وهو محمود أيوب. لقد ظل محمود أيوب وهو مثقف أوتى قدرًا كبيرًا من الموهبة الرفيعة والتقوى الشخصية

العميقة صوتًا من أصوات النزاهة العلمية والتقدير والفهم المتعاطف على مدى حياته الفكرية. وُلد فى أسرة من المزارعين الفقراء فى عين قانا بجنوب لبنان وانتظم فى سلك أكاديمى شمل الدراسة فى جامعة بيروت الأمريكية وفى جامعة بنسلفانيا ثم جامعة هارفارد. وتعالج رسالته للدكتوراه التى نشرت بعنوان «مكابدة الخلاص فى الإسلام» معنى دلالة استشهاد الإمام الحسين ومعنى الحياة والتقوى عند الشيعة، فضلاً عن معاناته الشخصية نظرًا لفقر عائلته وكُف بصره إذ كان طفلاً بسبب الإصابة بمرض الجلوكوما كما تشمل أعماله العلمية العديدة تفسيرًا ضافيًا للقرآن وعددًا كبيرًا من المقالات عن العلاقات بين المسيحيين والمسلمين.

ويبدو أن الاهتمام بالعلاقات بين الأديان جاء نتيجة شخصية من نتائج خلفية أيوب وتعليمه، فهو ينحدر من أسرة شيعية أرسلته إلى مدرسة تبشير بريطانية تابعة للكنيسة المشيخية حيث تعلم أسس حياة التكريس المسيحية. وبهذا فقد نشأ وترعرع فى ظل بيئة مسلمة ومسيحية. ومن بواكير حياته كان محمد أيوب يبدى تقديرا عميقا للتنوع الدينى ويقول «لقد ترعرعت فى لبنان حيث صوت المؤذن وجرس الكنيسة يمكن سماعهما معًا وهما يدعوان المؤمنين إلى الله. وفضلاً عن ذلك فهناك الوجدان الشيعى الذى يقوم على المعاناة والشهادة على النحو الذى تعبِّر عنه الشعائر والطقوس الدينية المحركة للمشاعر وقد تعرَّضت لها من سن صغيرة للغاية ومن ثم ظللت متدينا على الدوام[٢]» ويشهد أيضا بأن الفترة التى قضاها فى جمعية الأصدقاء فى كلية تابعة لمذهب الكويكر بإنجلترا ساعدته على إعادة اكتشاف جذوره الإسلامية. ومن خلال دراساته وتأملاته فيما يراه بأنه التراث الروحى الحافل للإسلام والمسيحية فقد نمت بين جوانح محمود أيوب صلة خاصة نسبَته إلى الصوفية وحياة الزهاد.

عمل محمد أيوب أستاذا فى الدراسات الإسلامية فى جامعة تمبل منذ عام ١٩٨٨ وظل يواصل رسالته فى تقديم الإسلام إلى طلابه وإلى سائر مستمعيه فى أشد أشكاله وضوحا وأيسرها فهما. وهو يساهم بانتظام فى الحوارات النشطة المشتركة بين الأديان واصفا نفسه، لا على أنه ينتمى إلى مدرسة شرعية أو دينية بعينها من مدارس الفكر بل على أنه إنسان يحاول أن يتمثل التراث الإسلامى بوصفه أستاذا عالمًا وباحثا روحيا فى وقت واحد. ويستشهد أيوب بما عمد إليه

القرآن من تشجيع البشر على أن يتنافسوا فى الخيرات وكذلك بما أكده العهد الجديد بأننا رغم إطلالتنا من عدسة معتمة إلا أن الناس سوف يعرفون الحق فى يوم من الأيام والحق يحرر المؤمنين.

الإمام سراج وهَّاج

الإمام سراج وهَّاج شخصية مسلمة بارزة على مسرح الحياة العامة اليوم وهو قائد الجماعة فى مسجد التقوى فى بروكلين، نيويورك كما أنه نائب رئيس الجمعية الإسلامية فى أمريكا الشمالية ونائب رئيس مجلس الشورى فى نيويورك. ويقوم الإمام سراج برحلات كثيرة حول العالم يخاطب فيها المسلمين وسائر الجماعات ليتناول طائفة واسعة من القضايا ولكن من منظور إسلامى. الإمام فى الأصل كان مسيحيا معمدانيا ولكنه أصبح مسلما منذ أواخر عقد الستينيات وهو خطيب متحمس للغاية يعرف كيف يشعل حماس الجماهير ولا يتردد قط فى أن يحدد ما يراه من علل تصيب حاليا المجتمع الأمريكى فضلاً عن طرح الحلول التى يقدمها الإسلام سواء كنظام اجتماعى أو كمجموعة من المعتقدات الدينية. ويُدعى كذلك بانتظام لكى يتكلم فى الاجتماعات القومية للمنظمات الإسلامية حيث يتمتع بشعبية خاصة فى صفوف الشباب. وفى مؤتمر صيفى عُقد مؤخرًا فى منظمة الشباب المسلم فى أمريكا الشمالية ألقى كلمة فى أكثر من ٨٠٠ من شباب الجنسين فشجعهم على أن يتذكروا أن الوقت يتحرك بإيقاع «تك تك» طارحًا السؤال هل أنتم على استعداد للموت؟ ومؤكدًا لهم أن عليهم أن يعتزوا بكل لحظة تنقضى من العمر لأنها هبة من الله وأن علينا أن نعيش حياتنا من منطلق الوعى بأن الزمن يمضى لأننا لا نعرف متى نموت ولكننا مسئولون عما نفعل وسوف يحاسبنا الله[٣].

ومن الأنشطة المحلية العديدة التى يمارسها الإمام سراج برنامج فعَّال يتصدر حملة مناهضة للمخدرات فى مدينة نيويورك وقد أفضت الحملة إلى إغلاق نحو ١٥ من بؤر تعاطى المخدرات. وفى عام ١٩٩١ كان سراج وهَّاج أول مسلم يُدعى ليؤدى دعاء الابتهال فى الدورة الافتتاحية للكونجرس فى واشنطن العاصمة. وقبل ذلك كان الأمر يقتصر على الصلوات المسيحية واليهودية فقط وهذه المناسبة مهدت الطريق لدعوات وجِّهت إلى مسلمين آخرين برغم أن عددهم ما زال محدودًا لكى يشاركوا بصورة أكثر نشاطا فى الشئون العامة.

سيد حسين نصر

ربما لا يوجد مسلم آخر من المقيمين فى أمريكا توجه إليه الدعوة باستمرار ممثلاً عن الإسلام ومفسرًا له أمام الجمهور العام بأكثر مما يدعى سيد حسين نصر، أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة جورج واشنطن فى العاصمة واشنطن. من مواليد طهران بإيران وهو شيعى يتكلم باسم وحدة الإسلام وتكامل مذاهبه ومدارسه السلفية. كما أنه نموذج للمثقف الشامل حيث بدأ تعليمه الكلاسيكى الواسع بدراسة الجيولوجيا والفيزياء ثم تحول إلى دراسة الفلسفة الشرقية والغربية وتاريخ العلوم البحتة وعلم الاجتماع وأصول الديانة الإسلامية والمسيحية التاريخية والمعاصرة ثم تطور حركة الزهد الإسلامى والجوانب الروحية والفنية والثقافية. وبعد إنهاء تعليمه فى الغرب عاد سيد نصر إلى إيران ليُدرِّس فى جامعة طهران وكان مديرا للأكاديمية الإيرانية الإمبراطورية للفلسفة عندما قامت الثورة فى عام ١٩٧٩ وبعدها اضطر إلى الفرار من البلد. ويكمن خلف تعاليم وكتابات حسين نصر الموضوع المحورى الذى يقول بأن العالم الحديث، ولا سيما الغرب، لم يعد يفهم ولا يقدر ما يصفه بأنه «المقدس». وهو يكتب قائلا «إن الإنسان حتى وهو يعيش فى هذا العالم قادر على أن يتحول إلى الشاطئ الآخر من الوجود وأن يتخذ موقفا فى عالم المقدس كى يشاهد الطبيعة ذاتها وهى مفعمة بالجلال»[٤]، وهو معارض صلب للأيديولوجيات المعاصرة مثل الحداثة والعقلانية والعلمانية والمادية إذ يرى فى المبادئ الخالدة للإسلام المتعارف عليه أفضل علاج ناجع. وما محاولته لتشجيع التكامل بين العلم والفلسفة والفن، وهو ما يعتقد أنه من أعظم إنجازات الإسلام التراثى، إلا انعكاس لقناعته بأن الوحدة المركزية لجميع الأشياء تتجلى فى وحدانية الله. ومن المشاكل المعاصرة مثل الكوارث البيئية ما يعزوه إلى ضياع العلوم المقدسة حيث العلاقة قائمة بين الأرضى والسماوى وحيث يتآلف التاريخ البشرى والإلهى. ويعارض سيد حسين نصر معارضة شديدة قيام ما يسمى فى الغرب باسم الأصولية الإسلامية ويرى فيها تكرارا نمطيا خطيرا لبعض الأخطاء التى سبق إلى ارتكابها الغرب الحديث. وهو يشارك بكل جدية فى حوار

مع أفراد ينتمون إلى مذاهب دينية شتى داعيا البشر جميعا إلى العودة إلى ما يشكل أعمق الجوانب الروحية فى عقائدهم. كما يُسلّم بأن وجود المسلم فى أمريكا اليوم مسألة تنطوى على تحدٍّ خاص لأن المسلمين مقطوعو الصلة مع تاريخهم الإسلامى ومع تراثهم وثقافتهم. ويكرّس سيد حسين نصر جهوده للعمل من أجل الإثراء الروحى لجميع المسلمين المقيمين فى الغرب من خلال مساعدتهم على الارتباط بتراثهم والمصادر الروحية التى توحد صفوفهم على نحو ما هو قائم فى الفنون والعلوم والمذاهب الفلسفية للإسلام الحنيف.

كريم عبد الجبار

كريم عبد الجبار يعد فى نظر كثير من عشاق الرياضة البدنية أعظم لاعب كرة سلة على مر التاريخ بعد أن حظى بالتصويت ٦ مرات فى الرابطة القومية لكرة السلة على أنه أكبر اللاعبين من ناحية القيمة، وهو أيضا واحد من أشهر المسلمين على الساحة الأمريكية العامة. هذا اللاعب الطويل القامة (٧,٢ قدمًا) مولود فى أعالى هارلم باسم «فرديناند لويس ألسندور» وقد أصبح نجما لجامعة كاليفورنيا فى لوس أنجيلوس بعد التحاقه بالرابطة القومية لكرة السلة من خلال فريق بلووكى بكس فى عام ١٩٦٩ وبعدها تحول ألسندور إلى فريق لوس أنجيلوس ليكرز. وقد بلغ من سيطرته على مجال كرة السلة فى الجامعات لدرجة أن طريقة «غمر» الكرة التى كان يتفوق بها مُنعَت رسميا من المباريات الرياضية بين الكليات. وأدى ذلك إلى أن طوّر «لو ألسندور» الرمية التى ذاعت بفضلها شهرته الشخصية والمعروفة باسم خُطّاف السماء «سكاى هوك» التى وُصفت بأنها الرمية التى غيرت مجرى كرة السلة، وبفضلها استطاع أن يسجل أكثر من ٣٨٠٠٠ نقطة فى موسم الدورى لرابطة كرة السلة القومية وعندما كسبت ملووكى لقب الرابطة فى موسم ١٩٧٠/١٩٧١، كان السندور الذى أصبح وقتها كريم عبد الجبار هو ملك «الباسكت بول» المتوَّج.

ليو ألسندور تلقى تعاليم إسلامه أولا على يد حمّاس عبد الخالص(*) وهو

(*) يرجى الإحالة إلى ملاحظتنا السابقة بشأن «العبد الخالص». «المترجم».

عازف إيقاع سابق فى موسيقى الجاز ومؤسس المذهب الحنفى فى واشنطن العاصمة. وطبقا لشهادته الشخصية فقد نشأ على أن يأخذ السلطة على محمل الجد سواء كانت سلطة الراهبات أو المدرسين أو المدربين. وفى جهاده الروحى اتبع تعاليم عبد الخالص اتباعا وثيقا وهو الذى خلع على "ألسندور" اسم عبد الكريم الذى ما لبث أن غيره إلى كريم عبد الجبار بمعناه الذى يفيد النبالة وأنه عبد الله الجبار. ومع ذلك فما أسرع ما قرر أن يزيد على تعاليم عبد الخالص بعكوفه شخصيا على دراسة القرآن ومن أجله عكف على تعلُّم أسس اللغة العربية. وفى عام ١٩٧٣ سافر إلى ليبيا والعربية السعودية لكى يستوعب اللغة بصورة أفضل ويتعلم عن الإسلام فى بعض سياقاته "الأصلية". لم يكن عبد الجبار مهتما بأن تصدر عنه التصريحات بشأن إسلامه على نحو ما فعل محمد على كلاى فى إطار معارضته حرب فيتنام بل كان قصارى ما يرغب فيه عبد الجبار هو أن يعرّف نفسه بهدوء بوصفه أفرو- أمريكى ومسلمًا أيضا. ومن ثم ذكر بوضوح أن اسم "ألسندور" الذى كان يحمله هو اسم لعبد أو أنه حرفيا هو جلاب العبيد الذى جاء بأسرته من غرب أفريقيا إلى دومينيكا ومنها إلى ترينيداد حيث نقلوهم بعد ذلك إلى أمريكا.

وكعضو فى المذهب الحنفى، يؤكد كريم عبد الجبار هويته كمسلم سنى برغم أنه لم يعرف عنه قط أن كان مغاليا فى ممارسته للدين. ولأنه فى حال من الترحال المستمر، ولأن الألعاب والتدريبات كثيرا ما تتم خلال أوقات الصلاة المقررة فلم يُلزم نفسه بدقة لكى يؤدى الصلوات الخمس فى مواقيتها. وهو يعرب عن إيمان عميق بما يسميه الكيان الأسمى مع وضوحه فى فهم أن محمدا هو نبى الله وأن القرآن هو وحى من عند الله. وإذ يعارض ما حمله عليه أبوه من دفعه إلى العقيدة الكاثوليكية فهو يصر على أن يظل لأبنائه الحرية فى اتخاذ ما يرونه من قرارات خاصة بهم (وأبناؤه بالمناسبة من أم بوذية).

وفى عام ١٩٩٨ عادت الأضواء لتُسلَّط على كريم من جديد وفى هذه المرة لم تكن من أجل مهاراته فى كرة السلة ولكن عندما ظهر فى إعلان عن مشروب البيرة ويومها قال: لم أجد أى مشكلة فى هذا الصدد لقد أكدنا أنهم يفهمون أننى لا أشرب. والشركة تعرف أننى اتخذت موقفا علنيا ضد تناول المشروبات الروحية

وأعتقد أن الإعلان تم إعداده بأناقة(٥). بيد أنه ما لبث أن قدم اعتذاره بعد حوار مع أعضاء مجلس الشئون العامة الإسلامية عن أى إحراج يمكن أن يكون قد سببه للجماعة المسلمة. ومن جانبه فإن كريم يتقبل مسئوليته عن سلوك حياة إسلامية قويمة قدر الإمكان على أن تكون حياة تتيح فى بعض الأحيان تطويع الدين للمتطلبات التى تقتضيها مهنة رياضى فى أمريكا.

لالا بختيار

هناك كتاب بعنوان «ملائكة فى طور النشوء» ويتعلق بسبع نساء أمريكيات انضممن إلى الحركة الصوفية المتنامية وانخرطن من ثم فى سلك الطريقة النقشبندية الصوفية الرائجة شعبيا. مؤلفة الكتاب هى لالا بختيار وهى تعمل فى دار نشر القاضى الإسلامية بشارع بلمونت فى شيكاغو وفى كتابها تصف بختيار هؤلاء النساء اللائى اخترن طريق التصوف وتحاول إيضاح أن النواحى السيكولوجية المتاحة من خلال أساليب الإسلام السلفى فى الاستجابة إزاء المشاكل هى بديل عملى عن الطرق الحديثة للعلاج النفسانى. وهذا المجلد، ومثله كثير كتبته لالا بختيار، يصور قناعتها بأن تشديد الإسلام السلفى على الأخلاقيات والاستقامة السلوكية أمر أساسى تقتضيه سلامة الصحة العقلية للإنسان.

درست الفلسفة وتخصصت فى الدراسات الدينية وعلم النفس وهى تصف أعمالها بأنها أقرب إلى بحوث عالم الآثار فى كلاسيكيات العصور الوسطى. أما اكتشافها فكان عبارة عن نظام رائع لعلم النفس يتخذ جذوره فى الفكر اليهودى- المسيحي - الإسلامى فضلاً عن الفكر اليونانى. وهى تؤكد أنه بدلاً مما تصفه بأنه الجهود العقيمة إلى حد ما المبذولة فى عالم اللاهوت يمكن أن نجد في علم النفس ما هو مشترك من حيث البصيرة والفهم. وقد أنجزت مؤخرًا عملاً فى ثلاثة مجلدات تشرح فيه علم النفس التقليدى والأصول الإسلامية/الصوفية لتغيير المعانى من خلال عمليات القلب والإبدال. وعلى أساس هذا البحث فهى تعمل لوضع استبيان ذاتى يتم تقديمه إلى عدد من المجامع فى محاولة لإيجاد الأرضيات المشتركة استنادا إلى معرفة الناس لذواتهم. وفى الفترة الحالية تسدى لالا بختيار مشورتها الى المراهقين المسلمين باستخدام علم النفس المتعارف عليه على أساس

التحليل النفسي وهي ترى أنه فيما تظل الفتيات والشابات منفتحات عادةً إزاء هذه الطريقة إلا أنهن يصادفن مقاومة في غالب الأحيان من جانب الآباء الذين تربوا في ظل نظام تراه لا يتناسب ببساطة مع أمريكا. وتصف بختيار أحد أهدافها الأساسية التي تقوم من أجله بالتدريس وإلقاء المحاضرات والكتابة وهو تدريب وتثقيف الاستشاريين المسلمين في مجال علم النفس المتعارف عليه. وفي عمودها الاستشاري الشهري المنشور في المجلة الإسلامية تساعد النساء والفتيات على التعامل مع ما قد يصادفهن من مشاكل في واقع الحياة. وفي معرض ردها على زوجة بلغ زوجها من البخل والتقتير مبلغا تجده هي وأبناؤها أمرا من الصعب التعايش معه تقول «ينبغي لكِ محاولة مساعدته على أن يلمس بنفسه هذه الرذيلة التي يتصف بها ومدى تأثيرها عليكِ وعلى أبنائك. ساعديه على أن يتعلم العطاء وامدحيه عندما يفعل ذلك فإذا ما وصل إلى فهم الجهاد الأكبر فلسوف يتعلم أن عليه التغلب على نزعة التقتير هذه لأنها تنبع من شعور الأنا عنده وليست طبيعته التي فطره الله عليها[6]» ولأن لالا بختيار سيدة مسلمة نشأت في الغرب فهي تحدد قضيتين أساسيتين تواجهان المسلمين الذين يعيشون في أمريكا: أن يتعلموا كيف ينجحون في أداء دور الوالدين لأبنائهما وفي ثقافتهما ثم يتواصلان باستمرار مع تراثهما الإسلامي بينما يعملان في الوقت نفسه على اتخاذ هوية أمريكية. وهي تلمح فسحة واسعة من الأمل في جيل البالغين الشاب ولا سيما الذين استطاعوا أن يواصلوا حياتهم في ظل نظام للوالدية كثيرا ما كان بعيد عن التلاؤم مع الثقافة الأمريكية الراهنة. وفي هذا المجال تقول إن الفيصل هنا هو أن نتصور كيف تسنى لهم أن يصبحوا أعضاء فعّالين في هذا المجتمع دون أنَ يفقدوا تماما ارتباطهم الوثيق بجذورهم الإسلامية. كما أنها تخشى أن ضياع هذه الصلة لن يكون من آثاره سوى أن يظل وسواسًا يلح على أفئدة الأمريكيين المسلمين في الأجيال التالية.

مُزَمّل هـ. صِدِّيقي

من الشخصيات البارزة على ساحة المشهد الإسلامي في أمريكا اليوم مُزَمل صدّيقي مدير الجمعية الإسلامية في مقاطعة أورانج بمنطقة جاردن جروف بكاليفورنيا.

هو عضو فى مجلس الفقه بأمريكا الشمالية ومن مؤسسى مجلس المساجد بالولايات المتحدة وكندا. ومن ثم فصدِّيقى مفكر مسلم معنى بعمق- بمساعدة المسلمين على أن يعيشوا حياتهم بكل معنى الكلمة فى أمريكا. وكان برنامجه الأسبوعى الدينى المذاع بالراديو يبث من باسادينا منذ عام ١٩٨٢. وللسيد صديقى حضور بارز على الساحة الإسلامية الدولية فهو عضو فى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى مصر والمسجد الأعلى للمساجد فى مكة بالمملكة العربية السعودية. فى عام ١٩٤٣ وُلِد مُزمل صديقى فى الهند وتعلم فى جامعة عليكرة الإسلامية ودار العلوم نواة العلماء فى لوكو بالهند كما حصل على درجات علمية من الجامعة الإسلامية بالمدينة فى المملكة العربية السعودية وجامعة برمنجهام فى إنجلترا كما أنه يحمل درجة الدكتوراه فى الدين المقارَن من جامعة هارفارد. وخلال حياته المهنية ظل صديقى نموذجا للمسلم الناشط حركيا الذى يعمل مع المنظمات الإسلامية على الصعيد الوطنى والصعيد الدولى على السواء وقد ترأس لجنة الشئون الدينية فى رابطة الطلبة المسلمين وعمل رئيسًا لقسم الشئون الدينية فى مكتب رابطة العالم الإسلامى وكان مديرا للمركز الإسلامى فى واشنطن العاصمة. وفى عام ١٩٩٧ انتخب رئيسا للجمعية الإسلامية فى أمريكا الشمالية (إسنا) وتتوازن هذه المشاركات المهنية مع أنشطة أكاديمية ملموسة بما فى ذلك إلقاء المحاضرات فى الجامعات والمؤسسات فى أنحاء شتى من العالم وتدريس مقررات فى جامعات عدة وهو الآن أستاذ مشارك فى جامعة ولاية كاليفورنيا.

إن مُزمل صدِّيقى يجسّد نموذجا على اهتمام عميق بالحوار والشراكة بين الأديان وقد شارك فى اجتماعات وحلقات دراسية سواء على المستوى القومى أو فى مجلس الكنائس العالمى والمجلس القومى للمسيحيين واليهود بالولايات المتحدة الأمريكية (الذى يعرف الآن ببساطة بأنه المجلس القومى آية على تحوله ليشمل مسلمين فى كثير من أنشطته). وهو يعمل كذلك نائبا لرئيس أكاديمية الدراسات اليهودية-المسيحية والإسلامية فى كاليفورنيا كما شارك فى أكثر من مائتى مناسبة حوارية مع زملاء مسيحيين ويهود.

أمينة ودود(*)

مشاهدو فيلم وثائقى عن الإسلام بعنوان «الجنة تحت أقدام الأمهات» قد يروعهم التفسير البليغ لدور المرأة فى الإسلام الذى تقدمه أمينة ودود، الأستاذ بجامعة كومنولث فيرجينيا فى ريتشموند. فعلى مدى عدد من السنوات أخذت البروفيسور ودود على عاتقها مسئولية أن تتقاسم مع الأمريكيين الآخرين فهمها للإسلام وللفرص الخاصة التى يتيحها للمرأة لكى تصبح مشاركا مبدعا فى الحياة الدينية والاجتماعية. وهى إذ تتمتع بعضوية مجلس المستشارين فى لجنة المحاميات المسلمات لحقوق الإنسان (كرامة) إلا أنها تكرّس وقتا لا يستهان به للنهوض بالدعوة الاجتماعية فى المجتمعات الغربية وغيرها وبخاصة من أجل حقوق المرأة. ولقد ألقت محاضرات فى شتى أنحاء العالم عن المرأة فى الإسلام بصفة عامة وعن المرأة الأفرو- أمريكية المسلمة بصفة خاصة إضافة إلى موضوع عن الجوانب الروحية والحركة النسائية من منظور إسلامى.

وعلى مدار سنوات ثلاث واصلت أمينة ودود التدريس فى الجامعة الإسلامية الدولية فى كوالالمبور، ماليزيا، حيث أصبحت عضوًا فى جماعة "الأخوات المسلمات" وهى جماعة نسائية غير حكومية صغيرة معنية بالبحوث والدراسات وتضم نساء مهنيات يمثلن عددا كبيرا من المهن المختلفة. وتقول إن هذه التجربة ساعدتها على أن تفكر بصورة عملية فى مفاهيم من قبيل «العدالة» و «التغيُّر الاجتماعي» وما تعنيه تلك المفاهيم فى واقع الأمر. ومن التجارب المختلفة فى مجال المنظمات غير الحكومية التى اكتسبتها أمينة فهى تؤكد هذا الأمر على أنه الأهم عما عداه («إنه محك الاختبار لجميع المجالات الأخرى») لكنها وغيرها من النساء لم يقتصر دورهن على مناقشة إستراتيجيات التغيير بل تعدى ذلك إلى حيث التفكير عمليًا فى إمكانية أن تؤدى هذه الإستراتيجيات فى الواقع إلى حدوث فرق فى حياة المرأة. وفى ضوء ما لاحظته من زيادة كبيرة فى عدد المنظمات الإسلامية بالولايات المتحدة يساورها القلق عندما تجنح هذه المنظمات إلى أن تنحصر ضمن الأُطُر الإقليمية دون أن يتبلور لديها الوعى بأهمية اتباع أجندة

(*) ذاع اسمها على الصعيدين الإسلامى والعالمى عندما قامت بإمامة صلاة الجمعة فى نيويورك فى منتصف مارس/آذار ٢٠٠٥ «المترجم».

تشمل الولايات المتحدة على اتساعها وأحيانا تتسم تلك المنظمات بتسلسل هرمى فى هيكلها وقد يصدق هذا حتى على الجماعات النسائية. ولذلك فهى تواصل التفكير فى كيفية جعل تجربتها الماليزية منطبقة ضمن السياق الأمريكى مؤكدة باستمرار على أهمية التفكير عالميا والتنفيذ محليا.

وعليه، فهى تواصل بحوثها وكتاباتها وخاصة بشأن المرأة والمفاهيم الجديدة للأسرة. وتستمر أحاديثها فى إطار طائفة واسعة من السياقات. وربما يكون أفضل مساهمة من جانبها إلى الإسلام الأمريكى ما يتمثل فى حياتها ذاتها التى تمثل ما يعنيه أن يكون للمرء هوية إسلامية وتقول ودود «أعتقد أن ثمة «إسلامًا» موجودًا فى كل نوع من أنواع النشاط. وما هو مهم بالنسبة لهويتى كمسلمة ينطبق على أى شيء يضعه الله فى طريقى: ما بين غسل الثياب إلى السفر إلى النوم إلى الكتابة»(٧) كما أنها تعتقد أن من أهم القضايا التى تواجه المسلمين الأمريكيين اليوم قضية تحقيق الوحدة ككيان يتسم بوضع الأقلية وهذا يعنى التجانس الداخلى والتطور المؤسسى بما من شأنه تيسير النمو والتطور كجماعة بما فى ذلك المدارس والمساجد والرابطات والخدمات الاجتماعية التى تقدم على الصعيدين المحلى والقومى. والمهم هو التركيز على إرساء قاعدة أخلاقية قوية يبشر بها القرآن مع إيلاء الاعتبار الدقيق لتطبيق السنة فى العالم المعاصر. كما ترحب أمينة ودود بالتقدم المحرز فى مجال التعليم والتحصيل العلمى للمسلمين ولكنها فى الوقت نفسه تعرب عن أسفها إزاء الاهتمام المبالغ فيه بالجوانب الجيوبوليتيكية وذلك نتيجة ما يظل مطروحا من تصورات عن «خطر الإسلام» بدلاً من التركيز على المبادئ الروحية/الأخلاقية للإسلام كنظام له قدسيته.

طلال ى.عيد

صدرت مجلة جامعة هارفارد وعلى صدر صفحتها عنوان يقول «الإمام طلال عيد يؤدى أول صلاة إسلامية فى خطاب استهلال حفل التخرج»(٨)، وهكذا فللمرة الأولى فى تاريخها الطويل دعت جامعة هارفارد فى عام ١٩٩٧ مسلمًا ليقدم الدعاء الابتهالى فى حفل التخرج. على أن الإمام طلال عيد، المدير الدينى للمركز الإسلامى فى نيو إنجلند منذ عام ١٩٨٢، ليس غريبا على هارفارد فهو حاصل على درجة جامعية من كلية ترينتى (التثليث) وكان يستكمل دراسة

الدكتوراه هناك في التخصص نفسه وبالنسبة للجماعة التي يقودها وقوامها ما بين ثلاثين إلى أربعين ألف مسلم في منطقة بوسطون الكبرى، كان ذلك تكريما واعترافا وفرصة لتبيان أن المسلمين، جنبا إلى جنب مع المسيحيين واليهود وغيرهم يشكلون جزءًا فعّالاً من مجتمع جامعة هارفارد ومن مناطق الجوار والمجتمعات التي تقع الجامعة وسطها.

الإمام عيد مواطن من لبنان كان قد أنشأ مسجدًا في مدينة طرابلس وعمل قائدا دينيا إلى حين نشوب الحرب الأهلية اللبنانية وهو يتذكر بحزن عميق جهوده لكي يظل محايدا بين جماعات الميليشيا المتحاربة التي فرضت سيطرتها على الحي الذي يسكنه ويقول: «كنت أتكلم لغة السلام بينما كان الجميع يتعاملون بلغة الحرب»(٩). وتحدو الإمام قناعة عميقة بأن الصراعات في الشرق الأوسط هي في جوهرها صراعات فيما بين جماعات اثنية قبل أن تكون بين مسلمين ومسيحيين أو يهود. ثم جاءت الدعوة التي تلقاها من رابطة العالم الإسلامي لكي يخدم في الولايات المتحدة كإمام لمسجد بوسطن بمثابة فرصة سعيدة برغم أنه لم يكن يساوره قط نية أن يجعل من أمريكا وطنه الدائم. تخرج الإمام عيد في جامعة الأزهر بالقاهرة وهو يحاول الجمع بين تعليمه الإسلامي والغربي لمساعدة أفراد جماعته على التصدي لمشاكل الحياة في المدينة من منظور إسلامي. وبالإضافة إلى دراساته وخدماته في المسجد فالإمام يعمل مع الشباب ويلقي مواعظه في مستشفى الأطفال في بوسطون.

يحدد الإمام عيد هدفين لنفسه ولأعضاء مركزه الإسلامي: الهدف الأول هو العمل في سبيل تحقيق الوحدة بين المسلمين الذين أتوا من أقطار عديدة وخلفيات ثقافية مختلفة وهو يعترف أن هذا ليس بالأمر السهل على طول الخط. أما الهدف الثاني فيتمثل في فتح أقنية للتواصل مع أفراد من غير المسلمين للمساعدة على تغيير المدركات المغلوطة وإزالة الصور النمطية المقولبة الجامدة. وانطلاقا من تجاربه في لبنان فهو مقتنع بأن الحياة في ظل العزلة تفضي إلى التخوف من الآخر، ولذلك يعتقد أن المجتمع التعددي في أمريكا يتيح فرصة فريدة لأبناء الديانات المختلفة كي يتعايشوا مع بعضهم البعض بحيث يحسن كل منهم فهم الآخر وأن يعملوا جميعا من أجل السلام.

الحـواشـى

١- رحيل «بيتى شاباز»، «الرسالة» ذى مسدج (يوليه ١٩٩٧).

٢- رسالة خاصة للمؤلفة، يناير ١٩٩٨.

٣- مؤتمر منظمة مينا الصيفى، إسلاميك هـوررايزونز (نـوفمبر/ديسـمبر ١٩٩٦).

٤- سيد حسين نصر، المعرفة والمقدس (نيويورك، منشورات كروس رود، ١٩٨١).

٥- كريم وسط الخلاف حول إعلان البيرة»، ذى ميناريت (فبراير ١٩٩٧).

٦- «الدكتورة لا لا»، مجلة المسلم. ذى مسلم ماجازين (أبريل ١٩٩٨).

٧- رسالة خاصة إلى المؤلفة، مارس ١٩٩٨

٨- غازيت، العدد ١٠٢ (٥ يونيه ١٩٩٧).

٩- مارى دى روزيا «أمل عظيم لإمام»، ليفنج سيتى (مارس ١٩٩٦).

سلسلة زمنية

١٤٩٢ وما بعدها	عدد قليل من المسلمين المطرودين من إسبانيا ربما يكونون قد وصلوا إلى السواحل الأمريكية.
١٧٠٠-١٨٠٠	آلاف من الأفارقة السود يجلبون إلى أمريكا كعبيد.
نحو ١٨٧٥	بداية هجرة المسلمين من سورية أساسا.
مطالع ١٩٠٠	أول مجتمعات مسلمة فى منطقة وسط الغرب (من أمريكا).
١٩٠٧	إنشاء الجمعية المحمدية الأمريكية فى مدينة نيويورك.
١٩١٠-١٩٢٧	حضرة عنايت خان يعلّم المذاهب الصوفية فى جميع أنحاء أمريكا.
١٩١٣	إنشاء المعبد العلمى الأمريكى المغربى فى نيوارك، نيوجيرسى.
١٩١٨ وما بعدها	ثانى أكبر موجة للمهاجرين المسلمين.
١٩٢٠ وما بعدها	مصنع فورد للسيارات فى دير بورن، ميتشغن يجتذب عمالا مسلمين.
١٩٢٠	المفتى محمد صادق أول مبشر أحمدى إلى أمريكا.
١٩٢٨	أول مسجد كندى يبنى فى إدمونتون، ألبرتا.
١٩٣٠	ثالث موجة من المهاجرين المسلمين.
١٩٣٠-١٩٣٣	و. د. فارض يبشر فى ديترويت وتبدأ جماعة «أمة الإسلام».
١٩٣٢	إليجا (إيليا) محمد ينقل مقر «أمة الإسلام» إلى شيكاغو.
١٩٣٤	الانتهاء من تشييد «أم المساجد فى أمريكا» فى سيدار رابيدز، أيوا.

١٩٣٥	جمعية الوسام العربى الأمريكى يتم إنشاؤها فى بوسطن.
١٩٤٧	مالكولم ليتل ينضم إلى جماعة أمة الإسلام وكان نزيل السجن.
١٩٤٧-١٩٦٠	زيادة كبيرة فى حجم هجرة المسلمين من الهند-باكستان وأوروبا الشرقية.
١٩٥٠	نقل مقر الأحمدية إلى مسجد الفضل الأمريكى فى واشنطن العاصمة.
١٩٥٢	مالكولم (بعد أن أصبح إكس) يُفرج عنه من السجن ويبدأ التبشير بمذاهب جماعة «أمة الإسلام».
١٩٥٢	تشكيل اتحاد المنظمات الإسلامية.
١٩٥٧	إقامة المركز الإسلامى فى واشنطن العاصمة.
أواخر عقد الخمسينيات	إنشاء مركز المذهب الحنفى فى واشنطن العاصمة.
مطالع الستينيات	حركة «دار الإسلام» تنمو فى بروكلين.
الستينيات	بير ولاية خان يبرز كزعيم للمذهب الصوفى فى الغرب.
١٩٦١	مالكولم إكس يؤسس جريدة محمد سبيكس (محمد يتكلم - حديث محمد).
١٩٦٣	تشكيل رابطة الطلاب المسلمين فى جامعة إلينوى.
١٩٦٤	الملاكم كاسيوس كلاى يصبح محمد على.
١٩٦٤	إعفاء مالكولم إكس من منصب واعظ المعبد رقم ٧ فى نيويورك.
١٩٦٤	إنشاء أمة الله لفئة الخمسة فى المائة فى هارلم.
١٩٦٤	مالكولم إكس يحج إلى مكة ثم يقطع علاقته مع جماعة «أمة الإسلام».

١٩٦٥	اغتيال مالكولم (وقد أصبح الحاج مالك الشاباز).
١٩٦٥	إلغاء حصص المهاجرين يفضى إلى زيادة كبيرة فى هجرة الوافدين المسلمين.
١٩٦٨	تأسيس الدائرة الإسلامية لأمريكا الشمالية.
عقد السبعينيات	تأسيس مذهب نعمة الله للصوفيين (الشيعة) فى أمريكا فى سان فرانسيسكو.
١٩٧١	تأسيس زمالة باوا محى الدين فى فيلاديلفيا.
١٩٧٥	وفاة إليجا محمد. والاس محمد يصبح زعيم جماعة «أمة الإسلام».
١٩٧٥	إنشاء مقر لرابطة الطلاب المسلمين فى بلينفيلد، إنديانا.
١٩٧٥	عيسى محمد يغيِّر جماعة العبريين الإسلاميين النوبيين لتصبح حركة أنصار الله.
١٩٧٧-١٩٨٥	والاس محمد يقود أتباعه إلى طريق الإسلام السلفى.
١٩٧٨	لويس فرقان ينفصل عن والاس ويبدأ فى إعادة بناء «أمة الإسلام».
الثمانينيات-التسعينيات	هجرات إسلامية من جميع أنحاء العالم لأسباب سياسية واجتماعية واقتصادية.
الثمانينيات-التسعينيات	ظهور عدد من لجان العمل السياسية الإسلامية.
١٩٨٠	والاس محمد يصبح وارث دين محمد.
١٩٨١	تشكيل الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية (إسنا).
١٩٨٣	إنشاء الكلية الإسلامية الأمريكية فى شيكاغو.
١٩٨٥	وارث الدين يعلن أن أتباعه هم أعضاء الإسلام السنّى.
منتصف الثمانينيات	إنشاء جماعة الإيمان اللاتينية (بييداد) والمحالفة الإسلامية فى مدينة نيويورك.

١٩٩٠	وارث الدين يصبح أول مسلم يفتتح بالدعاء دورة مجلس شيوخ الولايات المتحدة.
١٩٩٠	المجلس الإسلامى الأمريكى يتم تنظيمه فى واشنطن العاصمة.
١٩٩٣	أول واعظ مسلم يتم تجنيده فى جيش الولايات المتحدة.
١٩٩٣	تأسيس الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية.
١٩٩٤	إنشاء رابطة الشباب المسلمين فى سجن سنج سنج.
١٩٩٤	إنشاء مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية (كير) فى واشنطن العاصمة.
١٩٩٦	أول واعظ مسلم يكلف بالعمل فى السلاح البحرى للولايات المتحدة.
١٩٩٦	مطار دنفر الدولى هو أول مطار يضم مسجدًا.
١٩٩٦	بدء نشاط كلية العلوم الإسلامية والاجتماعية فى فرجينيا.
١٩٩٧	عرض الرموز الإسلامية فى باحة البيت الأبيض.
١٩٩٨	البنتاجون يستضيف مسلمين على مائدة إفطار رمضان.

المصادر المتاحة
على شبكة الإنترنت

هذه المصادر متاحة على أساس منتظم حيث يستطيع المسلمون وغيرهم المشاركة فى المناقشات أو المعلومات التى تتعلق بما يكاد يكون أى موضوع. وفيما يلى ثبت بعدد من تلك المصادر علمًا بأن الاجتهاد المدقق فى هذا الشأن يمكن أن يوصل إلى المزيد من تلك المواقع الحاسوبية.

A great range of resources on the Internet are being made available on a regular basis. Muslims or others can key into discussions or information on almost any subject. Following are a few of the materials that can currently be accessed. The enterprising browser will easily be able to discover more.

Islamic Web sites: http://www.mpac.org/network.html

American Muslim Alliance (AMA): http://mercury.hypersurf.com/ama/

American Muslim Council (AMC): http://www.amermuslim.org/

Council on American-Islamic Relations (CAIR): http://www.mpac.org/cair.html

Islamic Intellectual Forum: http://www.islamforum.org/

Muslim Student Network: http://www.mpac.org/msn.html

Muslim Women's League: http://www.win.net/mwl/

Mosques and Muslim Institutions: http://www.mpac.org/network/mosques.html

Muslim Student Associations in the U.S.: http://www.mpac.org/network/msa.html

Links to Muslim Countries: http://www.mpac.org/network/country.html

Working with Peace Organizations: http://www.mpac.org/network/other.html

Interfaith Gateway: http://www.mpac.org/network/interfaith.html

The Shi'a Home Page: http://shia.org/

All about Ashura: http://www.ashsura.com/

Islamic Human Rights Commission: http://members.tripod.com/

IslamiCity News Search Service: http://www.islamicity.org/

CyberBookstore: http://www.islamicity.org/bookstore/default.htm

Announcements and News:
http://www.islamicity.org/media/ANCMTS/default.htm

Cyber Yellow Pages: http://islam.org:81/cyberpages/FMPro?-db=yellow pages

IslamiCity Chat and Conference Center: http://islam.org/Chat/default.htm

Islamic Circle of North America: http://www.icna.com/main/shtml

Voice of Islam lectures, sermons, and news in Real Audio format:
http://www.islamicity.org/voi/ [you need a sound card and Real Audio Player software]

Cyber TV Network: http://www.islamicity.org/cyberTV/default.htm [you need a sound card and Real Audio Player software]

Muslim World Journey (information on Muslim countries):
http://www.islamicity.org/world/default.htm

Holy Quran: http://www.islamicity.org/Mosque/Quran.htm

Virtual Mosque: http://www.islamicity.org/mosque/default.asp

Ask the Imam: http://www.islamicity.org:81/imam/default.htm

*Culture: http://*www.islamicity.org/culture/default.htm

*News: http://*www.islamicity.org/media/default.htm

Economic and Business Plaza: http://www.islamicity.org/economic/default.htm

Education Parkway: http://www.islamicity.org/education/default.htm

Science and Technology Square: http://www.islamicity.org/science/default.htm

Public Affairs and Political Center: http://www.islamicity.org/politics/default.htm

CyberPort: http://www.islamicity.org/port/default/htm

Muslim Matrimonial Link.
http://www.matrimonials.com/MML/? —or—
http://www.ummah.net/comfort/

المؤلفة فى سطور

جين سميث

هى أستاذة الدراسات الإسلامية فى مجمَّع هارتفورد العلمى فى ولاية كونكتيكت. وهى المحرر المشارك لكتاب «العالم الإسلامي» ومحرر «موسوعة المرأة فى أديان العالم»، كما أنها مؤلفة كتاب «مفهوم الإسلام فى تاريخ التفسير القرآنى»، وقد شاركت فى تأليف كتاب «مهمة فى أمريكا». والدكتورة سميث عضوة فى لجنة العلاقات بين الأديان التابعة للمجلس القومى للكنائس فى الولايات المتحدة. وعن كتابها تقول البروفيسور إيفون حداد الأستاذة بجامعة جورج تاون: إن الكتاب يمثل دراسة استقصائية شاملة أتاحت لأصوات المسلمين أن ترتفع لتطرح القضايا التى تواجههم فى أمريكا المعاصرة. ويقول البروفيسور سليمان نيانغ من جامعة هاورد: إن الكتاب مساهمة مرموقة فى الأدبيات المتنامية التى تصدر عن المسلمين فى المجتمع الأمريكى، ومن ثم فهو عمل لا غنى عنه بالنسبة للمهتمين بالشأن الإسلامى فى أمريكا وبتاريخ الأديان التى هاجرت إلى الولايات المتحدة.

المترجم فى سطور

محمد الخولى

- كاتب وباحث وخبير فى الإعلام والترجمة الدولية.
- عمل مذيعًا وصحفيًا ومستشارًا ومحاضرًا فى عدد من المؤسسات الإذاعية والصحفية ومعاهد التدريب الإعلامى فى مشرق العالم العربى ومغربه ومازال ينشر مقالاته ودراساته فى الصحف والمجلات فى مصر وخارجها.
- عمل بمنظمة الأمم المتحدة مسئولاً إعلاميا ومترجمًا ثم كبيرًا للمترجمين وذلك على مدار ٢٠ عامًا تنقَّل فيها بين هيئات المنظمة الدولية فى كل من بيروت وبغداد وأديس أبابا ونيويورك.
- عضو عامل فى نقابة الصحفيين (القاهرة) والاتحاد الدولى للمترجمين (جنيف) والأكاديمية الأمريكية للعلوم السياسية (نيويورك) والجمعية العالمية للمستقبل (واشنطن).
- أصدر حتى الآن ١٤ كتابًا بين تأليف وترجمة.
- ومن أحدث مؤلفاته:
  - كتاب «القرن الحادى والعشرون» (دار الهلال-القاهرة).
  - كتاب «قضايا وأفكار معاصرة» (دار البيان، دبى).
- ومن أحدث ترجماته:
  - كتاب «الحملة الأمريكية» (دار الهلال).
  - كتاب «القاهرة فى الحرب العالمية» (دار الموقف العربى – القاهرة).

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١- اللغة العليا	جون كوين	أحمد درويش
٢- الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣- التراث المسروق	جورج جيمس	شوقى جلال
٤- كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنيكوفا	أحمد الحضرى
٥- ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
٦- اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	سعد مصلوح ووفاء كامل فايد
٧- العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	يوسف الأنطكى
٨- مشعلو الحرائق	ماكس فريش	مصطفى ماهر
٩- التغيرات البيئية	أندرو. س. جودى	محمود محمد عاشور
١٠- خطاب الحكاية	چيرار چينيت	محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١- مختارات شعرية	فيسوافا شيمبوريسكا	هناء عبد الفتاح
١٢- طريق الحرير	ديفيد براونيستون وأيرين فرانك	أحمد محمود
١٣- ديانة الساميين	روبرتسن سميث	عبد الوهاب علوب
١٤- التحليل النفسى للأدب	جان بيلمان نويل	حسن المودن
١٥- الحركات الفنية منذ ١٩٤٥	إدوارد لوسى سميث	أشرف رفيق عفيفى
١٦- أثينة السوداء (جـ١)	مارتن برنال	بإشراف: أحمد عتمان
١٧- مختارات شعرية	فيليب لاركين	محمد مصطفى بدوى
١٨- الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	طلعت شاهين
١٩- الأعمال الشعرية الكاملة	چورج سفيريس	نعيم عطية
٢٠- قصة العلم	ج. ج. كراوثر	يمنى طريف الخولى و بدوى عبد الفتاح
٢١- خوخة وألف خوخة وقصص أخرى	صمد بهرنجى	ماجدة العنانى
٢٢- مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	سيد أحمد على الناصرى
٢٣- تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	سعيد توفيق
٢٤- ظلال المستقبل	باتريك بارندر	بكر عباس
٢٥- مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦- دين مصر العام	محمد حسين هيكل	أحمد محمد حسين هيكل
٢٧- التنوع البشرى الخلاق	مجموعة من المؤلفين	بإشراف: جابر عصفور
٢٨- رسالة فى التسامح	جون لوك	منى أبو سنة
٢٩- الموت والوجود	جيمس ب. كارس	بدر الديب
٣٠- الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣١- مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	عبد الستار الحلوجى وعبد الوهاب علوب
٣٢- الانقراض	ديفيد روب	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣- التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	أحمد فؤاد بلبع
٣٤- الرواية العربية	روجر ألن	حصة إبراهيم المنيف
٣٥- الأسطورة والحداثة	بول ب . ديكسون	خليل كلفت
٣٦- نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	حياة جاسم محمد

٢٧-	واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	جمال عبد الرحيم
٢٨-	نقد الحداثة	ألن تورين	أنور مغيث
٢٩-	الحسد والإغريق	بيتر والكوت	منيرة كروان
٤٠-	قصائد حب	أن سكستون	محمد عيد إبراهيم
٤١-	ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	عاطف أحمد وإبراهيم فتحي ومحمود ماجد
٤٢-	عالم ماك	بنجامين باربر	أحمد محمود
٤٣-	اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	المهدى أخريف
٤٤-	بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	مارلين تادرس
٤٥-	التراث المغدور	روبرت دينا وجون فاين	أحمد محمود
٤٦-	عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	محمود السيد على
٤٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ١)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨-	حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ماهر جويجاتى
٤٩-	الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	عبد الوهاب علوب
٥٠-	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١-	مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م. بينياليستى	محمد أبو العطا
٥٢-	العلاج النفسى التدعيمى	ب. نوفاليس وس . روجسيفيتز وروجر بيل	لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣-	الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	مرسى سعد الدين
٥٤-	المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	محسن مصيلحى
٥٥-	ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	على يوسف على
٥٦-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ١)	فديريكو غرسية لوركا	محمود على مكى
٥٧-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ٢)	فديريكو غرسية لوركا	محمود السيد و ماهر البطوطى
٥٨-	مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	محمد أبو العطا
٥٩-	المحبرة (مسرحية)	كارلوس مونييث	السيد السيد سهيم
٦٠-	التصميم والشكل	جوهانز إيتين	صبرى محمد عبد الغنى
٦١-	موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	بإشراف : محمد الجوهرى
٦٢-	لذّة النّص	رولان بارت	محمد خير البقاعى
٦٣-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤-	برتراند راسل (سيرة حياة)	الان وود	رمسيس عوض
٦٥-	فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	رمسيس عوض
٦٦-	خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧-	مختارات شعرية	فرناندو بيسوا	المهدى أخريف
٦٨-	نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
٦٩-	العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠-	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١-	السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	حسين محمود
٧٢-	السياسى العجوز	ت . س . إليوت	فؤاد مجلى
٧٣-	نقد استجابة القارئ	چين ب . تومبكنز	حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤-	صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوفا	حسن بيومى

العنوان	المؤلف	المترجم
٧٥- فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	أحمد درويش
٧٦- جاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من المؤلفين	عبد المقصود عبد الكريم
٧٧- تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨- العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	أحمد محمود ونورا أمين
٧٩- شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠- بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	مكارم الغمرى
٨١- الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	محمد طارق الشرقاوى
٨٢- مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	محمود السيد على
٨٣- مختارات شعرية	غوتفريد بن	خالد المعالى
٨٤- موسوعة الأدب والنقد (جـ١)	مجموعة من المؤلفين	عبد الحميد شيحة
٨٥- منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	عبد الرازق بركات
٨٦- طول الليل (رواية)	جمال مير صادقى	أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧- نون والقلم (رواية)	جلال آل أحمد	ماجدة العنانى
٨٨- الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩- الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠- وسم السيف وقصص أخرى	بورخيس وآخرون	محمد إبراهيم مبروك
٩١- المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربرا لاسوتسكا - بشونباك	محمد هناء عبد الفتاح
٩٢- أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجيل	نادية جمال الدين
٩٣- محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	عبد الوهاب علوب
٩٤- مسرحيتا الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	فوزية العشماوى
٩٥- مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	سرى محمد عبد اللطيف
٩٦- ثلاث زنبقات ووردة وقصص أخرى	نخبة	إدوار الخراط
٩٧- هوية فرنسا (مج١)	فرنان بروديل	بشير السباعى
٩٨- الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٩٩- تاريخ السينما العالمية (١٨٩٥-١٩٨٠)	ديفيد روبنسون	إبراهيم قنديل
١٠٠- مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	إبراهيم فتحى
١٠١- النص الروائى: تقنيات ومناهج	بيرنار فاليط	رشيد بنحدو
١٠٢- السياسة والتسامح	عبد الكبير الخطيبى	عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣- قبر ابن عربى يليه آياء (شعر)	عبد الوهاب المؤدب	محمد بنيس
١٠٤- أوبرا ماهوجنى (مسرحية)	برتولت بريشت	عبد الغفار مكاوى
١٠٥- مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	عبد العزيز شبيل
١٠٦- الأدب الأندلسى	ماريا خيسوس روبييرامتى	أشرف على دعدور
١٠٧- صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى اللاتينى المعاصر	نخبة من الشعراء	محمد عبد الله الجعيدى
١٠٨- ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	مجموعة من المؤلفين	محمود على مكى
١٠٩- حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	هاشم أحمد محمد
١١٠- النساء فى العالم النامى	حسنة بيجوم	منى قطان
١١١- المرأة والجريمة	فرانسس هيدسون	ريهام حسين إبراهيم
١١٢- الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	إكرام يوسف

١١٣-	راية التمرد	سادى پلانت	أحمد حسان
١١٤-	مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع	وول شوينكا	نسيم مجلى
١١٥-	غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	سمية رمضان
١١٦-	امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	نهاد أحمد سالم
١١٧-	المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	منى إبراهيم وهالة كمال
١١٨-	النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	لميس النقاش
١١٩-	النساء والأسرة وقوانين الطلاق فى التاريخ الإسلامى	أميرة الأزهرى سنبل	بإشراف: رءوف عباس
١٢٠-	الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	مجموعة من المترجمين
١٢١-	الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	محمد الجندى وإيزابيل كمال
١٢٢-	نظام العبودية القديم والنموذج المثالى للإنسان	جوزيف فوجت	منيرة كروان
١٢٣-	الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	أنينل ألكسندرو فنادولينا	أنور محمد إبراهيم
١٢٤-	الفجر الكاذب: أوهام الرأسمالية العالمية	چون جراى	أحمد فؤاد بلبع
١٢٥-	التحليل الموسيقى	سيدرك ثورپ ديڤى	سمحة الخولى
١٢٦-	فعل القراءة	ڤولڤانج إيسر	عبد الوهاب علوب
١٢٧-	إرهاب (مسرحية)	صفاء فتحى	بشير السباعى
١٢٨-	الأدب المقارن	سوزان باسنيت	أميرة حسن نويرة
١٢٩-	الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠-	الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	شوقى جلال
١٣١-	مصر القديمة: التاريخ الاجتماعى	مجموعة من المؤلفين	لويس بقطر
١٣٢-	ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	عبد الوهاب علوب
١٣٣-	الخوف من المرايا (رواية)	طارق على	طلعت الشايب
١٣٤-	تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	أحمد محمود
١٣٥-	المختار من نقد ت. س. إليوت	ت. س. إليوت	ماهر شفيق فريد
١٣٦-	فلاحو الباشا	كينيث كونو	سحر توفيق
١٣٧-	مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية على مصر	چوزيف مارى مواريه	كاميليا صبحى
١٣٨-	عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	أندريه جلوكسمان	وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩-	پارسيڤال (مسرحية)	ريتشارد ڤاچنر	مصطفى ماهر
١٤٠-	حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	أمل الجبورى
١٤١-	اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	نعيم عطية
١٤٢-	الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	حسن بيومى
١٤٣-	قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديرك لايدر	عدلى السمرى
١٤٤-	صاحبة اللوكاندة (مسرحية)	كارلو جولدونى	سلامة محمد سليمان
١٤٥-	موت أرتيميو كروث (رواية)	كارلوس فوينتس	أحمد حسان
١٤٦-	الورقة الحمراء (رواية)	ميجيل دى ليبس	على عبدالرءوف اليمبى
١٤٧-	مسرحيتان	تانكريد دورست	عبدالغفار مكاوى
١٤٨-	القصة القصيرة: النظرية والتقنية	إنريكى أندرسون إمبرت	على إبراهيم منوفى
١٤٩-	النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	أسامة إسبر
١٥٠-	التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	منيرة كروان

١٥١-	هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ١)	فرنان برودل	بشير السباعى
١٥٢-	عدالة الهنود وقصص أخرى	مجموعة من المؤلفين	محمد محمد الخطابى
١٥٣-	غرام الفراعنة	فيولين فانويك	فاطمة عبدالله محمود
١٥٤-	مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	خليل كلفت
١٥٥-	الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	أحمد مرسى
١٥٦-	المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت فيرمو	مى التلمسانى
١٥٧-	خسرو وشيرين	النظامى الكنجوى	عبدالعزيز بقوش
١٥٨-	هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ٢)	فرنان برودل	بشير السباعى
١٥٩-	الأيديولوجية	ديفيد هوكس	إبراهيم فتحى
١٦٠-	آلة الطبيعة	بول إيرليش	حسين بيومى
١٦١-	مسرحيتان من المسرح الإسبانى	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢-	تاريخ الكنيسة	يوحنا الآسيوى	صلاح عبدالعزيز محجوب
١٦٣-	موسوعة علم الاجتماع (جـ ١)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
١٦٤-	شامبوليون (حياة من نور)	جان لاكوتير	نبيل سعد
١٦٥-	حكايات الثعلب (قصص أطفال)	أ. ن. أفاناسيفا	سهير المصادفة
١٦٦-	العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليفمان	محمد محمود أبوغدير
١٦٧-	فى عالم طاغور	رابندرنات طاغور	شكرى محمد عياد
١٦٨-	دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٦٩-	إبداعات أدبية	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٧٠-	الطريق (رواية)	ميجيل دليبيس	بسام ياسين رشيد
١٧١-	وضع حد (رواية)	فرانك بيجو	هدى حسين
١٧٢-	حجر الشمس (شعر)	نخبة	محمد محمد الخطابى
١٧٣-	معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤-	صناعة الثقافة السوداء	إيليس كاشمور	أحمد محمود
١٧٥-	التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦-	نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	جلال البنا
١٧٧-	أنطون تشيخوف	هنرى ترويا	حصة إبراهيم المنيف
١٧٨-	مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد حمدى إبراهيم
١٧٩-	حكايات أيسوب (قصص أطفال)	أيسوب	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠-	قصة جاويد (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
١٨١-	النقد الأدبى الأمريكى من الثلاثينيات إلى الثمانينيات	فنسنت ب. ليتش	محمد يحيى
١٨٢-	العنف والنبوءة (شعر)	و.ب. ييتس	ياسين طه حافظ
١٨٣-	جان كوكتو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	فتحى العشرى
١٨٤-	القاهرة: حالمة لا تنام	هانز إيندورفر	دسوقى سعيد
١٨٥-	أسفار العهد القديم فى التاريخ	توماس تومسن	عبد الوهاب علوب
١٨٦-	معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧-	الأرضة (رواية)	بُزرج علوى	محمد علاء الدين منصور
١٨٨-	موت الأدب	ألفين كرنان	بدر الديب

١٨٩- العمى والبصيرة: مقالات فى بلاغة النقد المعاصر	پول دى مان	سعيد الغانمى
١٩٠- محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	محسن سيد فرجانى
١٩١- الكلام رأسمال وقصص أخرى	الحاج أبو بكر إمام وآخرون	مصطفى حجازى السيد
١٩٢- سياحت نامه إبراهيم بك (جـ١)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
١٩٣- عامل المنجم (رواية)	بيتر أبراهامز	محمد عبد الواحد محمد
١٩٤- مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى الحديث	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
١٩٥- شتاء ٨٤ (رواية)	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
١٩٦- المهلة الأخيرة (رواية)	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
١٩٧- سيرة الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	جلال السعيد الحفناوى
١٩٨- الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩- تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداو	جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠- ضحايا التنمية: المقاومة والبدائل	جيرمى سيبروك	فخرى لبيب
٢٠١- الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٢٠٢- تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٤)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣- الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤- تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	أحمد هويدى
٢٠٥- الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى- سفورزا	أحمد مستجير
٢٠٦- الهيولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	على يوسف على
٢٠٧- ليل أفريقى (رواية)	رامون خوتاسندير	محمد أبو العطا
٢٠٨- شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	محمد أحمد صالح
٢٠٩- السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٠- مثنويات حكيم سنائى (شعر)	سنائى الغزنوى	يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١- فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢- قصص الأمير مرزبان على لسان الحيوان	مرزبان بن رستم بن شروين	يوسف عبدالفتاح فرج
٢١٣- مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون فلاور	سيد أحمد على الناصرى
٢١٤- قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	محمد محيى الدين
٢١٥- سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
٢١٦- جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٧- مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت وهارولد بينتر	نادية البنهاوى
٢١٨- لعبة الحجلة (رواية)	خوليو كورتاثار	على إبراهيم منوفى
٢١٩- بقايا اليوم (رواية)	كازو إيشجورو	طلعت الشايب
٢٢٠- الهيولية فى الكون	بارى باركر	على يوسف على
٢٢١- شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	رفعت سلام
٢٢٢- فرانز كافكا	رونالد جراى	نسيم مجلى
٢٢٣- العلم فى مجتمع حر	باول فيرابند	السيد محمد نفادى
٢٢٤- دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	منى عبدالظاهر إبراهيم
٢٢٥- حكاية غريق (رواية)	جابرييل جارثيا ماركيث	السيد عبدالظاهر السيد
٢٢٦- أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	طاهر محمد على البربرى

٢٢٧-	المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	خوسيه ماريا ديث بوركى	السيد عبدالظاهر عبدالله
٢٢٨-	علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	مارى تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
٢٢٩-	مأزق البطل الوحيد	نورمان كيجان	أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠-	عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١-	الدرافيل أو الجيل الجديد (مسرحية)	خايمى سالوم بيدال	جمال عبدالرحمن
٢٣٢-	ما بعد المعلومات	توم ستونير	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣-	فكرة الاضمحلال فى التاريخ الغربى	آرثر هيرمان	طلعت الشايب
٢٣٤-	الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	فؤاد محمد عكود
٢٣٥-	ديوان شمس تبريزى (جـ١)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦-	الولاية	ميشيل شودكيفيتش	أحمد الطيب
٢٣٧-	مصر أرض الوادى	روبين فيدين	عنايات حسين طلعت
٢٣٨-	العولمة والتحرير	تقرير لمنظمة الأنكتاد	ياسر محمد جادالله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩-	العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلا رامراز - رايوخ	نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠-	الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كاى حافظ	صلاح محجوب إدريس
٢٤١-	فى انتظار البرابرة (رواية)	ج . م. كوتزى	ابتسام عبدالله
٢٤٢-	سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	صبرى محمد حسن
٢٤٣-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)	ليفى بروفنسال	بإشراف: صلاح فضل
٢٤٤-	الغليان (رواية)	لاورا إسكيبيل	نادية جمال الدين محمد
٢٤٥-	نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس وآخرون	توفيق على منصور
٢٤٦-	مختارات قصصية	جابرييل جارثيا ماركيث	على إبراهيم منوفى
٢٤٧-	الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	والتر أرمبرست	محمد طارق الشرقاوى
٢٤٨-	حقول عدن الخضراء (مسرحية)	أنطونيو جالا	عبداللطيف عبدالحليم
٢٤٩-	لغة التمزق (شعر)	دراجو شتامبوك	رفعت سلام
٢٥٠-	علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ماجدة محسن أباظة
٢٥١-	موسوعة علم الاجتماع (جـ٢)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٥٢-	رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	على بدران
٢٥٣-	تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوڤا	حسن بيومى
٢٥٤-	أقدم لك: الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥-	أقدم لك: أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٦-	أقدم لك: ديكارت	ديف روبنسون وكريس جارات	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧-	تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	محمود سيد أحمد
٢٥٨-	الغجر	سير أنجوس فريزر	عُبادة كُحيلة
٢٥٩-	مختارات من الشعر الأرمنى عبر العصور	نخبة	فاروجان كازانجيان
٢٦٠-	موسوعة علم الاجتماع (جـ٣)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٦١-	رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢-	مدينة المعجزات (رواية)	إدواردو مندوثا	محمد أبو العطا
٢٦٣-	الكشف عن حافة الزمن	چون جريبن	على يوسف على
٢٦٤-	إبداعات شعرية مترجمة	هوراس وشلى	لويس عوض

٢٦٥-	روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصمويل جونسون	لويس عوض
٢٦٦-	مدير المدرسة (رواية)	جلال آل أحمد	عادل عبدالمنعم على
٢٦٧-	فن الرواية	ميلان كونديرا	بدر الدين عرودكى
٢٦٨-	ديوان شمس تبريزى (جـ٢)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩-	وسط الجزيرة العربية وشرقها (جـ١)	وليم چيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧٠-	وسط الجزير العربية وشرقها (جـ٢)	وليم چيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧١-	الحضارة الغربية: الفكرة والتاريخ	توماس سى. باترسون	شوقى جلال
٢٧٢-	الأديرة الأثرية فى مصر	سى. سى. والترز	إبراهيم سلامة إبراهيم
٢٧٣-	الأصول الاجتماعية والثقافية لحركة عرابى فى مصر	جوان كول	عنان الشهاوى
٢٧٤-	السيدة باربارا (رواية)	روميلو جاييجوس.	محمود على مكى
٢٧٥-	ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
٢٧٦-	فنون السينما	مجموعة من المؤلفين	عبدالقادر التلمسانى
٢٧٧-	الچينات والصراع من أجل الحياة	براين فورد	أحمد فوزى
٢٧٨-	البدايات	إسحاق عظيموف	ظريف عبدالله
٢٧٩-	الحرب الباردة الثقافية	ف.س. سوندرز	طلعت الشايب
٢٨٠-	الأم والنصيب وقصص أخرى	بريم شند وآخرون	سمير عبدالحميد إبراهيم
٢٨١-	الفردوس الأعلى (رواية)	عبد الحليم شرر	جلال الحفناوى
٢٨٢-	طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس وولبرت	سمير حنا صادق
٢٨٣-	السهل يحترق وقصص أخرى	خوان رولفو	على عبد الروف البمبى
٢٨٤-	هرقل مجنوناً (مسرحية)	يوريبيديس	أحمد عتمان
٢٨٥-	رحلة خواجة حسن نظامى الدهلوى	حسن نظامى الدهلوى	سمير عبد الحميد إبراهيم
٢٨٦-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٣)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
٢٨٧-	الثقافة والعولمة والنظام العالمى	أنتونى كنج	محمد يحيى وآخرون
٢٨٨-	الفن الروائى	ديفيد لودج	ماهر البطوطى
٢٨٩-	ديوان منوچهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	محمد نور الدين عبدالمنعم
٢٩٠-	علم اللغة والترجمة	جورج مونان	أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١-	تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ١)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٢-	تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ٢)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٣-	مقدمة للأدب العربى	روجر آلن	مجدى توفيق وآخرون
٢٩٤-	فن الشعر	بوالو	رجاء ياقوت
٢٩٥-	سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل وبيل مويرز	بدر الديب
٢٩٦-	مكبث (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٢٩٧-	فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوازى	ماجدة محمد أنور
٢٩٨-	مأساة العبيد وقصص أخرى	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٢٩٩-	ثورة فى التكنولوجيا الحيوية	جين ماركس	هاشم أحمد محمد
٣٠٠-	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج١)	لويس عوض	جمال الجزيرى وبهاء چاهين وإيزابيل كمال
٣٠١-	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج٢)	لويس عوض	جمال الجزيرى و محمد الجندى
٣٠٢-	أقدم لك: فنجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام

٢٠٣- أقدم لك: بوذا	جين هوب وبورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٢٠٤- أقدم لك: ماركس	ريوس	إمام عبد الفتاح إمام
٢٠٥- الجلد (رواية)	كروزيو مالابارته	صلاح عبد الصبور
٢٠٦- الحماسة: النقد الكانطي للتاريخ	چان فرانسوا ليوتار	نبيل سعد
٢٠٧- أقدم لك: الشعور	ديفيد بابينو وهوارد سلينا	محمود مكى
٢٠٨- أقدم لك: علم الوراثة	ستيف جونز وبورين فان لو	ممدوح عبد المنعم
٢٠٩- أقدم لك: الذهن والمخ	أنجوس جيلاتى وأوسكار زاريت	جمال الجزيرى
٢١٠- أقدم لك: يونج	ماجى هايد ومايكل ماكجنس	محيى الدين مزيد
٢١١- مقال فى المنهج الفلسفى	ر.ج كولنجوود	فاطمة إسماعيل
٢١٢- روح الشعب الأسود	وليم ديبويس	أسعد حليم
٢١٣- أمثال فلسطينية (شعر)	خايير بيان	محمد عبدالله الجعيدى
٢١٤- مارسيل دوشامب: الفن كعدم	جانيس مينيك	هويدا السباعى
٢١٥- جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو والطاهر لبيب	كاميليا صبحى
٢١٦- محاكمة سقراط	أى. ف. ستون	نسيم مجلى
٢١٧- بلا غد	س. شير لايموفا- س. زنيكين	أشرف الصباغ
٢١٨- الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٩- صور دريدا	جايترى اسبيفاك وكرستوفر نوريس	حسام نايل
٢٢٠- لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	محمد علاء الدين منصور
٢٢١- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ١)	ليفى برو فنسال	بإشراف: صلاح فضل
٢٢٢- وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى	دبليو يوجين كلينباور	خالد مفلح حمزة
٢٢٣- فن الساتورا	تراث يونانى قديم	هانم محمد فوزى
٢٢٤- اللعب بالنار (رواية)	أشرف أسدى	محمود علاوى
٢٢٥- عالم الآثار (رواية)	فيليب بوسان	كرستين يوسف
٢٢٦- المعرفة والمصلحة	يورجين هابرماس	حسن صقر
٢٢٧- مختارات شعرية مترجمة (جـ١)	نخبة	توفيق على منصور
٢٢٨- يوسف وزليخا (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٢٢٩- رسائل عيد الميلاد (شعر)	تد هيوز	محمد عيد إبراهيم
٢٣٠- كل شىء عن التمثيل الصامت	مارفن شيرد	سامى صلاح
٢٣١- عندما جاء السردين وقصص أخرى	ستيفن جراى	سامية دياب
٢٣٢- شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	على إبراهيم منوفى
٢٣٣- الإسلام فى بريطانيا من ١٥٥٨-١٦٨٥	نبيل مطر	بكر عباس
٢٣٤- لقطات من المستقبل	أرثر كلارك	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٥- عصر الشك: دراسات عن الرواية	ناتالى ساروت	فتحى العشرى
٢٣٦- متون الأهرام	نصوص مصرية قديمة	حسن صابر
٢٣٧- فلسفة الولاء	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٢٣٨- نظرات حائرة وقصص أخرى	نخبة	جلال الحفناوى
٢٣٩- تاريخ الأدب فى إيران (جـ٣)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٢٤٠- اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربروجلو	فخرى لبيب

العنوان	المؤلف	المترجم
٢٤١- قصائد من رلكه (شعر)	راينر ماريا رلكه	حسن حلمى
٢٤٢- سلامان وأبسال (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٢٤٣- العالم البرجوازى الزائل (رواية)	نادين جورديمر	سمير عبد ربه
٢٤٤- الموت فى الشمس (رواية)	بيتر بالانجيو	سمير عبد ربه
٢٤٥- الركض خلف الزمان (شعر)	بونه ندائى	يوسف عبد الفتاح فرج
٢٤٦- سحر مصر	رشاد رشدى	جمال الجزيرى
٢٤٧- الصبية الطائشون (رواية)	جان كوكتو	بكر الحلو
٢٤٨- المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ١)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٢٤٩- دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	أرثر والدهورن وآخرون	أحمد عمر شاهين
٢٥٠- بانوراما الحياة السياحية	مجموعة من المؤلفين	عطية شحاتة
٢٥١- مبادئ المنطق	جوزايا رويس	أحمد الانصارى
٢٥٢- قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	نعيم عطية
٢٥٣- الفن الإسلامى فى الأندلس: الزخرفة الهندسية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٢٥٤- الفن الإسلامى فى الأندلس: الزخرفة النباتية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٢٥٥- التيارات السياسية فى إيران المعاصرة	حجت مرتجى	محمود علاوى
٢٥٦- الميراث المر	بول سالم	بدر الرفاعى
٢٥٧- متون هرمس	تيموثى فريك وبيتر غاندى	عمر الفاروق عمر
٢٥٨- أمثال الهوسا العامية	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٢٥٩- محاورة بارمنيدس	أفلاطون	حبيب الشارونى
٢٦٠- أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ليلى الشربينى
٢٦١- التصحر: التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	عاطف معتمد وآمال شاور
٢٦٢- تلميذ بابنبرج (رواية)	هاينرش شبورل	سيد أحمد فتح الله
٢٦٣- حركات التحرير الأفريقية	ريتشارد جيبسون	صبرى محمد حسن
٢٦٤- حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	نجلاء أبو عجاج
٢٦٥- سأم باريس (شعر)	شارل بودلير	محمد أحمد حمد
٢٦٦- نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	مصطفى محمود محمد
٢٦٧- القلم الجرىء	مجموعة من المؤلفين	البراق عبدالهادى رضا
٢٦٨- المصطلح السردى: معجم مصطلحات	جيرالد برنس	عابد خزندار
٢٦٩- المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	فوزية العشماوى
٢٧٠- الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	فاطمة عبدالله محمود
٢٧١- المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ٢)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٢٧٢- عاش الشباب (رواية)	وانغ مينغ	وحيد السعيد عبدالحميد
٢٧٣- كيف تعد رسالة دكتوراه	أومبرتو إيكو	على إبراهيم منوفى
٢٧٤- اليوم السادس (رواية)	أندريه شديد	حمادة إبراهيم
٢٧٥- الخلود (رواية)	ميلان كونديرا	خالد أبو اليزيد
٢٧٦- الغضب وأحلام السنين (مسرحيات)	جان أنوى وآخرون	إدوار الخراط
٢٧٧- تاريخ الأدب فى إيران (جـ٤)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٢٧٨- المسافر (شعر)	محمد إقبال	يوسف عبدالفتاح فرج

٢٧٩-	ملك فى الحديقة (رواية)	سنيل باث	جمال عبدالرحمن
٢٨٠-	حديث عن الخسارة	جونتر جراس	شيرين عبدالسلام
٢٨١-	أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	رانيا إبراهيم يوسف
٢٨٢-	تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	أحمد محمد نادى
٢٨٣-	هدية الحجاز (شعر)	محمد إقبال	سمير عبدالحميد إبراهيم
٢٨٤-	القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	إيزابيل كمال
٢٨٥-	مشترى العشق (رواية)	محمد على بهزادراد	يوسف عبدالفتاح فرج
٢٨٦-	دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ريهام حسين إبراهيم
٢٨٧-	أغنيات وسوناتات (شعر)	چون دن	بهاء چاهين
٢٨٨-	مواعظ سعدى الشيرازى (شعر)	سعدى الشيرازى	محمد علاء الدين منصور
٢٨٩-	تفاهم وقصص أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٢٩٠-	الأرشيفات والمدن الكبرى	إم. فى. روبرتس	عثمان مصطفى عثمان
٢٩١-	الحافلة الليلكية (رواية)	مايف بينشى	منى الدروبى
٢٩٢-	مقامات ورسائل أندلسية	فرناندو دى لاجرانجا	عبداللطيف عبدالحليم
٢٩٣-	فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	زينب محمود الخضيرى
٢٩٤-	القوى الأربع الأساسية فى الكون	بول ديفيز	هاشم أحمد محمد
٢٩٥-	آلام سياوش (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
٢٩٦-	السافاك	تقى نجارى راد	محمود علاوى
٢٩٧-	أقدم لك: نيتشه	لورانس جين وكيتى شين	إمام عبدالفتاح إمام
٢٩٨-	أقدم لك: سارتر	فيليب تودى وهوارد ريد	إمام عبدالفتاح إمام
٢٩٩-	أقدم لك: كامى	ديفيد ميروفتش وآلن كوركس	إمام عبدالفتاح إمام
٤٠٠-	مومو (رواية)	ميشائيل إنده	باهر الجوهرى
٤٠١-	أقدم لك: علم الرياضيات	زياودن ساردر وآخرون	ممدوح عبد المنعم
٤٠٢-	أقدم لك: ستيفن هوكنج	ج. ب. ماك إيفوى وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٠٣-	ربة المطر والملابس تصنع الناس (روايتان)	تودور شتورم وجوتفرد كولر	عماد حسن بكر
٤٠٤-	تعويذة الحسى	ديفيد إبرام	ظبية خميس
٤٠٥-	إيزابيل (رواية)	أندريه جيد	حمادة إبراهيم
٤٠٦-	المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	جمال عبد الرحمن
٤٠٧-	الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه	مجموعة من المؤلفين	طلعت شاهين
٤٠٨-	معجم تاريخ مصر	جوان فوتشركنج	عنان الشهاوى
٤٠٩-	انتصار السعادة	برتراند راسل	إلهامى عمارة
٤١٠-	خلاصة القرن	كارل بوبر	الزواوى بغورة
٤١١-	همس من الماضى	جينيفر أكرمان	أحمد مستجير
٤١٢-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ٢)	ليفى بروفنسال	بإشراف: صلاح فضل
٤١٣-	أغنيات المنفى (شعر)	ناظم حكمت	محمد البخارى
٤١٤-	الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوفا	أمل الصبان
٤١٥-	صورة كوكب (مسرحية)	فريدريش دورينمات	أحمد كامل عبدالرحيم
٤١٦-	مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر	آ. آ. رتشاردز	محمد مصطفى بدوى

٤١٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٥)	رينيه ويليك	مجاهد عبدالمنعم مجاهد
٤١٨-	سياسات الزمر الحاكمة فى مصر العثمانية	جين هاثواى	عبد الرحمن الشيخ
٤١٩-	العصر الذهبى للإسكندرية	جون مارلو	نسيم مجلى
٤٢٠-	مكرو ميجاس (قصة فلسفية)	فولتير	الطيب بن رجب
٤٢١-	الولاء والقيادة فى المجتمع الإسلامى الأول	روى متحدة	أشرف كيلانى
٤٢٢-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ١)	ثلاثة من الرحالة	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣-	إسراءات الرجل الطيف	نخبة	وحيد النقاش
٤٢٤-	لوائح الحق ولوامع العشق (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	محمد علاء الدين منصور
٤٢٥-	من طاووس إلى فرح	محمود طلوعى	محمود علاوى
٤٢٦-	الخفافيش وقصص أخرى	نخبة	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧-	بانديراس الطاغية (رواية)	باى إنكلان	ثريا شلبى
٤٢٨-	الخزانة الخفية	محمد هوتك بن داود خان	محمد أمان صافى
٤٢٩-	أقدم لك: هيجل	ليود سبنسر وأندرجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠-	أقدم لك: كانط	كرستوفر وانت وأندرجى كليموفسكى	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١-	أقدم لك: فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢-	أقدم لك: ماكيافللى	باتريك كيرى وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣-	أقدم لك: جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	حمدى الجابرى
٤٣٤-	أقدم لك: الرومانسية	دونكان هيث وجودى بورهام	عصام حجازى
٤٣٥-	توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زربرج	ناجى رشوان
٤٣٦-	تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوبلستون	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧-	رحالة هندى فى بلاد الشرق العربى	شبلى النعمانى	جلال الحفناوى
٤٣٨-	بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	عايدة سيف الدولة
٤٣٩-	موت المرابى (رواية)	صدر الدين عينى	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠-	قواعد اللهجات العربية الحديثة	كرستن بروستاد	محمد طارق الشرقاوى
٤٤١-	رب الأشياء الصغيرة (رواية)	أرونداتى روى	فخرى لبيب
٤٤٢-	حتشبسوت: المرأة الفرعونية	فوزية أسعد	ماهر جويجاتى
٤٤٣-	اللغة العربية: تاريخها ومستوياتها وتأثيرها	كيس فرستيغ	محمد طارق الشرقاوى
٤٤٤-	أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	صالح علمانى
٤٤٥-	حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلرى	محمد محمد يونس
٤٤٦-	التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير	أحمد محمود
٤٤٧-	أقدم لك: نظرية الكم	ج. پ. ماك إيڤوى وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٨-	أقدم لك: علم نفس التطور	ديلان إيفانز وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٩-	أقدم لك: الحركة النسوية	نخبة	جمال الجزيرى
٤٥٠-	أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية	صوفيا فوكا وريبيكا رايت	جمال الجزيرى
٤٥١-	أقدم لك: الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن وبورن ڤان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢-	أقدم لك: لينين والثورة الروسية	ريتشارد إيجينانزى وأوسكار زاريت	محيى الدين مزيد
٤٥٣-	القاهرة: إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤-	خمسون عاماً من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	سوزان خليل

٤٥٥- تاريخ الفلسفة الحديثة (مج٥)	فردريك كوبلستون	محمود سيد أحمد
٤٥٦- لا تنسنى (رواية)	مريم جعفرى	هويدا عزت محمد
٤٥٧- النساء في الفكر السياسى الغربى	سوزان مولر أوكين	إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨- الموريسكيون الأندلسيون	مرثيديس غارثيا أرينال	جمال عبد الرحمن
٤٥٩- نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	جلال البنا
٤٦٠- أقدم لك: الفاشية والنازية	ستوارت هود وليتزا جانستز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١- أقدم لك: لكان	داريان ليدر وجودى جروفز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢- طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبدالرشيد الصادق محمودى	عبدالرشيد الصادق محمودى
٤٦٣- الدولة المارقة	ويليام بلوم	كمال السيد
٤٦٤- ديمقراطية للقلة	مايكل بارنتى	حصة إبراهيم المنيف
٤٦٥- قصص اليهود	لويس جنزبيرج	جمال الرفاعى
٤٦٦- حكايات حب وبطولات فرعونية	فيولين فانويك	فاطمة عبد الله
٤٦٧- التفكير السياسى والنظرة السياسية	ستيفين ديلو	ربيع وهبة
٤٦٨- روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٤٦٩- جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	مجدى عبدالرازق
٤٧٠- الأراضى والجودة البيئية	جارى م. بيرزنسكى وآخرون	محمد السيد الننة
٤٧١- رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ٢)	ثلاثة من الرحالة	عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٧٢- دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٣- دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٤- الأدب والنسوية	بام موريس	سهام عبدالسلام
٤٧٥- صوت مصر: أم كلثوم	فرجينيا دانيلسون	عادل هلال عنانى
٤٧٦- أرض الحبايب بعيدة: بيرم التونسى	ماريلين بوث	سحر توفيق
٤٧٧- تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين	هيلدا هوخام	أشرف كيلانى
٤٧٨- الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج و لى شى دونج	عبد العزيز حمدى
٤٧٩- المقهـــى (مسرحية)	لاو شه	عبد العزيز حمدى
٤٨٠- تساى ون جى (مسرحية)	كو مو روا	عبد العزيز حمدى
٤٨١- بردة النبى	روى متحدة	رضوان السيد
٤٨٢- موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	فاطمة عبد الله
٤٨٣- النسوية وما بعد النسوية	سارة جامبل	أحمد الشامى
٤٨٤- جمالية التلقى	هانس روبيرت ياوس	رشيد بنحدو
٤٨٥- التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٦- الذاكرة الحضارية	يان أسمن	عبدالحليم عبدالغنى رجب
٤٨٧- الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد آبادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٨- الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٩- هُسرل: الفلسفة علمًا دقيقًا	إدموند هُسرل	محمود رجب
٤٩٠- أسمار الببغاء	محمد قادرى	عبد الوهاب علوب
٤٩١- نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى	نخبة	سمير عبد ربه
٤٩٢- محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى فارجيت	محمد رفعت عواد

٤٩٣-	خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	محمد صالح الضالع
٤٩٤-	كتاب الموتى: الخروج فى النهار	نصوص مصرية قديمة	شريف الصيفى
٤٩٥-	اللوبى	إدوارد تيفان	حسن عبد ربه المصرى
٤٩٦-	الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ١)	إكوادو بانولى	مجموعة من المترجمين
٤٩٧-	العلمانية والنوع والدولة فى الشرق الأوسط	نادية العلى	مصطفى رياض
٤٩٨-	النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريويذر	أحمد على بدوى
٤٩٩-	تقاطعات: الأمة والمجتمع والنوع	مجموعة من المؤلفين	فيصل بن خضراء
٥٠٠-	فى طفولتى: دراسة فى السيرة الذاتية العربية	تيتز رووكى	طلعت الشايب
٥٠١-	تاريخ النساء فى الغرب (جـ١)	أرثر جولد هامر	سحر فراج
٥٠٢-	أصوات بديلة	مجموعة من المؤلفين	هالة كمال
٥٠٣-	مختارات من الشعر الفارسى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد نور الدين عبدالمنعم
٥٠٤-	كتابات أساسية (جـ١)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٥-	كتابات أساسية (جـ٢)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٦-	ربما كان قديسًا (رواية)	آن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥٠٧-	سيدة الماضى الجميل (مسرحية)	بيتر شيفر	شوقى فهيم
٥٠٨-	المولوية بعد جلال الدين الرومى	عبدالباقى جلبنارلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٥٠٩-	الفقر والإحسان فى عصر سلاطين المماليك	آدم صبرة	قاسم عبده قاسم
٥١٠-	الأرملة الماكرة (مسرحية)	كارلو جولدونى	عبدالرازق عيد
٥١١-	كوكب مرقّع (رواية)	آن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥١٢-	كتابة النقد السينمائى	تيموثى كوريجان	جمال عبد الناصر
٥١٣-	العلم الجسور	تيد أنتون	مصطفى إبراهيم فهمى
٥١٤-	مدخل إلى النظرية الأدبية	جونثان كولر	مصطفى بيومى عبد السلام
٥١٥-	من التقليد إلى ما بعد الحداثة	فدوى مالطى دوجلاس	فدوى مالطى دوجلاس
٥١٦-	إرادة الإنسان فى علاج الإدمان	أرنولد واشنطون ودونا باوندى	صبرى محمد حسن
٥١٧-	نقش على الماء وقصص أخرى	نخبة	سمير عبد الحميد إبراهيم
٥١٨-	استكشاف الأرض والكون	إسحق عظيموف	هاشم أحمد محمد
٥١٩-	محاضرات فى المثالية الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٥٢٠-	الولع الفرنسى بمصر من الحلم إلى المشروع	أحمد يوسف	أمل الصبان
٥٢١-	قاموس تراجم مصر الحديثة	أرثر جولد سميث	عبدالوهاب بكر
٥٢٢-	إسبانيا فى تاريخها	أميركو كاسترو	على إبراهيم منوفى
٥٢٣-	الفن الطليطلى الإسلامى والمدجن	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٥٢٤-	الملك لير (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٥٢٥-	موسم صيد فى بيروت وقصص أخرى	دنيس جونسون	نادية رفعت
٥٢٦-	أقدم لك: السياسة البيئية	ستيفن كرول ووليم رانكين	محيى الدين مزيد
٥٢٧-	أقدم لك: كافكا	ديفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب	جمال الجزيرى
٥٢٨-	أقدم لك: تروتسكى والماركسية	طارق على وفِلْ إيفانز	جمال الجزيرى
٥٢٩-	بدائع العلامة إقبال فى شعره الأردى	محمد إقبال	حازم محفوظ وحسين نجيب المصرى
٥٣٠-	مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر

٥٣١-	ما الذى حَدَثَ فى «حَدَث» ١١ سبتمبر؟	چاك دريدا	صفاء فتحى
٥٣٢-	المغامرُ والمستشرق	هنرى لورنس	بشير السباعى
٥٣٣-	تعلُّم اللغة الثانية	سوزان جاس	محمد طارق الشرقاوى
٥٣٤-	الإسلاميون الجزائريون	سيڤرين لابا	حمادة إبراهيم
٥٣٥-	مخزن الأسرار (شعر)	نظامى الكنجوى	عبدالعزيز بقوش
٥٣٦-	الثقافات وقيم التقدم	صمويل هنتنجتون ولورانس هاريزون	شوقى جلال
٥٣٧-	للحب والحرية (شعر)	نخبة	عبدالغفار مكاوى
٥٣٨-	النفس والآخر فى قصص يوسف الشارونى	كيت دانيلر	محمد الحديدى
٥٣٩-	خمس مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	محسن مصيلحى
٥٤٠-	توجهات بريطانية - شرقية	السير روناك ستورس	رءوف عباس
٥٤١-	هى تتخيل وهلاوس أخرى	خوان خوسيه مياس	مروة رزق
٥٤٢-	قصص مختارة من الأدب اليونانى الحديث	نخبة	نعيم عطية
٥٤٣-	أقدم لك: السياسة الأمريكية	باتريك بروجان وكريس جرات	وفاء عبدالقادر
٥٤٤-	أقدم لك: ميلانى كلاين	روبرت هنشل وآخرون	حمدى الجابرى
٥٤٥-	يا له من سباق محموم	فرانسيس كريك	عزت عامر
٥٤٦-	ريموس	ت. ب. وايزمان	توفيق على منصور
٥٤٧-	أقدم لك: بارت	فيليب تودى وآن كورس	جمال الجزيرى
٥٤٨-	أقدم لك: علم الاجتماع	ريتشارد أوزبرن وبورن فان لون	حمدى الجابرى
٥٤٩-	أقدم لك: علم العلامات	بول كوبلى وليتاجانز	جمال الجزيرى
٥٥٠-	أقدم لك: شكسبير	نيك جروم وبيرو	حمدى الجابرى
٥٥١-	الموسيقى والعولمة	سايمون ماندى	سمحة الخولى
٥٥٢-	قصص مثالية	ميجيل دى ثربانتس	على عبد الرءوف البمبى
٥٥٣-	مدخل للشعر الفرنسى الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	رجاء ياقوت
٥٥٤-	مصر فى عهد محمد على	عفاف لطفى السيد مارسوه	عبدالسميع عمر زين الدين
٥٥٥-	الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادى والعشرين	أناتولى أوتكين	أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالى
٥٥٦-	أقدم لك: چان بودريار	كريس هوروكس وزوران جيفتك	حمدى الجابرى
٥٥٧-	أقدم لك: الماركيز دى ساد	ستوارت هود وجراهام كرولى	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٨-	أقدم لك: الدراسات الثقافية	زيودين ساردارويورين ڤان لون	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٩-	الماس الزائف (رواية)	تشا تشاجى	عبدالحى أحمد سالم
٥٦٠-	صلصلة الجرس (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوى
٥٦١-	جناح جبريل (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوى
٥٦٢-	بلايين وبلايين	كارل ساجان	عزت عامر
٥٦٣-	ورود الخريف (مسرحية)	خاثينتو بينابينتى	صبرى محمدى التهامى
٥٦٤-	عُش الغريب (مسرحية)	خاثينتو بينابينتى	صبرى محمدى التهامى
٥٦٥-	الشرق الأوسط المعاصر	ديبورا ج. جيرنر	أحمد عبدالحميد أحمد
٥٦٦-	تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى	موريس بيشوب	على السيد على
٥٦٧-	الوطن المغتصب	مايكل رايس	إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٦٨-	الأصولى فى الرواية	عبد السلام حيدر	عبد السلام حيدر

٥٦٩- موقع الثقافة	هومى بابا	ثائر ديب
٥٧٠- دول الخليج الفارسى	سير رويرت هاى	يوسف الشارونى
٥٧١- تاريخ النقد الإسبانى المعاصر	إيميليا دى ثوليتا	السيد عبد الظاهر
٥٧٢- الطب فى زمن الفراعنة	برونو أليوا	كمال السيد
٥٧٣- أقدم لك: فرويد	ريتشارد ابيجنانس وأسكار زارتى	جمال الجزيرى
٥٧٤- مصر القديمة فى عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	علاء الدين السباعى
٥٧٥- الاقتصاد السياسى للعولمة	نجير وودز	أحمد محمود
٥٧٦- فكر ثربانتس	أمريكو كاسترو	ناهد العشرى محمد
٥٧٧- مغامرات بينوكيو	كارلو كولودى	محمد قدرى عمارة
٥٧٨- الجماليات عند كيتس وهنت	أيومى ميزوكوشى	محمد إبراهيم وعصام عبد الروف
٥٧٩- أقدم لك: تشومسكى	جون ماهر وجودى جرونز	محيى الدين مزيد
٥٨٠- دائرة المعارف الدولية (مج١)	جون فيزر وبول سيترجز	بإشراف: محمد فتحى عبدالهادى
٥٨١- الحمقى يموتون (رواية)	ماريو بوزو	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢- مرايا على الذات (رواية)	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣- الجيران (رواية)	أحمد محمود	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٤- سفر (رواية)	محمود دولت آبادى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥- الأمير احتجاب (رواية)	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦- السينما العربية والأفريقية	ليزبيث مالكموس وروى أرمز	سهام عبد السلام
٥٨٧- تاريخ تطور الفكر الصينى	مجموعة من المؤلفين	عبدالعزيز حمدى
٥٨٨- أمنحوتب الثالث	أنييس كابرول	ماهر جويجاتى
٥٨٩- تمبكت العجيبة (رواية)	فيلكس ديبوا	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٥٩٠- أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية	نخبة	محمود مهدى عبدالله
٥٩١- الشاعر والمفكر	هوراتيوس	على عبدالتواب على وصلاح رمضان السيد
٥٩٢- الثورة المصرية (جـ١)	محمد صبرى السوربونى	مجدى عبدالحافظ وعلى كورخان
٥٩٣- قصائد ساحرة	بول فاليرى	بكر الحلو
٥٩٤- القلب السمين (قصة أطفال)	سوزانا تامارو	أمانى فوزى
٥٩٥- الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ٢)	إكوادو بانولى	مجموعة من المترجمين
٥٩٦- الصحة العقلية فى العالم	روبرت ديجارليه وآخرون	إيهاب عبدالرحيم محمد
٥٩٧- مسلمو غرناطة	خوليو كاروباروخا	جمال عبدالرحمن
٥٩٨- مصر وكنعان وإسرائيل	دونالد ريدفورد	بيومى على قنديل
٥٩٩- فلسفة الشرق	هرداد مهرين	محمود علاوى
٦٠٠- الإسلام فى التاريخ	برنارد لويس	مدحت طه
٦٠١- النسوية والمواطنة	ريان فوت	أيمن بكر وسمر الشيشكلى
٦٠٢- ليوتار:نحو فلسفة ما بعد حداثية	جيمس وليامز	إيمان عبدالعزيز
٦٠٣- النقد الثقافى	أرثر أيزابرجر	وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسى
٦٠٤- الكوارث الطبيعية (مج١)	باتريك ل. أبوت	توفيق على منصور
٦٠٥- مخاطر كوكبنا المضطرب	إرنست زيبروسكى (الصغير)	مصطفى إبراهيم فهمى
٦٠٦- قصة البردى اليونانى فى مصر	ريتشارد هاريس	محمود إبراهيم السعدنى

٦٠٧-	قلب الجزيرة العربية (جـ١)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٨-	قلب الجزيرة العربية (جـ٢)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٩-	الانتخاب الثقافى	أجنر فوج	شوقى جلال
٦١٠-	العمارة المدجنة	رفائيل لوبث جوثمان	على إبراهيم منوفى
٦١١-	النقد والأيديولوجية	تيرى إيجلتون	فخرى صالح
٦١٢-	رسالة النفسية	فضل الله بن حامد الحسينى	محمد محمد يونس
٦١٣-	السياحة والسياسة	كولن مايكل هول	محمد فريد حجاب
٦١٤-	بيت الأقصر الكبير(رواية)	فوزية أسعد	منى قطان
٦١٥-	عرض الأحداث التى وقعت فى بغداد من ١٩٩٧ إلى ١٩٩٩	أليس بسيرينى	محمد رفعت عواد
٦١٦-	أساطير بيضاء	روبرت يانج	أحمد محمود
٦١٧-	الفولكلور والبحر	هوراس بيك	أحمد محمود
٦١٨-	نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة	تشارلز فيلبس	جلال البنا
٦١٩-	مفاتيح أورشليم القدس	ريمون استانبولى	عايدة الباجورى
٦٢٠-	السلام الصليبى	توماش ماستناك	بشير السباعى
٦٢١-	النوبة المعبر الحضارى	وليم ى. آدمز	فؤاد عكود
٦٢٢-	أشعار من عالم اسمه الصين	أى تشينغ	أمير نبيه وعبدالرحمن حجازى
٦٢٣-	نوادر جحا الإيرانى	سعيد قانعى	يوسف عبدالفتاح
٦٢٤-	أزمة العالم الحديث	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر
٦٢٥-	الجرح السرى	جان جينيه	محمد برادة
٦٢٦-	مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	نخبة	توفيق على منصور
٦٢٧-	حكايات إيرانية	نخبة	عبدالوهاب علوب
٦٢٨-	أصل الأنواع	تشارلس داروين	مجدى محمود المليجى
٦٢٩-	قرن آخر من الهيمنة الأمريكية	نيقولاس جويات	عزة الخميسى
٦٣٠-	سيرتى الذاتية	أحمد بللو	صبرى محمد حسن
٦٣١-	مختارات من الشعر الأفريقى المعاصر	نخبة	بإشراف: حسن طلب
٦٣٢-	المسلمون واليهود فى مملكة فالنسيا	دولورس براموں	رانيا محمد
٦٣٣-	الحب وفنونه (شعر)	نخبة	حمادة إبراهيم
٦٣٤-	مكتبة الإسكندرية	روى ماكلويد وإسماعيل سراج الدين	مصطفى البهنساوى
٦٣٥-	التثبيت والتكيف فى مصر	جودة عبد الخالق	سمير كريم
٦٣٦-	حج يولندة	جناب شهاب الدين	سامية محمد جلال
٦٣٧-	مصر الخديوية	ف. روبرت هنتر	بدر الرفاعى
٦٣٨-	الديمقراطية والشعر	روبرت بن ورين	فؤاد عبد المطلب
٦٣٩-	فندق الأرق (شعر)	تشارلز سيميك	أحمد شافعى
٦٤٠-	ألكسياد	الأميرة أناكومنينا	حسن حبشى
٦٤١-	برتراندرسل (مختارات)	برتراند رسل	محمد قدرى عمارة
٦٤٢-	أقدم لك: داروين والتطور	جوناثان ميلر وبورين فان لون	ممدوح عبد المنعم
٦٤٣-	سفرنامه حجاز (شعر)	عبد الماجد الدريابادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٦٤٤-	العلوم عند المسلمين	هوارد دـ تيرنر	فتح الله الشيخ

٦٤٥-	السياسة الخارجية الأمريكية ومصادرها الداخلية	تشارلز كجلى ويوجين ويتكوف	عبد الوهاب علوب
٦٤٦-	قصة الثورة الإيرانية	سيهر نبيح	عبد الوهاب علوب
٦٤٧-	رسائل من مصر	جون نينيه	فتحى العشرى
٦٤٨-	بورخيس	بياتريث سارلو	خليل كلفت
٦٤٩-	الخوف وقصص خرافية أخرى	جى دى موياسان	سحر يوسف
٦٥٠-	الدولة والسلطة والسياسة فى الشرق الأوسط	روجر أوين	عبد الوهاب علوب
٦٥١-	ديليسبس الذى لا نعرفه	وثائق قديمة	أمل الصبان
٦٥٢-	آلهة مصر القديمة	كلود ترونكر	حسن نصر الدين
٦٥٣-	مدرسة الطغاة (مسرحية)	إيريش كستنر	سمير جريس
٦٥٤-	أساطير شعبية من أوزبكستان (جـ١)	نصوص قديمة	عبد الرحمن الخميسى
٦٥٥-	أساطير وآلهة	إيزابيل فرانكو	حليم طوسون ومحمود ماهر طه
٦٥٦-	خبز الشعب والأرض الحمراء (مسرحيتان)	ألفونسو ساسترى	ممدوح البستاوى
٦٥٧-	محاكم التفتيش والموريسكيون	مرثيديس غارثيا أرينال	خالد عباس
٦٥٨-	حوارات مع خوان رامون خيمينيث	خوان رامون خيمينيث	صبرى التهامى
٦٥٩-	قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية	نخبة	عبداللطيف عبدالحليم
٦٦٠-	نافذة على أحدث العلوم	ريتشارد فايفيلد	هاشم أحمد محمد
٦٦١-	روائع أندلسية إسلامية	نخبة	صبرى التهامى
٦٦٢-	رحلة إلى الجذور	داسو سالدييار	صبرى التهامى
٦٦٣-	امرأة عادية	ليوسيل كليفتون	أحمد شافعى
٦٦٤-	الرجل على الشاشة	ستيفن كوهان وإنا راى هارك	عصام زكريا
٦٦٥-	عوالم أخرى	بول دافيز	هاشم أحمد محمد
٦٦٦-	تطور الصورة الشعرية عند شكسبير	ولفجانج اتش كليمن	جمال عبد الناصر ومدحت الجيار وجمال جاد الرب
٦٦٧-	الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربى	ألفن جولدنر	على ليلة
٦٦٨-	ثقافات العولمة	فريدريك جيمسون وماساو ميوشى	ليلى الجبالى
٦٦٩-	ثلاث مسرحيات	وول شوينكا	نسيم مجلى
٦٧٠-	أشعار جوستاف أدولفو	جوستاف أدولفو بكر	ماهر البطوطى
٦٧١-	قل لى كم مضى على رحيل القطار؟	جيمس بولدوين	على عبدالأمير صالح
٦٧٢-	مختارات من الشعر الفرنسى للأطفال	نخبة	إبتهال سالم
٦٧٣-	ضرب الكليم (شعر)	محمد إقبال	جلال الحفناوى
٦٧٤-	ديوان الإمام الخمينى	آية الله العظمى الخمينى	محمد علاء الدين منصور
٦٧٥-	أثينا السوداء (جـ٢، مج١)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٦-	أثينا السوداء (جـ٢، مج٢)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٧-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ١ ، مج١)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٨-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ١ ، مج٢)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٩-	مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	وليام شكسبير	توفيق على منصور
٦٨٠-	سنوات الطفولة (رواية)	وول شوينكا	سمير عبد ربه
٦٨١-	هل يوجد نص فى هذا الفصل؟	ستانلى فش	أحمد الشيمى
٦٨٢-	نجوم حظر التجوال الجديد (رواية)	بن أوكرى	صبرى محمد حسن

٦٨٣-	سكين واحد لكل رجل (رواية)	ت. م. ألوكو	صبرى محمد حسن
٦٨٤-	الأعمال القصصية الكاملة (أنا كذا) (جـ١)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسى
٦٨٥-	الأعمال القصصية الكاملة (الصحراء) (جـ٢)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسى
٦٨٦-	امرأة محاربة (رواية)	ماكسين هونج كنجستون	سحر توفيق
٦٨٧-	محبوبة (رواية)	فتانة حاج سيد جوادى	ماجدة العنانى
٦٨٨-	الانفجارات الثلاثة العظمى	فيليب م. دوبر وريتشارد أ. موار	فتح الله الشيخ وأحمد السماحى
٦٨٩-	الملف (مسرحية)	تادووش روجيفيتش	هناء عبد الفتاح
٦٩٠-	محاكم التفتيش فى فرنسا	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩١-	ألبرت أينشتين: حياته وغرامياته	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩٢-	أقدم لك: الوجودية	ريتشارد أبيجانسى وأوسكار زاريت	حمدى الجابرى
٦٩٣-	أقدم لك: القتل الجماعى (المحرقة)	حاييم برشيت وآخرون	جمال الجزيرى
٦٩٤-	أقدم لك: دريدا	جيف كولينز وبيل مايبلين	حمدى الجابرى
٦٩٥-	أقدم لك: رسل	ديف روبنسون وجودى جروف	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٦-	أقدم لك: روسو	ديف روبنسون وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٧-	أقدم لك: أرسطو	روبرت ويفين وجودى جروفس	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٨-	أقدم لك: عصر التنوير	ليود سبنسر وأندرزيجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٩-	أقدم لك: التحليل النفسى	إيفان وارد وأوسكار زارايت	جمال الجزيرى
٧٠٠-	الكاتب وواقعه	ماريو فرجاش	بسمة عبدالرحمن
٧٠١-	الذاكرة والحداثة	وليم رود فيفيان	منى البرنس
٧٠٢-	الأمثال الفارسية	أحمد وكيليان	محمود علاوى
٧٠٣-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٢)	إدوارد جرانفيل براون	أمين الشواربى
٧٠٤-	فيه ما فيه	مولانا جلال الدين الرومى	محمد علاء الدين منصور وآخرون
٧٠٥-	فضل الأنام من رسائل حجة الإسلام	الإمام الغزالى	عبدالحميد مدكور
٧٠٦-	الشفرة الوراثية وكتاب التحولات	جونسون ف. يان	عزت عامر
٧٠٧-	أقدم لك: ڤالتر بنيامين	هوارد كاليجل وآخرون	وفاء عبدالقادر
٧٠٨-	فراعنة من؟	دونالد مالكولم ريد	رءوف عباس
٧٠٩-	معنى الحياة	ألفريد أدلر	عادل نجيب بشرى
٧١٠-	الأطفال والتكنولوجيا والثقافة	يان هاتشباى وجومواران إليس	دعاء محمد الخطيب
٧١١-	درة التاج	ميرزا محمد هادى رسوا	هناء عبد الفتاح
٧١٢-	ميراث الترجمة: الإلياذة (جـ١)	هوميروس	سليمان البستانى
٧١٣-	ميراث الترجمة: الإلياذة (جـ٢)	هوميروس	سليمان البستانى
٧١٤-	ميراث الترجمة: حديث القلوب	لامنيه	حنا صاوه
٧١٥-	جامعة كل المعارف (جـ١)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٦-	جامعة كل المعارف (جـ٢)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٧-	جامعة كل المعارف (جـ٣)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٨-	جامعة كل المعارف (جـ٤)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٩-	جامعة كل المعارف (جـ٥)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧٢٠-	جامعة كل المعارف (جـ٦)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧٢١-	فلسفة المتكلمين فى الإسلام (مج١)	هـ. أ. ولفسون	مصطفى لبيب عبد الغنى

٧٢٢-	الصفيحة وقصص أخرى	يشار كمال	الصفصافى أحمد القطورى
٧٢٣-	تحديات ما بعد الصهيونية	إفرايم نيمنى	أحمد ثابت
٧٢٤-	اليسار الفرويدى	بول روبنسون	عبده الريس
٧٢٥-	الاضطراب النفسى	جون فيتكس	مى مقلد
٧٢٦-	الموريسكيون فى المغرب	غييرمو غوثاليبس بوستو	مروة محمد إبراهيم
٧٢٧-	حلم البحر (رواية)	باچين	وحيد السعيد
٧٢٨-	العولمة: تدمير العمالة والنمو	موريس آليه	أميرة جمعة
٧٢٩-	الثورة الإسلامية فى إيران	صادق زيباكلام	هويدا عزت
٧٣٠-	حكايات من السهول الأفريقية	آن جاتى	عزت عامر
٧٣١-	النوع: الذكر والأنثى بين التميز والاختلاف	مجموعة من المؤلفين	محمد قدرى عمارة
٧٣٢-	قصص بسيطة (رواية)	إنجو شولتسه	سمير جريس
٧٣٣-	مأساة عطيل (مسرحية)	وليم شيكسبير	محمد مصطفى بدوى
٧٣٤-	بونابرت فى الشرق الإسلامى	أحمد يوسف	أمل الصبان
٧٣٥-	فن السيرة فى العربية	مايكل كوبرسون	محمود محمد مكى
٧٣٦-	التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (جـ١)	هوارد زن	شعبان مكاوى
٧٣٧-	الكوارث الطبيعية (مج٢)	باتريك ل. أبوت	توفيق على منصور
٧٣٨-	دمشق من عصر ما قبل التاريخ إلى الدولة المملوكية	جيرار دى جورج	محمد عواد
٧٣٩-	دمشق من الإمبراطورية العثمانية حتى الوقت الحاضر	جيرار دى جورج	محمد عواد
٧٤٠-	خطابات القوة	بارى هندس	مرفت ياقوت
٧٤١-	الإسلام وأزمة العصر	برنارد لويس	أحمد هيكل
٧٤٢-	أرض حارة	خوسيه لاكوادرا	رزق بهنسى
٧٤٣-	الثقافة: منظور داروينى	روبرت أونجر	شوقى جلال
٧٤٤-	ديوان الأسرار والرموز (شعر)	محمد إقبال	سمير عبد الحميد
٧٤٥-	المآثر السلطانية	بيك الدنبلى	محمد أبو زيد
٧٤٦-	تاريخ التحليل الاقتصادى (مج١)	جوزيف أ. شومبيتر	حسن النعيمى
٧٤٧-	الاستعارة فى لغة السينما	تريفور وايتوك	إيمان عبد العزيز
٧٤٨-	تدمير النظام العالمى	فرانسيس بويل	سمير كريم
٧٤٩-	إيكولوچيا لغات العالم	ل.ج. كالفيه	باتسى جمال الدين
٧٥٠-	الإلياذة	هوميروس	بإشراف: أحمد عتمان
٧٥١-	الإسراء والمعراج فى تراث الشعر الفارسى	نخبة	علاء السباعى
٧٥٢-	ألمانيا بين عقدة الذنب والخوف	جمال قارصلى	نمر عاروري
٧٥٣-	التنمية والقيم	إسماعيل سراج الدين وآخرون	محسن يوسف
٧٥٤-	الشرق والغرب	أنا مارى شيمل	عبدالسلام حيدر
٧٥٥-	تاريخ الشعر الإسبانى خلال القرن العشرين	أندرو ب. دبيكى	على إبراهيم منوفى
٧٥٦-	ذات العيون الساحرة	إنريكى خارديل بونثيلا	خالد محمد عباس
٧٥٧-	تجارة مكة	باتريشيا كرون	آمال الروبى
٧٥٨-	الإحساس بالعولمة	بروس روبنز	عاطف عبدالحميد
٧٥٩-	النثر الأردى	مولوى سيد محمد	جلال الحفناوى
٧٦٠-	الدين والتصور الشعبى للكون	السيد الأسود	السيد الأسود

٧٦١- جيوب مثقلة بالحجارة ( )	فيرجينيا وولف	فاطمة ناعوت
٧٦٢- المسلم عدوًا و صديقًا	ماريا سوليداد	عبدالعال صالح
٧٦٣- الحياة فى مصر	أنريكو بيا	نجوى عمر
٧٦٤- ديوان غالب الدهلوى (شعر غزل)	غالب الدهلوى	حازم محفوظ
٧٦٥- ديوان خواجة الدهلوى (شعر تصوف)	خواجة الدهلوى	حازم محفوظ
٧٦٦- الشرق المتخيل	تييرى هنتش	غازى برو وخليل أحمد خليل
٧٦٧- الغرب المتخيل	نسيب سمير الحسينى	غازى برو
٧٦٨- حوار الثقافات	محمود فهمى حجازى	محمود فهمى حجازى
٧٦٩- أدباء أحياء	فريدريك هتمان	رندا النشار وضياء زاهر
٧٧٠- السيدة بيرفيكتا	بينيتو بيريث جالدوس	صبرى التهامى
٧٧١- السيد سيجوندو سومبرا	ريكاردو جويرالديس	صبرى التهامى
٧٧٢- بريخت ما بعد الحداثة	إليزابيث رايت	محسن مصيلحى
٧٧٣- دائرة المعارف الدولية (جـ٢)	جون فيزر وبول ستيرجز	بإشراف: محمد فتحى عبدالهادى
٧٧٤- الديموقراطية الأمريكية: التاريخ والمرتكزات	مجموعة من المؤلفين	حسن عبد ربه المصرى
٧٧٥- مرآة العروس	نذير أحمد الدهلوى	جلال الحفناوى
٧٧٦- منظومة مصيبت نامه (مج١)	فريد الدين العطار	محمد محمد يونس
٧٧٧- الانفجار الأعظم	جيمس إ. ليدسى	عزت عامر
٧٧٨- صفوة المديح	مولانا محمد أحمد ورضا القادرى	حازم محفوظ
٧٧٩- خيوط العنكبوت وقصص أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم وسارة تاكاهاشى
٧٨٠- من أدب الرسائل الهندية حجاز ١٩٣٠	غلام رسول مهر	سمير عبد الحميد إبراهيم
٧٨١- الطريق إلى بكين	هدى بدران	نبيلة بدران
٧٨٢- المسرح المسكون	مارفن كارلسون	جلال عبد المقصود
٧٨٣- العولمة والرعاية الإنسانية	فيك جورج وبول ويلدنج	طلعت السروجى
٧٨٤- الإساءة للطفل	ديفيد أ. وولف	جمعة سيد يوسف
٧٨٥- تأملات عن تطور ذكاء الإنسان	كارل ساجان	سمير حنا صادق
٧٨٦- المنية (رواية)	مارجريت أتوود	سحر توفيق
٧٨٧- العودة من فلسطين	جوزيه بوفيه	إيناس صادق
٧٨٨- سر الأهرامات	ميروسلاف فرنر	خالد أبو اليزيد البلتاجى
٧٨٩- الانتظار (رواية)	هاجين	منى الدروبى
٧٩٠- الفرانكفونية العربية	مونيك بونتو	جيهان العيسوى
٧٩١- العطور ومعامل العطور فى مصر القديمة	محمد الشيمى	ماهر جويجاتى
٧٩٢- دراسات حول القصص القصيرة إدريس ومحفوظ	منى ميخائيل	منى إبراهيم
٧٩٣- ثلاث رؤى للمستقبل	جون جريفيس	رءوف وصفى
٧٩٤- التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (جـ٢)	هوارد زن	شعبان مكاوى
٧٩٥- مختارات من الشعر الإسبانى (جـ١)	نخبة	على عبد الروف البمبى
٧٩٦- آفاق جديدة فى دراسة اللغة والذهن	نعوم تشومسكى	حمزة المزينى
٧٩٧- الرؤية فى ليلة معتمة (شعر)	نخبة	طلعت شاهين
٧٩٨- الإرشاد النفسى للأطفال	كاترين جيلدرد ودافيد جيلدرد	سميرة أبو الحسن

٧٩٩- سلم السنوات	أن تيلر	عبد الحميد فهمى الجمال
٨٠٠- قضايا فى علم اللغة التطبيقى	ميشيل ماكارثى	عبد الجواد توفيق
٨٠١- نحو مستقبل أفضل	تقرير دولى	بإشراف: محسن يوسف
٨٠٢- مسلمو غرناطة فى الآداب الأوروبية	ماريا سوليداد	شرين محمود الرفاعى
٨٠٣- التغير والتنمية فى القرن العشرين	توماس باترسون	عزة الخميسى
٨٠٤- سوسيولوجيا الدين	دانيل ميرفيه-ليجيه وجان بول ويلام	درويش الحلوجى
٨٠٥- من لا عزاء لهم (رواية)	كازو إيشيجورو	طاهر البربرى
٨٠٦- الطبقة العليا المتوسطة	ماجدة بركة	محمود ماجد
٨٠٧- يحى حقى: تشريح مفكر مصرى	ميريام كوك	خيرى دومة
٨٠٨- الشرق الأوسط والولايات المتحدة	ديفيد دابليو ليش	أحمد محمود
٨٠٩- تاريخ الفلسفة السياسية (جـ١)	ليو شتراوس وجوزيف كروبسى	محمود سيد أحمد
٨١٠- تاريخ الفلسفة السياسية (جـ٢)	ليو شتراوس وجوزيف كروبسى	محمود سيد أحمد
٨١١- تاريخ التحليل الاقتصادى (مج٢)	جوزيف أ.شومبيتر	حسن النعيمى
٨١٢- تمثل العالم: الصورة والأسلوب فى الحياة الاجتماعية	ميشيل مافيزولى	فريد الزاهى
٨١٣- لم أخرج من ليلى (رواية)	أنى إرنو	نورا أمين
٨١٤- الحياة اليومية فى مصر الرومانية	نافتال لويس	آمال الروبى
٨١٥- فلسفة المتكلمين (مج٢)	هـ. أ. ولفسون	مصطفى لبيب عبدالغنى
٨١٦- العدو الأمريكى	فيليب روجيه	بدر الدين عرودكى
٨١٧- مائدة أفلاطون: كلام فى الحب	أفلاطون	محمد لطفى جمعة
٨١٨- الحرفيون والتجار فى القرن ١٨ (جـ١)	أندريه ريمون	ناصر أحمد وباتسى جمال الدين
٨١٩- الحرفيون والتجار فى القرن ١٨ (جـ٢)	أندريه ريمون	ناصر أحمد وباتسى جمال الدين
٨٢٠- ميراث الترجمة: هملت (مسرحية)	وليم شكسبير	طانيوس أفندى
٨٢١- هفت بيكر (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٨٢٢- فن الرباعى (شعر)	نخبة	محمد نور الدين عبد المنعم
٨٢٣- وجه أمريكا الأسود (شعر)	نخبة	أحمد شافعى
٨٢٤- لغة الدراما	دافيد برتش	ربيع مفتاح
٨٢٥- ميراث الترجمة: عصر النهضة فى إيطاليا (جـ١)	ياكوب بوكهارت	عبد العزيز توفيق جاويد
٨٢٦- ميراث الترجمة: عصر النهضة فى إيطاليا (جـ٢)	ياكوب بوكهارت	عبد العزيز توفيق جاويد
٨٢٧- أهل مطروح: البدو والمستوطنون والذين يقضون العطلات	دونالد پ.كول وثريا تركى	محمد على فرج
٨٢٨- ميراث الترجمة: النظرية النسبية	ألبرت أينشتين	رمسيس شحاتة
٨٢٩- مناظرة حول الإسلام والعلم	إرنست رينان وجمال الدين الأفغانى	مجدى عبد الحافظ
٨٣٠- رق العشق	حسن كريم بور	محمد علاء الدين منصور
٨٣١- ميراث الترجمة: تطور علم الطبيعة	ألبرت أينشتين وليو پولد إنفلد	محمد النادى وعطية عاشور
٨٣٢- تاريخ التحليل الاقتصادى (جـ٣)	جوزيف أ.شومبيتر	حسن النعيمى
٨٣٣- الفلسفة الألمانية	فرنر شميدرس	محسن الدمرداش
٨٣٤- كنز الشعر	نبيع الله صفا	محمد علاء الدين منصور
٨٣٥- تشيخوف: حياة فى صور	بيتر أوربان	علاء عزمى
٨٣٦- بين الإسلام والغرب	مرثيدس غارثيا	ممدوح البستاوى

٨٣٧- عناكب فى المصيدة	ناتاليا فيكو	على فهمى عبدالسلام
٨٣٨- فى تفسير مذهب بوش ومقالات أخرى	نعوم تشومسكى	لبنى صبرى
٨٣٩- أقدم لك: النظرية النقدية	ستيوارت سين وبورين فان لون	جمال الجزيرى
٨٤٠- الخواتم الثلاثة	جوتهولد ليسينج	فوزية حسن
٨٤١- هملت: أمير الدانمارك	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٨٤٢- منظومة مصيبت نامه (مج٢)	فريد الدين العطار	محمد محمد يونس
٨٤٣- من روائع القصيد الفارسى	نخبة	محمد علاء الدين منصور
٨٤٤- دراسات فى الفقر والعولمة	كريمة كريم	سمير كريم
٨٤٥- غياب السلام	نيكولاس جويات	طلعت الشايب
٨٤٦- الطبيعة البشرية	ألفريد آدلر	عادل نجيب بشرى
٨٤٧- الحياة بعد الرأسمالية	مايكل ألبرت	أحمد محمود
٨٤٨- ميراث الترجمة: تاريخ الدولة العربية	يوليوس ڤلهوزن	عبد الهادى أبو ريدة
٨٤٩- سونيتات شكسبير	وليم شكسبير	بدر توفيق
٨٥٠- الخيال، الأسلوب، الحداثة	مقالات مختارة	جابر عصفور
٨٥١- ميراث الترجمة: الطب التجريبى	كلود برنار	يوسف مراد
٨٥٢- العلم والحقيقة	ريتشارد دوكنز	مصطفى إبراهيم فهمى
٨٥٣- العمارة فى الأندلس: عمارة المدن والحصون (مج١)	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٨٥٤- العمارة فى الأندلس: عمارة المدن والحصون (مج٢)	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٨٥٥- فهم الاستعارة فى الأدب	جيرارد ستيم	محمد أحمد حمد
٨٥٦- القضية الموريسكية من وجهة نظر أخرى	فرانشسكو ماركيث يانو بيانويا	عائشة سويلم
٨٥٧- نادجا (رواية)	أندريه بريتون	كامل عويد العامرى
٨٥٨- جوهر الترجمة: عبور الحدود الثقافية	ثيو هرمانز	بيومى قنديل
٨٥٩- السياسة فى الشرق القديم	إيف شيمل	مصطفى ماهر
٨٦٠- مصر وأوروبا	القاضى فان بملن	لطيفة سالم
٨٦١- الإسلام والمسلمون فى أمريكا	جين سميث	محمد الخولى

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٧٣٨٦ / ٢٠٠٥